

أَفْرَادُ الْمُهْتَدِي

الْمُهْتَدِيُّونَ

في كتابات العصر بين في ضوء الإسلام

دار الـ عِنْدِي



الغارقة في الانحلال الغافلة عن الخطر الأكبر الحيط بالأمة الإسلامية كلها والذى يتطلع إلى اليوم الذى يكون فيه قادرًا على صهرها في بوقته بعد مرحلة احتواها إلى نهرها الآن .

١ - ولقد استطاع اللورد كرومر أن ينشئ في مصر عام (١٨٨٣ - ١٩٠٧) تلك القاعدة التغريبية التي توالت وأنشأت هذه الأجيال المتعددة من العلانية منذ ذلك الوقت تحمل لواء الاحتقار للإسلام ولل الوطنية وتوعد إلى التبعية للغرب وتعجب ببطرولاته وتحمل لواء الدعاية إلى أن الإسلام دين عبادى مختلف صحراؤى ، منكراة ربانية الإسلام وعالمه ، وتكامله الجامع بين الدين والسياسة ، وكان أخطر ما تدعوه إليه حركة التغريب هو :

(أ) القضاء على الوحدة الإسلامية وإحلال مفهوم الإقليميات والقوميات الضيقة القائمة على الدماء والعناصر .

(ب) القضاء على الشريعة الإسلامية والنظام الاقتصادي الإسلامي وإحلال قانون نابليون والنظام الاقتصادي الربوي .

(ج) القضاء على التربية الإسلامية وإحلال نظام التعليم الغربي العلماني المفرغ من العقيدة والأخلاق .

وهكذا أوتت هذه الأمة من مقتلين : من مقتل التعليم ، ومن مقتل الصحافة ، فقد حطمت قوائم التربية الإسلامية وأقيم نظام تعليمي علماني فاصل يقوم على خلق طبقة من الكتبة والموظفين ، المهرورين بالغرب ، القابلين بالتعاون مع الاستعمار ، ثم جاءت الصحافة التي تولاهما المارون ففتحت الأبواب أمام هموم الفكر الغربي ، والمسؤولية والعاميات ، والقصص الإباحي والاحتقار للقيم والأخلاق ، ولعل نظرة واحدة إلى مخطط اللورد كرومر في هدم قوائم الإسلام وركائز القيم الإسلامية في مصر ليقدم الدليل الأكيد على أن ما نراه حتى اليوم من مخططات ودعوات إنما تستمد وجودها من هذه المجمة الشرسة التي قام بها زعيم التغريب الأكبر .

فقد عمد كرومر إلى علين خطيرين : زعزعة العقيدة الدينية إلى جانب اقتلاع مقومات الوطن والوطنية ، وجعل الحضارة الأوروبية هي المفروذ الأعلى للمصريين ليأخذوا به .

وتدل (١) كتبات كروم على إدراكه التام ل موقف الإسلام في الشرق (فالصريون يتمسكون تمسكاً تاماً بالإسلام الذي هو أحد الكلمات المرادفة للوطنية في الشرق والإنجليز لا يهدون إلى نشر المسيحية ولكنهم يريدون نشر حضارة تقوم على أساس مسيحي) . ومن ثم عمد رجال الاحتلال إلى العمل على زيادة عدد المصريين الآخرين بتصنيف من الحضارة الأوروبية (أمثال لطفي السيد ، وسعد زغلول) وجعلوا البعض مقاماً كبيراً في الدور السياسي الذي تمر به مصر منذ الاحتلال ، وإذا استمر المضي في هذا الطريق أصبح المصري الآخن حضارة أوروبا أقل مصرية وأكثر ميلاً لأوروبا إذ يصبح المصريون بهذا الفيضان المتتدفق من الحضارة الأوروبية أقل إسلاماً ، وهم في نفس الوقت لم يحصلوا بعد على العمود الفقري في الحضارة الأوروبية ، هذا بالضبط ما يورده كروم في تقاريره ، وكما يصفهم في عبارة قصيرة (بأنهم مسلمون وليسوا فيهم خواص إسلامية ، وأوربيون وليسوا فيهم خواص أوروبية) .

ويرى كروم أنه في إدخال المدينة الأوروبية في مصر (يجب لا يغيب عن ذهنتنا أنه لا يمكن إدخال أي تجديد في الإسلام وبعبارة أخرى أن الإسلام المجدد ليس إسلاماً ، أنه شيء آخر لا يمكننا وصفه ، لذلك فعلينا لا تتوقع مساعدة كبرى من المسلمين المتمسكون بدينهم ، فهم يزدادون تمسكاً بالدين كلما ازدادت المدينة الأوروبية في مصر ، أما السوربيون والأرمن فليستوا أجانب ، والأقباط إلى جانب أنهم مسيحيون - فهوم في عام ١٨٨٢ لا يمتازون عن المسلمين من ناحية التعلم - كذلك فإن المصري المتحضر بالحضارة الأوروبية أصبح هو العامل الأساسي في إدارة البلاد إلى جانب الأوروبيين والواقع أن القسم الأكبر من المصريين مسلم ، وينظر إلينا (نحن الإنجليز) باعتبارنا لا نعرف شيئاً خارج المادة (روحياً) ولكن توجد بينه وبين عالم الأزهر في الوقت نفسه هوة لاتقل اتساعاً عن الهوة التي تفصل بين العالم الأزهري وبين الأوروبي : وهكذا فإن الشباب المسلم الداير في تيار الحضارة

(١) ل / الصحافة المصرية و موقفها من الاحتلال الانجليزي للدكتور سامي عزيز .

الأوروبية يفقد إسلامه أو على الأقل يفقد القدر الأكبر من دينه ويحرم نفسه من أهم مبادئ عقيدته وفي الوقت نفسه نادرًا ما يتوجه هذا الشخص إلى المسيحية .

ويعرف كرومر بفضل القارة الأوروبية على الشرق من الناحية المادية « أما من الناحية المعنوية فإن التأثير على الأخلاق غير واضح ، فالحضارة الأوروبية تقضى على دين دون أن تستبدل به غيره ، فالمصري الذى قد تطلق عليه (صاحب التفكير الحر) يجد نفسه في خضم هائل دون مرشد و هاد ، أنه لا يجد في تاريخه الماضى ولا من ظروفه الحاضرة سندًا أخلاقياً يعتمد عليه ، أنه روى دينه راغبًا في التجديد ، أما الدين الذى يقتل الإصلاح والتجديد فهو دين آخر ، لذلك فإنه يتوجه إلى ترك الدين جانباً ، وهكذا فإنه يحرمان نفسه من عقيدته لن يجد رادعاً أخلاقياً ، وفي الوقت نفسه يحاول تقليل الأوروبي ، ولا يترك هذا المصرى عقيدته خلف ظهره فحسب بل أنه يترفع عنها ويزدرىها ، وهكذا يندفع مغمض العينين بين أحضان الحضارة الأوروبية غير مدرك لحقيقة هامة ، هي أن ما يراه ليس سوى المظهر الخارجى لتلك الحضارة ، بينما تستقر المعنويات المسيحية تحت هذا المظهر وتحكم في حركاته ، ويصعب على مقلد الحضارة الأوروبية أن يحصل عليها » ولكن هل يحيى المصريون هكذا دون عقيدة معينة ؟

ويوضح كرومر أنه (بمروء الوقت سيخلق المسلمون ديناً لا يقوم على الإسلام الأول ، أنه سيقوم على مبادئ جديدة ، وهكذا فإن المصرى المتحضر بالحضارة الأوروبية هو الحجر الأول وليس الأخير في المجتمع المتتطور) .

وينصح كرومر رجال السياسة الأوروبيين بالابتعاد عن كل ما من شأنه أن يهدى تحييرًا للعقيدة الإسلامية ولندع هؤلاء الذين يقودون دفة الدولة على حذر يدكون في مكر الصرح الدولى للمجتمع الإسلامي فإن ازدراء العقيدة الدينية للشعب بأسره أمر على جانب كبير من الخطورة سياسياً واجتماعياً) و وهكذا رسم المعتمد البريطاني الطريق للوقوف في وجه الإسلام ،

كعقيدة إلى حد أن (أقبل فريق من المسلمين المتأثرين بالحضارة الغربية على كل غربي وتركوا ماضيهم وتاريخهم وأصيحاً لا يكترثون لشئون دينهم الذي ولدوا فيه ولا يهابون التصرير بالإلحاد ، وقد اعترض الأحرار المسلمين اتخاذ القواعد التي جرى عليها الغرب في تقدمه ورقمه واتخاذها أساساً لما أنشأوه من إصلاحات) .

وهكذا نرى كيف خطط التغريب منذ أكثر من مائة عام لمزيق وجهة الفكر الإسلامي بإدخال تلك التيارات المدمرة ، ولكن مهلاً فإن حركة اليقظة الإسلامية لم تثبت أن بزغ فجرها فواجهت هذا الخطر مواجهة حاسمة وكشفت زيف الخطط ودحضت تلك القضايا المسمومة التي أثیرت .

لقد اعتمد الخطط التغريبي في هذه المرحلة – وإلى اليوم على الصحافة ، فظهرت المقتطف والملال واللائفات (صروف . نمر . مكاريوس . جرجي زيدان) يدعون كل في ميدانه إلى (نظرية دارون) – الماسونية – الانحلال . ولقد وقف جمال الدين الأفغاني إزاء نظرية دارون ، وكتب محمد عبده في الرد على داركور وفرح وأنطون وكتب فريد وجدى في الرد على شبل شمبل ، وكتب على يوسف في الرد على تغلب اللغة الإنجليزية على العربية ورد طلعت حرب وفريد وجدى على تحرير المرأة ، وهاجم مصطفى صادق الرافعي وعلى يوسف دعوة لطفي السيد كما هاجم عبد العزيز فهمي في دعوته إلى الحروف اللاتينية ، وهاجم رشيد رضا دعوات على عبد الرزاق وطه حسين ومحمود عزى ورينان .

وقد توالى المراحل حيث أخذ الفكر الصهيوني يتسلسلاً من خلال الدراسات الجامعية في الأدب والاقتصاد والمجتمع والنفس والأخلاق وعلا شأن المدرسة الاجتماعية الفرنسية التي قادها دور كايم ، ولين برييل والى تستمد مفاهيمها من الماركسية أساساً والى جندت عشرات من شبابنا الذين ذهبوا إلى الغرب أمثال طه حسين ، وذكى مبارك ، ومحمود عزى وغيرهم وكان من أخطر أعمالها الدعوة إلى :

- ١ - نظرية فرويد في الجنس :
- ٢ - نظرية دور كايم في الاجتماع .

٣ - نظرية تين وبرودنير في الأدب .

ومن ثم بدأت كتابات ملتفقة حول الإسلام ترمي إلى إنكار المعجزات وتدعو إلى بشرية القرآن من كتاب متغيرين أحذوا يكتبون عن الإسلام (طه حسين - هيكل - العقاد) فكانت لهم خطأ بارزة لأنهم بدأوا عملهم من خلال النهج العلمي الذي تشكلت فيه ثقافتهم أساساً ومن ثم لم يستطيعوا أن يستوعبوا مفهوم الإسلام الجامع .

كانت هذه هي مرحلة الفكر الليبرالي الديمقراطي الرأسمالي الغربي .
ثم جاءت المرحلة الثالثة : مرحلة الماركسية ودعوتها إلى التفسير المادي للتاريخ وصراع الطبقات .

وهكذا واجه الفكر الإسلامي خلال هذه السنوات ثلاث تيارات متضاربة ومتغيرة ، وقد سارت روافدها جميعها في طريق واحد لاحتواء الفكر الإسلامي ، وقد ألقت بثقلها في أفق الفكر الإسلامي بهدف تدمير مقوماته وزلزلة قواعده وتدمير قيمه الأساسية وإن كان ذلك في الحقيقة ما زاده إلا قوة وصموداً ، فقد كان الفكر الإسلامي قادرًا على هذه المواجهة وكانت جذوره الثابية في أعماق التربية الإسلامية مما تعجز أشد القوى عن اقتلاعه ، وكانت هذه المحاولة أشبه بمحاولات سابقة جرت للفكر الإسلامي في القرن الثالث عند ترجمة الفكر اليوناني والفارسي وغيره من ثمرات الفكر الوثني وقد واجهها علماء أقمر أمثال ابن حنبل والشافعى وابن تيمية والغزالى ، وقد استطاع علماء المسلمين احتوائهما وتجاوزها والكشف عن زيفها وإعلان وجاهة الإسلام بمفهوم أهل السنة والجماعة .

٤ - لقد كانت الصحافة هي المدخل إلى التغريب وقد تولاها المارشون فاقتحموها بمعاهمهم وتعصّبهم وحقدّهم على الإسلام والدولة العثمانية وبولائهم للاستعمار ولكل دعوات التغريب فرأيناهم منشئين في أنحاء العالم الإسلامي والغربي : أديب إسحاق ، وسلمي النقاش ، وسلمي عنحورى ، وفرح وأنطون ، وخليل غانم ، وصروف ، ونمر ، ومكاريوس ، وتكتل جرجى زيدان ، وجورج طنوس ، وخليل ثابت ، وكان على رأسهم جميعاً يعقوب صنوح اليهودى فكانوا علماً المسئونية والاستعمار ودعاة اللغة

العامة والرجل والكلمات الفرنسية العامة وكان صنوع يهودي فرنسي الجنسية يدعى يعقوب روڤائيل ويطلق على نفسه اسم جويدا ساتوا وكانت صحفه التي أصدرها في مصر وباريس بعد أن طرد دعوات مبشرة للولاء الفرنسي وكان يطلق على الحديو شيخ الحرارة ، وكان شبل شهيل أخطر دعاتهم الذي حل لواء نشر مذهب دارون حين ترجمه عن أشد الدعاة له تعصباً وهو (بخت) وكانتوا يحملون في هجوم عاصف على السلطان عبد الحميد وخاصة (سليم سركيس) لأن اليهود كانوا يعدون الرأي العام خلعة أو قتله بعد أن رفض مطلبهم في دخول فلسطين ، وكان هناك من يهاجم التراث الإسلامي ويدعو إلى المسؤولية وكان يوسف الخازن يدعو الطرابلسين إلى قبول حكم إيطاليا ، وكان خصوم السلطان عبد الحميد (رزق الله حسون ولويس صابونجي ، وجبرائيل دلال ، وأمين الشميل) يدعون إلى إعادة الخلافة إلى العرب لعدم الخلاقة القائمة ، وكان بطرس البستاني واليازجي يدعون إلى انفصال العرب عن الدولة العثمانية .

وقد مضى خط الصحافة يحمل سعوم التغريب كله (فهو أقرب إلى المجاهير وأقدر من الكتاب في غرس هذه السموم) ومن ثم أصبحت الصحافة العربية هي منطلق تيار التغريب ، فقد حملت لواء الدعوات المسمومة : العامة ، الفرعونية ، الجنس ، العالمية ، الفرويدية ، ثم الماركسية أخيراً .

وكانت التبعية للمناهج الغربية واضحة في هذه القضايا ، فقد كان طه حسين يؤمن بمذهب المدرسة الاجتماعية الفرنسية في التصور المادي الذي يقوم على الجبرية ، وكان العقاد يقيم فكره على التصور الفلسفى والمذهب النفسى ويجرى وراء مفاهيم الغربين في البطولة ، بل في الألوهية من أن الإنسانية لم تعرف التوحيد إلا في الأديان الأخيرة مع أن البشرية كانت موحدة منذ آبها آدم ، وقد تأثرت العقريات بمذهب غربى في تحليل الشخصيات وتأثير (الفتنة الكبرى) بمذهب التفسير المادى للتاريخ ، وكان حرص أمين الحولي على إقليمية الأدب والدعوة إلى ما يسمى بالأدب المصرى ، وكان سلامة موسى يدعو إلى العامة والفرعونية والماركسيه والتفسير المادى

للتاريخ ، وكانت دعوة طه حسين إلى الأدب المكشوف والفرعونية ، والمتروسطية وبشرية القرآن ، ودعا توفيق الحكيم إلى الإقليمية وكراهية العرب وقبول القبعة ، ودعا إلى الفن للفن ، كما دعا عبد العزى فهمى إلى كتابة العربية بالحروف اللاتينية ، ودعا على عبد الرزاق إلى أن الإسلام دين روحي وليس دين دولة ، وكل ما كتب عن السيرة النبوية (هيكل والعقاد وطه حسين وتوفيق الحكيم) عليه تحفظات وفيه ثغرات كبيرة وتبعية للمنهج العربية في دراسة الأعلام ، وامتدت هذه الخيوط جيلاً بعد جيل فرأينا من دعوة الفرعونية كمال الملاخ الذى أحال الأهرام إلى يومية للأصنام والمقارب ، ورأينا دعوة يوسف إدريس إلى إحراق التراث الإسلامي ، ورأينا لويس عوض داعياً إلى الفرعونية والعامية ، ورأينا يوسف السباعي وصلاح عبد الصبور وإحسان عبد القدوس يدعون إلى الإباحية في الشعر والقصة ورأينا أنيس منصور من دعوة الوجودية والجنس ، وجاء صلاح جاهين ليحمل لواء العاميات والشعر الحر والكاريكاتير النازل والمهاجم للوجه الإسلامي من الحياة المعاصرة .

ولقد كان الأهرام في يوم من الأيام وكرأً للدعاة التغريب وعلمانية المستشرقين (توفيق الحكيم ولويس عوض وتحسين فوزى وأحمد بهاء) ومن الأسف أن ينهاي (الأهرام) هذا الانهيار الخطير حين يسيطر عليه هؤلاء الذين لم يكونوا يكتبون قبل سنوات قليلة ، فتبعد الكتابات السياسية والفكرية ساذجة ضعيفة منهاة يbedo فيها الولاء الفكرى الوافد والتبعية الفريدة لكل مفاهيم الشعوبية والعلمانية رغبة في إحيائها وإعادتها إليها ، سذاجة في الأسلوب وتبسط في العرض مما يشعر القارئ لأنه لا يوجد وراء ذلك أى تجربة صحفية أو فكرية أو معرفة بالتاريخ السياسي والاقتصادي والاجتماعي الذي تبعث منه كتابات ضحلة ، تافهة ، ولا توجد أى خبرة عميقه ولا قراءة واسعة ، أين هذا من كتاب خبراء لا يستطيعون الكتابة في الأهرام أو في الصحف الكبرى ، لأنهم ليسوا أولياء الثقافة الغربية أو العلمانية ، ونجد أن السيطرة هي لأنيس منصور وموسى صبرى ، وبعض من لا خبرة لهم والذين وصلوا إلى مكانتهم عن طرق غير طرق الأصالة ، وما تزال

الصحف الكبرى عشاً لأعداء الإسلام والعلمانيين والشعوبين الذين يكرهون الإسلام ويسيخرون من كل القيم العربية والإسلامية.

بل إننا لنرى هؤلاء الصحفيين الذين وصلوا سن السبعين وعدها وهم لا يزالون يكتسون في الجنس أمثال زكي عبد القادر، ومصطفى أمين، لماذا يسرفون في كتابة هذه الصور من الجنس التي لا يكتتها إلا المراهقون، والظاهرة الواضحة إن كل كتاب اليوميات الآن قوم سنج، تجربهم قليلة، أفلامهم خابية، مخصوصهم قليل وخاصة النساء منهم، فهم أشد ضعفاً، والمحصول والكتابية توحى كلها بالسذاجة والبساطة والضعف، هل هذا هو ما يراد من إزالة الثقافة العربية الإسلامية إلى هذا المستوى من التفاهة جرياً وراء ما يذاع في أجهزة التسلية (الإذاعة والتلفزيون) أم أنه يراد حجب الأقلام القادرة عن الكتابة، أم لا يراد دفع القراء إلى ثقافة عالية القدر.

وإن أى مراجعة للصحافة العربية فإنها تكشف عن التبعية، وعن أن القائمين عليها ليسوا على قدر من الثقافة التاريخية العربية الإسلامية التي تمكنتهم من رؤية الأحداث والواقف، ولكنهم يعتمدون دائماً على صحف غربية أمثال نيوزويك، والتايم، يقرؤونها أسبوعياً ويتربون منها كل ما ينشرون، ويتبعون الخط الإقليمي السياسي من خلال النشرات التي تصدرها مصلحة الاستعلامات لتأييد وجهة نظر معينة، أما الخلفيات الحقيقية التي يحب أن يحصل عليها الصحفي في فهم العالم الإسلامي والبلاد العربية وتيارتها الحالية التي ت湧ج بها والتي ترجع إلى عصر الحروب الصليبية والاستعمارية والصهيونية، فإن ذلك كله غير موجود فعلاً، ولذلك فإن هذه الكتابات تبدو تافهة فاترة لا تستطيع أن تملأ نفس القارئ بالثقافة العميقية، أو الفهم الواسع لجريات الأمور السياسية والاجتماعية في العالم الإسلامي والبلاد العربية.

٣ - أما الأدب فقد استطاع أن يحصل على مكان أكبر من حجمه الحقيقي، بينما لم يستطع (الفكر) وهو جماع العناصر المختلفة ومنها الأدب أن يحرز هذه المكانة، ووجدت الشخصيات الأدبية الاهتمام الكبير بينما لم تجد الشخصيات الفكرية مثل هذا الاهتمام، ولنضرب مثلاً بالمنفلوطي

وغرير وجدى . وكاتب الشهرة عاملاً يستطيع أن يضفي على بعض الشخصيات القليلة الآخر مكاناً لا يضفيه العمل الفكرى نفسه . فقد كانت السياسية والحزبية والصحافة من العوامل التي تخلق الشهرة لأقل الناس إجاده ومكانة ما دام له قلم جارح . ولقد كان في استطاعة أي ناعق أن يطلق عبارة مثيرة معارضة للدين أو للتقاليد والعرف العام ، فتدوى باسمه أياماً طويلاً فيصل إلى قدر من الشهرة لا يستطيع أن يبلغه من أمضى أربعين عاماً في الكتابة الرصينة ، ومنهم من خدعاً اليهود ، فأسرف في الحديث عن قضية الإسلام دين ودولة ، على نحو الذي يكتب به البعض ، موالة لمفهوم باطل ، وهناك موالة أخرى لجميل أولئك الزنادقة والصعاليك في مفهوم جديد للشعر تحت زعامة صلاح عبد الصبور ، لفهم جميعاً يخدعون تحت تأثير مطامع وأوهام بالمال والشهرة ليخرجوا عن مفهوم أمتهم وعن راث أهليهم وعن عقيدة الحق اليقين نتيجة قصور أساسى في التربية والتكلم شهد به صلاح عبد الصبور في تاريخه حياته وشهد به الأفاق الذي طوف على الجمعيات من ماسونية ، ودينية ، ووثنية ، هذه هي ثمرة هذا الجيل الذي تكون في ظل مفاهيم المسئولية الراوادة التي اعتصمت بإحدى الأحزاب الكبرى فترة الأربعينيات فأنتجت أحمد بهاء الدين ، ومحمود أمين العالم ، وكان إحسان عبد القدس ، ونجيب محفوظ ، ويوسف السباعي قد سبقوها في مجال الإباحيات والكشف في القصة ، تلاميذ لليهود المسلمين تحت أسماء المستشرقين ومتابعين دعوة طه حسين وسلامة موسى .

وقد كان كتاب الصهيونية هم أول من بث الأفكار المدamaة ونظريات الأخلاص عن طريق الصحافة والترويج للصور المغربية بالانحراف المثيرة الغرائز والشهوات ، وأنت إذا قرأت الصحافة العربية بأفلام كتابها التغريبين والشعريين تحس وكأن المسلمين يستسلمون للغزو الغربي وينصرون في العالمية والأهمية ، ومنهم يتنازلون عن شخصياتهم رويداً رويداً ، ولكن ذلك من أعمال الكذب الإعلانى لخداع الشباب المسلم ودعوتهم إلى التسلیم للتبعة الغربية .

وهناك سهوم المسرح والفن والرقص والغناء ومفاهيم مضللة حول

الفيلمكور والدراما والمساواة وغيرها من مفاهيم وافدة تسطر كأنها حقائق وتقديم للناس كأنها علوم.

وهناك خطة حول ما تبرره الصحف اليومية والمحلات الأسبوعية من الصور الفاضحة والعارية والكلمة المسمومة والقصة الجنسية ، والمقال الهجوري ضد الإسلام ودعاته ، هذه الصحف تدخل كل بيت ، وقد تخصص كثير من هذه المحلاطات في نشر أدب الفراش وقضايا النجوم الفنية ومنها ما تخصص في سرد أخبار النجوم والكواكب وأخرى تسمى ببنات جنسها وتزعم أنها تخدم قصة حواء وتجارب تعاليم الإسلام فيها يتعلّق بالطلاق وتعدد الزوجات والحجاب . وترد لنا من لبنان الشبكة والموعد وما شاهدتها التي تقدم صوراً فاضحة وأوضاعاً صارخة ، وما بين دفتيها يخوض الحب ويهدم الأخلاق .

وعندما تطالع الصحف العربية تحس أنه لا هم لها إلا إحياء ذكرى المغنين والمغنيات والراقصين والراقصات ، هناك ألبوم كامل يفتح يومياً على هذه الذكرى أو تلك ، هم الفنانون فقط الذين تختلف بهم الصحف ، أما أعلام الفكر والأدب والصحافة فلا يذكرون ، بل لقد ذهب مخرجوها السينما إلى إعادة إحياء ذلك الجانب الأسود المظلم في تاريخ مصر بإعادة كتابة حياة الراقصين والمغنيين والإباحيين حتى لا ينشأ فيلم كامل عن حارة الدعاارة التي كانت بمصر أيام النفوذ الاستعماري ، وحيثما تنظر تجد (ربا وسكنية) و (شفقة القبطية) و (وداد الغازية) ماذا يردد بهذا ، هل هذا هو تاريخ مصر ؟ هل هذا هو ما يريدون أن يقدمونه إلى الشباب المسلم ، حياة الغواصي والراقصين والبغاء التي كانت سمة في عصر الاحتلال ، لماذا تعاد هذه الحيوانات السوداء وطرح من جديد على جيل جديد مفرغ من أي مفاهيم وطنية أو دينية ؟ ، وما هذا الاهتمام بالفرعونية ؟ ماذا يردد به ؟ هل هذه هي حقيقة الانهاء المصري ؟ الحقيقة أن الانهاء المصري (عربي إسلامي) ، أما الفرعونية فهي مرحلة تاريخية ، وذلك عهد قد انقطعت الروابط به ، فقد جاء الإسلام وهو عهد لا تاريخ له ، ولا ثقافة ، ولا لغة ، لقد مات ، مات ، ولن تستطعوا إحياءه مهما فعلتم أياً الشعوبيون ؟

ولماذا هذه السخرية بالتاريخ حين يحاول نجيب محفوظ السخرية
بأبن بطوطه فيكتب ما أسماه رحلة ابن فطومة ، وما هذه الكلمات المدسوسة
في لرحلة الرامية إلى الإباحية وإلى الحديث عن الخمر في قوله : (أتصدق
حقاً أن إلهك يهمه أن تشرب خرآً أو لا تشربها) !

٤ - وهناك تيار الماركسية المسموم ودعاته الذين يحرفون الكلم ،
 أصحاب التفسير المادى للتاريخ ، كتابات الحسين ثاررأ ، والحسين شهيداً
لعبد الرحمن الشرقاوى ، وسلیمان الحلبي لا لفرید فرج ، ومسألة الخلاج
لصلاح عبد الصبور ، وصلاح الدين للشرقاوى .

لقد خضعت الصحافة لهذا التيار سنوات طويلة ، وما زال أثراً هم باقية ،
خضعت الصحافة المصرية (أسبوعية و يومية للتيار الماركسي) وتولى أمرها
بالإضافة إلى الصحف التي أصدرها الشيوعيون كالطليعة والكتاب المصرى ،
في يولية عام ١٩٦٤ تولى أحد بهاء دار الملال و عمل معه كامل زهيرى ،
ومحمود أمين العالم ، وإبراهيم عامر ، والملال من بمرحلة الماركسية والأدب
الجنسى والوجودية (يوسف إدريس و رجاء النقاش) وكلفوا النساء
بدراسات جارحة عن الجنس أو عن البغاء (سهر القلماوى في مصر ،
ونديمة المدائى في المغرب) . واستغل الماركسيون رفاعة الطهطاوى ،
كما استغله الليبراليون لأنه تأثر بالفکر الغربى في الدعوة إلى الوطنية بدليلا
للعقيدة والمصرية في مواجهة الخلافة العثمانية والإعجاب بمظاهر الحضارة
الغربية وخاصة الرقص الغربى . وجاء دعوة النزعة العقلية على مفهوم الفلسفات
المادية ، نديم البيطار ، وجلال صادق العظم ، هذان الذين ظهرا بعد النكسة
مباشرة عام ١٩٦٧ للدعوة إلى ما سمياه علمية الذات العربية وإخراج الجيل
الجديد من إطار الدين .

وتوسيع التيار العلماني ذى اللون الماركسي بعد أصحاب اللون الليبرالي ،
وهو تيار قائم على كراهية الوحدة الإسلامية وإعلاء شأن القوميات واعتبار
القومية أعظم من الإسلام ، وتفسير التاريخ الإسلامي على أنه تاريخ إقليميات
(جابر الأنصارى و محمد عمارة) وأن الحروب الصليبية كانت حرباً عربية ،

تعلق بآقاليم كالشام ومصر مع كراهية معلنة للدولة العثمانية ، حامية الإسلام أربع قرون ، وذلك لترسيق مفهوم الجامعة الإسلامية .

ولقد كانت فكرة القومية العربية تهدف أن تكون مناقضة ومعارضة للإسلام ومناهضة للوحدة الإسلامية ، مناهضة سرية تحت ستار العروبة وهي أشبه بالفينيقية والفرعونية ، فهى عندهم دعوة إقليمية تعلى شأن الجنس وترى في القومية عقيدة . ولقد كانت جميع الأحزاب القومية التي نشأت في بلادنا قد جعلت همها الدعوة إلى العلانية ومحاربة الإسلام ، فجعلوا العلاقات بين الدول العربية تقوم على رابطة العرق وحده ، الجردة من كل صلة بالعقيدة وجعلوا علاقتهم بالدول الإسلامية كعلاقتهم بالكونغو والمكسيك والأرجنتين ، وقد نشأت فكرة القومية المغلقة ، وجعلوها موازية لفكرة الألوهية للتخلص من الإسلام ، وقد بدأت نظم الأحزاب سياسية وانتهت ماركسية .

هـ - لقد كانت المحاولة مهدى إلى قطع الفكر الإسلامي المعاصر عن الفكر الإسلامي في مسيرته خلال أربعة عشر قرناً ولذلك أسموه الفكر المصري أو الفكر العربي ، وكذلك قطع الأدب العربي المعاصر عن الأدب العربي منذ أوائل الإسلام ، وهي محاولة جرى عليها طه حسين ، والقاد ، وهيكيل والمازاني ، وكانت دراساتهم لابن الرومي والمغربي والمتني وغيرهم مرتبطة بمفاهيم النقد الغربي التي قامت على أساس استعلاء العنصر كالقول : بأن عظمة ابن الرومي إنما جاءت من أصله الروماني .

لقد سقطت مؤامرة الشعر الحر بموت صلاح عبد الصبور وكان لويس عوض هو أول من أهدى عبد الصبور إمارة الشعر الحر الذي رد له الجميل بطبع كتابه المسموم (مدخل إلى تاريخ اللغة العربية) بعد أن تولى مسئولية هيئة الكتاب .

أما كتاب القصة في عصرنا فلم يخرجوا عن أن يكونوا تابعين للذهب فرويد في الجنس أو مذهب ماركس في التفسير المادى والاقتصادى للعلاقات بين الأفراد فى المجتمع وكلاهما باطل وفاسد ومحوى وجارياً وراء

الأهواه . كان يوسف السباعي وإحسان عبد القدوس ، ويوسف إدريس ، ونجيب محفوظ بعد شيخهم توفيق الحكيم علماً للمستشرقين واتباعاً للمناهج الواقفة . لقد كان كتابنا الكبير قنطرة للفكر الغربي :

دعا طه حسين إلى فصل اللغة العربية والأدب عن الفكر الإسلامي .

دعا ساطع الحصري إلى فصل العروبة عن الإسلام .

دعا علي عبد الرزق إلى فصل الدين عن المجتمع .

روج سلامة موسى لفاهيم فرويد ونظرية الجنس .

روج عبد الرحمن بدوى لنظرية الوجودية وامتداده في سهل إدريس ، وأنيس منصور .

روج طه حسين لنظرية الشك الفلسفى وبشرية القرآن .

روج سلامة موسى ، وإسماعيل مظہر لنظرية دارون .

روج طه حسين ، ومحمود عزى لحضارة البحر المتوسط .

أعلن طه حسين في مصر ، وأحمد أغايف في تركيا للتبعة للحضارة الغربية وتبنياً فكرة توسيع المسمومة من أن المدينة الأوروبية كل لا يتجزأ ، تؤخذ بعاداتها وفkerها ، أى أن أساسها هو الفكر المسيحي مع أن الإسلام عقيدة ونظام اجتماعي كامل وحضارة ، بينما المسيحية ليست كذلك .

وتبدو فكرة الاحتواء التلمودي واضحة في مسائل الفن والأدب والدعوة إلى وحدة الأديان :

إن ما يكتبه هؤلاء هو وجهة نظر مستمدّة من ثقافة مختلطة واحدة وتجربة قليلة ولا يمكن أن يمثل منهجاً عاماً ، خاصة أن هؤلاء الكتاب من ثمار المدرسة العلانية الغربية وأنهم مع الأسف لم يطّلعوا على وجهة النظر الإسلامية في مختلف أمور الاجتماع والفكر ، وأن على القارئ المسلم الذي يقرأ لهم إلا ينخدع بما يقدموه ، لأنّه ناقص ، وعليه أن يقرأ إلى جانب ذلك وجهة النظر الإسلامية ، لدى كتاب (المدرسة الإسلامية) وهم يتمثّلون اليوم في مجموعة من كتاب أبرار مثل الرصانة والاعتدال وعمق الإيمان بمسئوليّات لأجيال .

٧ - من المؤمرات التي تسوقها حركة التغريب والشعوبية والغزو الثقافي
(فتنة الانتقاء من التراث) التي يثيرها زكي نجيب محمود ونفر من التغريبيين .

من الذي يحكم على التراث ، وما هي أدواته في القياس؟ .. لقد علمتهم الدعوة المسرفة إلى العصر وإلى أنهم أسلانة أنفسهم إلى إطلاق الرأي في جرأة الذي لم يبلغ الرشد أو يعرف قدر الكنوز التي بين يديه فهو يبدها في سمه الوراث الجاهم .

إن التراث الإسلامي لا يتجزأ ، ومقاييس التفسير المادي للتاريخ لا يصلح ، إن إيجابيات التراث وسلبياته ضرورة لنا لمراجعة ماضينا ورسم مستقبلنا ، إنهم لا يمكنون الإيمان والحافظ والغيرة على تاريخ هذه الأمة ومرأها الرباني ، حيث لا يقياس تاريخ الإسلام ولا تراثه على تراث الغرب وتراثه لفارق بعيد والعميق ، نحن نؤمن بأن التراث ليس شيئاً مقدساً ، التراث كال التاريخ ، فيه الإيجابيات والسلبيات ، ولتكن العقيدة (التراث) هي الشيء الوحيد الذي هو فوق النقد لأنها الحقيقة الحالية الباقة .

٨ - إن البصر النافذ إلى تيارات الفكر الوارد تكشف عن أن هناك حرباً معلنة على الأصالة وعلى اليقظة وعلى الصحف الإسلامية تصطنع كل الوسائل والأساليب والخطط وتنظم جميع الحالات ، بهدف توهين هذه الخطوة الجبارية التي قطعوا المسلمين بالإسلام على رأس القرن الخامس عشر الهجري :

في مجال التأليف والأدب نجد تلك الصورة الغامضة ، العائدة من السريون وهي دكتوراة في الإخراج المسرحي تعلم من المخرجين الفرنسيين الذين تلمذت على أيديهم وقد أمضت أربع سنوات في باريس من أجل الدراسة !

ونجد هؤلاء المؤلفون الذين لا يكتبون عن إفريقيا إلا عن الموسيقى والرقص والغناء الذي يرتبط بالسحر والتطبيب ، وهذا الباحث في الأندلس لا يدرس إلا الخيال والشعر في نصوص الأندلس ، كأنما لم يعد هناك شيء يدرس إلا ابن عربي وغزلياته الروحية وديوان ترجمان الأشواق ، وهذه المفاهيم لمنحرفة عن وحدة الوجود والحلول .

أما الظاهرة الخطيرة حقاً ، فهي ظاهرة الكتابة عن السحر والعفاريت وشعل الناس بالجن ، في فترة من أدق فترات حياتهم وحياة مجتمعهم .

وكان قد ووجه مصطفى أمين إليها أنيس منصور منذ سنوات عندما أدخل إلى مصر قصة السلة التي كافأه عليها بأن جعله رئيساً لتحرير مجلة (الجيل) التي لم تثبت أن سقطت واليوم نرى هذه الظاهرة تتسع في صورة مقالات أسبوعية في جريدة الأخبار وفي صورة كتب تصدر ، أما إسماعيل يونس فقد خاض هذه الأحوال والأقدار وجاء عبد العاطي حامد ليكمل مشوار صاحبه وتحمل جريدة الأخبار لواء هذه المأمرة ، وزرى المرأة وهي تكتب اليوم هذا الأدب المكشوف الإباحي حتى يوصف ما تكتبه (فلانة) بأنه ثورة على كثير من تقاليد المجتمع ، هذا المسافر في دمهان يكون إلا السرطان الخطير الذي يتحرك في أفق الكتابات النسوية حاملاً مفاهيم الإباحية والجنس والخيانة الروحية والذي يجد من يشجعه ويدفعه ويخفيه ليصب هذا الأثم كله في كتب تقرأها الفتيات فتتلوث فطرتها وتفسد طبيعتها ونظن أن الحياة ليست إلا مأخور كبير .

٩ - وينجح كل هذا ، وأغرب منه حوار توفيق الحكيم مع الله (جل وعلا عما يقولون علواً كبيراً) وإذا أريد لفت النظر قالوا : إنها (حرية الفكر) هذه الكلمة التي أصبحت كالسيف المصلت في يد جماعة يريدون الترويج لمفاهيم لا يرضها الإسلام ، إنهم إن آمنوا بما يعتقدون بذلك لهم ولكن الترويج لذلك بين الناس وإثارة الشبهات في الصدور ، واللهو بعواطف الناس ومشاعرهم فهذا ما لا يرضي عنه أحد . ولقد أتعجبت كلمة الشيخ الشعراوى في هذا حيث يقول :

(إن حرية الفكر للإنسان هي أن يكون حر الفكر فيها يختاره من دين ، فإذا ما انتهى بقواعد فكره إلى دين ، يجب أن يتلزم بقضية الدين ولا يحتاج علينا بأنه : « لا إكراه في الدين » .

فالقصد هو أنه لا إكراه في اعتناق الدين ، أما حين يتدين فيجب أن يحترم اختيار عقله ، ويتلزم بأحكام دينه .

حرية الفكر لا يأخذ بها الناس إلا في أمر أباح الشارع الحكم فيه ، أما حين يأني الشارع بنص يحتمل فكري وفكرك فهذا اجتهد ، ولذلك كان لدى المحتهدين رضوان الله عليهم دقة في الأداء ، كانوا يقولون رأي صواب يحتمل الخطأ ، ورأي غيري خطأ يحتمل الصواب .

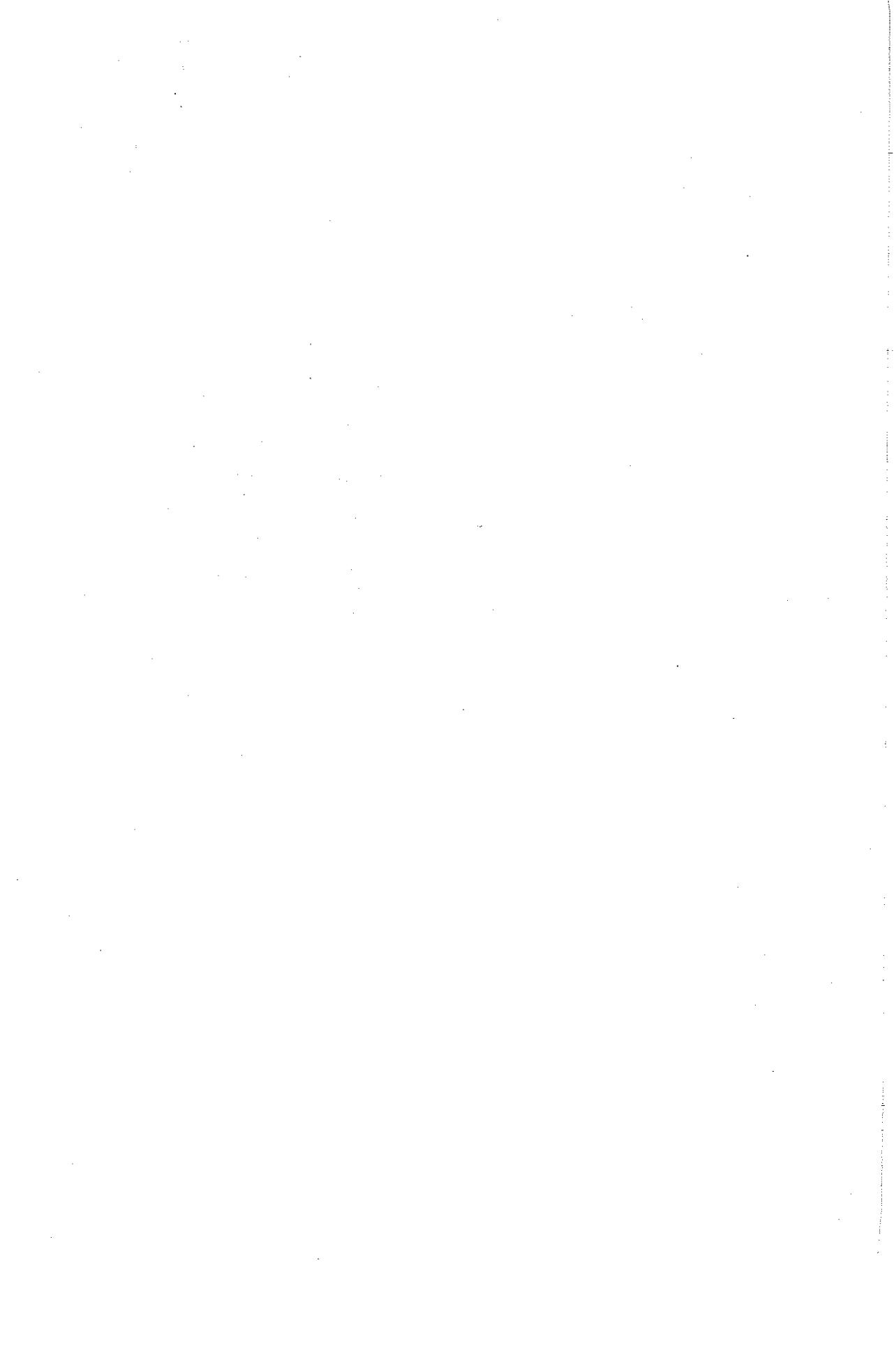
١٠ - وبعد فقد تجد التيارات الوافدة فرصة الكاملة للتعبير عن وجهة نظرها بينما لا يجد التيار الإسلامي مثل هذه الفرصة لإنفاق الحق فيها يشار مع أن التيار الإسلامي هو التيار الأصيل : تيار الأمة منذ أربعة عشر قرناً ، ذلك لأن العلمانيين والماركسيين قد تداولوا السيطرة على الصحافة العربية ومن ثم فإن هناك تجاهل تام للتيار الإسلامي ، حيث لا تناح له الفرصة لتصحيح المفاهيم الرائفة ، فهم يبرزون مفاهيمهم على أنها تسود المنطقة مع أنها مرفوضة ، وإذا عرضوا للتيار الإسلامي عرضوا له في سخرية وإقلال ونقد ، ذلك لأنهم يجدون منابر مفتوحة واسعة لكلامهم سواء في الصحافة القومية أو في الصحافة الخزبية ، ما لا يجده التيار الإسلامي الذي عاش دائماً وأبداً على بصيص ضئيل من النور ، فالكل يحاول انتقاده وانتقاده وعدم الاعتراف به وتجاهله وحجبه وهناك مؤامرة صمت باللغة نحو مفاهيمه وهناك التعتمد المعمد على أخبار العالم الإسلامي وقضايا في عديد من المواطن التي تواجه التحديات من القوى الأجنبية والشيوعية على السواء .

ومن أجل هذا كله كان لا بد من (إعادة النظر في كتابات العصرىين)
اللهم اجعلنا سلماً لأوليائك ، حرباً لأعدائك ، نحب بحبك من أحبك ونبغض
بنفشك من خالفك . هذا وبالله التوفيق .

البابُ الأول

قضايا مثارة في ضوء الإسلام

- الفصل الأول : الشريعة الإسلامية.
- الفصل الثاني : الإسلام : حقيقة ومنهج حياة.
- الفصل الثالث : مفهوم الإسلام للفن وقضاياها.
- الفصل الرابع : المأمرة على الخلافة والدولة العثمانية.
- الفصل الخامس : كتاب الإسلام وأصول الحكم.
- الفصل السادس : الذاتية الإسلامية وحركة الحافظة عليها.
- الفصل السابع : مصر عربية إسلامية.
- الفصل الثامن : استهلاء موجة الجنس.
- الفصل التاسع : حقيقة القمم والشمامخ.
- الفصل العاشر : خلفاء طه حسين.
- الفصل الحادى عشر : سقوط مذهب الوجودية.
- الفصل الثاني عشر : الفصحى لغة القرآن.



الفصل الأول

الشريعة الإسلامية

(فتحي غانم - روز يوسف)

- محاربات مستعمرة التشوّه الطريق إلى تطبيق الشريعة الإسلامية.
- لقد سقط نظام المراومة منذ وقت بعيد.
- الشوري ليست الديمقراطية وإن تكون
- عملية الاقبال من الغرب للأساليب ليست للمناهج.
- إن عقلية قانون نابليون يجب أن تذهب.

كان السؤال المثار والذي حظى بالاهتمام هو : موقف تلك الطائفة من المعطلة التي برزت في الفترة الأخيرة ، تحاول الوقوف في وجه الخطوات الداعية التي تشهد نجاحاً في تطبيق الشريعة الإسلامية وهي وجوده ماركسيه تحت أقمعة علمانية ترفع شعارات التقدم ، وهم من المشتبهين الحاقدين الذين يقفون في وجه المد الإسلامي ، بأسلوب لين خادع يدعى الغيرة على الشريعة الإسلامية والخوف من أن يؤدي تطبيقها إلى فشل يلحق بالشّرّيـعـةـ الإـسـلـامـيـ ، ويزعزـعـ روحـ الإـيمـانـ بـالـإـسـلـامـ ، وـهـمـ خـادـعـونـ فـيـ هـذـهـ الدـعـوـيـ ، وـإـنـماـ هـمـ يـرـيدـونـ بكلـ ماـ يـطـرـحـونـهـ أـمـاـمـ هـذـهـ الـمـوـجـةـ الـعـارـمـةـ ، وـأـنـ يـشـطـوـاـ الـهـمـ وـيـعـقـوـنـ فـيـ النـفـوـسـ الـأـمـسـ . وـمـنـ ذـلـكـ الـوـقـوفـ تـلـكـ الصـبـحـةـ الـتـيـ أـعـلـمـ الـدـكـوـرـ مـصـطـفـيـ أـبـوـ زـيـدـ فـهـمـيـ فـيـ كـتـابـهـ (ـفـنـ الـحـكـمـ فـيـ الـإـسـلـامـ)ـ وـالـاـنـزـعـاجـ منـ أـنـ يـقـولـ أـنـ هـذـهـ أـحـسـنـ بـزـلـزالـ هـزـمـةـ سـنـةـ ١٩٦٧ـ فـسـأـلـ نـفـسـهـ ذـلـكـ السـوـالـ الـذـيـ لـأـبـدـ أـنـ أـفـلـقـنـاـ جـمـيـعـاـ ، أـمـاـ مـنـ عـلـاجـ لـكـلـ مـاـ حـلـ بـنـاـ ؟ـ أـمـاـ مـنـ طـرـيقـ إـلـىـ اـعـادـةـ بـنـاءـ الـوـدـ وـالـمـادـةـ بـنـاءـ الـخـتـمـ ، ثـمـ يـقـولـ أـنـ بـتـفـكـرـهـ الـعـمـيقـ اـنـهـ إـلـىـ ضـرـورـةـ الـعـوـدـ إـلـىـ الـإـسـلـامـ ، وـإـلـىـ كـتـابـ الـلـهـ لـتـطـبـيقـ تـعـالـيـمـ الـإـسـلـامـ فـكـلـ حـيـاتـنـاـ الـعـامـةـ وـالـخـاصـةـ ، وـمـنـ هـنـاـ يـدـعـوـ الـدـكـوـرـ مـصـطـفـيـ أـبـوـ زـيـدـ فـهـمـيـ إـلـىـ إـعـلـانـ الـحـكـمـ الـإـسـلـامـيـ وـقـيـامـ الـمـجـتمـعـ الـإـسـلـامـيـ فـوـرـآـ ، وـيـلـجـعـ فـيـ أـنـ تـعـودـ الـأـمـةـ إـلـىـ رـحـابـ الـلـهـ فـوـرـآـ ، وـهـوـ يـرـىـ أـنـاـ حـيـنـ تـفـعـلـ ذـلـكـ فـإـنـاـ نـكـوـنـ قـادـرـينـ عـلـىـ إـنـزـالـ الـهـزـمـةـ الـسـاحـقـةـ بـالـدـوـلـتـيـنـ الـعـظـمـيـنـ فـيـ عـالـمـ الـيـوـمـ وـيـرـفـضـ الـدـكـوـرـ

أبو زيد فهمي المواعنة بين أفكار ومبادئ معاصرة في أنظمة الحكم ، وبين الإسلام ويقول إننا لا نستطيع أن نكون مسلمين جزئياً على الإطلاق :

ومع أن الدكتور مصطفى أبو زيد يقدم هذا العمل إلى قادة الأنظمة السياسية ورؤسائها فإن القوى المعادية للفكرة الإسلامية تندفع في عصبية شديدة لتقول أن هذا العمل خطير وأنه قد يحدث آثاراً بعيدة المدى وأن هنا من شأنه أن يجاد المسلمين أنفسهم متورطون في حرب ضد حكومة إسلامية أخرى ، وهى أوهام يسوقها خصوم الشريعة الإسلامية ليقاوموا أى صوت يرتفع في هذا المجال على النحو الذى قام به فتحى غانم في مجلة روز اليوسف على مدى أربع أسابيع متتالية .

وهذه طريقة أعداء الشريعة الإسلامية ، الذين يدخلون إلى البحث وكأنهم أولياء للفكرة — مع أن أمثال فتحى غانم من المعروفين بالتاريخ الطويل في الماركسية والعلمانية — وهم الأعداء الطبيعيون لكل وجهة إسلامية خالصة كما يتبيّن من تلك السفوم التي طرحتها الكاتب ، منها حاول اتخاذ الأسلوب العلمي الاهادى الخادع لكتاب القراء إلى صفهم فهم لا يلبثون أن يقدّموا السفوم لهم بجرعة بعد جرعة .

أولاً : هم يعرضون دائماً لما يسمونه صور الخلاف والفتن في تاريخ الإسلام بين السنة والشيعة ، وبين المغبرة والفقهاء ، وهى في الحقيقة خلافات فكرية داخل إطار لا إله إلا الله وهى في ذاتها أمر طبيعي ، فاختلاف الأمة رحمة ولا اعتبار عليه ما دام لا يتصل بأصل من أصول الإسلام وإنما يتصل بالتطبيق الذى يقوم به المسلمين .

ثانياً : محاولة معاملة الإسلام والشريعة الإسلامية معاملة المناهج البشرية من حيث التحدث عن الإسلام بكلمة (دين) الذى لا تستطيع أن تمثل مفهوم الإسلام اليوم بعد أن فهمت هذه الكلمة على النحو المعروف في الغرب وهى النواحي العبادية واللاهوتية وليس الإسلام ديناً بهذا المفهوم ولكنه دين ومنهج حياة ونظام مجتمع .

وإن هؤلاء الكتاب الماركسيون والعلمانيون ينطلقون من منظارات غريبة أساساً ، لا تفهم الإسلام على حقيقته ولكنهما تفهمه كما يفهمه المستشرقون ، في ضوء الفهم الغربي للدين ، وليس كذلك الإسلام ، وأنه

لمن أكبر الخطأ معاملة الشريعة الإسلامية معاملة المناهج البشرية والأيدلوجيات من حيث الكلام عن تطورها وعن تغيرها، ومن ناحية إخضاعها للمجتمعات نفسها وهو ما لا يتفق مع (ربانية) الشريعة الإسلامية و (بشرية) المنهج الوضعية ، والإسلام في أصوله وغاياته لا ينافي من حيث الصلاحية أو جزئية التطبيق ، وإنما هو منهج كامل مجتمع ، وأن أي مناقشة لا تكون حول الأصول والغايات وإنما تكون في الوسائل ، وليس للعقل أي دخل في تطبيق الشريعة أو تفسيرها وإنما يقبلها المسلم كما أزلت ، والعقل له مجال آخر ، وميدانه العمل في العمران والسعى في الأرض ، وليس في استطاعة العقل البشري القاصر إبداء الرأي في الشريعة ، وإنما يقرر الإسلام أن العقل جهاز يهتدى بنور الوحي .

ثالثاً : هناك محاولات دائمة للتشكيك في تطبيق الشريعة الإسلامية وحديث عن التجارب التي قامت لإقامة الحكم الإسلامي . والواقع أنه ليست هناك عقبات حقيقة في الداخل وإنما هذه العقبات مما تصيبه القوى الخارجية التي لا تزيد تطبيق الشريعة الإسلامية والتي تسلط أعنانها في الداخل لتعويق هذه الخطوة ووضع العرقيل ، ومن الطبيعي أن النفوذ الغربي المتسلط من خلال أنظمة المصارف والمعاملات التجارية الناشر لتراث الأمم الإسلامية ، يعارض بشدة ويبذل كل ما في وسعه للخلواة دون قيام نظام الحكم الإسلامي الذي يرى أنه سيقطع يده ويد أعنانه عن نهبه ثروات الأمم .

رابعاً : أن هناك جبهة بين مفكري الغرب من لا صلة لهم بدواوين الاستشراق والسياسة يصدرون عن يقين واقتناع بأن الشريعة الإسلامية من أصلح الأنظمة العالمية ، وهم أصدق من جماعة من قومنا يعارضون هذه الشريعة ويتمحلون بالأسباب النافذة والعبارات البراقة لتعويق تطبيقها .

إن دراساتهم مستمرة عنده أكثر من مائة عام ، والباحثون منهم اليوم أكثر اقتناعاً وإيماناً بقدرة الإسلام على العطاء وعلى بناء المجتمعات الصالحة بل إن بعضهم يدعوا إلى تطبيق الإسلام في الغرب ويؤمنون بأنه قادر على إصلاح المجتمعات الغربية المنهارة ، وأن هناك علماء يدرسون الآثار السياسية والاجتماعية التي لا بد أن تؤثر في سياسة العالم نتيجة تزايد المسلمين ، ومن

هولاء صاحب كتاب (الإسلام قوة الغد العالمية).

أولاً : سقوط نظام المواجهة :

ويحاول أعداء الفكر الإسلامي خلق (معوقات) تحت أسماء لامعة ومنها فكرة المواجهة، هذه التي يروج لها زكي نجيب محمود وبعض رجال القانون الذين يحاولون الجمع بين الشورى والديمقراطية أو العدل الاجتماعي والاشتراكية.

ولكن فكرة المروءة ليست فكرة سليمة ولا صحيحة ولا متفقة مع مفهوم ذاتية الإسلام الخاصة الحالصة ، التي لا تقبل الامتداج أو التجزئة .

وكل ما يتصدى بالمعزلة والمواعنة بين فلسفة أرسطو والإسلام الذي قام به (ابن سينا والفارابي) كان عملاً مرفوضاً، ومن قبل كان عملاً مضلاً ولم يستطع أن يحقق شيئاً ولم يقبله مفكرو الإسلام الأصلاء.

والإسلام في مفهومه الأصيل وفي عصره الظاهر وعلى طول المدى لم يقبل أن يشاركه شيء من أوراق الوثنية أو الديانات السابقة عليه وقد رفض النبي صلى الله عليه وسلم ذلك صراحة عندما جاءه عمر بن الخطاب رضي الله عنه بورقة من كتاب قدم

ثانياً: الشورى ليست الدمقراطية:

ومن هذه المحاولات ما يقوله الدكتور الأنصاري في كتابه (الشورى وأثرها في الديمقراطية) الذي نقول له : إن الشورى ليست الديمقراطية أبداً ولن تكون وأن ما يقوله الدكتور الأنصاري يدل على تغربة ، وولاثة للفكر الغربي وعلى أنه لم يتمتع فهم الإسلام بهما دقيقاً ، فإن كان بري أن الديمقراطية هي ضمانة الأمن والاستقرار في المجتمع فإننا نقول له : إنه لو درس الإسلام دراسة متعمقة لوجد في الإسلام خير منها ولعله قرأ ما كتبه

الباحثون الغربيون عن فساد الأنظمة الديمقراطية وعجزها عن التمثيل الصحيح للشعوب ، وإنها خدعة يختنق وراءها كثير من طلاب الحكم الفردي ، وإنها تشرع بشري ، يختلف اختلافاً واسعاً عن الشريعة التي هي ربانية الأصل والتي لا يجري الحوار حول نصوصها بل عن تطبيقها .

ثالثاً : ليس في الإسلام حكومة ثيوقراطية :

ومن هنا فإن علينا أن نقول للذين يتحدثون عن الحكومة الدينية : إن الإسلام لا يعرف الحكومة الدينية (الثيوقراطية) التي تحمل طابع القداسة أو التي لها رجال دين وإنما يعرف الإسلام الحكومة الإنسانية ، وأن مفهوم الشيخ على عبد الرزاق مفهوم غير أصيل وأنه وافد ، وقد كتبه مستشرق يهودي هو مرجليلوث وأورثه هذا العالم الأزهري الضال ، الذي أذاعه والذي مازال تكتة لشكل المصلحين ، وخصوصاً الشريعة الإسلامية وفي مقدمتهم عبد الحميد متولى الذي ينكر أن الخلافة أساس من أساس الإسلام .

رابعاً : عملية الاقتباس للأساليب فقط :

إن عملية النقل ، أو الاقتباس ، أو الانفتاح أو غيرها فإنها لا تكون أبداً في الإسلام بالنسبة لمناهج أو أهداف ، ولكنها تكون بالنسبة للوسائل والأساليب وحدها ، فإن عطاء الإسلام في مجال أسلوب العيش لا يحتاج مع المسلم إلى اقتباس أو نقل ولا ريب أن كل أسلوب للعيش في الأيدلوجيات الغربية أو القدمة هو أقل بكثير وأضيق بكثير مما أعطى الإسلام ، وينقصه الإيمان بالله وأخلاقية الحياة والالتزام الفردي بالبعث والجزاء .

وأسلوب العيش (غير الإسلامي) يقوم على انشطارية واضحة ، فهو مادية خالصة وفي الشرق روحية مخالصة (الرفا أنا والووذة والكتفوشيوسية) وكلها يعجز عن التكامل الجامع الذي يقوم عليه الإسلام والذي يضع أمام كل حالة وكل موقف : (نظرة جامعه : مادية وروحية معًا) و يجعل أسلوب التقدم أسلوباً جاماً بين المادة والروح ويجعل نظرته إلى الأدب والفنون نظرة جامعه تتقدم فيها الأخلاقيات على الجماليات . وقد ثبت فساد نظرية المواجهة بين التراث والتفكير الوافد ، ونظرية المواجهة بين الشورى والديمقراطية بين العدل الإجماعي والاشتراكية (مع الفكر الغربي والتفكير

المساركسي) بل أن الأمر قد تطور إلى أبعد مما كان يقوله دعاة التجديد من الربط بين الشرق والغرب ، والماضي والحاضر ، فقد أعلنت حركة اليقظة الإسلامية أن الأساس هو الإسلام بمفهومه الجامع (نظام مجتمع ومنهج حياة) وأن القديم والجديد لا ينبع إلى إلا في صورة المفهوم الأصيل الجامع فإن كثيراً من التراث لا يمثل حقيقة الإسلام فضلاً عن الوارد الذي لا يمثل قيمنا ولا تحديات مجتمعنا .

خامساً : لا كراهية الثقافة الأجنبية أساساً :

وليس معنى هذا كراهية الثقافة الأجنبية كما يدعى البعض ، وإنما هو سوء التقصد وسوء النقل فإن كل ما ترجم لنا كان من غثاثة هذا الفكر ، من المسمى الفاسد ، الإباحي ، المضلل ، المتصل بياوحال الأمم ، وأساطيرها في طفولة البشرية ، وكانت هذه الثقافة فيما تقدمه لنا متعصبة على سماحة الإسلام ، مستعلية على يسر الإسلام ، تحمل طابع الغرور والعنصرية والدم الأبيض ، وتنظر في احتقار إلى الشعوب الملونة ، فالكراهية إن جاءت فإنما جاءت كرد فعل الاستعلاء والاحتقار . وماذا حلت لنا هذه الثقافة (إلا في أقل القليل مما ترجم من العلوم) غير الإلحاد والإباحية وفتح النوافذ لتهدم القيم كمدخل إلى أمبراطورية الربا التي تزيد أن تلتهم كل ثمرات الأمم بعد أن تمزغها في وحل الفساد والبغاء والآباهيات .

سادساً : عقلية قانون نابليون :

ويبيق بعد ذلك أثر قانون نابليون في عقليات الأجيال مما تحمل من استهانة بكرامة المجتمع والأعراض ، وبما نجد من تصريحات رجال في القانون لهم أسماء لامعة حين يقولون : ما في القانون الوضعى من خلاف عن الشريعة إلا في أمور هينة ، ومن يقولون : إنه في استطاعة القانون الوضعى مع تعديل يسرى أن يصبح شريعة إسلامية ، أليس قانون نابليون مأخوذاً من مذهب مالك ؟ إن الأمر ليس بهذه السهولة ، إن القانون الوضعى معهون بسموم المجتمع الغربي وإباحياته وتفريطه في العرض والأخلاق والقيم التي يحرص عليها التشريع الإسلامي ، وفضلاً عن ذلك فإنه يقوم على عقوبة على فعل يتم ، بينما تجلى (حدود الإسلام) لتحول دون وقوع الجرم نفسه . إن التجربة الطويلة للعالم الإسلامي إزاء القانون الوضعى وإزاء مفاهيم الديمقراطية

واللبيبة قد كشفت عن حقيقة أساسية : هنا رفض الروح العلمانية ، وعدم قابلية النفسية الإسلامية لها واعتقاد مجازم بأن كل الوارد من القرآنين الوضعية لم يتحقق للمجتمع الإسلامي مطامحه ، بل على العكس من ذلك فقد دلل المجتمع الإسلامي للإباحية والربا وأفسد الأجيال التي أخرجها أسلوب التربية العلماني . لقد فشلت الديمocrاطية الغربية وفشلت الاشتراكية الغربية (في الغرب نفسه) فكان علينا أن نعلن إفلاس هذه الثقافات التي عجزت عن أن تتواءم مع فكرنا الإسلامي الجامع في أصالته وفي وجهته وفي ربانيته حتى يأتى بعد هذه السنوات الطويلة من لا زال يحاور في (المواجهة) بين الديمocratie والشوري الإسلامية . إن عقلية قانون نابليون لا زال تحكم في الفكر والصحافة والثقافة وعلينا أن تذهب فقد انقضى أمرها .

إن الجسد الإسلامي يرفض الجسم الغريب ، لأنه ليس من طبيعته ولأن هذا الجسم الغريب يقوم على المادية الحالصة ، والتفسير المادي للتاريخ ، ويخلو من الأخلاقية والالتزام بالجزاء الآخروى ، وهذه هي الأسس التي قامت عليها الحضارة المهزارة وهل يمكن أن يدور الإسلام (في دائرة القول بإعادة صياغة الفكر الإسلامي والمواجهة بينه وبين الفكر المعاصر) فساد الحضارة أو فساد الربا أو فساد القانون الوضعي أو فساد التعليم العلماني الإلحادي ، هل يمكن أن يأخذ الإسلام بنظرية (الرخص) في مواجهة (عزائم) القوى التي لا ترى إلا أن يأخذ المسلمون قيادة مجتمعهم والتي تعمل على تأخير نهضتهم وعلى استبقاءهم دائمًا في دائرة الحصار والمقدمة .

سابعاً : تجربة باكستان :

أما الحديث عن تجربة باكستان فهو حديث مضل ، لأنه يعتمد على وجهة نظر أعداء الإسلام والتابعين للغرب ، وما تجربة باكستان إلا مثل التجربة الإسلامية في كل مكان من حيث تمكن عملاً الغرب من مصادرها ، إن أميناً وثائق واضحة جلية مما كتبه الأستاذ المودودي تكشف زيف ما يذهبون إليه في الادعاء بأن التجربة الإسلامية قد فشلت للخلاف بين المسلمين والحقيقة أن النفوذ الغربي كان منذ اليوم الأول حريصاً على أن لا يقوم المجتمع الإسلامي ، وما كان محمد على جناح ولياقت على خان إلا من العاملين في حقل الغرب ومن كانوا لا يؤمنون بالمفهوم الإسلامي أساساً .

نامنا : الاستشهاد بالشيخ عبده :

أما الاستشهاد بالشيخ محمد عبده فهذا هو اليوم يدين المسلمين والعلمانيين وخصوم الفكر الإسلامية من أجل تعويق النهضة ، لأن الشيخ محمد عبده في الحقيقة لا يستطيع أن يمثل إلا عصره ، وإلا تلك المرحلة التي عاشها وهي مرحلة دقيقة — لم يكن من اليسير للشيخ أن يقول فيها رأي الإسلام صراحة ، فكان يحاول إزاء الأوضاع والتحديات التي يشرها التفورد الاستعماري ويشرها موضعه هو من الخديو ومن كرمه أن تكون كلماته مما يصلح لوقته ، وكفاه أنه رد عادية خصوم الإسلام في آئام الإسلام بالجمود ولكن لماذا يظل الشيخ محمد عبده بعد مائة عام موضع الاستشهاد وقد خطت حركة البقظة الإسلامية خطوات واسعة في الوصول إلى الأصالة وإلى مفهوم الإسلام المستمد من المتابع ، كذلك فإن الاستشهادات التي تنقل عن محمد عبده ، هي أمور متحولة قال بعضها ورجمع عن بعضها وفترت فيما بعد ذلك على نحو من الانحاء ، وأن كثيراً من النقد قد وجه إلى فكر الشيخ محمد عبده حتى من تلميذه الأثير الشيخ رشيد رضا بل أن مدرسة المنطقة والكلاميين التي عرفت عن جمال الدين ومحمد عبده قد تغير الموقف منها بعد أن ظهرت مدرسة القرانيين الذين يستمدون من القرآن والسنّة المطهرة ، والحقيقة إن هذه المحاولات في (إثارة الشبهات) حول تطبيق الشريعة الإسلامية بأسلوب ماكر خبيث ، وعن طريق إثارة قضايا المواجهة والاقتباس وتذليل الإسلام لمثير واقع المجتمعات الغربية الفاسدة ، كل هذا لن يتحقق شيئاً ، وهي محاولات مكشوفة ، والقائمون عليها هم أسماء معروفة في مجال الشيوعية أو العلمانية أو كراهية الإسلام مذروقة بعيد والله يقول الحق وهو يهدى السبيل .

* * *

الفصل الثاني

الإسلام : عقيدة ومنهج حياة

(محمد خلف الله - فؤاد زكرياء - حسن حنفي)

عرضت مجلة روزاليوسف لآراء الأساتذة : محمد خلف الله - فؤاد زكرياء - حسن حنفي في الفكر الإسلامي .. وقد كانت آراءهم موضوع مناقشة على نطاق موسع .. وفي محاولة لتقدير هذه الآراء نقول :

إن الذين تحدثوا عن الفكر الإسلامي في مجلة روزاليوسف لم يكونوا على مستوى المسؤولية والأمانة .. وكان أخطر مقاتلهم أنهم مع الأسف يفهمون الإسلام فهماً لا هوئياً غريباً .. على أساس أنه عبادات وترانيم .. وهم في هذا متاثرون أشد التأثر بالثقافة الأساسية التي نشأوا خلاها فكراً هم وذكرياً لهم الثقافي .. وهي مفاهيم غربية قائمة على نظر العلانيين إلى الدين (الغربي) ولا يغيب عن ذهنهم ذلك الصراع الذي قام في الغرب بين الكنيسة ورجال العلم .. وهم يتحدثون عن الإسلام على أنه دين روحي .. عبادي .. وينسون أنهم لم يلهموا بهم الإسلام على النحو الذي ألم به المستشرقون والمبشرون الذين يحاربونه .. أو أنهم يعلمون أن الإسلام ليس ديناً بمفهوم الالهوت .. وإنما هو نظام مجتمع ، ومنهج حياة .. ولكنهم يغالطون في هذا وينفون هذه الحقيقة ويحاولون أن يحاكموا الإسلام بنفس منطق العلانيين في الغرب مع المسيحية الغربية ، وإثارة جميع القضايا التي وقع الخلاف فيها بين رجال الدين ورجال الفلسفة هنالك .

والواقع أن الإسلام بمفهومه الجامع للعقيدة والشريعة والأخلاق .. لا يدع مجالاً - من قريب أو بعيد - لإثارة هذه الشبهات أو التحديات .. بل إن منطق مناقشة السادة يحمل في أعماقه روح كراهية عميقة للإسلام ، وعنف ولدد في الخصومة مع الدين يحملون أسماء .. وكان أولى بهم أن يؤمنوا بمنهج البحث العلمي النزيه المتجزء عن الأهواء والأحقاد .

ـ لكن نعرف أن هؤلاء حين يتحدثون عن الإسلام يضمرون في أعماقهم
ـ أحد منها وبين :

ـ أولاهما : التفسير المادى للتاريخ أو التفسير الغربى للدين . . و منهم من
ـ يهدف إلى الدخول إلى ساحة الفكر الإسلامى بعباراته مرنة . . ليتمكن من
ـ خلال خداع القارئ بها إلى الوصول إلى غايته . . بإنكار عالمية الشريعة
ـ الإسلامية ، وقدرتها على البقاء والاستمرار على مدى الأزمان والصور ،
ـ ومن خلال مختلف المجتمعات ، وأنها بذلك تختلف اختلافاً واضحاً عن الفكر
ـ البشري المتمثل في أيدلوجيات العصر : قومية ، وديمقراطية . . وماركسيّة ،
ـ واشتراكية ، ولiberالية . . وأن الإسلام الذي هو رسالة السماء للإنسانية
ـ تختلف اختلافاً عميقاً عن هذه الدعوات التي ظهرت نتيجة لتحولات مجتمعاتها . .
ـ ولم تستطع الاستمرار إلا بعد تعديل وتحوير ، وإضافة وحذف . . وهو
ـ ما يطلق عليه التطور والتطور . . أما الإسلام فإنه مختلف تماماً من حيث
ـ أحكام منهجه وسعة أطروه ، وقدرتة الفائقة على استيعاب مختلف المتغيرات . .
ـ ثم له بعد ذلك استعلاءه عن الخصوص لفساد المجتمعات ، أو تبرير أو ضاعها
ـ المضطربة . . ذلك أن على الأمم والشعوب أن تلامن نفسها مع شريعة الله . .
ـ وليس العكس . . ولا ريب أن دعوة الماركسيّة ودعاة العلمانية جيغاً يكرهون
ـ الإسلام . . لأن الإسلام سوف يجتازهم ويحيط وجودهم . . ولذلك فهم
ـ لا يستطيعون أن يكونوا منصفين معه ، أو قادرين على العودة إلى الحق . .
ـ وهو متدين لهم الآن تماماً .

ـ ولعل هؤلاء القوم يجهلون أبعاد هذا المجتمع الإسلامي وأصالته ، وعمق
ـ ما بناء الإسلام في أهله منذ خمسة عشر عاماً، ويظنون أن تلك المحاولات التي
ـ قام بها النفوذ الأجنبي خلال المائة عام الأخيرة قادرة على هدم مقوماته . .
ـ ولذلك فهم يدهشون . . لأنه عاد إلى أصالته ، وإلى روح الإسلام الصحيحة ،
ـ ومحاؤون أن يشككوا في هذه الحقيقة أو تدميرها . . وتمثل أخطاء هؤلاء
ـ الكتاب فيما يلي :

ـ أولاً : فساد الادعاء بأن الإسلام منهج قديم . . لا يصلح لمجتمعات
ـ العصر . . وما مجتمعات العصر إلا مجتمعات الاستهلاك والفساد التي تجربها

مخطوطات روتوكلاس ص ٢٠ . . لنقضى على كل قواها ، و تستنزف بكل قدراتها لتكون لقمة سائفة لخطط الاستيلاء على العالم .

و من الذى يستطيع أن يقول : إن الحضارة الغربية الآن تسير في الطريق الصحيح . . وقد دمرت الوفرة . . الأمرة والمجتمعات . . وفي أعلى البلاد مستوى للعيش تجد ظاهرة الانتحار والمخدرات ، والقتل . . والاغتصاب .

لانياً : كذب الادعاء بأن الفكر الإسلامي اليوم مختلف عنه في أواخر القرن التاسع عشر (جمال الدين و محمد عبده) والذين يقولون بها محاولون أن ينكروا تلك المحاولات التغربية التي حاصرت الفكر الإسلامي في مجال الاعتزال والكلام والمنطق . . حين خدع الغرب المسلمين فأعطاهم (أرسطو) وحجب عنهم (المنهج العلمي التجربى) ولا ريب أن الدراسات الإسلامية اليوم قد كشفت الغطاء عن عظمة الشريعة الإسلامية ، وجلب كنوزها ، ورفعت الأترية عن ذلك التراث المعطاء . . وكان أعظم ما وصلت إليه هو أنها ربطت نفسها بالتابع الأساسية بالقرآن و السنة الصحيحة . . أما تلك الكتابات التي عرفت عن جمال الدين الأفغاني و محمد عبده . . فإنها لم تزد عن أنها كانت محاولات للدفاع عن الإسلام في وجه الموجة المبادية الصارخة التي كانت تناصر المعجزات والوحى ، وتحاول أن تفرغ الإسلام من جوهره بالدعوة إلى البطولة أو العبرية . . بدلاً من النبوة أو غير ذلك من محاولات كتاب تلك الفترة . .

والذين يقولون أن تلك الفترة تعتبر تقدماً هم يلهثون وراء أهواهم . . فقد أزعجتهم أن يتعرف المسلمون على مفهوم دينهم الصحيح . . وأن يكتشفوا زيف المستشرقين والمبشرين . . وأن يجلوا عناصر دينهم ويفلتموه غصاً طرياً إلى العالمين . .

ثالثاً : خطأ القول بأن الدين مجموعة من الشعائر تحفظ الإنسان إلى إصلاح أوضاعه . . فإن هذا هو المفهوم الكنسى الرائف للإسلام ، فالإسلام نظام اجتماعي كامل ، والشريعة الإسلامية كما نعرف هي مصدر القوانين ولذلك فهي لا تقف عند حدود المسجد أو العبادة وإنما تتحلى ذلك لتكون منهجاً كاملاً . . اقتصادياً واجتماعياً وسياسياً و تربوياً .

رابعاً : ليس صحيفاً أن دعاء الفكر الإسلامية كما يدعى البعض أنه . فهو
ضيق الأفق أو النظرة الأحادية ، أو العجز عن الحوار . . فهو يفهون الإسلام
فهمأً صحيحاً بكل سماحته . ويسره وانفتاحه على كل المذاهب والدعوات . .
ولكن هذا الحوار الذي يطلبه البعض هو دعوى كاذبة . . فكيف يمكن
أن تجري المقارنة أو الحوار بين منهج السماء الحق وبين منهج بشري -
كالاشراكية مثلاً ! !

خامساً : ليس في الإسلام ما يسمى (رجل الدين) . . وليس هناك
ما يسمى (حكومة دينية) ولكن هناك منهج إسلامي . . له صفة الثبات
في إطاره مع تقبيل حركة التغيير في داخله . . ولا يفهم هذا الماديون . .
لأنهم يؤمنون بالفكرة الانشطارية المستقل . . إما أن يكون روحانياً خالصاً ،
أو مادياً خالصاً . . ومن هنا فهم يعجزون عن فهم الإسلام كمنهج جامع
بين الروح والمادة ، والعقل والقلب ، والدنيا والآخرة . . وأن المنهج
الرباني شيء منفصل عن التجربة الإنسانية التي هي التاريخ .

سادساً : نعم يقر الإسلام التحرر إلى أقصى الحدود . . وقد كان تاريخ
الإسلام قائماً على ذلك . . أما إذا وصل الفكر إلى حد انتقاض مفهوم
التوحيد ، أو التبشير بالإلحاد ، أو إذاعة المذاهب المدamaة تحت اسم حرية
رأي في الإسلام . . فإن ذلك مرفوض .

فعلى من يريد أن يأخذ بأي منهج من مناهج الحياة . . فليفعل . . ولكن
ليس من حقه أن يدعى الناس إلى باطله أو أن روج له .

سابعاً : إن المفكرين الذين لهم خلفيات معروفة في الإلحاد ، أو التبعية
المذهب من المذاهب ، أو نحلة من النحل ، يجب أن يعرف بهم حتى يتمحصن
الناس من شرهم . . وهذا ما يسمى في الفكر الإسلامي : (مذهب الجرح
والتعديل) ، وكثير من الكتاب الذين تلمع أسماؤهم يخدع بهم الشباب المثقف ،
ويظنون أن الكتب المطبوعة طباعة أنيقة ، أو الشهرة المدوية مقياساً للأصالة .

ثامناً : أن تجارة التغريب والماركسية بكتابات رفاعة الطهطاوى ،
والكواكبى ، ومحمد عبدة ، وجمال الدين الأفغاني . . هي تجارة زائفة . .
فإن هؤلاء جميعاً كانوا يصدرون عن تحديات جزئية في عصرهم ، ولم يكونوا

على علم بمواءرات الاستشراق في استغلال كتاباتهم لخدمة أهداف تغريبية . . . ولقد كانت مدرسة الكلام والاعتزال والفلسفة التي عرفها جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده ، وإقبال ، والعقاد . . مدرسة مرجعية مخدّمة في ظروفها . . ولكن جاءت بعد ذلك المدرسة القرآنية الأصيلة . . كما حدث تماماً في القرن الثالث المجري . . فلاتكتاء على آراء جمال الدين ومحمد عبده ، وتكريره لا يقنع أحداً الآن ، ولا يفيده شيئاً بعد أن وضحت أمام الشباب المسلم الكتابات القرآنية التي قدمها حسن البنا ومحمد المبارك وعلال الفاسى والمودودى والندوى وغيرهم ، وقد تكشفت أخطاء كثيرة لجمال الدين ومحمد عبده توحى بأنهما ليسا على شيء من القداسة ، وأنهما يشرّخان خطئه ويصيّب . . فضلاً عن فارق الزمن ،

ثامنةً : نظرية (العقلانية) التي يروج لها بعض المدعين انتسابهم إلى الإسلام . . نظرية باطلة على النحو الذي يعرضونها به . . فالإسلام ليس عقلانية اعترالية ، ولا فلسفة كلامية ، ولا صوفية حسنية . . وكل من يستقل بوجهة من هذه الوجهات لا يمثل الإسلام في مفهومه الأصيل الجامع .

والإسلام يجعل العقل مناط التكليف . . وهو مع ذلك مصباح يضيئ الوحي فلا يستطيع أن يهتدي بنفسه . . والعقل على إطلاقه يعيش في محیطه . . فإن كان محیطه وثنياً كان عقلاً وثنياً ، وإن كان محیطه مادياً كان عقلاً مادياً ، وإن كان محیطه روحاً كان كذلك . . فهو لا يصلح إلا إذا نشأ وتشكل في إطار المفهوم الإسلامي الصحيح . . عندئذ يصبح عقلاً إسلامياً .

وفكرة العقلانية فكرة ضالة مضلة على النحو الذي يعرضها به زكي نجيب محمود ومدرسة الشعوبين التي تحرف الكلم عن مواضعه .

عاشرأً : كلمة (الإصلاح الديني) عبارة غريبة خالدة لا تطابق مفهوم الإسلام . . فالإصلاح الديني في الغرب قام على أساس تحرير الفكر الكنسي من قيود الكاثوليكية . . فكانت البروتستانتية ، وكالفن ، ولوثر ، وغيرهم . . أما في الإسلام فلا توجد كلمة إصلاح ، كما لا توجد كلمة تطور التي كلف بها توفيق الحكيم . . فإن يقظة الإسلام تتحقق بالعودة إلى المفاسد المنهاج الأصيلة (القرآن والسنّة) ومفاهيم الإسلام قبل ظهور الخلاف . . أما هذه

العمرات غير المسئولة ، ، فإنها تدل على أن أصحابها يعيشون في جو غربي ..
وأن ثقافتهم الغربية غير الإسلامية تسيطر عليهم .. فهم ينظرون إلى الإسلام
من خلالها .

وفي الختام .. فإن هؤلاء الذين يدعون التباهي على الإسلام وهم يشككون
في الشريعة الإسلامية ، ويقولون أنها مرحليه أو غلبة القدم ، أو يدعون
إلى حجب حدودها .. مرفوضون تماماً ، ولا يستمع لهم أحد ، ولا يثق بهم ،

* * *

الفصل الثالث

مفهوم الإسلام للفن وقضايا

أشار (الأستاذ كمال الدين رضوان) إلى ظاهرة خطيرة في دراسة أجراءها أخيراً لقصص المعاصرة التي يكتبها : الفريد فرج ، ويونس الشاروني ، ومخائيل رومان ، وادوار اندرات ، ومجيد طوبيرا .. وهى قيام قصصهم على نقطة واحدة : (هي) الحياة الزوجية (يعنى أن البيت المصرى والعربى والمسلم مصاب بهذه الظاهرة الخطيرة .. وقد تابع هؤلاء الكتاب فى ذلك أسلوبهم من كتاب القصص الكبار : توفيق الحكيم ، يوسف إدريس ، ونجيب محفوظ وإحسان عبد القدوس .. والحقيقة أن هذه ليست ظاهرة حقيقة فى المجتمع المصرى العربى المسلم .. ولكنها منفعة من القصص الأجنبية التى تعتبر هذا الأمر من الظواهر العادية فى المجتمع الغربى .. ولكنه ليس كذلك فى الحقيقة بالنسبة لمجتمعنا الإسلامي الذى ما زالت فيه أخلاقياته وعفته ومحافظته على العرض والكرامة والشرف .

وقد حفلت هذه القصص بالتفصير المادى أيضاً الذى لا ينطبق كثيراً على أمور مجتمعاتنا .. فطغت فى قصص يوسف إدريس .. ونجيب محفوظ ظاهرة وقوع المرأة فى الخطيئة نتيجة عسر الحال والقفر .. وما كان مجتمعنا فى يوم من الأيام يقبل هذه الظاهرة .. ولكنها محاولات ماكرة وخبثة ت يريد أن تصم هذا المجتمع بأمور كثيرة ليست فيه .. ويرجع هذا أساساً لخضوع أغلب كتاب القصص لخططات التغريب والتبيير ، والاستشراق والغزو الثقافي .. ولا ريب أن محاولة وصم المجتمع المصرى العربى المسلم بالفساد والانحلال .. إنما تصدر أساساً من غايات خاصة تحرص على تحويل الحالات الفردية النادرة إلى ظواهر اجتماعية لغرض شخصى ، أو هدف اجتماعى يراد به أن يقال : إن الأسرة العربية الإسلامية قد فسدت وتنزقت وأصحابها خوائل الإباحية

والاتخال والفساد . . وأنها بذلك أصبحت عاجزة عن تحقيق رسالة الأمة
والأنوثة ، وبناء المجتمع الصحيح . . ولا ريب أن كل الظواهر التي نشاهدها
الآن في مجتمعنا من تعالي الوعي بحقائق الإسلام في محیط المرأة المسلمة على وجه
الخصوص تدحض هذه الشبهة ، وترد هذه الفردية ، وتكشف عن زيف
هذه المحاولة .

ويبيّن بعد ذلك أن نواجهه في كتابة القصة نفسها ، لتعرف إلى تلك
المحاولات التي تفتح عنها الأخطار التي تواجه القارئ المسلم من حيث أمانة الأداء
الفنى وأخلاقياته ، وأمانة الكاتب المسلم في مجتمعه . . وأول ما يقال في هذا
الصدد أن الزمن قد تجاوز تلك المحاولة اللثيمة الماكرة التي كانت تستهدف
تدمر الأسرة المسلمة ، وهزيمة المجتمع الإسلامي ، بعد أن تكشفت الخطط
التلmorphودية التي ترمى إلى هذه الغاية ، والتي فرضت ذلك (اللون) الوافد الذي
لا يلتقي مع الفطرة العربية وال المسلمة ، وأن القصة قد سقطت سقوطاً لا ريب
فيه من حيث أنها أداة حقيقة لبث المشاعر والعاطفة ، ومن حيث أنها تقوم
على الإثارة والبالغة ، أو على افتعال الأحداث والجريمة ، والاغتصاب
والغواية والإغراء . . وفي هذا يقول هاملتون جب :

(إنه لا ينتظر أن يكون للقصة مستقبل في الطور الأدبي الحديث ما دامت
الحياة الإسلامية حافظة على تقاليدها الموروثة) :

ويقول محمد عبد الله عنان :

(نستطيع أن نقطع بأن المجتمع الإسلامي لا يمكن حتى بقى تطوره وتقديره
محصورين في المبادئ الإسلامية الخالدة أو التقاليد التي كانت أثراً لهذه المبادئ
أن يظهر كتاب القصة العربية يوماً عادة واسعة ، أو غزيرة كالي يقدمها
المجتمع الغربي إلى كتاب الغرب ، أو أن يغدو الأثر الذي يفسحه ذات يوم
وحياناً للجمال والفن . .

ونخبر ما عبر عنه كاتب عن علاقة القصة بالمجتمع هو ما قاله (واسerman)
حين قال :

(ما دام المنصر الشهوانى خفياً فلا وسيلة لتأليف القصة) .

فالقصة التي يبحث عنها التغريب ليس هي قصة الواقع . . أو القصة

الأصيـة التي لا افـتعـال فـيـها .. ولـكـنـها القـصـة الصـارـخـة ذاتـ الأـحـدـاث والـخـفـاـيـاـ
وـالـمـؤـامـرـات التي تـقـعـ بـيـنـ رـجـلـ وـامـرـأـةـ تـحـتـ اـسـمـ الحـبـ أوـ الشـهـوـةـ أوـ الغـرـةـ ،
وـتـدـورـ فـيـهاـ المـخـاـورـاتـ حـوـلـ تـبـرـيرـ الـاغـصـابـ أوـ خـدـاعـ النـفـسـ السـاـذـجـةـ حـتـىـ
تـقـعـ فـيـ النـفـخـ ، وـحـيـثـ يـقـعـ الـمـنـافـسـ بـيـنـ رـجـلـيـنـ عـلـىـ اـمـرـأـةـ ، أوـ بـيـنـ زـوـجـ
وـعـاـشـقـ ، أوـ إـغـرـاءـ اـمـرـأـةـ لـرـجـلـ مـتـزـوجـ ، أوـ تـجـمـعـ عـدـدـ مـنـ الـمـحـبـينـ حـوـلـ
اـمـرـأـةـ غـانـيـةـ وـصـرـاعـهـمـ مـعـهـاـ .

وـالـقـصـةـ عـلـىـ هـذـاـ النـحـوـ عـلـىـ مـفـتـحـ ، لـيـسـ هـىـ الـحـقـيـقـةـ وـلـاـ الـوـاقـعـ ،
وـلـاـ هـىـ بـهـماـ أـشـبـهـ .. وـإـنـماـ هـىـ (ـأـدـاءـ مـنـ أـدـوـاتـ الـغـزوـ الـفـسـيـ وـالـاجـتـمـاعـىـ
لـلـمـجـمـعـاتـ وـالـشـابـ وـالـشـفـقـاتـ الـفـرـيـراتـ) .. وـهـىـ حـيـنـ تـقـوـمـ عـلـىـ ذـلـكـ الـبـنـاءـ
(ـالـفـنـىـ) إـنـماـ تـلـتـمـسـ قـوـاعـدـ التـحـلـيلـ الـنـفـسـىـ الـىـ أـذـاعـهـاـ (ـفـرـوـيدـ) وـفـرـضـهـاـ عـلـىـ
عـالـمـ الـأـدـبـ بـعـامـةـ ، وـعـلـىـ الـقـصـةـ بـخـاصـةـ .. وـفـرـوـيدـ يـرـىـ أـنـ سـاـلـوكـ الـإـنـسـانـ
كـلـهـ فـيـ مـخـتـلـفـ حـيـاتـهـ وـأـوـضـاعـهـ (ـجـنـسـ) حـتـىـ فـيـ مـجـالـ الـدـينـ نـفـسـهـ .

وـإـذـاـ كـانـ الـمـجـمـعـ الـإـسـلـاـمـيـ يـحـولـ دـوـنـ ظـهـورـ هـذـهـ الـقـصـةـ فـيـجـبـ إـغـرـاقـ
الـمـجـمـعـ بـالـقـصـصـ الـأـجـنـبـيـ الـمـكـشـوـفـ وـالـإـبـاحـيـ بـالـتـرـجـمـةـ حـتـىـ يـقـرـأـ الـشـابـ
فـيـ فـرـاغـهـ ، وـالـقـتـيـاتـ فـيـ خـدـورـهـنـ ..

هـذـهـ الـقـصـةـ هـىـ الـمـنـطـلـقـ لـلـرـوـاـيـةـ وـالـمـسـرـحـيـةـ وـالـمـلـسـلـمـةـ الـىـ اـسـتـشـرـتـ الـيـوـمـ
فـيـ مـجـالـ الـإـذـاعـةـ الـمـسـمـوـعـةـ ، وـالـإـذـاعـةـ الـمـرـئـيـةـ ، وـدـورـ السـيـنـاـ وـالـمـسـرـحـ الـعـدـيدـ ..

فـهـىـ أـدـاءـ خـطـبـرـةـ تـرـىـ إـلـىـ تـقـوـيـضـ دـعـائـمـ الـحـيـاةـ الـاجـتـمـاعـيـةـ بـمـاـ تـطـرـحـهـ
مـنـ مـخـاـورـاتـ نـازـلـةـ ، وـمـؤـامـرـاتـ مـوـهـوـمـةـ ، وـمـنـ تـبـسيـطـ لـأـمـورـ الـعـرـضـ
وـالـكـرـامـةـ وـالـخـلـقـ ، وـإـشـاعـةـ لـهـاـ عـلـىـ أـنـهـاـ مـشـرـوـعـةـ ، مـعـ سـخـرـيـةـ بـالـقـيمـ وـالـحـدـودـ
وـالـضـوـابـطـ الـىـ أـقـامـهـاـ إـلـاسـلـامـ مـنـ أـجـلـ حـمـاـيـةـ الـأـسـرـ وـالـمـجـمـعـاتـ .

وـقـدـ كـشـفـتـ الـدـرـاسـاتـ عـنـ أـنـ فـنـ الـقـصـةـ عـلـىـ هـذـاـ النـحـوـ الـذـىـ فـرـضـهـ
الـتـغـرـيبـ عـلـىـ الـأـدـبـ الـعـرـبـيـ وـعـلـىـ الـمـجـمـعـاتـ هـوـ فـنـ دـخـيـلـ لـاـ يـتـفـقـ مـعـ الـذـوقـ
وـلـاـ الـمـزـاحـ وـلـاـ الـقـيمـ الـعـرـبـيـةـ الـإـسـلـامـيـةـ ، وـأـنـ النـفـسـ الـعـرـبـيـةـ وـالـإـسـلـامـيـةـ قـدـ عـبـرـتـ
عـنـ نـفـسـهـاـ بـأـسـالـيـبـ أـخـرـىـ لـيـسـ الـقـصـةـ وـاحـدـةـ مـنـهـاـ ، وـأـنـ الـقـصـةـ عـلـىـ هـذـاـ
الـنـحـوـ أـدـبـ وـافـدـ ، وـقـدـ أـحـصـىـ الـمـؤـرـخـونـ أـنـهـ قـدـ تـرـجـمـ مـنـ الـأـدـبـ الـأـجـنـبـيـةـ
خـلـالـ نـصـفـ قـرـنـ أـكـثـرـ مـنـ عـشـرـةـ آـلـافـ قـصـةـ أـجـنـبـيـةـ أـخـيـفـتـ إـلـىـ الـأـدـبـ

العربي . . وأن هذه الترجمات كلها كانت فاسدة في اللغة ، اباحية في الموضوع مكشوفة في المخوار وقد ساهم في ترجمة هذا الأدب الجنسي (أدب الفراش) أعلام كثيرون في مقدمتهم (طه حسين) الذي وصفه إبراهيم عبد القادر المازني بأنه كان همه مدح الخيانة . . والاعتذار للخونة ، وتصوير الحياة والحبون في صورة جذابة . . وقد وجه الاستشراق الأدباء العرب إلى ترجمة هذه القصص على طريقة تصويرها وتعريفها فلم يكن هم كتاب القصة إلا تغيير أسماء الأبطال والأماكن ، وبقيت مضامين القصة كما هي . . وإذا أمسكنا بأسماء كبار كتاب القصة الالامعن الآن وجدنا أن كل واحد منهم قد اختص بترجمة أديب غربي أمثل : كفكا ، وموباسان ، وتشيكوف ، وألدوس هوكسل ، ولورنس ، وتو ماين .

وقد أعلن الأدب العربي عن موقفه صريحاً وواضحاً إزاء تيار القصة (الغربية المصدر) وكشف عن رأيه وأعلن أن الفن القصصي ليس عربياً ولا إسلامياً ، وأنه فن وثني وأنه يجري مع تطور الوثنية مرحلة بعد مرحلة ، وهو يتتطور بتطور أشكالها ونظمها ، وتجدد أربابها ومعابدها . وأن القصة في العالم الوثنى هي الملاهاة التي يقدّسها أهل اليسار إلى المحرّمين والفقراة .

ومن هنا فإن الخلاف بين الأدب العربي وبين القصة الغربية وليدة الوثنية اليونانية بعيد المدى . . وكذلك بالنسبة للأسطورة الشرقية ومنها (ألف ليلة) وهذا الخلاف بين الأدب العربي والأدب الوثنية (شرقية وغربية) هو خلاف في الجوهر والتوصيم ، كما هو في الشكل والخصائص ، وفي الدوافع والغابات . . من حيث أن دوافعه مختلفة تمام الاختلاف عن تلك الدوافع التي يتولى منها الأدب الأولي . . وأبرز هذه المعلم هي الإيمان والتوحيد ، وسلامة الفطرة وصدق التوكل على الله الخالق الرازق . . وكلها تعطى الأدب طابعاً ملؤه الإشراق والتفاؤل والإقبال على الحياة والرضا بقضاء الله عز وجل إن المسلمين يتطلعون في مطالع القرن الخامس عشر إلى الأصالة وترشيد الفكر الإسلامي للامساك مقواته الحقة . . ولذلك فهم يتطلعون إلى ظهور كاتب عامل للقصة الإسلامية يوجه الحياة الفكرية الإسلامية وجهة جديدة ، بعد أن ظهر في خلال القرن الرابع عشر بوادر وإشارات كثيرة تمثل

في كتابات على أحمد باكثير ، والدكتور نجيب الكيلاني (الذي أعطى
 كثيراً) وعماد الدين خليل وآخرين من الذين أرسوا مفاهيم الأصالة للقصة
 الإسلامية وفق مفهومها القرآن الصادق ، والمتمثل في التحرر من التبعية
 لمفاهيم الإثارة والفحش والانحلال التي عرفتها مدرسة القصة العربية في العصر
 الحديث بأعمالها (توفيق الحكيم ونجيب محفوظ وإحسان عبد القدوس) ..
 والتي أفسدت مفاهيم الأصالة ، وفتحت الطريق ل泓لاه المضللين الذين حاولوا
 إشاعة الفاحشة في المجتمع الإسلامي ، ورميه بأكبر أنواع .. حين وصفوه بأنه
 خاضع وذليل ومستعبد للخيانة الزوجية .. هذه المدرسة التي خضعت لخاذل
 الغزو الفكري .. والتغريب .. فعملت على إفساد العقول ، ونسميم القلوب ،
 وحرفت عقليات وأذكار أجيال متواالية من الشباب المسلم ، والفتاة المسلمة
 الذين لم تكن لهم حضانة كافية من عقليتهم لكشف هذا الزيف ، وإطراح
 هذا الخطر الذي سرى في الأمة مسرى السم في العروق .. تحت اسم الفن ..
 وكان علينا أن نعرف مفهوم الإسلام للفن أولاً .. هذا المفهوم الذي يقوم
 على استحالة التناقض مع الفطرة .. فإذا كانت الفنون من روح الفطرة وجب
 إلا تناقض أو تناقض دين الفطرة دين الإسلام في شيء .. فإذا خالفت
 الفنون الدين في أصوله ودعت صراحة أو ضمناً إلى رذيلة من أمهات الرذائل
 التي جاء الدين لمحاربتها .. وعاقت الإنسان عن أن يعمل بالفضائل التي جاء
 الدين لإيجادها على الإنسان حتى يبلغ ما قدر له من الرقي في النفس والروح
 .. إذا خالفت الفنون الدين في شيء من هذا أو في شيء غير هذا فهي بالصورة
 التي تناقض بها الدين فنون باطلة ، فنون مجايبة الحق .. وأنخطأت الفطرة
 التي فطر الله تبارك وتعالى الناس عليها على حد تعبير الدكتور محمد أحمد
 الغمراوى .. ومفهوم الفن في الإسلام يقوم على أساس أنه عنصر من عناصر
 الفكر يتكامل مع الأدب والمجتمع ، والأخلاق والدين والحضارة .. وهو
 في الإسلام له طابعه الأصيل الواضح المبين لمفهوم الفن في الثقافات ،
 والحضارات الأخرى .. قوامه الأخلاق ، وطابعه التوحيد .. يتسمى
 بالغرازى .. ويرتفع بالنفس الإنسانية إلى السماك دون أن يبعد عن الواقع ..
 والفن في نظر الإسلام أداة تجميل الحياة ، ووسيلة الإسعاد الروحي والنفسى

يتحرر الإنسان من عالم الأهواء والغرائز ، وإطلاقه في نظرة حررة إلى الكون والوجود يعرف فيها قدرة الله وعظمته ، ويزداد بها إيماناً .

ومن أبرز مفاهيم الإسلام للفن أن الإسلام لا يقر الصراع بين ما يسمى بالآلة والإنسان ، أو بين القدر والإنسان ، على النحو الذي يقوم عليه الفن الغربي ، ولا يؤمن المسلم بأن الإنسان يثبت ذاته بمصارعة القدر أو ما يسمى بالآلة ، ولا بأن البطل الصالح يتمحطم على يد القدر . . وكل هذه المعايير المأساوية مستمدة من فكرة الخطية الأصلية التي عرفها الفكر الغربي ولم يعرفها الإسلام .

إن الصراع المأساوي الذي تعرفه القصصية الغربية والمسرح الغربي لا يجد بيئة طبيعية في إيمان المسلم وعتقده . . ذلك أن البطل المأساوي هو دائمًا في صراع مع ما يسمون بالآلة . . أما الإنسان المسلم فهو في سلام مع الله الواحد الأكبر ، وفي إيمانه بالقدر لا يحول دون السعي وإن كان يحول دون المصارعة والصراع . . ومن هنا فإن العقل الإسلامي لا يتصور الصراع بين الإنسان والله (جل جلاله) على نحو ما كان يتصور اليونان الذين يؤمنون بأن الحرب مع القدر وإن كانت نهايتها هي المزاجية المأساوية فإنها حرب تدل على شجاعة الإنسان وجرأته وعلو شأنه (كما يرد دعاء الفكر الإغريقي والوثني أمثال لويس عوض وغيره) .

وال المسلم لا يفهم ما يسمى صراع الإنسان مع الآلة . . لأن للمسلم إلهًا واحدًا . . قادرًا . . مالكًا . . متصرفاً . . لذلك فإن هذا المسلم يسلم نفسه ووجوده كله إليه . . فهذا الأمر الذي هو دعامة المسرحية وعقدة القصصية أمر لا يفهم في جو الإسلام ، ولا يقبل مع التوحيد الحالص الذي هو قمة العقائد في الإسلام . . ولذلك فإن المسلمين لم يجدوا أنفسهم في يوم من الأيام مع صراع مع القدر ، ولم يعرفوا هذا اللون من الصراع حتى في فترة جاهليتهم السابقة على الإسلام . . بل إن الوثنية العربية لم تكن مؤهلة لهذه المفاهيم . . إذ لم تكن وثنية أصلية . . بل كانت صورة مشوهة من دين قائم على التوحيد . . هو الحنيفية دين إبراهيم على نبينا وعليه الصلاة والسلام لذلك لم تكن لها جذور عميقه أو تقالييد قديمة كما كان لدى الوثنيات الأخرى .

وتقوم فلسفة المأساة الغربية في القصة المسرحية على الخطية والقصاص والغفران ، وترى أن الإنسان مرتبط بخطيئة أولية هي خطية آدم .. وهناك مفهوم الصراع بين ما يسمى الآلة والقدر ، وبين الإنسان والخطيئة ، وبين البطل في صورة المُتحدى لإرادة الله تعالى والمُتحدى للقدر .. هذا اللون من الاعتقاد الذي تستتبّه القصة العربية التي بين أيدينا الآن ، والمتّرجمة أصلًا عن القصة الغربية غريب على الذوق العربي وعلى مزاج النفس الإسلامية .. فهو خلاصة لفاهيم دينية وثنية وغربية ومساوية تقوم على فلسفة أساسية قوامها الخطية التي لا يُعرف بها الإسلام ولا يقرّها ، والتي ليس لها أى صدى في الأدب العربي .. فضلًا عن أن صراع القدر وصراع ما يسمى الآلة كلامًا غريب على النفس المسلمة .. بل إن نهاية القصة وخاتمة التراجيديا في مفهوم الأدب اليوناني والغربي يحب أن تكون شريرة .. ومصدر هذا كلّه هو أن الإنسان — عندهم — ثمرة الخطية ، وأن حياته تكثّر عن هذه الخطية ، وأنه لا قيمة لها .. بينما يرى الأدب العربي وفكرة وآدابه بأن الإنسان كائن حي ، وحياته لها قيمتها الخاصة ، وأنه ليس مسؤولاً عن خطية غيره .. وأن الخطية التي تتردّد في هذه الأداب هي خطية آدم .. وهذه في مفهوم الإسلام خاصة به وحده ، ولا تنسب على أبنائه وقد غفر لها الله تبارك وتعالى له ولم يجعل ذنبها لأحد من بعده ..

وفي مفهوم الأدب العربي المستمد من الإسلام أن الخبر لا بد أن ينتصر في النهاية ، وأن الشر لا بد أن يهزّم وينسحق .. ولذلك كانت القصة وكانت المسرحية بهذه المضامين المحجوبة في داخل نفوس كتابها غريبة عن الإسلام ، ومعارضة له ..

هذه هي الخطوط الأولى لفهم شباب الإسلام للقصة والفن والمسرح .. وقد فصلناها في رسائل (معلمة الإسلام) ونخن إزاء هذه المؤامرة الخطيرة تبادى كتاب القصة المسلمين فنقول : عودوا إلى طريق الله ، واحملوا لواء (فن إسلامي أصيل) هناً وبالله التوفيق ..

* * *

الفصل الرابع

المؤامرة على الخلافة والدولة العثمانية

عبد الحميد الكاتب : أخبار اليوم

لماذا هنا الحقد الشديد البالغ من أقلام عربية لكتاب مسلمين
بغرافيًّا على الخلافة الإسلامية ، والجامعة الإسلامية ، والوحدة الإسلامية ،
والتضامن الإسلامي الذي تشرق في هذه الأيام شمسه ، وتبدو علاماته ،
وتعلو راياته . . . بعد أن تعادلت كتابات الكتاب عن الصحوة الإسلامية . . .
ولماذا يوصف عمل مصطفى كمال أتاتورك بيسقاط الخلافة الإسلامية بأنه
(خربة موقة) أو قول أحد المؤرخين الشعوبيين : (وهكذا سقطت الخلافة
الإسلامية إلى الأبد) !

وقد نسي هؤلاء وأولئك حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم :
«إن أول دينكم نبوة ورحمة تكون فيكم ما شاء الله أن تكون ثم يرفعها الله
جل جلاله . . . ثم تكون خلافة على منهاج النبوة ما شاء الله أن تكون . . . ثم
يرفعها الله جل جلاله . . . ثم يكون ملائكة عاصيًّا فيكون ما شاء الله أن يكون ،
ثم يرفعه الله جل جلاله . . . ثم يكون ملائكة جبارية فيكون ما شاء الله أن
يكون . . . ثم يرفعها الله جل جلاله . . . ثم تكون خلافة راشدة على منهاج
النبوة تعمل في الناس بسنة النبي ويلقى الإسلام بجرانه على الأرض يرضى
عنها ساكن السماء وساكن الأرض . . . لا تدع السماء من قطر إلا صبته
مداراً ، ولا تدع الأرض من نباتها وبركتها شيئاً إلا أخر جنته» . . . وما ينطبق
عن الهوى . . . وهذا الحديث الشريف الصحيح يؤكّد عودة الخلافة
الإسلامية مرة أخرى على نحو أوّلئك صلة بحكم الله ، ونظامه الذي جاء به
القرآن الكريم . . . ولقد كان سقوط الخلافة الإسلامية (حدثاً) خطيراً
لم يكتب عنه بعد . . . وكان له أثره في نفوس العاملين في حقل اليقظة

الإسلامية . . وقد كان مصدراً لقيام المفهوم الصحيح للإسلام . . بوصفه منهج حياة ، ونظام مجتمع . . وما من دعوة إسلامية إلا وقد أخذت على أهلها العهد بالعمل لعودة الخلافة الإسلامية متى جاء أوانها . . وما تزال الحركات الإسلامية كلها عاملة على هذا النهج ، سائرة في هذا الطريق .

ولا ريب أن قيام عدد من المنظمات الإسلامية العالمية هي بشائر الخبر في هذا الطريق . . فإن الدعوة إلى قيام الجامعة الإسلامية أصبحت اليوم حملة ضروريأً بعد أن فسّدت المدعوات الإقليمية والقومية . . وفي مقدمتها الجامعة العربية . . ولابد لل المسلمين من أن يصلوا إلى الطريق الحقيقي لمواجهة تامر الغرب الصهيونية والشيوخية عليهم . . وهو إحياء جامعهم ، وإقامة خلافتهم . . واست أدرى . . لماذا هذا الاهتمام بإعادة طرح معلومات مسومة كاذبة مضللة انتشرت زمناً . . وكانت أشبه بالسلمات . . روجها اليهود والمارون . . ثم تبين زيفها ، وتكشفت الحقائق التي تدحضها ؟

لماذا العودة إلى الزيف بعد أن ظهرت الحقائق ؟ ! ولماذا الادعاء بأن مدحت مصلح . . وأن مصطفى كمال أتاتورك مجاهد ؟ ! ! والحقيقة أن الرجلين . . ومن بينهما من رجال (الاتحاد والترق) هم عملاء للنفوذ الأجنبي والصهيونية . . لقد تكشفت هذه الحقائق في العالم الإسلامي كله . . ولم يُعد في إمكان كاتب ما أن يضلّل الناس بإعادة هذه الأكاذيب ووصفها ، وخداع الناس في أمر رجل كان والده حاخاماً يهودياً مثل (مدحت) أو رجل هو من الدوّنة أصلاً . . مثل (أتاتورك) . . إن الدعاوى الصهيونية والغربية قد خدعت المسلمين طويلاً بزيف (صفحة الدولة العثمانية) والسلطان عبد الحميد . . من أجل هدف معروف واضع هو إسقاط هذا السلطان ، وإزالة الدولة العثمانية ، وهدم الخلافة الإسلامية لتمكّن الصهيونية العالمية من الوصول إلى فلسطين ، والاستقرار في القدس ! ! لقد كان أتاتورك والاتحاديون هم مادة تجربة جديدة فاسدة أريدها القضاء على النظام الإسلامي ، وهدم الشريعة الإسلامية ، وإقرار نظام العثمانية والماديه والهذية في المجتمع والتربيه والسياسة في البلاد الإسلامية ، ومحاوله بجعله مثلاً أعلى للتقدم والتجدد . . ثم جاءت أحداث التاريخ بعد خمسين عاماً لتكشف زيف هذه المحاولة وفسادها بعد أن تعددت حلقات هذا الغزو

التغريبي الذي جاءت إيران اليوم بمثابة الدليل الأكيد على فساد هذه التجربة ، وعلى سقوط هذا المهرج ، ومؤكدة بأن المجتمع الإسلامي الأصيل القائم على فكرة التوحيد الخالص منذ أربعة عشر قرناً يرفض العضو الغريب ، ويتأكد له بعد التجربة المتصلة مع الديمقراطية الغربية والاشتراكية الماركسية وفشلهما أن السبيل الوحيد أمامه هو المهرج الرباني الأصيل ، وأن الذين حرضوه طوال هذه السنين بالتماس المهرج الغربي (شرقية وغربية) سببلاً للهبة في العالم الإسلامي لم يكونوا صادقين في دعواهم . . فإن هذا الأسلوب في الاحتواء والعمل على صهر المسلمين في بوتقة الأهمية الغربية كان من نتائجه سقوط الخلافة الإسلامية ، والدولة العثمانية ، وسقوط فلسطين والمقدس في أيدي الصهيونية ، والخليولة دون امتلاك المسلمين لآرائهم ، وتطبيق شريعتهم الإسلامية ، والعمل على منعهم من أداء فريضة الجهاد ، أو امتلاك القوة القادرة على تجديد بناء الحضارة الإسلامية القائمة على العدل والرحمة والإخاء الإنساني . إن الصورة التي رسمها تلك الكتابات المسمومة لمدحت باشا كاذبة ومضللة . . فلم يكن مدحت بطلًا قومياً . . ولكنه كان واحداً من قوى المأمرة التي أعدت بأحكام للقضاء على الخلافة الإسلامية والدولة العثمانية . . وقد كان أمره مكتشوفاً لدى السلطان عبد الحميد الذي كان قد وضع يده على مخطط الدولة بالاشتراك مع أحرار الترك الذين كانوا قد جندوا لخطبة إزالة الدولة العثمانية ، والخلافة الإسلامية من طريق الصهيونية بعد أن حفقت قبل ذلك إزالة الجيتو بالثورة الفرنسية . . وما كان مدحت شهيداً في الحقيقة لأن الشهادة لا تكون للحونه وما قتله في الحقيقة ولكنه قتل نفسه بخيانته لوطنه وللإسلام ، والعمل على تمكين اليهود من النفوذ . . وهو من الدوامة الذين دخلوا في الإسلام تقية لإخفاء هويتهم ، ولتدمر الدولة العثمانية من الداخل . . وكان يعمل بتوجيهه من المتآمرين المقيمين في باريس ، والمتآمرين المقيمين في سالونيك . . ولم يكن الدستور الذي دعا إليه مدحت إلا محاولة لإخراج الدولة العثمانية من النظام الإسلامي والشريعة الإسلامية ، وتغليب نفوذ العناصر المعادية للإسلام ، وتمكينها من الانقضاض على الدولة . . وكان السلطان عبد الحميد يعلم مدى ما تهدف إليه المخططات الصهيونية . . ولقد شهد المؤرخون المنصفون بأن الدولة العثمانية الإسلامية قد تساحت إلى

أبعد حد مع العناصر غير الإسلامية ، ومحنته من أداء عباداتهم ، وإقامة شعائرهم ، وفتح المدارس ، وإقامة الجماعات إلى الحد الذي كان عاملًا من عوامل تحكمهم من التأمر على الدولة وإسقاطها . . ولقد كان السلطان عبد الحميد هو نقطة المؤامرة في الحقيقة . . لأنه وقف أمام مطامعهم وأهواهم ، ورد هرزل عن محاولاته ومؤامراته بالرد الحاسم وسمع من ممثل اليهود أن ذلك سبكلفه عرشه أو حياته . . وقد كشف السلطان عبد الحميد في مذكراته دور الدولة ورجال الاتحاد والترقي . وإذا كانت هناك محاولة للانتقاص من قدر الخلافة الإسلامية ، واتهامها بالقصور . . فإن هناك ما يؤكد كذب ذلك ، وما أورده حال الدين في حديثه إلى المخزومي باشا في كتابه («خاطرات جمال الدين») يكشف عن مدى قدرة السلطان عبد الحميد على فهم تيارات الغربيين ، وقدرته على ضرب مخططاتهم ، وضرب بعضهم . . ولقد قام السلطان عبد الحميد بإعلان تلك الصيحة المفرزة التي عجلت به . . وهي قوله : (يا مسلمي العالم اتحدوا) وكان هدفه أن يجمع المسلمين من هم خارج الدولة العثمانية (العرب والترك) تحت لواء الخلافة ، والوحدة . . وفزع الغربيون واليهود من ذلك فرعاً شديداً . . فقد مضى إليه بخطى حاسمة ، وحقق نتائج هامة . . ولقد كان عقلاً المجاهدين المسلمين يؤمنون بأن الحفاظة على الدولة العثمانية إحدى العقائد الإسلامية بعد التوحيد والنبوة . . ومن ذلك محمد عبده ، وشكيب أرسلان ، ورشيد رضا . . وغيرهم . . وقد كانت الدعوة الحقيقية هي محاولة لصلاح الدولة العثمانية من تحت مظلة الخلافة وتعديل تنظيمات الحكم دون إسقاط الدولة . . كان ذلك فهم أحرار العثمانيين والعرب جميعاً . . وقد كان هذا ممكناً . . لولا ذلك البعور الذي قامت به المسئونية والمسؤولية العالمية في سبيل تحطيم نفوذ السلطان عبد الحميد ، وإخلال نفوذ الاتحاديين أعواهم الذين تربوا في مخالفتهم ، والذين سلموا لهم في فلسطين ، وسلموا للإيطاليين في طرابلس الغرب ، وأدخلوا الدولة العثمانية الحرب العالمية الأولى ولا ناقة لها فيها ولا جمل حتى يحطمها ويقضوا عليها . كذلك فإن علاقة مصر والبلاد العربية بالدولة العثمانية لم تكن كما يدعون علاقة استهار . . فإن كلمة استهار لا تطلق إلا على النظام الغربي الحديث وإنما كانت علاقة ترابط تحت لواء الإخوة

الإسلامية ، واستعانت البلاد المستضعفة بالدولة القوية . . والمصريون ، والجزائريون وغيرهم هم الذين طلبوا من الدولة العثمانية الارتباط بها بخوفاً من تجدد ملامح الحرب الصليبية . ولاشك أنه من أكبر أخطاء الباحثين هو إعادة نشر ما جاء في الكتب المدرسية ، والدراسات التاريخية السابقة لظهور (بروتوكولات حكماء صهيون) عن السلطان عبد الحميد ، وتركيا العثمانية . وهذا كله زائف ومن صنع الصهيونية وأعواها من الموارنة . . أما اليوم . . فإن الرواية التاريخية المنصفة قد اتسعت ومن الظلم أن يقف الباحثون عند الحملات الكاذبة المضللة وتجاهل الرواية الصحيحة لإبعاد الواقع التاريخي . . لقد حلت كتب جرجي زيدان وأحمد أمين وغيره صورة مضللة زائفه للسلطان عبد الحميد ، وصورة براقة زاهية للاتحاديين الذين علقو العرب على المشانق ، ومكثوا للصهيونية ، وحطموا الدولة العثمانية . . وهم الذين تربوا في أحضان المحافظ الماسونية . . وعلى الباحث المنصف أن يرجع إلى الإضافات الجديدة التي ظهرت بعد الخمسينات والتي تكشف فساد ما كتبه جرجي زيدان وفارس نمر وسلام سركيس . والجديد يجلو الحقيقة . . فما كتبه جواد رفت ، ومحمد جميل بهم ، وعبد الله التل ، والعقاد ، وخليفة التونسي ، وعجاج نوري برض ، و توفيق برو . . فإن هذه الكتابات قد غيرت تلك الصورة الزائفه التي ما زال يعتمد عليها خصوم الإسلام . والقضية أن اليهود عندما أحسوا بأن السلطان عبد الحميد قد وقف في طريقهم نهائياً عملوا على تصفيته ، ومهماًوا بذلك باتهامه بالاستبداد والفساد ، وأذاعوا ذلك في صحف الموارنة في مصر مثل المقطم والهلال والمقططف وغيرها . ثم جاء أحمد أمين وأمثاله فنقلوا منهم . . لأن الحقائق لم تكن قد تكشفت بعد ، ولم تكن البروتوكولات قد ترجمت إلى العربية . . فلماذا هذا التزيف بمحب مرحلة من الحقائق ، والعودة إلى إذاعة ما قبلها من الضلال بإعلاء شأن مدحت وأتاتورك . . وهذا من هوى الخيانة والتبعية : إن أتاتورك في الحقيقة لم يكن مجاهداً ، ولا مصلحاً . . وإنما كان تتمة الاتحاديين . . لقد أخرروا دوره في المرحلة الأولى قبل الحرب ليتولى الدور الثاني . . فالاتحاديون أسقطوا الدولة العثمانية بأن أدخلوها الحرب لتصفي ماليها وجودها .

وجاء أتاتورك ليفرض عليها اللون الغربي ، وينقلها نقلة واسعة من دولة الخلافة الإسلامية إلى دولة علمانية تكتب بالحروف اللاتينية ، ويقاضي على الإسلام تماماً . . ومعاهدته السرية المعروفة التي عرفت بمعاهدة لوزان تكشف ذلك في وضوح ، وقد استطاع أتاتورك إخفاء وجهه الحقيقي حتى يودي دوره كاملاً . . فخدع المسلمين في المرحلة الأولى بالصلوة وإمساك المصحف . وطلب الدعاء منهم . أما دوره في الجهاد في أزمهير . . فقد كشفت الوثائق أنه كان زائفاً ، وأن غيره هو الذي قام بدور البطولة ، وأنه استلب منهم هذا المجد وحططهم ونسبه إلى نفسه . ولقد كان أتاتورك عبلاً غربياً كاملاً ، وعميلاً صهيونياً أصيلاً . . وقد أدى دوره تماماً ، وأقام تلك التجربة المظلمة المريرة التي تركت آثارها من بعد على العالم الإسلامي كله ، والتي كشفت الأحداث في الأخير فسادها ، وتبرأ الآراك المسلمين من تبعيتها ، وكانت ظاهرة عودتهم إلى الأصالة مرة أخرى . . وذلك دليل على أنها كانت تجربة زائفة مضادة للفطرة ولطبياع الأشياء . . والدليل أن المسلمين لم يتقبلواها . . بل رفضوها . . وقد كشف أكثر من مستشرق وفي مقدمتهم (هاماتون جب) أن العرب لن يقعوا في براثن هذه التجربة التي خرجت بهم من الأصالة وعن الذاتية الإسلامية .

ولقد كان من أكبر معالم اضطراب كمال أتاتورك أنه عندما أحسن بدنو أجله . دعا السفير البريطاني ليتولى بدلًا منه رئاسة الدولة التركية . . وكان ذلك من علامات الحسنة والنذالة والخيانة !!

وقد صفع المؤرخ العالمي أرنولد تويني التجربة الكمالية التي يفخرون بها ويعجذونها الآن بعد أن رفضها أهلها وحكموا بفسادها . . يقول تويني : إن الآراك كانوا عالة على الحضارة الغربية وأنهم تغربوا ولم يقدموا أي شيء إلى هذه الحضارة . . فكانوا عاجزين عن الإبداع في أي مجال من مجالات الإنتاج » .

والواقع أن مصطفى كمال أتاتورك لم يكن كما يدعي المدعون شيئاً جديداً . . ولمكنه كان حلقة في المؤامرة التي بدأها مدحت وكان وسطها رجال الانتماد والترق للقضاء على السلطان والدولة العثمانية . . ثم ختمها

أثاتورك بالقضاء على الخلافة الإسلامية ولا ريب أن انتفاض قدر الدولة العثمانية وحكامها بمحاجف لواقع التاريخ ، وهو من عمل أتباع التغريب ، والشعوبية ، وهو عمل ضمن مخطط يرمي إلى إثارة الخلافات والمحصومة بين عناصر الأمة الإسلامية ، ودعوة للواقعية بين العرب والترك والفرس . . . وهم عناصر الأمة الواحدة التي جمعها القرآن ، وقادها محمد صلى الله عليه وسلم وأتمنت بأنه لا إله إلا الله مهما كانت هناك من خلافات فرعية . . فإنهم جميعاً أمة واحدة . . ولو كان هناك قليل من الإنصاف والأمانة التاريخية لدى كتابنا المعاصر لراجع الكاتب ما كتبه استيوارت وهو غربي في كتابه (حاضر العالم الإسلامي قبل أربعين عاماً) وكيف تحدث عن عظمة الدولة العثمانية ، ودورها الذي قامت به في وجه الصهيونية الغربية . أما صيحة العناصر والأجناس التي حاول كاتب أخبار اليوم أن يجعلها قضية . . فإنها لم تكن كذلك في ذلك الوقت . . وإنما هي عقدة المؤامرة التي عمد النفوذ الأجنبي بها إلى استغلال صيحة القوميات لتفكيك عرى الدولة العثمانية . . أما المسلمين فلم يكونوا يعرفون مصرية وسورية وجزائرية وغيرها . . ولا كلمةعروبة نفسها . . ولكنهم كانوا مسلمين فحسب . . وإنما ظهرت هذه الدعوات إلى الإقليميات والقوميات بتحريض عناصر غير مخلصة لتفكيك عرى الوحيدة ، وهدم هذه الجامعة الإسلامية التي كان الغرب يخشاها ، ولإقامة قومية زائفه هي القومية الصهيونية .

والمعروف أن الأسلوب الذي اتّخذ في إسقاط السلطان عبد الحميد هو أسلوب لم يعرفه النظام الإسلامي في تاريخه كله . . وهو من صنع المؤامرة الصهيونية التلمودية التي استطاعت أن تخفي وتحرك هذا الخداع عن طريق قوة عسكرية تتحرّك هاتقة باسم السلطان ثم تكون في نفس الوقت متآمرة عليه لخداعه هدف غامض على كل الدين قاموا به ، ولا يعرفه إلا القليل . . وهو إعادة اليهود إلى فلسطين . . كذلك فإن ما قام به أثاتورك لم يكن نصراً عسكرياً أو سياسياً وإنما كان هناك إشارة بقبول التوجيه الغربي ، وتوقيع ملحق معاهدة لوزان . . وهو الذي فتح الطريق إلى كل شيء ، وبه حلّت جميع المشاكل . وانسحبت كل الجيوش ، وتحقق ما يسمى النصر ،

والاستقلال . . وكتبت على أثر ذلك آلاف الكتب في تمجيد البطل الذي لم يكن إلا عميلاً من عملاء الخيانة لحساب الصهيونية العالمية ، والذئب ذو الغربي ، والشيوخية أيضاً . . فإن الشيوخ عينهم أول من عاونه لقاء موقفه من عداء الإسلام . ولا شك أن الضربة التي وجهها أتاتورك إلى الخلافة الإسلامية قد فتحت صفحة خطيرة في تاريخ الإسلام الحديث ، وأن الدين فرحاً بذلك من كتاب يكتبون باللغة العربية سوف يرون أنهم كانوا غير بعيدون عن النظر في فهم الأمور ، وأنهم استمدوا ذلك الفرح من مشاعر حافلة باللقد والكرهية للإسلام ، وأن الخلافة الإسلامية عائدة لا محالة ، وأنها هي العنوان الحقيقي للجامعة الإسلامية وللتضامن الإسلامي ، وأنه لا سبيل إلى نهضة المسلمين إلا بقيام الخلافة الإسلامية . . ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله وعندها ستنكسر رؤوس الظالمين .

المعاهدة السرية التي عقدها أتاتورك والتي سميت شروط كرزن الأربع :
 ينص بروتوكول معااهدة لوزان المعقودة بين الحلفاء والدولة التركية عام ١٩٢٣ المعروفة بشروط كرزن الأربع على ما يلى :

- أولاً : قطع كل صلة بالإسلام .
- ثانياً : إلغاء الخلافة الإسلامية .
- ثالثاً : إخراج أنصار الإسلام من البلاد .
- رابعاً : اتخاذ دستور مدنى بدلاً من دستور تركيا القديم المؤسس على الإسلام .

* * *

الفصل الخامس

كتاب الإسلام وأصول الحكم

ليس من تأليف على عبد الرزاق بل من تأليف مرجليوث

كان السؤال عن دعوى على عبد الرزاق في كتابه (الإسلام وأصول الحكم) التي لا تزال قوى التغريب والغزو الثقافي والماركسيون والشعوبيون تجدد نشرها . . نلداع جماهير المسلمين عن حقيقة دينهم ، وإذاعة مفهوم الدين العبادي القائم على الروحيات والمساجد وإنكار حقيقة الإسلام . . يو صفة ديناً ومنبع حياة ، ونظام مجتمع . ويقوم الادعاء الخبيث الذي يشيره الاستشراق والشعوبية على أن في الإسلام مذهبين . . أحدهما يقول : بأن الإسلام دين ودولة . . والآخر يقول : بأن الإسلام دين روحي . . ويضعون على عبد الرزاق على رأس الفريق الذي يقول هذا القول . . والواقع أن الإسلام ليس فيه غير رأي واحد . . هو الرأي الأول . . وأن ما ذهب إليه على عبد الرزاق عام ١٩٢٥ م لم يكن من الإسلام في شيء . . ولم يكن على عبد الرزاق نفسه إماماً مجتهداً . . وإنما كان قاضياً شرعاً تلقفته قوى التغريب فاصطنعته تحت اسم (التجديد) ودعى على عبد الرزاق إلى لندن لحضور حلقات الاستشراق التي تروج للأفكار المعاصرة لحقيقة الإسلام وفهم مقوماته . . وأهدى هذا الكتاب الذي وضع عليه اسمه مترجمًا إلى اللغة العربية وطلب إليه أن يضيف إلى مادته بعض النصوص العربية التي يستطيع اقتباسها من كتب الأدب . أما الكتاب نفسه فكان من تأليف قرم من أفراد الاستشراق ، وداهية من رجال الصهيونية واليهودية العالمية . . هو (مرجليوث) الذي تقضي الصحف أن يكون صاحب الأصل الذي نقل عنه طه حسين بحثه عن (الشعر الجاهلي) والذي أطلق عليه محمود محمد شاكر (حاشية طه حسين على بحث مرجليوث) ويمكن أن نطلق الآن اسم

(حاشية على عبد الرزاق على بحث مرجليوث) ، وقد كشف هذه الحقيقة الدكتور ضياء الدين الرئيس في بحثه (الإسلام والخلافة في العصر الحديث) .

وهكذا نجد أن السفوم المثارة في أفق الفكر الإسلامي توضع أساساً من رجال التغريب . . ثم تختار لها أسماء عربية لتحمل لواءها وتذيعها . . إيماناً بأن الاسم العربي أكثر تأثيراً ، وأبعد أثراً في خداع المجاهير .

ولقد طالما تحدث التغريبيون عن كتاب (الشعر الجاهلي) و (الإسلام وأصول الحكم) على أنها دعامة المبضة في الفكر الحديث . . ونحن نرى أنها دعامة التغريب التي حاولت خداع جاهير المسلمين عن حفائق الإسلام العظيم .

ومن أن حركة اليقظة الإسلامية واجهت كتاب على عبد الرزاق المنشور وفندت فساد وجهه وأخطائه . . فإن قوى التغريب لا تزال تعيد نشره وطبعه ، مع مقدمات ضافية يكتسبها كتاب مصلحون شعوبيون يخدعون الناس بألقابهم وأسمائهم . . وهم يجدون في هذه الفترة التي يرتفع فيها صوت تطبيق الشريعة الإسلامية . . والدعوة إلى الوحدة الإسلامية مناسبة لنفث هذه السفوم مرة أخرى . . ولن يجد بهم ذلك نفعاً . . فإن كلمة الحق سوف تعلو وتنشر وتذبح بباطل المصلحين مهما تجمعوا له وقلمواه في صفحات برقة مزخرفة ، وأساليب خادعة كاذبة . إن أول من كشف حقيقة الكتاب هو الشيخ محمد نحيت (الذي رد على الشيخ على عبد الرزاق في كتابه (حقيقة الإسلام وأصول الحكم) وهو واحد من الكتب التي صدرت في الرد عليه . . حيث قال :

(لأنه علمنا من كثيرون من يترددون على المؤلف أن الكتاب ليس له إلا وضع اسمه عليه فقط ! . فهو منسوب إليه فقط . . ليجعله واصعوه من غير المسلمين ضحية هذا العار ، وأليسوا ثوب الخزي إلى يوم القيمة) : قد علق الشيخ على عبد الرزاق على هذا المعنى حين قال للماركسيين الذين اتصلوا به سنة ١٩٦٤ لإعادة طبع كتابه أن هذا الكتاب كان شوئماً عليه ، وقد ألمع به كثيراً من المتابع والشبيهات . . والحقيقة أنه بعد أن طرده

الأزهريون من (هيئة العلماء) ظل منسياً ومهجوراً وعاش بقية حياته منقطعاً عن الحياة العامة . . بالرغم من أن محاولات جرت لإعادته إلى زمرة العلماء ، وإلى مجتمع اللغة . . فقد كان أشهى باللعنة على حياته كلها . ومن هذا الخيط الرفيع بدأت محاولة الدكتور ضياء الدين الرئيس فاستطاع أن يصل إلى الحقيقة بأنَّ كاتب الكتاب في الحقيقة هو مستشرق إنجليزي يهودي الأصل شن المجموع على الخلافة . . لأن بلاده (بريطانيا) كانت في حرب مع تركيا . . وقد أعلمن الخليفة العثماني الجنادلاني ضدَّها . . والنصول في الكتاب قاطعة بأنه كان موجهاً ضدَّ الخلافة العثمانية . . فإنه يذكر بالاسم (السلطان محمد الخامس) الخليفة في ذلك الوقت الذي كان يسكن (قصر يلدز) وهناك نص آخر عن (جماعة الاتحاد والترقى) وهى التي كانت تحكم تركيا . . أى دولة الخلافة طوال أعوام الحرب العالمية الأولى . . ونقول : أن الاتحاديين تلاميذ الماسونيين ، وقد تربوا في مخالفتهم واعتنقوا شعارهم ومقاهيهم ، وقاموا بدور مسموم وهو فتح باب فلسطين أمام اليهود المهاجرين . . وكان السلطان عبد الحميد قد رفض ذلك ، وكانوا هم . . أى الاتحاديون أدلة الصهيونية العالمية في إسقاط هذا السلطان الشهيد . .

وربَّع الدكتور ضياء الدين الرئيس أن مرجليوث اليهودي الذي كان أستاذًا للغة الغريبة في أكسفورد ببريطانيا هو كاتب الكتاب . . لأنَّ آراء الكتاب هي آراءُه التي كتبها من قبل عن الدولة الإسلامية ، وفندها الدكتور ضياء الدين الرئيس في كتابه (النظريات السياسية في الإسلام) وأثبت خطأها وبطلانها بالأدلة العلمية . . وهو يكتب عن الإسلام ببراعة حقد شديد ، ويتسم أسلوبه بالغالطات والمعلومات المضللة ، والقدرة على التمويه . . كما يتصف باللتواء . . وهذه الصفات كلها تظهر في هذا الكتاب المنسوب إلى الشيخ عبد الرزاق . . والمعروف أنَّ الشيخ على عبد الرزاق ذهب إلى بريطانيا وأقام فيها عامين . . فلا بد أنه كان متصلًا بالستير مرجليوث ، أو تتحمَّل عليه ، . . وكذلك توماس أرنولد الذي يشير إليه الشيخ ويصفه بالعلامة قد ألف كتاباً عن الخلافة هاجم فيه الخلافة بوجه عام ، والعمانية بوجه خاص . . وقد نقدناه (القول للدكتور الرئيس) في كتابنا (النظريات السياسية

الإسلامية) . والقصة تتلخص في أنه إبان الحرب العالمية الأولى والحروب دائرة بين الخليفة العثماني وبريطانيا . أعلن الخليفة الجهاد الديني ضد بريطانيا ودعا المسلمين أن يهواوا يحاربواها ، أو يقاوموها . وكانت بريطانيا تخشى غضب المسلمين المندوب بالذات أو ثورتهم عليها . في هذه الفترة كلفت الخبراء البريطانيين أحد المستشرقين الإنجليز أن يضع كتاباً يهاجم فيه الخليفة وعلاقتها بالإسلام ، ويشوه تارikhها لهم وجودها ومقامها ونفوذها بين المسلمين . وقد استخدمت السلطات البريطانية هذا الكتاب في الهند وفي غيرها . وبعد أن انتهت الحرب كان الشيخ عبد الرزاق قد اطلع على هذا الكتاب أو غير عليه . هذا إن لم يفرض أن هذا كان باتفاق بينه وبين هذا المستشرق الذي اتصل به حينما كان في إنجلترا أو في بعض الجهات البريطانية التي كانت تعمل في الحفاء للقضاء على فكرة الخليفة ، أو التي تحارب الإسلام . فأخذ الكتاب إلى اللغة العربية ، أو أصلح لغته إن كان بالعربية ، وأضاف إليه بعض الأشعار أو الآيات القرآنية التي تبدو أنها لم تكن في أصل الكتاب ، وبعض الهوامش والقرارات ، وأخرجه للناس على أنه كتاب من تأليفه . ظناً منه أنه يكسب شهرة ، ويظهره باحثاً علمياً ، ومتفسفاً ذي نظريات جديدة . غير مدرك ما في آرائه أو في ثنياه من خطورة . . ولا يستغرب هذا لأنه لم يدرك أن إنكار القضاء الشرعي هو إنكار لوظيفته نفسها وعمله ، وإلغاء لوجوده . وكانت هذه هي البدعة السائدة في ذلك الوقت بين كتاب (السياسة) جريدة من أسموا أنفسهم (حزب الأحرار الدستوريين) . وهذا هو الذي فهمه (أمين الرافعى) فكتب في جريدة الأخبار أنه لم يستغرب أن يقدم الشيخ على عبد الرزاق على إصدار هذا الكتاب . لما عرف عنه من الصعف في تحصيل العلوم ، والإلحاد في العقيدة . . ثم قال : هذا إلى أنه انغرى مذسن في بيته ليس لها من أسباب الظهور سوى الافتئات على الدين ، وتقىص أثواب الفلسفه والملحدين ، وصار خليقاً باسم (الأستاذ الحق) والعلامة الكبير .

ولم يعرف الأستاذ الرافعى أن المؤلف الحقيقي ربما كان غير الشيخ عبد الرزاق . ولكن كلامه يكاد يكون إثباتاً لذلك . وهناك قرائين أخرى :

أولاً : ذكر اسم كتاب مترجم عن التركية طبعة عام ١٩٢٤ . . بينما هناك فقرة تنص على أن تاريخ التأليف قبل عام ١٩١٨ . . وأنها ذكرت اسم السلطان محمد الخامس . . وقيل في المامش أنه كتب في عهده . . وأقرب تفسير لذلك أن الكتاب ليس من تأليف شخص واحد .

ثانياً : يتحدث المؤلف عن المسلمين كأنه أجنبي عنهم وهم منفصلون عنه . . فيذكرهم بضمير الغائب ولا يقول عندهنا . . أو العرب . . أو نحو ذلك . . كما يقول المسلم عادة .

ثالثاً : يكرر الشيخ عبد الرزاق عبارة : عيسى وقيصر (مرتبة . . . ويكسر هذه الجملة التي يسمها الكلمة البالغة (دع ما لقيصر لقيصر وما لله الله) مع أن أي مسلم صحيح الإسلام لا يمكن أن يؤمن بهذا التعبير . . وأن قيصر وما لقيصر لله رب العالمين .

رابعاً : يتعاطف مع المرتدين الذين خرجو على الإسلام . . وشنوا الحرب على المسلمين . . فيدافع عنهم . . في نفس الوقت الذي يحمل على رأي أنى بكر الصديق المسلم الأول بعد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فينكر خلافته . . ويقول أن محاربته لهؤلاء المرتدين لم تكن حرباً من أجل الدين . . ولكن نزاعاً في ملوكية ملوك ولأنهم (رفضوا أن يتضموا الوحدة إلى بكر) وما هي وحدة أبي بكر يا عدو أبي بكر والإسلام . . أليست هي وحدة المسلمين . . ويقول (حكومة أبي بكر) أو ليست هي حكومة الإسلام والمسلمين . . ويتكلم عن أبي بكر هكذا بغير احترام أو تبجيل . . كأنه رجل عادى . . أو كما يتكلم عدو .

هل هذا هو أسلوب المسلم . . فضلاً عن الشيخ . . في الكلام عن الصحابة . . وعن أفضل الناس وأحبيهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وخير من دافعوا عن الإسلام ، وجاهدوا في سبيل الله عز وجل .

خامساً : أن الأسلوب الذي كتب به الكتاب أسلوب غريب . . ليس مألوفاً في الكتب العربية . . فهو أسلوب مناورات ومراؤفة ، ويتصرف بالالتواء واللطف والدوران . . فهو يوجه الطعنة أو يلقي بالشبة . . ثم يعود فيتظاهر بأنه ينكرها ولا يوافق عليها ويفلت منها . . ثم ينتقل ليقذف بشبهة

أو طعنة أخرى على طريقة (اخرجوا هرباً) . وحين يهاجم بصوغ عباراته في غموض . . وهذا يدل على أسلوب رجل سيامي متصرن في المخاورة والخداعة . . وهو أشبه بالأسلوب الأفرينجي ، وأسلوب الدعايات السياسية ، أو الدينية التبشيرية . . وليس هو أبداً الأسلوب العربي الصريح . . فضلاً عن أسلوب أحد الشيوخ المُتعلمين في الأزهر . . وهذا مما يغلب الرأي بأنه كتاب مترجم .

سادساً : لم يعرف عن الشيخ على عبد الرزاق - من قبل - أنه كان كاتباً تمرس في الكتابة ، ومرن على التأليف . . فيكتب بهذا الأسلوب ، ويعتمد الطعن في الإسلام وتاريخه وعظامه رجاله .

ولم يعرف للشيخ كتاب أو مقالات قبل هذا الكتاب (أى في السياسة والتاريخ) بل كل ما كتب من قبل كان (كتيباً) في اللغة أو في علم البيان وهذا كل إنتاجه في أربعة عشر عاماً بعد تخرجه من الأزهر . . ثم بعد أن كتب هذا الكتاب ظل أربعين عاماً لم يكتب كتاباً آخر في نفس موضوعه أو مثله ، ولم يحاول أو لم يستطع حتى أن يدافع عن نفسه ويرد على خصومه بكتاب آخر .

سابعاً : هناك من القرائن والأدلة العديدة ما يدعو العقل إلى أن يرجح صحة الخبر الذي رواه فضيلة المفتي الشيخ محمد بخيت نقلًا عن كثيرين من أصحاب الشيخ على عبد الرزاق المتربدين عليه من أن مؤلف الكتاب شخص آخر من غير المسلمين . . وقد غلبتنا نحن أنه أحد المستشرقين . . ولكننا ننفي هذا الخبر بأن الشيخ قد أضاف بعض فقرات وتعليقات ، وأنه هو الذي أورد الآيات من القرآن . . الظاهر أنها محسورة . . مجموعات في مكان واحد ، وأبيات الشعر التي استشهد بها . . كما كتب المقدمة التي زعم فيها أنه بدأ البحث في تاريخ القضاء منذ سنة ١٩١٥ . . وذلك ليغطي المفارقة الظاهرية بين وضوح الكتاب ووقت صدوره . . فإنه من غير المعقول أن يستغرق تأليف كتيب لا يزيد عن مائة صفحة عشر سنوات .

ثامناً : كانت هناك أسباب ودوافع مختلفة دفعت الشيخ إلى إصدار هذا الكتاب . . ولكن كان أقوالها في نهاية الأمر حب الظهور والرغبة

فـ الشـهـرـةـ ، وـ أـنـ يـوـصـفـ بـاـنـهـ باـحـثـ أـوـ مـحـقـقـ أـوـ مـجـدـ . . . كـمـاـ فـعـلـ غـيـرـهـ منـ قـبـلـ . . وـ نـخـنـ مـعـرـفـ أـنـ مـسـأـلـةـ اـنـتـهـالـ الـكـتـبـ أـوـ عـدـمـ الـأـمـانـةـ فـ نـسـبـةـ الـأـمـوـرـ وـ الـمـعـلـقـاتـ مـسـأـلـةـ مـأـلـوـفـةـ فـ الـشـرـقـ . . وـ لـاـ سـيـاـنـ فـ النـقـلـ مـنـ الـكـتـبـ الـأـجـنـيـةـ .

وـ فـيـ مـثـلـ هـذـهـ مـسـائـلـ بـالـذـاتـ . . فـإـنـ هـذـهـ الـحـالـةـ أـسـهـلـ . . لـأـنـ النـقـلـ أـوـ الـتـرـجـمـةـ مـنـ كـتـبـ مـجـهـوـلـ . . أـوـ كـانـتـ الـمـسـأـلـةـ بـتـصـرـيـحـ أـوـ اـتـهـاـقـ لـخـدـمـةـ ضـرـبـينـ فـالـطـرـفـ الـأـوـلـ يـرـيدـ نـشـرـ آـرـائـهـ لـغـاـيـاتـ سـيـاسـيـةـ وـ دـيـنـيـةـ وـ الـطـرـفـ الـثـانـيـ لـهـ مـأـرـبـ سـيـاسـيـ أـيـضـاـ . . وـ لـكـنـ الـدـافـعـ الـذـانـيـ أـنـ يـرـيدـ الشـهـرـةـ أـوـ الـظـهـورـ أـوـ الـغـرـورـ » ١.٥.

من تقرير هيئة كبار العلماء في كتاب (الإسلام وأصول الحكم)

والخلاصة أنه إذا رجعنا إلى هدف الكتاب الحقيقى وجدناه يتمثل في الخفافيش التالية كما فصلها تقرير هيئة كبار العلماء .

أولاً : جعل المؤلف الشريعة الإسلامية روحية محسنة . . لا علاقة لها بالحكم والتنفيذ في أمور الدنيا مع أن الدين الإسلامي على ما جاء به النبي (صلى الله عليه وسلم) من عقائد وعبادات ومعاملات لصلاح أمور الدنيا والآخرة ، وأن كتاب الله تعالى وسنة رسوله (صلى الله عليه وسلم) كلاماً مشتملاً على أحكام كثيرة في أمور الدنيا ، وأحكام كثيرة في أمور الآخرة .

ثانياً : زعم أن الدين لا يمنع من أن يجهاد النبي (صلى الله عليه وسلم) كان في سبيل الملك . . لا في سبيل الدين ، ولا لإبلاغ الدعوة إلى العالمين .

ثالثاً : زعم أن نظام الحكم في عهد النبي (صلى الله عليه وسلم) كان موضع غموض وإبهام ، أو اضطراب أو نقص ، وموجباً للحرارة .

رابعاً : زعم أن مهمة النبي (صلى الله عليه وسلم) كان بلاغاً للشريعة . . مجرد أمن الحكم والتنفيذ .

خامساً : أنكر إجماع الصحابة على وجوب نصب الإمام ، وعلى أنه لا بد لسلامة من يقوم بأمرها في الدين والدنيا .

سادساً : أنكر أن القضاء وظيفة شرعية . . وقال : إن الذين ذهبوا إلى أن القضاء وظيفة شرعية جعلوه متفرعاً من الخلافة .

سابعاً : زعم أن حكومة أبي بكر والخلفاء الراشدين من بعده (رضي الله تعالى عنهم) كانت لا دينية .. وهذه جرأة لا دينية ..

وهكذا تكشف تلك المؤامرة الخطرة التي استغلها الاستشراق وبعض التغريبيين خصوم الشريعة الإسلامية للقول بأن هناك رأيين .. بينما لا يوجد غير مفهوم واحد .. هو أن الإسلام دين ومنهج حياة ونظام مجتمع .. وأن ما قال به على عبد الرزق هو وجهة نظر الاستشراق الصهيوني التلمودي المدام .. وأنه ليس رأى أى مجتهد أو علم أو إمام في الإسلام .. وأن على عبد الرزق لم يكن إلا مضللاً أو مخدوعاً ..

* * *

الفصل السادس

الذاتية الإسلامية و معركة المحافظة عليها

كان السؤال المثار عن كائن الإعلام التغريبي والماركسي والصهيوني المطروحة في أفق المجتمع الإسلامي عن طريق الفن والمسرح ، والأكاذيب التي تثيرها دوائر خارجية كثيرة عن الانفصال السكاني ، ومؤتمر الشهال والجنوب وتحديد النسل وتزويرات التاريخ والسياسة فيها يتعلّق بالإيقيميات والقوميات بهقصد إخضاع المسلمين لفاهيم مفروضة وافدة تهدف لها رأسالية صهيونية ، تقوم على منعطف تفاصيل إمبراطورية الربا العالمية التي لا تحدّ أمّاها وسيلة لتحقيق هدفها إلا إغراق المجتمع الإسلامي في أحوال (الفن) يفهمه الزائف والهابط على النحو الذي نراه هادماً لكل مقومات الأخلاق في الأمة ، والمحطم للقوى الحية القادرة على حمل لواء المقاومة في مواجهة أخطار الغزو العالمي الذي يهدف إلى احتواء عالم الإسلام : أهله وعقائده وخيراته وثمراته جمياً وتقدّمها هدية سائفة لعصبة الألف مليونير عالمي يهدى المسيطرین على الاقتصاد العالمي ، والذين يحولون بكل قوامٍ دون امتلاك المسلمين إرادتهم وقسرُهم ، وإقامة مجتمعهم الرباني واقتصادهم الإسلامي ومن ذلك فإن أكبر عملية تمويه قامت بها الحضارة الغربية هي محاولة تصوير الإضحاك والرقص وفنون العري والكشف والإباحية المتمثلة في المسرح والسينما على أنها (فن رفيع) أو (فن مقدس) كما تجري على بعض ألسنة دهاقنة هذا الاتجاه من عصبة المجان القديمة . . والقول بأن هذا (الفن) له أصوله العلمية ، وضوابطه الدقيقة التي يخرج فيها المخرجون والممثلون من جامعات متخصصة ، والتي يتقى فيها البعض بأطروحتات دكتوراه . . فهناك مع الأسف الشديد في بلادنا الآن دكتوراه في الرقص الإيقاعي ودكتوراه في المسرح الإباحي ودكتوراه في الديكور الفاضح والإخراج المكشوف . . كأنما هذا الفساد

والتهريج البالغ حده من الأذاعات لا بد أن يرتفع ويرتفع حتى يصبح فناً عالياً
وعلماً رفيعاً على أيدي دعاته من المسؤولين والصهيو-نيين والإباحيين فيها وراء
البحر الذين يتلقون أبناءنا ويصررونهم في هذه البوتفة . . . وقد خالت هذه
الأباطيل المصلحة على قومنا فصدقواها ، وكان عليهم أن يكونوا أكثر حنكة
وحكمة . فلا يسقطوا هذه السقطة الشنيعة ، وأن يعلموا أن هذا لون من الخداع
والغلوية البالغين حد الفساد والإفساد . . . أما الذين يعلمون ذلك ولا يعلموه
للناس فإن عليهم غضب من ربهم وحساب عسير !

وأنت إذا قرأت الصحافة العربية من أقصى العالم العربي إلى أقصاه تحس
أن هناك كتاباً يخضعون لخطط المسئولية وبروتوكولات صهيون ، وينفذون
بدقة هذا الهدف المركوز على الفن ، وتحس كأن المسلمين والعرب قد
استسلموا للغزو الغربي ، وأنهم ينصرفون في العالمية والأمية ، وأنهم يتذمرون
عن ذاتهم الخاصة التي صاغها الإسلام والتوحيد والأخلاق رويداً رويداً ،
وأنهم مقبلون على انصهار كامل في بوتفة التغريب .

وأن تلك القوى التي فرضت تلك التحولات في المجتمعات تركيا وإيران ،
والتي فشلت في تغريب هذه البلاد الإسلامية ، ما تزال تجدها محاولاً لها بلا يأس
في العالم العربي ، وتحس أن سعوم المسرح والرقص والغناء ومفاهيم مصلحة
حول الفلكلور والدراما وغيرها من الشعارات الزائفة والمسومة الوفادة
ترحف وتسيطر كأنها حقائق ، وتقدم للناس كأنها علوم .

وأخطر من هذا أن المفاهيم المسومة الخطيرة تقدم الآن للMuslimين على أنها
نقد ومعارضة لواقع موجود بينما هي تطرح مفاهيمها لتدخل التفوس من باب
خفي !

والسؤال هو : هل يمكن أن يستخدم كل هذا النتاج الحضاري في معارض
من يحث الله تبارك وتعالى وفي معرضه . . . هذا النتاج الذي يتمثل في هذه الأبراج
الصناعية من التليفزيون والسينما والإذاعات . . . وهذه الأجهزة المستحدثة
التي تدار بالعقل الإلكتروني وكل الأساليب .

إن من يقرأ ما أورده بروتوكولات صهيون لا يستغرب ما يجري
تفصيله من خطط مسموم :

(سلبي الجماهير بأنواع شتى من الملاهي والألعاب ملء الفراغ . . . وسندعو الناس للدخول في مجالات شتى في كل أنواع المشروعات . . كالفن والرياضة ومسابقات ملوكات الجمال وغيرها . . وسنشر بين الشعوب أدباً مريضاً قدرأً تشمئز منه النفوس . . ويساعد على هدم الأسرة ، وتدمر جميع مقومات الأخلاق للمجتمعات المعادية لنا ، . . وستستمر في الترويج لهذا الأدب وتشجيعه حتى بعد فترة قصيرة من الاعتراف بحكمها) .

وشر هذا كله هو جهاز التليفزيون الذى استطاع بخلال تواجده في كل بيت أن ينفث سمومه في الملتقطين حوله ، وأخطر من هذا أجهزة الفديو وما تقدم من أفلام سرية صارخة تفسد أخلاق الشباب الغضى والفتيات العفيفات حين تقدم لهم — ليس الحياة الزوجية المدعاة في الأفلام — ولكن العملية الجنسية نفسها . وبالرغم من أن الفطرة الإسلامية الصافية ترفض هذا الزيف الذى يقوم باسم فن المسرح أو السينما . . فإن هنالك محاولات يائسة لربط هذين الفنانين بالوجودان العربى الذى لا يرى في هذا كله إلا أنه وسيلة للتسلية والإصلاح . . ولكنه يغفل عن الآثار التى يتركها في أعماق البنفس . . وفي الحوار ، وفي التصرف اللا إرادى . . ذلك أن ما يقدم ليس هو أصيل ، ولا موجه وجهاً الخبر ، أو الارتفاع بالناس عن مستوى الإقداع والطفولة البشرية ، ولا يشكل واقعاً حقيقياً . . فالحوار هابط فاسد وبعيد عن المستوى الأخلاقى ، ولا يقدم إلا الأفلام المثيرة ، والمسلسلات المابطة التي يراد بها إعطاء الجماهير شحنة أكبر من الإثارة ، وتشويه التراث والتاريخ ، والبالغة في إصحاح القارئ ، أو المبالغة في تصوير المأساة . . وهي في نفس الوقت تقدم وجهاً نظر العدو تقدىماً واسعاً يعلى من شأن قيمه وينظره في مظهر القوة . . بينما يظهر العرب والمسلمين في موقف المتردى ! !

ولقد استطاعت الصهيونية العالمية التي أحكمت قبضتها على الفنون العالمية لتحقيق أهدافها أن تقدم إلى الصف الأول (بيكت ويونسكتو) في فلسفة جديدة للفن ترى أن كل شيء مضمحل مزدوج ، وأن هناك إحساساً باليأس لكون العالم سريع الزوال ، وأنه ليس هناك شيء بهم ، . . وشيء واحد فقط هو الذى يظل ماثلاً في الواقعى بكل جده : المترقب المستمر ، والغربة والubit :

ولسنا نحن في عالمنا العربي الإسلامي في حاجة إلى هذه الفنون المدمرة . . .
بل نحن في حاجة إلى فنون ترقى الذوق ، وترفع من قدر الدعوة إلى العمل .
والوحدة والكرامة والعفاف ، والأمل الكبير في إطار العقيدة .

أما الدعوة إلى تفاهم الكون والوجود الإنساني على النحو الذي تطرحه كتابات المسرحيين الجدد ، وهذه الصور الفائمة البائسة ، وذلك الصراع والاستخدام المنهي . . فهى ليست صورة مجتمعنا الإسلامي الأصيل . .
ولكنها من عوامل تدميره وتمزيقه وإفساده .

إذا كان المفهوم المسرحي والفكى في الغرب يرمى إلى القول : بأن
الإنسان لا حرية له ، وأن مصيره مصنوع سلفاً ، وأن صراعه مع القوى
التي لا يراها من أجل أن يحصل على الحرية تبوء دائمًا بالفشل . . فليس
هذا مفهوم الإسلام . . فنحن نؤمن بتلافي قدرة الله تبارك وتعالى وإرادة
الإنسان في انسجام وتوافق من أجل أن تكون خطوات الإنسان أكثر ثباتاً ،
ونظراته أشد سداداً ، وأن الله تبارك وتعالى لا يدع الإنسان في يأسه . .
ولكنه مع إليه يده في الساعات الحالكة ليرفعه إلى آفاق الأمل ، ويبصره
بالطريق الذي يجب أن يسلكه ، وإن مع العسر يسراً ، وأن هناك الفرج
بعد الشدة .

هذه هي مفاهيمنا ، وعليها أن لا تنسينا هذه الموجة العاصفة إياها لحظة
واحدة ، وأن نقف من هذه الفنون : تمثيلاً . . ورقصًا . . وغناء . . موقفاً
واضحاً في أسرنا وبيوتنا ، وأن لا نندفع وراءها فتفسد فطرتنا وتذهب
أصالتنا .

إن المعركة اليوم بين المسلمين وللقوى التي تتكاشف لاحتواهم هي
معركة تأكيد الذات أو المحافظة على الذات أو حماية الذات : (الذات الإسلامية)
التي كونها القرآن الكريم خلال أربعة عشر قرناً من الانهيار والتدحرج
والجمود والمداخلة ، من الانصهار في الفكر البشري الأعمى .

إن المحافظة على الذات الإسلامية اليوم فريضة من فرائض العقيدة . .
بعد أن تبين أن المدف الحقير وراء المؤامرة التي تقودها القوى العالمية
هي (تدويب المسلمين) في الكيان الأعمى والعالمي عن طريق ثلاث عبارات

خدعت الكثيرين . وأصبحت تجري على ألسنتهم في سهولة ويسر . دون تقدير للأبعاد الخطيرة التي ترمي إليها .. وهي : الانفتاح الشفافي – التلقيح الشفافي – إثراء الفكر .. وكل كلمة من هذه الكلمات إنما ترمي إلى قبول أو شاب الفكر البشري الذي عرفته البشرية في عصر طفولتها ، والذى تعيد التلمودية صياغته من جديد ، وإدخاله في المجتمعات الإسلامية هدمها وتدمرها .

وليست هذه التعليلات إلا الأساطير والوثنيات ، وعلم الأصنام اليوتاني القديم .. أما العلوم والتكنولوجيا التي نحن في حاجة إلى نقلها من الغرب فهي محورية عنا ، ولا تدخل في هذه الدائرة مطلقاً، لأنهم ينطليون إلى تغيير الموربة الإسلامية باقتناص فرائس من أبنائنا تحت اسم التبادل الشفافي والمتاح الدراسي .. لصهر هذه الأجيال في بوتقة الفكر الأعمى تحت اسم الحضارة العالمية ، والثقافة الحديثة دون أن يتبيّن هذا الشباب الغض الذي تتفصّه خلفيه إسلامية واعية ، عالمه برسالة الإسلام الحقيقة ، ومحاذير الأخطر التي يتعرّض لها المسلمون .. دون أن يتبيّن هذا الشباب تلك الأخطر ، يغريه بها بريق زائف ، وهو متبوع ، وشهوات ومطامع .

وما زال قضية المرأة هي أكبر قضايا التغريب التي ترتكز عليها محاولات ضرب الأمة الإسلامية في صميم عزّها وشرفها ، وعرضها وكرامتها .. وذلك بالشخصية بالأسرة المسلمة والأطفال وهناء البيت ، من أجل دفع المرأة إلى آفاق مضليلة تحت اسم (حرية المرأة) . إن التجربة معروضة اليوم أمام المفكرين للنظر فيها على نحو منصف .. هل يستحق هذا الفتات تصفيق أجيال الشباب والفتيات جيلاً بعد جيل من أجل استمرار المرأة في غواية العمل في سبيل قروش قليلة يدعى أنها تساعد الرجل في مصر وف البيت بأهله وأين هو الرجل ذو الكرامة الذي يقبل أن تقدم له زوجته ما يعيشه على أداء مسئوليتها ؟ إن أغلب هذا المال ينفق في زينة المرأة ومصاريف انتقالها ، وفي تفاهات الترف المترتب إلى لا تقدم ولا تؤخر .. وما زال قضية المرأة وإغرائها وإخراجها من بيتهما إلى المحافل والمرافق ، من الأعمال التي ترتكز عليها المؤامرة : موامر الفن والإضحاك والتسلية .. لتمكّن الحلفة

في تدمير الأسرة وإنماج ذلك الجيل الذي ترعاه الخادمات والحاضرات ،
والذى ينشأ فاسياً . لأن رحمة الأمهات لم تدركه . . . ويعيش حياة مضطربة
في قابل أيامه نتيجة ما يحمله صدره من الحقد واللزف والجفاف .

إن الخطر كله يكمن وراء محاولة تغيير هوية المسلمين عن طريق أجهزة
ضخمة تصب السمو يوماً بعد يوم وساعة بعد ساعة :

* * *

الفصل السابع

مِصْرُ عَرَبِيَّةُ إِسْلَامِيَّةٌ محاولات للقضاء على الانتماء العربي الإسلامي

كانت التساؤلات كلها تدور حول يوميات كتاب الصحف اليومية وما أثاره لويس عوض وتوفيق الحكيم والسيد ياسين من وجوه النظر حول علاقة مصر بالتاريخ العربي والإسلامي ، وبالدولة العثمانية والغرب ، ومحاولة تصوير مصر على أنها شخصية فرعونية غارقة في الوثنية أو منحازة إلى الغرب . وتجاهل هذه الدراسات أن الإسلام هو الذي صنع الشخصية المصرية منذ أربعة عشر قرناً وأن التاريخ وعلماء التاريخ قد أعلنوا بما لا احتاج إلى مزيد من الإيضاح . سواء منهم الغربيون أم العرب ، أنه قد حدث انقطاع حضاري جب كل ما كان قبل دخول مصر في الإسلام ، وأن تاريخاً ضمماً طويلاً استمر أكثر من ألف سنة من تاريخ اليونان والروماني في هذه المنطقة من الشام إلى مصر إلى إفريقيا كل هذا التاريخ بتراثه ولغاته ومفاهيمه وقيمه قد أصبح في خبر كان بعد دخول الإسلام بقرن واحد فقد اعتنقت المنطقة كلها الإسلام . . اعتنقها المسلمون دينًا واعتنقها غير المسلمين حضارة وثقافة وعادات . وقد أشار كرومر إلى هذا المعنى حين قال : إن المسلمين والمسيحيين يصدرون عن أساس أخلاقي واجتماعي واحد مع طول التأثير . ولكن إخواننا ينسون هذه الحقيقة الواضحة ويناقشون الشخصية المصرية على أنها شخصية منعزلة لم يصنعها القرآن أو الثقافة الإسلامية أو الفكر الإسلامي أو اللغة العربية ، وينسون أن المنطقة كلها هجرت لغاتها القدمة بعد قرنين من دخول الإسلام إليها ، كذلك فقد كان الإسلام ولا يزال روح المجتمعات وشارع الحضارة ووقود الحركات الوطنية والتحريرية ، ولقد كانت الدعوات إلى الإقليمية والقوميات واحدة الفكر والمخرج .

ولذلك سرعان ما عجزت عن تحقيق أشواق النفس العربية الإسلامية ، وستظل هذه الظاهرة الإسلامية الفكرية والاجتماعية أساساً مكيناً وحصيناً حصيناً للشخصية المصرية ما عاشت .. لأنها عميقة الجذور من ناحية ولأنها منصرفة فيها انصهاراً عضوياً يعجز خصوم الإسلام عن القضاء عليه .

إن الدكتور لويس عوض لا يستطيع أن يخرج عن التفسير الفواعدي الوثني الذي سار عليه في كل كتاباته وعرف به ومن ثم فقد أصبح في تقدير الباحثين غير منصف ولا راغب في معرفة الحقيقة الحاصلة لوجه الحق وحده .

ولقد جاءت تساولات عن محاولة توفيق الحكم في تحديد مصر عن البلاد العربية وعراها ، والدعوة إلى جعلها فندقاً عالمياً سياحياً يقدم للوافدين من كل مكان المتعة والترفيه ، وكان في ذلك مشاركاً للدكتور لويس عوض في تحطيم دور مصر العالمي الذي عاشت تقوم به في مواجهة التيارات الغازية والغزوat الطاغية التي واجهت عالم الإسلام ، وكان لها دورها الخطير في رد هذه الغزوat وحماية عالم الإسلام وحماية الغرب نفسه كما حدث في الأعصار التبرى وفي الحروب الصليبية وفي الاستعمار الغربي الحديث ، وسوف يكون لها دورها الخطير في دفع الغزوة الصهيونية ووقاية المسلمين والعرب منها ..

ولا ريب أن دعوة توفيق الحكم تصادر عن مفهوم بعيد أشد البعد عن الانهاء العربي الإسلامي . . . ولقد كان توفيق الحكم طوال حياته يفخر بذلك معلياً شأن العنصرية في حديثه عن مصر ، كارهاً لطابع مصر العربي الإسلامي . . وبالرغم من أن الدكتور طه حسين أعلى من شأن الفرعونية على الإسلام حتى قال قوله المشهورة : (إذا كان الإسلام يقف حجر عزوة أمام مصريتنا وفرعونيةنا لنبدناه) ، بالرغم من هذا فإن الدكتور طه حسين يرى أن رأى توفيق الحكم في العرب أشد تحاماً وتعصباً من رأى كثير من متعصبة المستشرقين أمثال رينان ودوزي . . ولعل التقارب في هذا الرأى بين توفيق الحكم ولويس عوض يرجع إلى مصادر الثقافة الغربية الواحدة التي تأثر بها كلاهما في فترة كانت البعثات الأجنبية سواء إلى فرنسا أو إلى إنجلترا تستهدف سحق مقومات هذه الأمة وإلهاها في أتون الإقليمية ، وهي كراهية مشتركة للعروبة والإسلام ، وهي منتدة إلى اللغة العربية وإلى

القرآن وهي مبثوته في الأعمق لا تظهر على السطح ولكنها تبدو في التصرفات وفي تناول القضايا .

وبالرغم من أن توفيق الحكم قد لخص تفسير القرطبي وظن بعض الذين يأخذون بظواهر الأمور أنه في الطريق للتعرف إلى الإسلام إلا أنه لم يثبت أن كشف عن تلك المحاولة المسمومة التي ترددتها طائفة معروفة الآن باسم طائفة الحادعين لل المسلمين بالحديث عن الشريعة الإسلامية وذلك حين رد ما كان يقوله منذ سنوات عن تطوير الشريعة الإسلامية وهي دعوى يحمل لواءها من وقت بعيد محمد النويهي وعبد الحميد متولي ومحمد أحمد خلف الله وآخرون بهدف تدليل الشريعة لتبصير أوضاع المجتمعات الحديثة وفي مقدمتها الربا وعلاقة المرأة والرجل خارج نطاق الزواج . واحتياجات الشريعة الإسلامية ونصوصها في داخل القانون الوضعي على النحو المسموم الذي دعا إليه عبد الرزاق السنهوري منذ سنوات وهي دعوى ممتددة يغطيها التفويذ الأجنبي ليحول بها دون تطبيق المجتمعات الإسلامية للشريعة الإسلامية أو عودتها إلى طريق الأصالة ومن أهم هذه المحاولات المسمومة : القول بتغير الأحكام مع تغير الزمان (وهو قول محدود جداً يتصل بالفرعيات ويعتمدون في ذلك على نص للشيخ محمد عبده والشيخ محمد عبده الذي يعتمد عليه الماركسيون وأعداء الشريعة لا يمثل الإمام المنهد ولا المتخصص في هذا الأمر ، وإنما هي اتجهادات كان لها وضعيتها وظروفها في وقت كانت الشريعة الإسلامية تضرب بالسياط على أيدي كرومر في مصر وليري في المغرب وهي لا تمثل اتجهاداً يمكن الأخذ به . كذلك الخطأ الذي وقع فيه على عبد الرزاق حين أراد أن يصف الإسلام بأنه دين روحي ويلغى نظامه الاجتماعي إلغاء تاماً وتلقيف بعض المستشرقين بهذه النصوص الزائفة التي لم يعتمد بها على كتاب أو سنة لضرب الإسلام .. كذلك هناك ما يشار من شبهة الثبات والتغير ومحاولة وضع العقيدة في مكان الثبات والشريعة في مكان المتغير وهذا أيضاً غير صحيح على إطلاقه . وإن الشريعة الإسلامية إنما جاءت خالصة ثابتة صالحة لكل العصور والبيئات إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

وقد دحض الدكتور عبد المنعم التر شهادة توفيق الحكيم هذه التي ما زال يرددوها منذ سنوات حين قال له : كان الحكيم يريد أن يجعل كل ما شرعه الله لتنظيم حياة الإنسان خاصعاً للتغيير بتغير المجتمع ورأيه ، ومن هنا نهبه ربيع الخطأ في التفكير ، بل والخطر أيضاً على شريعة الله إذ معنى ذلك ومؤداته لو قيلناه أن لنا أن نبيّع الزنا والخمر والرقص متى قبل المجتمع ذلك وتحلل من عقويات السرقة والحرابة والزنا ومن كل شيء حرمه الله ورسوله لو قبل المجتمع ذلك ! وهذا اتجاه خطير يهدم الشريعة ويزلزل كيانها لأنه يجعلها كلها تابعة وخاصة لهوى الناس وما يتوجهون إليه في حياتهم في أي مكان وفي أي عصر والله تبارك وتعالى يقول لرسوله : (ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون) .

ونقول إن الجماعة ينتدبون أحدهم فترة بعد فترة ليشير القضية ثم ينظرون ثم يعود آخر إلى إثارتها وكل همهم أن يخرج المجتمع الإسلامي العربي والمصري من شريعة الله إلى قبول الربا والرشوة والتساهيل في أمر العرض واستعراض المرأة لمقاتن جسدها ومراقص الأجانب : وهكذا .

الحقيقة أن قضية المرأة تأتي في المقام الأول من عملية تحطيم المجتمع ، وهي تهدف إلى تدمير الأسرة وتعاون على ذلك قوى كبيرة منها القصة والمسرحية والأغنية والصورة العارية وبعض كتاب اليوميات الذين يزينون التيارات التي تهدم المجتمع ممثلة في بعض الروايات الجنسية والكرة والرقص .

وتحري الصحف لاهثة وراء تفاهات يسمونها نصراً للمرأة ، سواء في مجال الرقص أو الغناء أو قيادة السيارات وكلها أمور لا أهمية لها تسهدف لخروج المرأة من مكانها الحق ووضعها الصحيح : . وتلك مجموعة أخرى من الكتاب لها صلاتها بالروتاري والليونز ومحططات المقدم والتلميذ . .

الفصل الثامن

استعلاء موجة الجنس في الإسلام والمسلسلات والمسرحيات

تجدد الحديث عن الأخطار التي تواجه المجتمع نتيجة استعلاء موجة الجنس في الأفلام والمسلسلات والمسرحيات ، وأمامنا وثائق تشهد بالأخطار الخدقة بالقيم والأخلاق والمتعلقة بشبابنا وفتياتنا ومدى أثر ذلك على بناء الأسرة المصرية :

أولاً : يقول الدكتور جمال الدين موسى (علوم عين شمس) :

تابعت حلقات مسلسل (العيوب) للطبيب (يوسف إدريس) على الشاشة الصغيرة وكان شعورى هو القىزز من هذه القصة المابطة التي تتجنى على مصر والمصريين ، وتلخص كل أنواع الرذائل بالإنسان المصرى .. امرأة كانت أو رجلا .. ولست أدرى .. كيف يسمع التليفزيون المصرى بأن تعرض مثل هذه المسلسلات على شاشته ، وأن تدخل إلى بيت كل مصرى ويراها الصغار والكبار .. وهى بمثابة سب علىى ، وقد لا أخلاقي ، وإساءة بشعة لمصر وشعب مصر .. فال்�تليفزيون يجب أن يحترم مشاعر الناس ، ويجب أن ينتقى مما يقدم إليه الجيد الأصيل الرائق من الإنتاج .. لا أن يسمح بهذا النوع من المسلسلات التي تهجم على مصر بصورة يصعب لها من يدفع الأجر بالدولار والاسترلينى .. هل هذه هي صورة مصلحة .. مصلحة كاملة خاصة لتفوذ رجل داعر .. وأغلب موظفيها مرتشون .. بلءاً من المديرين حتى الموظف الصغير .. شابات في مقتبل العمر وشبان في مقتبل العمر الحياة يبيرون أنفسهم للشيطان هكذا يشوه بهذه الطريقة البشعة الوجه الصبور لمصر .. نقبل نقد المستوى للمجتمع المصرى .. ولكن لا نقبل على الإطلاق المسلح

الكامل لو جه مصر . . إن محور الأفلام علاقة غرامية ، أو مشكلة اجتماعية . . وعلى صعيد هذين المحورين يعمل المخرج على إضافة مجموعة من المشهيات . . وهي ليست إلا مشاهد جنسية رخيصة مبتذلة . . وحشد الفيلم بعشرات الشخصيات المابطة التي تظلم نفسها بالعمل في هذه الأفلام المابطة .

فانياً : فيلم (الباطنية) وقد كشف عن خطورته الأستاذ إبراهيم سعده ، وتحدث عن مدى المخرج في رفع الفيلم أو إلغائه أو وقف عرضه . . وقال : إن الرزروفي (إدارة الرقابة على الأفلام) دافع عن الفيلم دفاع الأبطال : دافع عن الشذوذ والبذاءة وعن الحوار الذي وصفه بأنه لا يخدش الحياء وعن الأقطاب التي ظهرت فيها بطلة الفيلم عлас غر لائقة ، وآتاهم الجميع بالتأخر . . وقال إن الأمور اختلفت الآن . . فمنذ ثلاثين سنة لو أن فخذ امرأة ظهر على الشاشة لضج الجمهور . . أما الآن فإن ظهور الفتيات عاريات أو شبه عاريات لا يثير أدنى تعليق . . وطالب بزيادة جرعة الإباحية في أفلامنا المابطة . . تمشياً مع المجتمع . .

أما صلاح عبد الصبور وكيل وزارة الثقافة لشئون الهيئة العامة للكتاب فقد قال عن فيلم الباطنية : أن هذا الفيلم لا يزيد ولا يقل سوأً عن سواه من الأفلام المصرية التي تتحذل مجالاً لها عالم الجريمة والمخدرات وقد ازدحمت الشاشة في السنوات الأخيرة بهذه الأفلام وأصبحت أنماط تجارة المخدرات والعالم أنماطًا شائعة وفي هذا الحال نقف حائرين إذ أن وقف فيلم كالباطنية يلزمنا أن نراجع أنفسنا وأن نتصدى للتيار كله . . ويقول إبراهيم سعده : الذي رأيته في فيلم الباطنية شيء لا يصدقه العقل . . إنه أشبه بأفلام الشذوذ التي تبع في الظلام ، وترعرضها المواخير ، ويقبل عليها الذين يبحثون عن كل جديده ومشير بعد أن ضاع شبابهم وأفقدمهم الإدمان صوابهم . . أحداث غريبة تجتمع لا نعرفه . . وإن كان بيننا فإننا لا نريده . . كل ما يتصوره من شذوذ ومرض . . بالصورة والكلمة والرقصة والإشارة تتجدد في هذا الفيلم الذي أجازته الرقابة ، وسمحت بعرضه ، وأغرق متوجه الصحف وشاشة التليفزيون بالإعلانات عنه . . أن المهد الوحيد لإنتاج فيلم (الباطنية) هو جمع المال ، وملء جيب المتاج . . وليس هناك أى هدف آخر . . اللهم لا الإساءة إلى مصر . . لم أصدق أن في مصر رقابة على الأفلام . . ولم أصدق أن في مصر

من يحافظ على الآداب العامة .. ولم أصدق أن في مصر من يهمه أن يعلم الناس **القيم والتقاليد والغريب ..** (أخبار اليوم ١٧/٩/١٩٨٠).

ثالثاً : هنا ما ذكرته السيدة اعتدال ممتاز (مدبورة الرقابة على الفنون) في مذكرة لها التي نشرت جانباً منها في مجلة المصور .. قالت :

إن قصة قصر الشوق (نجيب محفوظ) التي تحولت إلى فيلم (حلمي رفلة) واجهت الملاحظات الآتية من الرقابة :

أولاً : الفيلم في عمومياته دعوة إلى الفسق والفحotor والزنا وهرم الأسرة وإظهار المجتمع المصري وكأنه لا يشغل إلا العشق والفحotor وأنه كان فساد ، فالآب وجيله جيل فاسد ، والابن أى الجيل الذي يليه فاسق أيضاً ويهمل ويكتب عندما انحرف الأخ الأصغر أى أن الجيل الثالث أيضاً فاسق ..

ثانياً : الفيلم دعوة قاتمة إلى هدم كل القيم الروحية ممثلة في شخص الابن الأصغر عندما تحطمت صورة الأب الطيب في ذهنه ، وكذلك تحطمت حبه .. وأخيراً صورة الراعي المثال للوطن في خياله سعد زغول عندما هاجمه زميله ثم هون الأخ الأكبر من شأنه بعد موته ..

ثالثاً : الفيلم يحمل في طياته دعائية مسيئة إلى الإسلام .. فقد حرف فيما نسبة الآيات القرآنية فقال «إذا بلتم فاستروا» وإذا استرتم فابتلوا .. وقال أيضاً إن الخمر مفتاح الفرج .. ثم جعل من الصلاة فريضة مظهرية .. فالبطل يصل في منزله ويفسق خارجه ولم يمثل قول الله تعالى : «إن الصلاة نهى عن الفحشاء والمنكر» وقامت السيدة اعتدال ممتاز أيضاً في تقويرها عن فيلم قصر الشوق : إن الفيلم مليء بالمشاهد الجنسية المحسوسة بقصد الإثارة المبتذلة والمقرضة .. وهو زاخر بالألفاظ والعبارات الرخيصة المبتذلة المادمة لقيم المتعارف عليها .. وبالفيلم كثير من العبارات التي تنطوي على السخرية من المعانق الدينية (الخمر مفتاح الفرج) والفيلم يسعى إلى سمعة البلاد .. وهو يظهر الأمة مشوهة بعيدة كل البعد عن الواقع الذي عاشته وهي تكافح ضد الاستعمار ..

وقدمت السيدة اعتدال ممتاز مثلاً آخر من الأفلام الهابطة هو فيلم (امرأة ورجل) المأخوذة من قصة (بحي حتى) تمثيل نادية لطفي ، ناهد شريف ، رشيد أباظة .. وقالت إنه هابط في مستوى الفن للدرجة كبيرة

جداً . . هابط في مخاطبته للجنس . . وفي مناظره الجنسية المكشوفة ، وفي مخاطبته الغرائز الجنسية ، وفي الفيلم خروج عن الآداب العامة . . وهو إساءة إلى صورة الحياة في مصر الريفية وبهدم كل قيمتنا الاجتماعية من صدافة وقربة وحياة زوجية .

وقالت السيدة اعتدال ممتاز : إنه في هذا الفيلم يمارس البطل والبطلة الفعل الجنسي كاملاً ، وتلتقطه عدسة الكاميرا من خلال حامجز متوج شفاف إخفاء للتفاصيل مع إبقاء الحركة المثيرة بكل ما توحى به من خيالات .

وتفوّل : إنه بالرغم مما حذفته من هذا الفيلم من أجزاء . . فإنني كنت أرى أنه ما زال مخلاً بالأداب العامة . . وقالت : بعد أن أصبحت مديرية للمصنفات الفنية وجدت أنني كنت مضطورة إلى توقيع إجازات لأفلام لا أرضي عنها . . إما لهبوط مستواها الفنى ، أو لأنني كنت أرى أنها لا تناسب بيتنا جماهيرياً ، أو أعرض عليها كلية لمضمونها . . ولكنني كنت مجبرة على الترخيص لها نزولاً على حكم لجنة التظلمات أو رغبة مجلس الرقابة) ١ . ه .

وفي كل هذه الحالات نجد أن هناك جانباً سرعان ما تجتمع بعد الاعتراض على الفيلم فتقرر عرضه ، وتوافق عليه دون حذف أي شيء منه (كما حدث في فيلم الباطنية) أو حذف أجزاء لا تحول دون بقاء الصورة البشعة من الجنس .

ونحن نسأل : وهذه نماذج قليلة مما جرى الحديث حوله من عشرات الأفلام المطروحة أمام شبابنا وبناتنا في دور السينما . . ومدى خطورة هذه الأفلام على أخلاقنا وقيمتنا وأسرنا . . وقد أشار الدكتور إسماعيل السباعي (نحو التور - الأخبار ١ / ٣ / ١٩٧٧) إلى بعض ما يعرض على شاشة التليفزيون ، وأن جانباً كبيراً منه يتركز حول الفن والفنانين والفنانات . . كأنما الدنيا ليس فيها أحد غيرهم وكأن حياة الناس لا تستمر أو تزدهر إلا بوجودهم . . ووجودهم وحدهم . . ويقول : لا أنكر وجود الفن في حياة الأمة . . ولكن التوازن بين العناصر المكونة لهذه الحياة واجب ، وفقدانه يؤدي إلى اختلال الخضم اختلالاً لا شك فيه ، وإذا ترك دون أن يوقف أو يتزايد أدى إلى الانهيار . . وليس التليفزيون وحده . . ولكن الإذاعة أيضاً . . والسينما . . وسائر أجهزة الأعلام تشارك هي الأخرى في تعميق هذا المعنى . . الجوائز

المادية والأدبية .. المكاسب .. الأجر .. الشهرة .. الأموال المتداولة على
فناين لا حصر لها ولا آخر !! » .

والواقع أن مؤسسة الفن كلها في بلادنا في حاجة إلى إعادة النظر إليها
في ضوء طوابع الإسلام ومقرراته ، وفي ضوء ما قرره دستور الدولة ،
وما يتصل بذلك من أمور التربية الإسلامية ، وبناء الأجيال الجديدة على
الصمود في وجه التحديات التي يتعرض لها العالم الإسلامي ، وأنهatar المذاهب
المدama ، والشبهات والمذاهب التي تحاول أن تتفادى إلى مجتمعنا الإسلامي لتدميره
وتحطيم قوائمه ومعنوياته .. هذه المذاهب المدama التي تجده طريقها ميسراً عن
منافذ المسرح والسينما ، والروايات والمسلسلات ، والحوار الذي يجري بين
الرجل والمرأة ، والأب والابن في تلك الروايات والمسلسلات ، والذي يقدم
سومماً من الألفاظ والعبارات ، ويحطم الضوابط الحقيقية التي يجب أن تظل
فائمة في محيط الأسرة .. ولقد تعالت في الحقيقة موجة الجنس في الأفلام
والمسرحيات على نحو خطير جداً .. حتى بلغت إلى حد أن تقدم هذه الأفلام
(الفعل الفاضح) بصورة أو أخرى أمام شبابنا المراهق ، وأن تجتمع هذه
المسرحيات والأفلام ذلك القدر البشع من العبارات المابطة ، والسموم الناقعة .
وإذا كانت هناك مندوحة لوجود هذه المسرحيات والروايات من باب
الترويج عن النفس .. فإن من الضروري أن تقدم وفق أسلوب مهذب
لا يخرج ولا يحطم القيم الأساسية للمجتمع ، وأن تكون الفكاهة أو الحوادث
على نحو بعيد عن هذا التهريج الشديد ، أو هذه الإباحية الخطيرة .. ولقد
فرد علماء الاجتماع أن من أبرز أسباب اندفاع الشباب اليافع إلى الجريمة والجنس
هو تقليله لهذه الأفلام وإعجابه بها .. ولقد تعالت الصيغات إلى الكشف
عن مدى خطأ نتائج هذه الظاهرة على كتابات الكثيرين حتى نرى أقرب
الناس إلى هذه البيئات يتمحدث عن هذا الفساد : . يقول الأستاذ نعman
عاسور : لقد امتدت دوافع الربح ، وأطامع الاستغلال إلى المسرح
وال்டيليفزيون ، وأنه يستحيل إعادة التوازن المفقود في حياتنا الثقافية إذا لم
تتادر الدولة فتقسم لأجيالنا الصاعدة النتائج الثقافية القومى الذى يزودهم بالقيم
البناءة ، والمثل الراجحة المقومة ، والأخلاقيات السليمة الصحيحة ، ودعم
الثقافة الحقيقية الجادة المكفيلة ببناء الإنسان الجديد .

إن موجات الجنس والجريمة والعنف تطغى على أفلامنا السينمائية والمساخر الفكاهية المزيلة التي تسيطر على النشاط المسرحي والمسلسلات العقيدة المنهشة في التليفزيون وهذا المهر السخيف الذي تفيض به فقرات البرامج الثقافية . . ناهيك بالكتابات الفارغة الفجة التي تملأ صفحات الكتب والمحلاطات إنما يخلفها دائمًا الإهيار الفنى ، والتردى الأدبى ، وهبوط المستوى الثقافى . وكل ذلك منبعث عن مصلحة واحد هو اعتبار الفن مجرد أداة من أدوات التسلية والترفيه التي يصلح بيعها كسلعة تدر الربح . . ومجتمعنا لا يجوز أن يتطور إلى ما تطور إليه مجتمع آخر . . سواء أكان المجتمع الأمريكي بما يسوده من قيم وأخلاقيات وتعلمات تربط جميعها بالجنس والجريمة ، والفسوحة والعنف : أو مجتمعات أوروبا في إنهايارها الأخلاقى تحت وطأة ما تعانىه من مادية خارقة وخواء فكري وروحي . . لأننا لسنا مجرد مجتمع متقطع ناهض : . وإنما لأننا في الأصل والأساس مجتمع عتيق وعريق ، مؤسس من أجيال بعيدة عن قيم روحية ناضجة ، ومثل إنسانية ثابتة ، وتقاليد قومية أكيدة راسخة لا بد أن نحرص على حمايتها وتطورها .

وبعد فإن الأمر من وجهة النظر الإسلامية في حاجة إلى مساعلة شديدة لأصحاب الأفلام الذين يكتبون هذه السموم ، وأولئك المحرجون الذين يقدمونها على هذه الصورة المثيرة ومن تحمل هذه الوجهة في تحرير مجتمعنا من أوجه حضانته سواء بالنسبة للأسرة أو المرأة أو الشباب . . ألا يجري هذا في نطاق المحاولة الخطيرة التي تسهدف تدمير المجتمعات قبل السيطرة عليها والتي رسماها بروتوكولات صهيون . : فنحن أردناؤ لم نرد كأننا نخدم هذه المؤامرة . . وما أجدلنا أن نبني أجيالنا على الحلق والكرامة والعلمة : . فذلك أجدى في دعم قوائم المجتمع ، وحماية الأمة من الانهيار والعواصف التي تحاول أن تجتاح المجتمعات الإسلامية ، وتدخل وجودها . . اللهم قد بلغت اللهم فاشهد .

رأى لفيف من كتابنا وأدبائنا وصحفيينا في الأفلام المصرية الهاابطة

*** الفيلم المصري (رجل وامرأة) يشتمل على مشهد عمارس فيه البطل والبطلة الفعل الجنسي كاملاً . . وتلتقطه عدسة الكاميرا من خلال حاجز متوج شفاف . . إخفاء للتفاصيل . . مع إبقاء الحركة المشتركة بكل ما توحى به من خيالات . . وما كنت أخذفه من مشاهد مختلفة في بعض هذه الأفلام كان يضيع هباء أمام جنة النظمات ! . .

اعتدال متاز

*** إن موجات الجنس والجريمة والعنف تطفى على أفلامنا السينمائية والمساخر الفكاهية الهزلية وهذا السخف الذي تفيس به فقرات برامجنا الثقافية ! . .

نعمان عاشور

*** ما رأيته في فيلم (الباطنية) شيء لا يصدقه العقل . . إنه أشبه بأفلام الشذوذ الجنسي التي تباع في الظلام وتعرضها المواخير . . وإن الزقروق مدير الرقابة على الأفلام بدفعه عن هذا الفيلم الهاابط . . إنما يدافع عن حقيقة الشذوذ وعن البذاعة والسقوط ! . .

إبراهيم سعدة

*** لقد ازدحبت الشاشة المصرية في السنوات الأخيرة بأفلام هابطة وأصبحت أنماط العوالم وتجار المخدرات هي الأنماط الشائعة في هذا الحال ! .

صلاح عبد الصبور

*** مسلسل (العيوب) ليوسف إدريس يلصق كل أنواع الرذائل بالإنسان المصري ولا أدرى كيف يسمح التليفزيون المصري بعرض مثل هذه المسلسلات على شاشته وأن تدخل إلى بيت كل مصرى وبراها الصغار والكبار وهى بمناثبة سب على وقدف لا أخلاقي وإساءة بشعة لمصر وشعب مصر ! . .

دكتور جمال الدين موسى

الفصل الناجع

حقيقة القمم الشوامخ والعمالقة

لا تزال قضية الشوامخ والعمالقة : : والقمم العالية مطروحة طرحاً معوجاً على كثير من أفلام كتابنا ومحضينا : : ولذلك فقد كانت موضع التساؤل .

والحق أن مقاييس كثيرة وافية وخطأة قد طرحت في مجتمعنا نتيجة تغير الأعراف والخرافها وما تقدمه المسارح والأفلام السينائية والفلسفات المادية من إعلاء شأن المغنيات والممثلات ، والممثلين والممثلات : : وإن إفراد صفحات متعددة لهم على أنهم نجوم وكواكب يمكن أن يكونوا ما يقولونه مثلاً أعلى لشباب ساذج ليست له خلفية صحيحة من فهم لعقيدته ، ولقومات الرجلة والبطولة والشخصية السوية : . وكذلك الأمر بالنسبة للفتيات المسلمات اللائي يتحذنن من المغنيات والممثلات مثلاً أعلى في كلامهن وملابسهن وحركتهن التي تحفل بها الأفلام السينائية أو المسلسلات : . بل إن من أعجب العجب أن باب (أبو نظارة) في واحدة من صحفنا اليومية يقدم يومياً ثباتاً بتاريخ وفيات هؤلاء الممثلين بمناسبة مرور عام أو أعوام على وفاتهم : . بينما لا يحدث ذلك بالنسبة لعظاء الرجال ، وأبطال الأمة والكتاب الصادقين الذين قلموا هذه الأمة ثمرات عقوفهم : . بل إن عدداً من هؤلاء الأعلام مات في السنوات الأخيرة دون أن يذكره أحد ، أو نشر نعيه في أعمدة منزوية في صفحات الوفيات : . بينما يجد الممثلون والممثلات والمغنيات والمغنيات : . بل والراقصون والراقصات مكاناً عريضاً في الصفحات الأولى من صحفتنا (انظر وفاة يوسف وهي وفاة أحد) :

ولا يقف الأمر عند هذا : . بل إن هذه الصحافة تذهب إلى أبعد من ذلك حين تضع حالات عريضة ، وتجانأ لامعة فوق رؤوس هؤلاء الذين

لم يكن لهم عمل إلا تقديم تلك العبارات الساخرة ، والكلمات المكشوفة في حوار هابط تقدم به صورة خاربة لا تتفق مع كرامة الأمة ، ولا مع حسن العلاقات بين أفرادها ، ولا مع قيمها الأساسية التي جاء بها القرآن الكريم والسنة المطهرة .

وإذا كانت هناك دعوة إلى تقدير القمم الشوامخ ، والعالقة من أبناء هذه الأمة : فإن ذلك لا ينصرف نحو رجال الفن كما يسمونهم بحال . وإنما يتصل ذلك بأولئك الأبرار الذين قادوا هذه الأمة في مجالات البطولة الحقة ، ومقاومة النفوذ الأجنبي : وإحياء المثل العليا ، والقيم الصحيحة .

ومنذ انتلقت هذه الصيغة فما نسمع إلا عن حلقات عن رشدي أباظة ، وكتابات عن بيرم التونسي ، وكلمات عن نجيب الريحاني ، أو إعادة الحياة إلى سيد درويش . وأم كلثوم ، أو الاحتفال بعيد ميلاد محمد عبد الوهاب ، أو إعادة تاريخ يوسف وهبي . وما هكذا تورد الإبل . . وما هذه هي القضية .

إننا حين نعرض هذه القضية على مفاهيم الإسلام نجد أن كل هؤلاء لا يدخلون في باب القمم والشوامخ والعالقة بحال : فقد كان هؤلاء حفنة من المهرجين والنافخين في أبواب التسلية والإضحاك والتسلية بمفهوم المسرح والفن الوارد الذي حاولوا إعطاؤه لفظ القيادة ، ورفعوه فوق دور العبادة ومجدهم ليكون وسيلة من وسائل إخراج هذه الأمة من مفاهيمها الأصلية ، ومن عقidiتها الحقة إلى أجواء من الخداع والتضليل أشبه بما حدثه العفارى الذى يذهب بالوعى ، دون حاجة حقيقية إلى ذلك ، إلا أن يغفل الناس عن فهم واقعهم ، وحقيقة وجودهم :

إن فن الإضحاك ورد إلى بلادنا مع النفوذ الأجنبي . ثم نما نمواً غير طبيعى معارضًا للنطرة والأخلاق والقيم ، معلمياً لطبقات الغناء والرقص والتسليل والفن الهابط على نحو خادع ماكر . : تتحدث عنهم الصحف صباحاً ومساءً ، وفي مجالات عامة وخاصة . : كأنهم وحدهم البارزون والأعلام والقادة : : حتى يخلص بهم شبابنا وقلدهم ، وهم في الحقيقة يحملون من المفاهيم ما لا يتفق مع جوهر الدين الحق . : فهم يدافعون عن وجودهم .

ويحاولون أن يصوروا عملية الإصلاح والتسلية هذه على أنها فن رفيع له قداسته وله قدره : . وهم في نفس الوقت لم يتزموا بأخلاقيات الأمة . . فأدخلوا إلى مسار حهم وقصصهم سخريات بكثير من القيم ، وأفسدوا بالحوار العلاقات بين الأب والابن ، والزوجة والزوج . . فسارت تلك الكلمات الرخيصة المبتذلة على ألسنة الناس في الأتوبيسات والشوارع .. وكان لما طرحته هذه الروايات والمسلسلات من مفاهيم أثر عجيب في تقليل أهمية العرض والكرامة والغيرة ، وفتحت هذه الصور أمام الشباب الغض ، من الجنسين صوراً تبدو كأنها مشروعة للجنس والجريمة في وقت واحد مما كان نتيجته ما تقرأه عن الأحداث الدين يقلدون فيها أفلام الجريمة والجنس .

ولقد أعطت الصحافة قدرأً كبيراً لأمثال سيد درويش ، وبيرم التونسي على نحو لم يعط لشوق وحافظ إبراهيم . . ذلك لأن الهدف هو إعلاء شأن الفدكlor التافه المتصل بالعامية وبالمشعر الساذجة التي عرفتها البشرية في طفولتها وطبقاتها الدنيا : . بينما قدم الشعر البليغ والأدب الرفيع دوراً خطيراً في رفع عقليات الأمم ومشاعرها إلى المعانى العلية والقيم الحقيقية .

الحقيقة التي لا شك فيها أننا يجب أن نفرق بين هذه الشخصيات المسوخة التي لا تعرف إلا تفاهات الإصلاح ، أو كلمات الغناء ، أو أساليب التمثيل الفاضح وبين البطولات الحقة في تاريخنا ، والقيم الشوامخ التي أعطت لأمها البكثير والكثير .

هل يستوى الذين جاهدوا وضحوا وقالوا كلمة خالصة لله تعالى ، وقدروا الأمة إلى النصر والحق ، وعرضوا حياتهم الخاصة للخطر مع هؤلاء الذين يدخلون على أبنائنا أساليب من الخداع والتضليل والغثاثة . . : هؤلاء الذين يخرجون أبناءنا من قيم الأخلاق والكرامة ، ويلفتونهم نحو التفاهات ، ويحاولون تجريدهم من وجوههم الخالصة لمعرفة معانى الأمور ومحاربها .

لا ريب أن الأدب العربي المعاصر قد انحرف عن جادته حين يتحدث عن مرسى جميل عزيز ، وحسين السيد ، وأحمد رامي ، وبيرم التونسي وتجاهل عشرات من الأعلام أمثال عبد العزيز جاويش ، وأمين الرافعى ، وأحمد زكي باشا ، ومصطفى صادق الرافعى ، وفريد وجدى ، ومحب الدين

الخطيب ، وكامل كيلاني . . . هنالق مصر : أما في العالم الإسلامي فهناك عشرات من أمثال شكيب أرسلان ، وعبد العزيز التعالي ، وظاهر الجزائري ، وعبد الحميد بن باديس ، ومصطفى الغلاياني ، وعلال الفاسي ، وهناك عشرات من الأعلام في مجال الأدب وحده : وأمثالهم في ميادين الفكر والمجتمع ، كانوا من الأمثلة العالية في الكفاح من أجل حماية القرآن ، واللغة العربية الفصحى ، وتاريخ الإسلام ، لم نجد من يتحدث اليوم عن طه حسين وما قدمه من سعوم في هذه الحالات كلها : . كأنما كان مكلفاً بأن يفسد هذه القيم جميعاً ، ثم يقال لنا : إنه من القمم الشوامخ : إن قاعدة الترشيح لقمم الشوامخ لا بد أن تكون متصلة بالعطاء الحقيقي الذي قدمه هذا الرجل لدينه وأمته ولغته : إن الذين يدافعون عن طه حسين اليوم هم الذين يدخلون بيرم التونسي ، وتحبيب الريحاني ، ويوسف وهبي في قائمة القمم الشوامخ . لأنهم يدافعون عن العamilات ، وعن نشر الفلكلور والأزجال ، والحواديت والخرافات والأساطير بهدف إفساد أديم الفكر الإسلامي . . . والأدب العربي . وتحكيم هذه الجوانب الفاسدة في عقول شبابنا . وهي جزء من تيار ظهر منذ سنوات بعيدة على أيدي المبشرين والمستشرقين : ومن ذلك كتاب لويس عوض الذي أخرجه أخيراً عن (فقه اللغة العربية) وهو كتاب مسموم يحاول أن يهدم جميع القيم الحقيقة المتصلة بالبلاغة العربية ، وإعجاز القرآن . . . وهو يعادد الترويج لقضية خلق القرآن وغيرها . . . بل إنه يذهب إلى أبعد من هذا حين يدعى بأن العرب بجاءوا من القوقاز إلى الجزيرة العربية قبل ألف سنة من تاريخ المسيح ، وأن لغتهم لم تكن إلا من لغات القوقاز . . . إذن فليس هناك لغة عربية خالصة : . وإنما هي فرع من اللغات الآرية : يقول هذا لويس عوض ويدعوه معارض لسنن المجرات التي تبدأ من الصحراء إلى منابع الأنهر . . . يدعى هذا وليس معه أى دليل علمي : وإنما هي نصوص مخطوطة من هنا وهناك في سبيل التدليل على هو قائم في النفس :

ونحن نتساءل : لماذا تحجب هذه الأسماء العظيمة من القمم الشوامخ الحقيقة ولا تقدم للشباب ليعرف حقيقة البطولة : . ولماذا تتجاهلها الصحافة

يُبَنِّا تعنى بهذه الأسماء من المصححين والتافهين والذين عاشوا حيالهم على موائد الصدال ، والذين كانوا في الحقيقة عاملين على هدم كل قيم الخير والحمدى والرشاد والرجولة في نفوس الأجيال : .. والذين لم يقدموا لهذه الأمة إلا كل ما أراد التهوذ الأجنبي أن يذيعه من تفاهات ترى إلى أن ينحرف هذا الشباب عن الجادة : .. ويجيد عن الصواب ؟ ! .

يا قوم ، إن القسم الشوامخ ، والعاملة في هذه الأمة لها مقاييس حقيقية ولا يمكن أن تدخل تحتها هذه الأسماء من الأفزام والتافهين والمصلحين .. إن مقاييسنا مستمدة من مفهومنا الإسلامي الأصيل : .. وليس من مقاييس التغريب والغزو الفقري

إن لدينا تهميشات كثيرة في هذا المجال عن تاريخ هولاء الشوامخ الزافهين ، .. ولنكن القلم يعصف بهما : .. والحر تكفيه الإشارة :

* * *

الفصل العاشر

خلفاء طه حسين وغلمان المستشرقين

زكي نجيب محمود - توفيق الحكيم - حسين فوزي

كان السؤال عن مخططات التغريب والتزوِّد الثقافي في هذه المرحلة لمواجهة حركة اليقظة الإسلامية ، وانكشاف مخططات الاستشراق والتبيير ، وافتتاح كل خيوط المؤامرة التي جند لها عدد كبير من التغريبين بقيادة (العلم) طه حسين . . ثم تحطم كل هذه المخططات قبل رحيله : . والحقيقة أن النفوذ الأجنبي قد غير جلد طه حسين وحاول أن يقدم مخططاً جديداً بقيادات جديدة : . بعد أن هلك هذا التغريبي الكبير ، ووضج أمر ذلك في عدة خطوات اتخذت بسرعة لغطية الفراغ : . منها عقد مؤتمر ثقافي مغلق في الكويت ضم مجموعة من أتباع الاستشراق والتغريب ، واليساريين ، وأتباع الفلسفة المادية : . وكان على رأسهم (زكي نجيب محمود) . . و (محمد التوبى) لمواجهة الموقف بعد وفاة ذلك الزعيم الصنم الذي كان يمر في السنوات الأخيرة من حياته بمرحلة الاحتضار : . وكذلك كلف المستشرق (جاك بيرك) بالطوفان في البلاد العربية ودول الإمارات لإلقاء محاضرات عن طه حسين في محاولة لاستعادة الثقة به بعد أن تحطم تماماً نتيجة للأبحاث التي كشفت دخالته . . وخاصة ما كتبه شاكر و محمد نجيب البهتى ، وكاتب هذه السطور . . كذلك فقد حاولت جريدة الأهرام في عهد هيكل أن تجتمع في نطاقها مجموعة كبيرة من دعاة التغريب أمثال توفيق الحكيم الذي وصف إسرائيل بأنها دولة متحضر . . وحسين فوزي الذي تذكر لعروبه . . واعتبر بفرعونية . . ورضي لنفسه أن يحمل درجة الدكتوراه من جامعات العدو : . ونجيب محفوظ : . الذي عرف بتلمذته لزعيم التغريب . . وهي ما تزال تحفظ بهم إلى اليوم بعد أن أضيف إليهم آنيس منصور ، ويوسف إدريس :

وقد بدأ في السنوات الأخيرة أن الأضواء كلها قد ركزت تماماً على الدكتور زكي نجيب محمود كقائد لهذه الكتيبة التغريبية وقد مهد الدكتور لذلك بأن أعلن أنه أعاد النظر في التراث الإسلامي (وأسماء العربي) في محاولة لخداع البسطاء ، ولتضططعة ماض طويل في الفكر المادي كانت قمة كتابه المعروف (خرافات الميتافيزيقا) أي بمعنى صريح اتهام مفهوم الغيب الذي جاء به الإسلام بأنه خرافة . : وانكار كل ما سوى الحسوس ، والمعقول : : متابعة في ذلك للمذهب الفلسفى الذى اعتنقه طوال حياته مقلداً في ذلك فيلسوفاً أوربياً مادياً ملحداً ينكر الأديان المنزلة ، ويفاخر بأنه يمثل مدرسته . : وفي طريق كسب الانصار والتقارب إلى الشباب الوعى المثقف يتحدث الدكتور زكي نجيب محمود عن الإيمان بالله : وعن الإيمان باليوم الآخر ، وعن أعلام التراث الإسلامي : الغزالي وغيره : : وذلك كله محاولة لإنقاء حاجز بين الماضي والحاضر . . ولحرار الثقة التي تمكّنه من بث مفاهيمه وآرائه : : ونحن لا نتهم أحداً في عقينته ، ولا نتعقب العورات ، ولا نلتفت ما تكشف عنه السراير من وراء الوعي . : ولتكننا نقرر بدأعة بأن النهج الذي يدعونا إليه زكي نجيب محمود معارض لمفهوم الإسلام الصحيح من جوانب عديدة . . وخاصة بالنسبة لتلك القضية الكبرى التي يشيرها في كل كتاباته : . وهي مسألة العقل والعقلانية ، فالإسلام لا يعطي العقل هذا السلطان المطلق كله ، ولا يقر مثل هذا المعنى : . وإنما يرسم للعقل طريقاً كريماً في ضوء الوحي . . والعقل في الإسلام مناط التكليف . . ولتكنه ليس حكماً على كل شيء : . ذلك لأن العقل أداة تصلح إذا صلح تكoniها : . وتفسد إذا فسد تكoniها : . وهي إن اهتدت بالوحي أصامت وأشارت عليها أنوار الفهم . . أما إذا اهتدت بالفكرة البشرى . . فإنها تكون بمثابة أداة تبرير لكل شر ، ولكل أهواه النفس .

فالعقلانية بالمعنى الذي يدعونا إليه زكي نجيب محمود . . نظرية مادية صرفة ، ومرفوضة تماماً : . وإذا كان هو وجماعة المستشرقين والتغريبين يعزون من التراث بالحاجب الخاص بالمعزلة : . فإن هذا الاعتزاز لا يمثل إلا انحرافاً في مفاهيم الفكر الإسلامي . . فالمعزلة خر جوا عن مفهوم الإسلام

الجامع المتكامل بين العقل والقلب ، والروح والمادة ، والدنيا والآخرة . . .
وأعلوا مفهوم العقل : . فانحرفا وتحطموا وحكت عليهم الأمة كلها بأنهم
خرجو عن مفهوم الإسلام الصحيح حين دعوا إلى خلق القرآن واستعدوا
الخلاف على المسلمين والعلماء : . وقد هزّهم الله شر هزيمة على يد الإمام
أحمد بن حنبل ، وأعاد للإسلام مفهومه الأصيل الجامع :

والموقف نفسه يقفه الإسلام بالنسبة للدعوة إلى التصوف كمنطلق وحيد
لنفهم الحياة والأمور من خلال الحدس والروحانيات وحدها : . ولقد كان
هو زكي نجيب محمود دافع دراسته للتراث مع ذلك المفهوم العقائلي الذي
انحرف عن مفهوم الإسلام الجامع ، والذى استمد مادته من الفلسفات
اليونانية الوثنية المادية ، والإلحادية الإباحية التي غامت سجامتها على الفكر
الإسلامى ، ثم انقضت تحت تأثير أصوات المفهوم القرآنى الأصيل .

* * *

كذلك فإن مفهوم الدكتور زكي نجيب محمود للألوهية مفهوم ناقص
وواضع لا يمثل مفهوم الإسلام (على النحو الذى أورده في مقاله في الملل) .
لقد مرت البشرية بمراحل كثيرة في فهم الألوهية ناقصة ومنحرفة . . .
وجاء الإسلام بالمفهوم الجامع الحق : . فلم يعد هناك مجال لإعادة ترديد
تلك المفاهيم بعد مرور أربعة عشر قرنا على زوال دعوة التوحيد الخالص
إن الذى يقبله شباب الإسلام اليوم من الباحثين : . هو مفهوم الله
الحق . . لا مفهوم الآلة كما فهمه الوثنيون أو المعددون ، أو المشركون
الذين كانوا يؤمنون بالله خالقاً ولا يؤمنون به مصراً للأمور كلها . . .
وقد جاء الإسلام ليكشف هذه الحقيقة وحدها ، ويدعوا إليها وهي :
(إسلام الوجه لله) .

أما مفهوم الإيمان بالله على النحو الذى كتب عنه الدكتور زكي نجيب
محمود : فهو مفهوم عرفه المشركون ولم يقبله منهم الإسلام : . ولعل من
أكبر الخطأ عرض مفهوم أرسطو وأفلاطون في الألوهية ، ومحاولة تفسيره
مفهوم الإسلام : . مع أنه كان أبعد ما يكون عن ذلك : . بل إن القرآن
ال الكريم دحض كثيراً من مفاهيم أرسطو وأفلاطون والفلسفات اليونانية
والوثنية والعنوامية : . لنقصها وقصورها : . ونخاصة ما ادعاه هؤلاء من

أن الله تبارك وتعالى يدبر ظهره للذكون ولا يعلم الجزيئيات . . . وأن المادة
حالدة : إلى غير ذلك من تلك التفاهات : . بل إن مفاهيم أرسطو وأفلاطون
للألوهية تدخل تحت ما أسموه (علم الأصنام) فكيف يقدم هذا المفهوم
للشاب المسلم اليوم على أنه مفهوم الألوهية الحقة ؟ ! ولقد كشف علماء
المسلمين منذ وقت بعيد فساد مفاهيم الفكر البشري ونقصه . . وكيف أنها
منحرفة : . وكيف أن الله تبارك وتعالى يعلم الأمور كلها « وما تسقط من
ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلبات الأرض ولا رطب ولا يابس . . . » .

وإن هذا الذكون ليس مخلدا ، ولا باقيا : . وإن له نهاية كما كانت له
بداية . وأن الله تبارك وتعالى يمسك هذا الذكون لحظة بعد لحظة : . ويدبره
ساعة بعد ساعة ، وأن كل ما يقهله الفلاسفة هراء :

وال المسلمين يعلمون أن الكتب المنزلة حرفت وغيرت مفهوم الألوهية
الحقة (الله رب العالمين) فنسبه البعض إلى أنفسهم وقالوا : إنه رب الجنود ،
وربهم وحدهم : . وقال الآخرون : بأن الله ولدأ : . وكذبوا : « ما كان الله
أن يتخذ من ولد سبعانه . . . »

وليس مفهوم الألوهية صحيحاً ولا كاملاً إلا في الإسلام وحده . .
مفهوم إسلام الوجه لله : « إياك نعبد وإياك نستعين » :

ولقد حاول الفكر البشري أن يزيف مفهوم الألوهية الحقة : . وأنطأه
اللساونية حين قالت : (المهندس الأعظم) وهناك انحرافات الباطنية ،
والماضيين ، والوجوديين ، ودعاة وحدة الوجود والحلول والاتحاد على
النحو الذي عرف عن كثرين : . وهناك مفهوم الإسلام بوصفه ديناً
لاهوتياً : . والحقيقة أن المطلوب ليس إثبات وجود الله تبارك وتعالى : .
ولكن المطلوب معرفة حقيقة هذا الوجود : . . بعيداً عن هذه المفاهيم
المنحرفة ، ويستتبع الإيمان بالله تبارك وتعالى : . الإيمان بشرعه .

ولكن الدكتور زكي نجيب محمود لا يثبت أن ينقص من شأن هذه
الشريعة وبصفتها بأنها فاصرة ومجافية للعصر ، ويطالب بمحضتها في سبيل
تحقيق المعاصرة : . وهو يقبل بالحضارنة الغربية كما كان يقبل بها سلفه
طه حسين (حلوها ومرها . . . وما يحمد منها وما يعاب) فما عرف عنه أنه

دعا المسلمين إلىأخذ العلوم مثلا دون أسلوب العيش : . ولكنكه يدعو إلى شيء غريب : . هو أن المسلمين ليس لهم فلسفة حياة : . وهو ادعاء باطل وظالم : . فكيف يمكن أن يقال لأصحاب القرآن الذي وضع منهاجاً للحياة والمجتمع غاية في الإحكام : . مجربه الشعوب والأمم ألف عام : . فأقام لها حياة الرحمة والعدل والإخاء البشري : . كيف يمكن أن يقال لهذه الأمة : إنها لا تمتلك منهاجاً حياة : . وكيف يقبل وهو العقلاني الحصيف هذا المنهج الذي يعيشه الغرب : . سواء الغرب الليبرالي : . أم الماركسي ، في ذلك الخصم العفن الفاسد المتأكل من الشهوات والإباحيات ، والانحراف والتحلل والغرابة بشهادة كتاب الغرب والشرق على سواء : . وكيف يغضى وهو الأمين على الكلمة عن أزمة الحضارة وأزمة الإنسان الغربي : . وقد قرأ عشرات من الكتابات آخرها ما كتبه (ساجوستين) ودمغ به حضارة الغرب التي يكبرها زكي نجيب محمود ، وحسين فوزي ، و توفيق الحكيم .. ويشيدون بها : . وينغوصون بأفلامهم في تلك الحمم من الدماء والعفن والفساد : . وهم يقولون " لا إله إلا الله " على الأقل وراثة ، ويرون كيف يقدم الإسلام ذلك المنهج الذي الطاهر : . الأخلاق الكريم : . الذي يرفع من قدر الإنسان : . وكيف يحق لأمة تحمل لواء القرآن (ألف مليون مسلم) أن تتخلى عن رسالتها في تبليغ كلمة الله الحق إلى العالمين ، وتنصر في بوتقة الأهمية والحضارة المنهارة التي تمر باخر مراحلها . . وهل من الأمانة أن يدعون أنفسهم إلى هذا وهم روادها : . والرائد لا يكذب أهله ولا يغشها . . إن مسئولية القلم وريادة الفكر هي أضخم المسؤوليات عند الله تبارك وتعالى يوم الحساب .. وقد كان أولى بهم جيئاً أن يصدقوا أنفسهم النصح ، ويدعونها إلى أن تقيم حضارة الإسلام مجده في إطار " لا إله إلا الله " والأخلاق والرحمة والإخاء الإنساني ، وأن يلتمسوا أسلوب العيش الإسلامي ليقدموا للبشرية نموذجاً جديداً تقلياً تتطلع إليه النفوس والأرواح اليوم بعد أن عم الفساد البلاد الغربية كلها ، أن الغرب بتطلع إلى ضوء جديد : . ولن يكون غير الإسلام .. وسوف يدمغهم التاريخ بأنهم كانوا رواداً غير موتّنين على الأمانة ، وسوف تكتب أسماؤهم في سجل الدين عجزوا عن أن يقولوا كلمة الحق ، وأن ينصحوا أنفسهم وهم الذين عاشوا حياة الغرب ، وعرفوا فساد مناهجه وأساليب حياته ، وعرفوا

آن هذه الأمة الكريمة على الله أعز من أن تسحق في أتون الشهوات وأن تلمر بأيدي أبنائها ودعائهما تلعم أسماؤهم ، وتخدع الناس شهرتهم . إن الدكتور زكي نجيب محمود قد أخطأ الطريق حين فهم التراث الإسلامي ذلك الفهم الذي جعله يكرم أمثال (ابن الرواندي) ، (ومزدك) ، (ومانى) ، (والحلاج) ، (الباطنية) ، (والشعوبية) ، (إخوان الصفا) ، وتلاميذهم . كذلك فهو مؤمن بمجموعة من المسلمات الخاطئة من عصارة مفاهيم الفكر البشري الوثني المادى . . فضلا عن أن إيمانه بالعلم والعقل وحدهما بينما مفهومه عن الإسلام يتسم بقصور شديدة عن المفهوم الجامع .

وإني لأسأل الدكتور زكي نجيب محمود : هل يؤمن بالوحى ؟ . . هذا هو مقطع المفاصلة بيننا وبينه : وإذا كان يؤمن به . . فلماذا لم يعلن فساد منهج كتابه (خرافة الميتافيزيقا) ، ولماذا لا يؤمن بهذا الوحي الذي جاء به القرآن شريعة ومنهج حياة ؟ . وإذا كان الدكتور زكي نجيب محمود قد تراجع عن (خرافة الميتافيزيقا) وغيرها من آرائه ؛ : أليس من الشجاعة أن يعلن ذلك صراحة حتى يستطيع أن يكتسب إلى صفة بعض الناس .

إن محاولة افتعاد مكان طه حسين اليوم هو أمر مضيع . . فقد انتهى ذلك العهد وصها الناس ، وخطت حركة البقظة الإسلامية خطوات واسعة . . فكشفت عن فساد تلك النظريات والأطروحات الزائفية التي قدمها الآباء العتاة الذين كانوا يستقبلون أبنائنا في الجامعات الأوروبية وهم من أمثال مرجيليوث ، ودور كايم وغيره .

أما قول الدكتور زكي نجيب محمود : إن الثقافة الإسلامية في العصر العباسي قد اغترفت ثقافات الدنيا بغير حساب . : فهو قول باطل . . لقد وقفت الثقافة الإسلامية موقف التحليل والغربلة لكل ما ترجم ، وأنخذت منه ما وجدته صالحاً ومطابقاً لمفهوم التوحيد الخالص . : أما ما عدا ذلك : ه فقد رفضته وشتت عليه حرباً عنيفة ، وأخرجت دعاته من طريق الفكر الإسلامي فأطلقت عليهم اسم (المشاوشون المسلمين) إعلاناً لتبعيتهم للمشائخ اليونانيين : : ولم تقبل منهم ما جاءوا به . . وأعلن المسلمين أن منهج اليونان أو منهج العنوصية الشرقي . . كلامها باطل وأن للإسلام منهجاً خاصاً مستقلاً

كما نفعل نحن اليوم إزاء ما يقلده التغريبيون من فكر الشرق والغرب . . .
ما هو ليس مقبولاً في الإسلام بحال : . كذلك فإن نظرية زكي نجيب محمود
بالتوافق بين المترجم الوارد الغربي وبين المحدد من التراث الإسلامي (وهو
ما يسميه التراث العربي استئنكاراً وتجاهلاً لأناته الحقيقي) هذه نظرية ليست
مستحدثة : بل هي نظرية طه حسين ، وهيكيل ، والزيارات : . وغيرهم . . وهى
نظرية اتفصح بطلانها : . أما ما تعارفت عليه اليقظة الإسلامية فهو أن يقوم
أساس إسلامي أصيل من مفهوم الإسلام الجامع (بوصفه منهج حياة ونظام
مجتمع) وفي صورته يحاكم التراث كله ، والوافد كله ، ولا يقبل إلا ما
يزيد هذا المنهج قوة ودعماً مع الاحتفاظ بأسلوب العيش الإسلامي (عقيدة
وشرعية وأخلاقاً) ودعوى زكي نجيب محمود بالمواهبة مرفوضة : .
فالمسلمون على استعداد للتضحية بالتقدم المعاصر في سبيل الاحتفاظ بالقيم
الأساسية التي هي في حقيقتها ليست معوقة للتقدم المعاصر : . ولكنها حائلة
دون فساد الخصارة الغربية وزيفها وانحلالها الذي يود هوؤلاء القوم إغراق
هذه الأمة فيه . . والله يقول الحق وهو يهدى السبيل .

* * *

زكي نجيب محمود

القائد الجديد لكتيبة التغريب بعد سلفة الراحل طه حسين

كان لابد بعد أن رحل الدكتور طه حسين زعيم التغريب الأصيل من تعين خليفة له . . . فوق الاختيار على الصيد الثمين . . . وكان هذا الصيد الثمين يتمثل في الدكتور زكي نجيب محمود كخليفة للضم الذي هلك . . . وتولى زكي نجيب محمود قيادة كتيبة التغريب . . . وما لبث أن انكشف أمره كما انكشف أمر سلفه من قبل أمام حقائق الإسلام وأباطيل الغرب .

إن للإسلام منهج حياة جربته الأمم والشعوب أكثر من ألف عام . . . فآقام لها حياة الرحمة والعدل ، وبني لها صرح الإخاء البشري . . . ثم يجيء التغريبي العجوز زكي نجيب محمود ليقول : (إن الأمة الإسلامية لا تملك منهج حياة) ليعرض بالنوادر على منهج الغرب العفن المتأكل بإياحياته وانحرافاته . . . وتحلله وشهواته . . . وكيف يسمى الدكتور العجوز نفسه مسلماً وهو الرجل الذي استنكر أن يسمى تراثنا باسمه الحقيق فوضنه بالتراث العربي بدلاً من التراث الإسلامي استنكاراً ثم بعد ذلك ينقص من شأن الشريعة الإسلامية وينعتها بأنها قاصرة ومجافية للعصر الذي نعيش فيه كذب والله ؟ ! !

* * *

الفصل الحادى عشر

سقوط مذهب الوجوبيّة

جرى التساؤل حول نظرية الوجوبيّة بعد أن هلك سارتر . . وما هي الآثار التي تركتها على جبين الأدب العربي والفكر الإسلامي؟ . .

والواقع أن نظرية الوجوبيّة قد نفقت قبل هلاك سارتر بوقت طويل . . وإن حاول هذا الشق أن يمد من عمرها بانهائه في السنوات الأخيرة إلى الشيوعية واحتضانه لقضايا الصهيونية . . إذ هو نصف يهودي كما كان يطلق عليه عباس العقاد : لأن أمه يهودية . . وقد خدع بعض البلهاء من المصريين حين أعدوا له زيارة ليحصلوا منه على تصريح يخدم القضية الفلسطينية بعد أن نقلوه إلى خيام اللاجئين في غزة . . فما أن غادرها حتى كشف عن هوئه الصهيونية اليهودية وأعطي الماركسيين الذين احتفوا به درساً كشف عن عمالتهم هم . . ومكره هو والذين رافقوه : . . ومع هذه الملاطمة القاسية فإن كتاباً مصرياً وعربياً ما زالوا يذكرون سارتر ، ويتحدثون عنه ، ويشيدون بمذهبه . . وبما يسمونه الوجوبيّة العربية التي قادها عبد الرحمن بدوى وكان لها على فترة طويلة أعوازاً : . . وكانت كتب سارتر تظهر في باريس بالفرنسية وفي بيروت بالعربية في وقت واحد . . وربما ندّم بعض الكتاب عن تبعيّتهم لسارتر ، وأحسوا أنهم أخطأوا الطريق بعد أن قرأوا ما كتبه (جالك بيرك) مثلاً حين قال :

(إن سارتر عقل كبير . . ولكن مع الأسف يفتقر إلى الذكاء السياسي . . وليس من الضروري أن يكون العقل الكبير عقلاً سياسياً . . ولكن المشكلة عند سارتر أنه يريد أن يكون سياسياً فيما يواجهه من التيارات اليسارية . . ومنها الشيوعية بنوع من العقد النفسية . . ومن المؤسف أن سارتر الذي يبني

معظم فلسفته على فهم الآخر لا يفهم الآخر ولا يحس به . . لم يستطع سارتر أن يتغلب على ما أحبط به من الدعاية والتضليل الصهيوني . . فاعتبر إسرائيل (صيحة) : . . وقلب القصة فاعتبر إسرائيل (ملدعي عليها) . . الدعاية الصهيونية بلغت أن يقلب الحقيقة التاريخية في أوروبا كلها : . . إنهم ينفون أن يكون الوجود الصهيوني استعماراً .

ويردد كثير من أنصار سارتر فشل سارتر ، وكيف تبخرت مفاهيمه التي ضللت الشباب الغربي ردهاً من الزمن ، وكيف انقضى بريق اسمه ، فظهرت الوجودية فلسفة للفوضى والانحلال ، وكيف هوجمت فلسفة سارتر من كلتا التزمتين : الرأسمالية والشيوعية ، ورفضوا مفهومه عن الحرية ووصفوها بأنها حرية فوضوية . . ومن ثم حاول سارتر أن يتقرب إلى الشيوعيين وتراجع عن كثير من آرائه السابقة :

وفي مصر تقدم عبد الرحمن بدوى برسالة دكتوراه عن (الزمان الوجودي) ورأس المختل الدكتور طه حسين واشترك مع المستشرق الألماني بول كراوس وأعلن طه حسين أن عبد الرحمن بدوى أول فيلسوف وجودي مصرى ، وقد قدم بدوى الفكر الوجودي وترجم كل المصطلحات الوجودية الشاقة وترجم كتاب سارتر الضخم : (الوجود والعدم) .

ولم يلمس عبد الرحمن بدوى أن اخْتَفَ وطْوَهَ الْمَوْجَةَ الَّتِي نَطَوَى كُلَّ الْمَدَاهِبِ الْضَّالَّةِ وَالْمَنْحَرَفَةِ ، وكشف الفكر الإسلامي عن أصلاته في أنه يرفض كل ما ليس متصلاً بقيمة الأساسية مهما بدواً وله بريق أخاذ .

لقد كانت فلسفة سارتر شوئاً عليه : . . فقد أضفت عليه ظلاً مظلماً ما زال يلاحمه . .

وقد كان عبد الرحمن بدوى قبل سارتر تابعاً للفلسفات الباطنية والمحوسية . . يحيها ويرد إليها الروح ، ويقدم شخصيات قلقة في تاريخ الإسلام ، ويشيد بأمثال الرواندي والخلاج وغيرهما من الزنادقة . . وإلى جانب ذلك فقد قدم في الفلسفة الإسلامية الجانب الصوفي المتصل بوحدة الوجود والخلول ، وأشاد بالسهر وردي وابن عربى وابن سبعين : . . تلك الشخصيات الضالة التي عمل أستاذه الأول (ماسنيون) على إحيائهما . . وكان طه حسين هو صاحب الدعوة إليها في الأدب العربي منذ أعاد ابتعاث (إخوان الصفا) وكما

سقط الفكر الباطني سقط الفكر الوجودي وانهارت تلك الصرخة على رؤوس أصحابها (أفمن أسمى بنيانه على ثقوى من الله ورضوانه خير أمن أسمى بنيانه على شفاعة جرف هار فانهار به في نار جهنم).

وإذا كان الأدب الغربي قد عرف وجوديه كير كجارد ، وكامي ، وسارتر . . فإن ذلك كله مستمد من أصول أصلية فيه تقوم على فكرة الخطبية المسيحية : : أما في الفكر الإسلامي فإن محاولة زكي نجيب محمود عن المنطق الوضعي ، وفؤاد زكريا عن الفلسفة الماركسية ، وعبد الرحمن بدوى عن الفلسفة الوجودية هي محاولات ضالة باطلة سرعان ما لفظتها الفكر الإسلامي صاحب الصرح الشامخ القائم على فكرة التوحيد الخالص ، والإيمان الإنساني والعدل والرحمة . . وقد ذابت محاولات إحياء الفلسفة الصوفية التي قام بها (ماسينون) أربعين عاماً بإحياء الخلاج . لأن المسلمين عرفوا طريقهم إلى التوحيد الخالص : : فقد أسقطت حركة اليقظة محاولاته إحياء الفلسفة ، والتصوف الفلسفي ، والكلام ، والاعتزال ، وجعلته ركاماً حين أحيت (المهاجة القرآنية) الأصيل حيث بدت كل محاولات الفلسفة الإسلامية المعاصرین : : وكأنها مقدمات موقوتة انطوت صفحاتها حين برق نور المفهوم القرآني : مفهوم أهل السنة والجماعة على نفس النسق الذي واجه المشرئون القدامى أمثال ابن سينا والفارابي : : وقد تكشفت نزعاتهم إلى الباطنية الإسماعيلية في الأخير بعد أن خدع بهما الكثيرون ، وحين يتنادى باسمه اليوم بعض علمان المستشرقين فإن الأمر لا يخدع أحداً . : ذلك أن الحقائق التي تكشفت فرداً ببعض كبار الكتاب عما خدعهم به البريق الخاطف . . يقول أنيس منصور : (من الضروري أن تفلت من جاذبية شخص كبير لتجد نفسك ومعه حرية) : : لقد وقعنا في غلطة حين تأثرنا بأستاذنا عبد الرحمن بدوى . . . كثيراً ما رأى كان رؤيته هو . . والذى وجده شاقاً كان مشكلته هو والذى أحبه كان مزاجه هو . . ولكن في السنوات الأخيرة عاودت قراءة الفلسفة من ينابيعها إلى أفرعها منها عبد الرحمن بدوى فلم أجد لها كذلك) . . وهكذا تبين أن هذه الظاهرة كانت باطلة . . بل إن أنيس منصور يبشرنا بأن سارتر عندما مات قال على فراش الموت : لا شيء . . كل شيء عدم .

ويستطرد أنيس منصور قائلاً : سارتر الفيلسوف الوجودي الملحد
كانت آخر كلاماته لا شيء . . أى لافائدة من أى شيء . . فهو يرى أن
الوجود والعدم لها نفس القوة . . ولها نفس المعنى . . فهوى كالليل والنهر
لا ينفصلان ، ولا تعرف على أى شيء أمحاب سارتر لآخر مرة بكلمة
لا شيء . . لافائدة . . لا معنى . . لا هدف . . كل شيء عدم . . أو كل
وجود عدم . . أو كل موجود معدوم . .

مجلة أكتوبر ١٩٨٠ / ٥

وهكذا يندم أنيس منصور على أنه تابع هذا الفكر الضال أكثر من عشرين
عاماً من عمره قضيابها في تحسين هذا الفكر وزخرفته وتقديمه إلى الشباب
في عشرات من الكتب التي طبع منها مئات من الألوف لتخديعهم عن الحقيقة
ولتزييف لهم الواقع ولتردهم عن التفهم الأصيل ، عندهما كتب مقالاته عن
رحلته إلى الأرض المقدسة ، وكان عليه أن يعلن انسحابه من كل هذه
المفاهيم والعقائد ، وأن يصحح موقفه أمام قرائه خلال هذه السنوات الطويلة . .
واليوم يصف فلسفة الوجودية بأنها فلسفة المقابر . . لأن سارتر تحدث عن
الموت والدمار والخراب ، والوحدة والقلق والفرز ، والخوف والغثيان
والعدم ، والتصفت كل هذه المعانى السوداء في قلمه وفي حاله . . هناك
وجودية ملحدة عن سارتر وكامي وهيدجر ووايسيرز وأونامونو . . وجودية
مؤمنة عند جابريل مارسيل ، وبرديانف ، وجاك مارتيان . . وكان حفناً على
أنيس منصور أن يقرأ الفكر الإسلامي الأصيل ويعرف زيف الوجودية جملة
بمفهوم الانطلاق من انصواته والحدود والقيم التي رسماها الدين الحق ، وأن
يعلم أن نظرية الوجودية كما جاء بها سارتر إنما كانت تمثل تحدياً مخالفاً من
بالشعب الفرنسي بعد سقوطه في قبضة ألمانيا إبان الحرب . . هذا السقوط
الذى كشف كما قال زعيمه (بيتان) عن انهيار الأخلاقى العاصف . . ولما
كانت الصهيونية العالمية هي التي صنعت هذا بالثورة الفرنسية فإنها قدمت
سارتر على جميع أجهزة الأعلام والدعائية لتفتح صفحة أشد عنفاً من الانهيار
الأخلاقى والاجتماعى . . تلك التي صنعتها فلسفة سارتر بظهور جماعات الوجوديين
الذين تشكلوا في الغرف المظلمة ، والحوارى الضيق وتحت أسطح العمارت

لهمارسوا أسوأ صور الجنس ، ويعلنوا احتقارهم للمجتمع : وعنهن نشأت
پقدرة (المهيبة) التي تعم الآن العالم كله .

ولقد كان أخطر ما في الدعوة الوجودية إنكار الله تبارك وتعالى ، والسخرية بالأديان . واعتبار الإيمان بالله عائقاً كبيراً عن حرية الإنسان ، وأن أثر التعاليم الربانية على الإنسان جد خطير : لأنه يضيع عليه فرصة التعمق بالأهواء ، والترغ في الشهوات . فالوجودي لا يؤمن بوجود الله (تبارك وتعالى) ولا يؤمن بنظام خلقي يسود على الإنسانية : الإنسان عندهم حر ومسئول أمام نفسه فحسب : لا أمام الله : وهكذا نجد سارتر يدعوه إلى الحرية المطلقة من كل قيد !

ولقد جاء سارتر إلى مصر ترافقه سيمون دي بوفوار ، التي قالت لنساء مصر في صراحة تامة : نحن نريد أن ننظم (قوامة) الرجل ودعت إلى حياة زوجية محررة من (العقد الشرعي) كحياتها هي مع سارتر . ولقد كشفت إحدى المراقبات لسارتر خلال رحلته إلى مصر في الفترة الأخيرة خفاياً كثيرة في هذه الزيارة اللالعينة . فأشارت إلى أن (رفيق) سارتر وسميون كان رجلاً يهودياً (كلود لانزمان) وهو الذي وجه الزيارة على النحو الذي أرادته الصهيونية : وقد أشارت إلى أن كتاب اليسار استقبلوا سارتر بتقدير بالغ كان موضع دهشته هو أساساً : وذلك مثلاً حين كتب أحد الشيوخين مقالاً عنوانه (سارتر ضمير العصر) وكان سارتر يتساءل بعدها : (أنا ضمير العصر كلّه ! : أنا لست حتى ضمير نفسي) ثم يطلب ضاحكاً من لانزمان أن يتحمل عنه بعض هذه الألقاب !

وتفوّل الكاتبة: (لقد سمع ورأى .. ولكنّه لم يتأثّر قيداً أبداً بما سمع ورأى)، لقد كان استقبالنا لساراتر أشبه بظاهرة .. وكان كلامنا معه أشبه بالصلب في وادمه جور .. إلا أن الصهيونية كانت أذكى منا وأكثر دقة في قيادته إلى أهدافها .. فقد دست (كلود لازمان) بفكرة الصهيوني المغلف بطبقة مزيفة من الفكر التقليدي للتضليل .. دسته على سيمون في وقت كان فيه ساراتر يتّأرجح بين وجوديته والشيوخية .. فاستطاعت سيمون بتأثّر من (لازمان) أن تسوق ساراتر إلى أن يخرج عن قاعده ويسير وراءها منوماً أو كالموم .. فانهerà بما قدم إليه فترة .. قبل أن يعود إلى قواعده

سالماً : وقد رأينا كيف كان لانزمان يقف في الظل وراء سارتر في كل زياراته لسماعه صوت (هرزل) واضحاً بجلاله وهو يهمس به إليه . كان هذا في مارس عام 1967 وفي نوفمبر من نفس العام اكتملت الصورة : . فقد منحت إسرائيل شهادة الدكتوراه الفخرية لسارتر في سفارة إسرائيل بباريس بحضور عدد من المثقفين الفرنسيين على رأسهم سيمون وفرانسوا جربو وزيرة الثقافة الفرنسية ، وأذاع التليفزيون الفرنسي كلمة سارتر التي قال فيها :

(إن قبول هذه الدرجة العلمية التي أشرف بها له مدلول سياسي . : فهذا القبول يعبر عن الصداقة التي أحملها لإسرائيل منذ نشأتها) .

هذا سارتر الذي كتب (المأساة اليهودية) وهو الذي زار إسرائيل وأشاد بها ، وهو الذي شارك في المظاهرات ، ووقع على البيانات الموحدة لإسرائيل .. وقد قبل سارتر الدكتوراه الفخرية من الجامعة العبرية ، وهو الذي رفض من قبل كل الجوائز التي أهديت له بما فيها جائزة نوبل ..

وكان سارتر قد قام بزيارة لإسرائيل قبل حرب عام 1967 ببضعة شهور : . وما لبثت نذر الحرب بعد عودته إلى فرنسا أن بدت في الأفق في مايو عام 1967 فسارع سارتر وجموعة من المثقفين الفرنسيين الآخرين إلى إصدار بيان في تأييد إسرائيل التي سيدمرها العرب : . ولكن إسرائيل بدأت الهجوم ، واحتلت من الأرض ، وقتل من العرب ، ودمرت : . فلم يراجع سارتر نفسه ، ولم يعدل موقفه إلا بعد أن اشتعل أوار النضال الفلسطيني بعد المذمة ، وامتدت نيراته إلى بعض العواصم الأوروبية ..

وبعد فلقد سقط فكر سارتر قبل أن يذهب : . لأن دعوته هي نوع من هوى النفس . . وهي مواجهة لتحد عاشه في عصره : . ولكن الزمن يتحول ، والفكرة التي تكون اليوم استجابة لوضع معين : . فإنها سرعان ما تسقط مع تحولات الزمن والبيئات . : ولذلك فإن الوجودية لم تستطع أن تكون مذهبأً قائماً أو مستمراً : . وهكذا كل الأيديولوجيات البشرية التي صنعتها الفلسفه : . وظنوا أنهم قد استطاعوا حل مشاكل عصرهم : . ذلك أن هناك منهاجاً واحداً : هو الذي يستطيع أن يحل مشاكل الإنسان في كل العصور والبيئات . : ذلك هو منهاج الله الحق (لإله إلا الله) .

الفصل الثاني عشر

المؤامرة على الفصحي لغة القرآن

لouis عوض

ما تزال المؤامرة على الفصحي لغة القرآن مستمرة منذ قدم التقوذ الأجنبي إلى العالم الإسلامي وحاول السيطرة عليه ومنذ ذلك الوقت ما تزال المعاول تضرب في جدار اللغة العربية بهدف إدخال اللغة العربية إلى المتألف كما فخلت اللغات اليونانية والسرقانية والفرعونية وعشرات من اللغات ، ولكن هبات فإن اللغة العربية الفصحي خالدة باقية لأنها تحمل على جناحيها آيات القرآن الكريم التي لا تزول .

هذه المؤامرة تلبس في بعض حلقاتها ومراحلها ثوب البحث العلمي وتحاول أن تعتمد على بعض النصوص التي وردت في كتابات الباحثين المسلمين في فترة من الفترات التي غلبت فيها الفلسفة اليونانية وتأثر بها بعض العلماء أو بعض الشعراء على النحو الذي نراه في كتابات المعززات عن قصة خلق القرآن على النحو الذي كتبه القاضي عبد الجبار أو من تأثر بالمقاهيم اليونانية الفلسفية من الشعراء أمثال أبي العلاء المعري ، ثم يجيء اليوم بعض الباحثين ليستخدم هذه النصوص في الغض من شأن اللغة العربية أو الادعاء عليها بدعوى مختلفة يراد بها نقاوتها ونقاصها شرفها في حمل آيات القرآن إلى العالمين .

ونحن نعرف أن قضية الفلسفة اليونانية وترجمتها إلى اللغة العربية وتأثيراتها ليست قضية مستقلة ، وإنما هي موجة من موجات هذا الفكر قد واجهها العلماء المسلمين بالرد الواضح الذي زيف هذه الآثار التي لبستها بعض أفلام الفلسفة أو الكتاب أو الشعراء .

وقد كان واضحًا وضوحًا لا شك فيه أن علوم فقه اللغة والنحو والتاريخ قد نشأت وترعرعت وتكاملت منها الإسلام قبل ترجمة الآثار اليونانية وهي علوم عربية أصيلة ، لم تتأثر بالفكرة اليونانية وإنما الذي تأثر هو علم الكلام والبلاغة وهي تأثرات لم تستمر كثيراً ، فإن المحاولات التي حاول بعض الباحثين التأثير بها على المضامين العربية قد لفظتها اللغة والآداب العربية كما يلفظ الحسد القوى الجسم الغريب ، ولذلك فإنه سرعان ما ارتفعت صيحة الأصالة التي حررت الفكر الإسلامي كلها من هذه التأثيرات وبرز مفهوم السنة الجامعية الذي استصنف وصهر في أعماقه كل إيجابيات فرق المعتزلة والشيعة والخوارج ، ولم تبق هذه الكتابات لا بثابة وثائق تاريخية ولكن التغريب والاستشراف يحاول أن يبعد هذه القضايا الجذرية خارجة عن إطارها في المعركة العامة بين الفلسفات اليونانية وبين أصالة الإسلام التي ردت كل ما يتعارض مع التوحيد الخالص ، وقضية خلق القرآن ، هي إحدى القضايا التي جرت حولها أبحاث كثيرة وانتهى الرأي فيها إلى مفهوم أهل السنة وهي أن القرآن كلام الله غير مخلوق :

وإن كتابات أمثال القاضي عبد الجبار في هذا المعنى ليست إلا جزء من هذه القضية التي انتهت والتي كانت تمثل تلك المحاولات التي حاولها قدماء بن جعفر في البلاغة أو الفارابي وابن سينا في الفلسفة أو ابن عربي والحلاج ، والسروردي في التصوف ووحدة الوجود ، كل هذا رده الفكر الإسلامي الأصيل وكشف زيفه وتأثيره بالفلسفات اليونانية وقد تعالج هذه الصيحة إلى تحرير الفكر الإسلامي من آثار الإغريق والمحوسية وغيرها في عشرات من الدراسات والأبحاث التي قطعت معها جهيزية قول كل شعوب في القديم والحديث ،

تاريخ متصل في الطعن على اللغة :

ومن هنا فإن هذه المحاولة التي يقدمها الدكتور لويس عوض في كتابه : (مقدمة في فقه اللغة العربية) ليست إلا حلقة جديدة من حلقات حربه المتصلة لغة العربية الفصحي التي بدأها منذ ظهور ديوانه (بلوتولاند) الذي طبعه عام 1947 وأعلن فيه الحرب على الفصحي وما يتصل بذلك من دعوته إلى

العافية وكسر عامود الشعر ، وقد ادعى من قبل أن استخدام العافية سيؤدي بعد قرنين إلى ترجمة القرآن إلى العافية ، وقد أراد الدكتور لويس عوض في كتابه الجديد الدخول إلى هذا الموضوع بأسلوب جديد ومن ذلك دعوى زائفه منها دعوه العريضة بأن العرب لم يكونوا إلا قوماً من القوقاز هاجروا إلى الجزيرة العربية وقد ادعى هذه الدعوى المعارض لطابع الأشياء والمختلف صور المجرات التي ترى أن المهاجرين يخرجون من الأرض الجافة إلى الأرض الخصبة ، وأن الصحيح الذي ثبت أن الجزيرة العربية هي التي كانت متزحجاً لمجرات كثيرة منها إلى خارجها ، ولكن الدكتور لويس عوض يعارض كل نواميس الكون والحضار من أجل أن يصل إلى غرض بعيد المدى هو الادعاء بأن اللغة العربية ليست إلا فرعاً من فروع الشجرة التي خرجت منها الجموعة الهندية الأوروبية وأن هناك من الأدلة ما يشير إلى وجود علاقة بين العربية وبين القوطية والجرمانية القديمة .

وبدلاً من أن يقال : إن اللغة العربية قد دخلت إليها عشرات أو مئات الكلمات من اللغات الأجنبية تجلى الدكتور لويس عوض ليعلن هذا الرأى الخطير الذي لم يقدم له أى دليل علمي أو تاريخي أو حتى مجرد افتراض افتراضه باحث قبله فهو يحاول إلقاء هذه الشبهة على نحو غريب لم يعهد له البحث في العلماء الذين يقدمون بين يدي أبحاثهم بالوثائق والأسانيد ويقول في جرأة غريبة :

(وقد انتهيت من أبحاثي إلى أن اللغة العربية هي إحدى فروع الشجرة التي خرجت منها اللغات الهندية الأوروبية) ، ثم يصل بعد أن يعتبر اللغات اليونانية فرعاً من هذه الشجرة ، واللغات العافية فرعاً آخر ، إلى القول : فالأمر إذن يتتجاوز أن يكون مجرد اقتباس اللغة العربية لمئات الألفاظ أو آلاف الألفاظ من اللغات الهندية الأوروبية المحيطة بها كاليونانية واللاتينية والهندية وأكثرها من ألفاظ الحضارة كما كان يظن بعض فقهاء اللغة ، لأن اللغة كغيرها من اللغات السامية ليست في صلتها وسمتها الأصلى إلا تطوراً طبيعياً من نفس الجذور التي خرجت منها السنسكريتية وإيرانية الزند واليونانية واللاتينية والجموعه التيتونية وأن ما نجده من أسماء الأعداد والحيوانات

والبنات مشاركة في الجذور يشبه في أن هذا التوارث ليس نتيجة للتاثير والتأثير وإنما نتيجة لوحدة في الأصول .

ولا ريب أن هذه النظرية مرفوضة أساساً لأنها لا تقوم على أي دليل علمي ولا سند واضح وأنها ليست سوى فرضية تحبطها كلها الاحتمال المغرض الذي يطوي من ورائه غرضاً مبيتاً وهدفاً مقصوداً لا يخرج عن الخط الذي سار عليه الدكتور منذ مطالع حياته .

ولقد ترددت محاولات الدكتور لويس عوض بين امتعاض اللغة العربية والغض من قدرها أو محاكمتها إلى منهج علم اللغات العربي الذي وضع تحت ضوء تطور اللغات الأوربية بعد انفصalam عن اللاتينية وتحولها من لهجات محلية إلى لغات ، هذه الظاهرة التي تختلف فيها عن اللغة العربية التي حماها القرآن من التحول إلى لغة تاريخية كما تضمح أهواء الاستشراق ، وكما جرت المحاولات المتعددة لإعلاء العاميات العربية للقضاء عليها دون جدوى . إن محاولة إخضاع اللغة العربية لعلم اللغات الأوربي هي محاولة فاسدة ومضللة . وإذا كان الدكتور لويس عوض يحاول أن يغض من شأن العرب واللغة العربية لأنها من نتاج الألف الأولى قبل الميلاد وقد سبقتها أم وحضارات كاشور ، وبابل ، والبطالسة ، ويونان ، وملائكة سبا ، ومعن ، وفيبيقها فإن هي الآن هذه الأمم كلها من العرب الذين خلدهم الله كلهم باللغة العربية التي اتخذها القرآن الكريم أداة له وهي اللغة التي لم يقل العرب والمسلمون يوماً بأنها مقدسة وإنما كرمها نزول القرآن بها وأعطها هذه الميزة ، التي تعلو فيها وتحتفل عن اللغات التي نزلت بها التوراة (العبرانية) والإنجيل (الإرامية) وهي لغات انطوت وانتهت بالرغم من محاولة الصهيونية إحياء لغة جديدة عبرية تختلف عن لغة التوراة :

والدكتور لويس عوض يعرف كيف سيطرت اللغة العربية بفضل حملها رسالة القرآن على اللغات المختلفة التي كانت تعيش في هذه المنطقة كالإرامية والقبطية وغيرها ، وكيف قطع القرآن الامتداد التاريخي في هذه المنطقة بين ألف سنة من حكم الرومان والفراعنة وبين ظهور الإسلام ، وكيف انتهت وثنية فارس والهند والرومان عن هذه المنطقة العربية هذا

الانقطاع التاريخي الذي تحدث عنه المؤرخون المنصفون غير ذوى الأغراض والأهواء .

والدكتور لويس عوض يعرف أن هذه (السامية) المدعاة هي زيف من الزيف ، وأنها ليست حقيقة تاريخية ، وإنما هي من مبتكرات أحد المترافقين إلى اليهود حتى تنسب إليها أمجاد التاريخ العربي القديم وسلبه من أصحابه الحقيقيين وخاصة إسماعيل بن إبراهيم وأبناءه وأحفاده وإضافة ذلك كله إلى مصادر غامض ليس له سند علمي ويستمد مصدره الأساسي من التوراة التي كتبها اليهود بأيديهم وليس التوراة الحقيقة المزورة على سيدنا موسى عليه السلام وذلك بهدف إشراك اليهود مع العرب في هذه الأمجاد بينما لا يوجد للهود أى اتصال بإنشاء هذه الحضارة :

ذلك أن (الإبراهيمية الحنيفية) هي أم هذه الحضارة الحقيقية ولما كان مطمح اليهود هو طمس هذه الحقيقة فقد ابتكر شلوسر هذه الدعوى (السامية) اعتناداً على ما جاء في التوراة المكتوبة بأفلام الأخبار في بابل ، بينما لم يرد هذا المصطلح مطلقاً في كتابات العرب وال المسلمين على مدى التاريخ وهذا (شلوسر) الذي اتكاً عليه الدكتور لويس عوض في دعواه وهو موضع الشبهة نتيجة لهذه الخطة الواضحة المدفأة :

وقد برز هذا المعنى في ظل تقسيم مستحدث ظهر في أوربا أبان استغلاله ترعة العنصرية الأوروبية التي قسمت العالم إلى ساميين وآريين لتضع العرب وال المسلمين في قائمة موازية للجنس الآري غير أن المحاولة التي رمت إلى ترويج مصطلح السامية في دراسات اللغات في الجامعات إنما كان برمي إلى حجب الإبراهيمية الحنيفة الأم الحقيقة للعرب والعربية وهي محاولة ماكرة خطيرة تهدف إلى نسبة أمجاد التاريخ الإسلامي إلى اسم قديم لا يعرف التاريخ له مصدراً واضحاً أو صحيحاً وهو السامية .

والغربيون يعرفون أن التوراة التي في أيدي الناس اليوم هي توراة مكتوبة بأيدي الأخبار ، وقد تطور الفكر الاستشرافي مرحلة أخرى هي التي يقدمها لنا اليوم الدكتور لويس عوض بدعواه أن اللغة العربية فرع من شجرة واحدة مع اللغات اليونانية :

يقول الدكتور لويس عوض : (القضية التي حاولت طرحها وإثباتها في هذا الكتاب هي أن صلب اللغة العربية ذاته كان من نفس الشجرة التي تفرعت منها المجموعة الهندية الأوربية حتى قبل هجرة العرب من موطنهم القوقازى إلى شبه الجزيرة التي تحمل الآن اسمهم وبالتالي فإن ما نجده من عناصر غير هندية أوربية هو الدخيل وليس صلب الأصلاب) .

وهذه مغالطة واضحة وادعاء باطل لا دليل له ، ترى إلى ما ذكره الدكتور لويس عوض بعد ذلك بقليل وهو الغض من شأن مكانة اللغة العربية ، والقول : بأنها واحدة من اللغات التي نزلت بها الكتب المقدسة من ناحية وأن ما يقال عن إعجاز القرآن لا يبعد أن يكون في صرف الله قلوب العرب عن محاولة الإثبات بمثله وهو ما كان يقول به فريق من المعترضين ومن أجل ذلك ركز على كتاب القاضى عبد الجبار . وقد التقى الدكتور لويس عوض بعض عباراته من كتبه فقه اللغة (المزهر للسيوطى ، والألفاظ والحروف للفارابى الجوهرى ، والمحاصيص لابن جنى) ليثير بها الشبهات حول إعجاز القرآن ، وهاجم الدكتور لويس عوض ما أسماه تطرف الإحساس بشرف اللغة العربية وعلوها على غيرها من اللغات بعد العربية نظرهم إلى شيء ينبع عن تزهه عنه اللغة أو عورتها ينبعى - الاعتذار عنها .

ولا يهدف من هذا التقول غير الإلحاد بالإشارة إلى إزالة مكانة اللغة العربية (بوصفها لغة القرآن) ومحاوله هدم مكانتها بالنقل من الكتب بعض النصوص المبتورة التي تؤيد وجهة نظره ، أو الاستعانة برأى القائلين بخلق القرآن والتشكيل في قدم اللغة العربية أو مكانتها لأن هذه مكانة تشارك فيما مع كل اللغات التي نزلت بها رسالات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، ونحن نعرف أن القاضى عبد الجبار ومفاهيمه كلها داخلة في دائرة الفلسفة اليونانية وأنها تقلل من فكرة تقبل الألفاظ المستعارة من اللغات الأخرى ، ولقد كان المسلمون على خطة تختلف بل وتعارض مع رأى القاضى عبد الجبار ، فقدكافحوا هذا التدخل وصنعوا الألفاظ العربية لكل المفاهيم التي قدمتها العلوم المترجمة ، وكشفوا عن أن هذه الألفاظ الأعجمية المدعاة في القرآن (مثل سندس واستبرق وبجيل) هي كلمات عربية الأصل .

بل أن الدكتور لويس عوض يريد أن يعلى من شأن القاضي عبد الجبار على الإمام الشافعى صاحب الصيحة الأولى في رد المسلمين عن الفكر اليونانى المستمد من علم الأصنام ، ويعرض على قول الإمام في : إنه يقرر أنه حينما يجد لفظين متشابهين في اللغة العربية وفي لغة أجنبية ، أن اللغة الأجنبية هي التي أخذت من العربية وليس العكس لأن الناقد يأخذ من الكمال وبشكل الدكتور لويس عوض في رأى الإمام الشافعى بأن لسان العرب أوسع الألسنة مذهبًا وأكثرها ألفاظاً ويقول : إن هذا الموقف يناسب إلى العرب ولغتهم عراقة ليست لهم دلالتها بين الحضارات القديمة .

وفي ثانياً البحث يدرس الدكتور لويس عوض كثيراً من السوم فهو يعتمد على كتاب (الخوارج والشيعة) ليوهوس فلهاؤزن في الوصول إلى القول : بأن القول بشرف اللغة العربية هو مصدر الخلاف الذي نتج عنه فرقنا الخوارج والشيعة ، وأن دعوة السيادة العربية هم الذين كانوا حر يصين أشد الحرث على إثبات نقاء القرآن من كل كلمة أعمجمية ، أما الشعوبيون فقد حرصوا على أن يثبتوا أن القرآن قد دخلته ألفاظ أعمجمية عديدة ولا شك أن هذا ادعاء غير صحيح ، فإن نظرية المولى التي ركز عليها لم تكن على هذا النحو الذي صرخه المستشرقون ، أن أبناء الأقطار المفتوحة كانوا أشد اعتزازاً بالقرآن وباللغة العربية من أهلها العرب وأن الأمور لم تكن على هذا النحو من أنحاء الخلاف بين الحاكمين العرب في عهد الدولة الأموية والحكومين من كافة المسلمين :

علماء لا رجال دين :

كذلك فقد أخطأ الدكتور لويس عوض عندما وصف الحكومة بأنها حكومة (تيرocratic) على نحو الحكومة الدينية التي عرفها أوروبا ، وهذا النوع لم يعرفه العالم الإسلامي ولا يقره منهون الإسلام الصحيح فليس في الإسلام أساساً رجل دين وإنما هناك عالم دين لا يعلو مكانه في توجيهه الحاكم والنصائح له :

ويحاول الدكتور لويس عوض أن يقدم نصاً من رسالة الغفران للمعمرى سخر فيه من أن اللغة العربية هي لغة الجنة ، وأن آدم كان يتكلمها في الجنة

فليا نزل إلى الأرض تكلم بالسريانية ، ونحن نعرف أن المعرى كان من ضحايا الفلسفة اليونانية وأنه تردد كثيراً بين هذه المفاهيم الرائفة .

ولا ريب أن فكرة خلق القرآن هذه فكرة دخيلة على الفكر الإسلامي ، وأن هناك من كان يقول بخلق التوراة ، وإنها جاءت مع سعوم الفكر اليوناني وقد صفت حركة اليقظة الإسلامية هذه المفاهيم جميعاً ولقد كان مفهوم أهل السنة والجماعة الذي قال به الإمام أحمد بن حنبل : إن القرآن كلام الله غير مخلوق ، ولم يقل : بقديم القرآن ، وإن المفهوم العقلاً المطلق الذي ذهب إليه المعتزلة لم يكن مفهوم الإسلام الصحيح وهذا ما صححه من بعد ظهور الإمام الأشعري ومن العيب الذي وقع فيه الدكتور لويس عوض ومن قبله الدكتور زكي نجيب محمود ، هو التقادط (شباهات) من خلال بحركة طويلة استمرت قرنين كاملاً لطرحها من جديد اليوم وببلة الأفكار بها ولقد كان حقاً على الباحثين المتصفين أن يتحدثوا عن هذه القضايا في إطار عصرها وأن يكشفوا الحقيقة التي انتهت إليها وهي سقوط مذهب الشعوبية كاملاً واستصفاء السنة الجامعية لكل ما هو إيجابي من هذه المذاهب والفرق وليعلم هؤلاء إن محاولة إعادة بث هذه الشبهات من جديد للليل من شأن القرآن أو اللغة العربية هو عمل مكشوف مفضوح قد تبيه إليه المتفون المسلمون فلم يعد يخالعهم وأنه لمن المؤسف حقاً أن يعتمد الدكتور لويس عوض في إثارة هذه القضية الكبرى على مصدر غربي مشهور هو (شلوسر) ومصدر إسلامي له وجهة نظر جزئية هو القاضي عبد الجبار في إثارة مثل هذه القضايا وما أظن هذه الإثارات بباله شيئاً ولن تخلص من الدوى والإثارة ما أحدثته كتابات طه حسين على عبد الرازق من قبل ، فقد مضى ذلك العهد وانقضى مذاهب الاستشراق ودعواه وتساقطت أهواؤه وسموته فلم يعلم بخدع بها أحد .

* * *

البابُ الثانِي

كتاب العصر

الفصل الأول : جيل الرواد .

الفصل الثاني : كتاب لبيان المارون .

الفصل الثالث : الفن والمسرح .

الفصل الرابع : دعابة التغريب .

الفصل الأول

جيبل الرواد

- ١ - رفاعة الطهطاوى .
- ٢ - لطفي السيد .
- ٣ - على عبد الرزاق .
- ٤ - أمين الحلوى .
- ٥ - حسين فوزى .
- ٦ - عباس محمود العقاد .
- ٧ - محمد حسين هيكل .
- ٨ - طه حسين .

(١)

رفاعة الطهطاوى

كان رفاعة الطهطاوى إمام البعثة المدنية الذى أوفدتها محمد على إلى باريس عام ١٨٢٦ وهو تلميذ حسن العطار ، وخرسج الأزهر الذى أمضى ست سنوات فى باريس وشهد الثورة الفرنسية عام ١٨٣٠ وتعلم الفرنسية ، وكانت له أعمال نافعة بعد عودته مثل إنشاء مدرسة الألسن ، وتولى رئاسة تحرير الوقائع المصرية عام ١٨٤٢ ، كما رأس مجلة روضة المدارس - عام ١٨٧٠ م .

وله كتاباً الخطير ان :

تخليص الإبريز فى تلخيص بايز .

مناهج الآلاب المصرية فى مناهج الآداب العصرية .

ودعوة رفاعة الطهطاوى لها عوامل إيجابية وعوامل سلبية ، فلا شك أن الدور الذى قام به وأصحابه وتلاميذه فى ترجمة الفكر العلمي الغربى كان عملاً نافعاً لا شك فيه ولكن مجموعة آرائه لم تكن الفكر الإسلامية فيها واضحة بل ربما شاهداً لون من الإقليمية من ناحية والانهار بالفکر الغربى من ناحية أخرى ذلك أن محمد على كان قد حمل فى هذه الفترة لواء الإقليمية المصرية فى مواجهة الدولة العثمانية ، كما كان للفرنسيين الذين خرجوا من بعد الحملة الفرنسية مهزومن من مصر ، وقد عادوا مرة أخرى موزعين له فى بناء الدولة ، أبعد الآثر فى ذلك الاتجاه المضطرب الذى عرف به رفاعة الطهطاوى .

إن رفاعة لم يستطع أن ينبعق الفكر الغربى ولم يتبع انحرافه وفساده ، فقد خدع إذ ظن أنه هو الفكر الإسلامي مترجمًا ، وهو كذلك من بعض جوانبه

(وربما في القانون الذي أخذه نابليون من مذهب مالك) ولكن الغربيين أخضعوه لأوهامهم وأدخلوا إليه إباحة الربا والزنا ، فكانت نظرة رفاعة لهذا مفطرية أو مهومة ، أو لم يستطع أن يستبين الفوارق العميقية بين الشريعة الإسلامية وبين قانون نابليون .

ولذلك فمقد وقع في أخطاء كثيرة منها تنازلاته بالنسبة للهجة العامية على حساب الفصحي ، وعبارة حب الوطن من الإيمان (وكان الوطن في مفهوم الإسلام) هو الوطن الإسلامي كله وليس مصر وحدها ، كذلك فقد كانت ترجماته للفكر الغربي مطلاقة وكان يجب أن تتحاط بسياج واضح من التعريف والتحذير ، ومعرفة الوجهة وبالفروق الواضحة بينه وبين الفكر الإسلامي . بل لقد ذهب رفاعة إلى أبعد من ذلك حين ترجم كتاباً عن مصر الفرعونية وحاول أن يؤلف عن مصر قبل الفتح الإسلامي . وقد عرفت له كتابات وقصائد وقد امتلأت بمشاعر الفخر بأمجاد قدماء المصريين ، ولا ندري لماذا ضيق رفاعة النظرة الإسلامية الرحبة في ذلك الوقت إلا إرضاء محمد على الذي كان على خلاف مع الدولة العثمانية ، أو ربما إرضاء لأساتذته من مستشرق فرنسا وبذلك يكون من أوائل من تأثر بمنهج الاستشراق .

وقد كانت هذه الدعوى التي حمل لوعها مقدمة لما قام به (محمد عثمان جلال) من ترجمة القصص من الفرنسية إلى العامية المصرية ، وظهور السوريين متربحي القصص الفرنسية الجنسية وبروز طابع العامية المصرية مختلطًا بالقصص المابطة (وإن كان رفاعة الطهطاوى قد حافظ على مفهوم الترجمة الأصيل في نوعيته وأسلوبه ، ولكن التفود الأجنبي استطاع استخدام هذه الخيوط الدقيقة لتحرك دعوته وتنمية فكرته التغريبية ، في الدعوة إلى العامية ، وإلى الإقليمية ، وإلى استغلال رفاعة في إبراز ما يسمونه عظمة الحضارة الغربية ، ثم تردد حركة العامية فيما بعد على نحو خطير بدعوة ولكنوكس ، ولطفي السيد ولكن حركة البارودى كانت عاملاً هاماً في العودة إلى الأصالة ثم جاء كامل كيلاني ، والهراوى ، والرافعى حادثة الفصحي في السنوات الأولى للحملة الضاربة وفي الحقيقة أنه ليس هناك أى وجه للمقارنة بين الطهطاوى والأفغاني ، فقد كان الأفغاني داعية الوحدة الإسلامية وإحياء

القرآن كمنهج حياة ونظام مجتمع ، وكان منادياً بالتنظيمات السياسية : من نوابية وجمهورية في نطاق الإسلام ، أما رفاعة فإن الأمر مختلف وهناك فارق بعيد وليس هناك أى خيط يمكن أن يقال : أنه يربط بين رفاعة والأفغاني إلا الصدية ، فهذه دعوة إسلامية خالصة وهذه إقليمية عالمانية ، أما رفاعة فهو أستاذ لطفي السيد ، وطه حسين ، وسلامة موسى . : نعم ، إن تنبئه الذهن الذى قام به رفاعة الطهطاوى لم يكن نحو الأصالة ولكن كان نحو التبعية ، نحو الخط الذى اتسع من بعد ، هذا الاتجاه الذى أعلن طه حسين أنه تجاوز طريق محمد عبده وأسلوبه فى الإصلاح إلى التغريب الواضح الصريح ، من الحق أن يكون طريق رفاعة هو طريق سعد زغلول أو طريق لطفي السيد ولكنكه ليس طريق الأصالة :

لقد استطاع التغريبيون والماركسيون اتخاذ رفاعة قنطرة إلى دعوامهم المضللة تحت اسم التقليدية والعصرية والعلمانية ولكن الواقع أن رفاعة لم يكن منهكراً أصيلاً إلا في بعض الحالات الفرعية كالتعليم والترجمة ، أما كمنكر فقد كانت نظريته العامة مشوهة بروح الانبهار بالغرب :

(٤)

اطفي السيد

(التغريب)

يسمونه أستاذ الجيل : ذلك الجيل الذى كونه كرومر واعتباره لغير أنس تحرير صحافة التغريب (الجريدة) الذى كان لبيان حزب الأمة : حزب التبعة الفكرية والسياسية للتفوذ الأجنبي ، دعا لاطفي السيد إلى أمور :

أولاً : إقامة الوطنية على أساس المتفعة والمصلحة والتفكير تفكيراً مادياً . نزع صفة القداسة في الوطنية التي حاول مصطفى كامل أن يغير بها في قلوب الناشئة والمواطنين والنظر إلى الوطن نظرة مادية خالصة :

ثانياً : تأييد الاتجاه البريطاني الذى حمل له من بعد سعد زغول وزير المعارف وهو عدم تعلم العلوم باللغة العربية وتعليمها باللغات الأجنبية بمحنة اشتباه مصالح الأمة ومعاملاتها مع الأجانب وضعف التلاميذ في اللغة الإنجليزية :

ثالثاً : مقاومة تعلم سواد الأمة ومعارضة الاتجاه إلى المخانية و ذلك حتى يمكن الحافظة على وجود طبقة معينة تحكم البلاد وهو تأييد للاتجاه الاستعماري :

رابعاً : تمجيد مزايا السياسة البريطانية ومدح كرومر واعتباره رجلاً من أعظم الرجال ليس له ند يضارعه في عظام الأعمال ، ومحاسنه المحتل والدعوة إلى التعقليل :

خامساً : معاوضة النعوتين إلى العروبة وإلى الوحدة الإسلامية الحركة التي قامت لمعاونة طرابلس الغرب عندما احتلتها إيطاليا عام ١٩١١ م :

سادساً : مؤامرة خطة ولوكوكس في تنصير اللغة العربية والتقرب من العامية والتقليل من أهمية اللغة العربية الفصحى :

وقد كانت دعوة لطفي السيد تمهدًا للنظام السياسي الذي حكم بعد الحرب العالمية الأولى والذي تمثل في حزب الوفد من ناحية وفي حزب الأحرار المستورين بمعنى أن هذه الأحزاب كانت تتحرك في دائرة الولاء للنفوذ الأجنبي ، ودون الاختلاف معه أو معارضته في الأمر الأول وهوبقاء الاحتلال مع التبعية الكاملة للفكر الليبرالي الغربي وكان سعد زغلول من أكبر زعماء هذا الاتجاه الذي صنعه كرومر . وقد قام حزب الأمة على الإقطاعيين ووقف موقف الماء مع الإنجليز وتحول إلى العمل السياسي بعد الحرب تحت أسماء جديدة فكان وريث ثورة عام 1919 م .

* * *

وعلى طريق حياة لطفي السيد كان عمله الذي طالما ردد مورخوه وهو مترجمات أرسطو التي ترجمت من الفرنسية :
(الأخلاق - السياسة - الكون والفساد) .

وهي منسوبة إليه ولكنه ليس هو مترجمها في الحقيقة وإنما قام بترجمتها قسم الترجمة في دار الكتب المصرية (ويشهد بذلك أحد مدحري دار الكتب الأستاذ أحمد عابدين) (1) .

كذلك فقد كان حامياً وحاضراً للدعوة التغريب التي نمت في الجامعة المصرية وفي كلية الآداب بالذات وقد عاشر مدافعاً عن الدكتور طه حسين كلما تعرض للخطر . وقد استقرت كراهيته للعلم الإسلامي وللدعوة إلىعروبة ما بقي من حياته وأقام على مفهوم الأقلية المصرية .

* * *

أصدر نيابة عن حزب الأمة (جريدة الجريدة) جريدة تنطق بلسان مصر ومتصررة تمامًا من المفهوم الإسلامي العربي الجامع ، والقصة معروفة ، فقد دعا كرومر بعد ظهور الحزب الوطني إلى الالتفاء ببريطانيا في منتصف

(1) هنا الكشف عن ترجمة كتاب بارتمى سانت هيلار الفرنسي التي وصفها كل قراتها بالتمجيد يدحض كلام الدكتور طه حسين الذي وصف لطفي السيد بأنه ليس له نظير في الكتابة والترجمة قال : وازعم أنه ليس بين المصريين وغير المصريين من يستطيع أن يجد له نظيراً في هذه الوجوه الثلاثة كتاباً و مفكراً أو مترجمًا) .

الطريق وجمع لحزب الأمة مبلغًا ضخماً من المال وكانت الجريدة إحدى الدعامتين اللتين أقام عليهما كرومر نفوذه في مصر (سعد زغلول في نظارة المعارف) ولطفي السيد في الجريدة

وقد قدم هذه النظرية الاستعمارية التغريبية في الجريدة من عام ١٩٠٧ - ١٩١٤ م) ولم يضف إليها شيئاً من بعد حتى نهاية حياته ١٩١٥ - ١٩٦٣ بالرغم من التغيرات الخطيرة التي حدثت خلال حربين عالميين وهي فترة تقل قليلاً عن خمسين عاماً ولقد كانت أيدلوجيته هذه هي النظام الذي حكم مصر بعد الحرب الأولى مباشرة حتى سقطت الحزبية السياسية بحركة الجيش عام ١٩٥٢ .

قال عبد الحميد الكاتب في حديث مع لطفي السيد في أواخر أيامه هل ما زلت تعارضون فكرة الوحدة العربية ؟

قال لطفي السيد : أنت لست طبعاً مصرياً ، لو كنت يا بني مصر يا لما أضعت وقتي وأضعت تفكيرك ومجهودك في الكلام في موضوع قضيت على فكرته الضارة منذ أن كتبت ستة وعشرين مقالة موضوعها :

(أقيموا الأسوار حول مصر)

وتحديث فيها عن اللبناني والسورى اللذين كان يدعوان إليها .

ثم قال : لقد ماتت الفكرة بعد أن كاد خططها يتسرّب إلى عقول بعض المصريين ، حاولت أن أناقشه وأحاوره وأذكره أن الفكرة قائمة في أذهان بعض السياسيين والمفكرين ، والمفكرين الذين قاتلتهم ، فلا يصدق ، أولاً يري أن يصدق ، ويرى أن لكل شيء تفسيرًا غير الاقتناع بفكرة الوحدة العربية .

قال : ولم يكن لطفي السيد وحده في هذا الاتجاه فقد كان تلميذه طه حسين وإلى حد ما تلميذه الثاني : الدكتور هيكل قريبين من هذا الاتجاه ، وقد وصف الأستاذ عباس (حافظ لطفي السيد أستاذ الجيل) بأنه رجل متخلص ، ضيق الاطلاع ، يملأه الغرور .

ولا يزال شباب العاصمة الأدباء يتضاحكون من قوله التي فضحتها في تقديم الشاعر الهندي طاغور فقد كان يجب أن يقول شيئاً وهو مدير الجامعة وهو مدير الجامعة المصرية فاذا قال .

قال : إن طاغور مزيع من عمر ابن الخطاب وتولstoi ، وهى الكلمة أقل ما فيها من الدلالة أنه لا يعرف تولstoi ولا عمر بن الخطاب ، ولا طاغور إذ ليس في العالم ثلاثة رجال بينهم من المسافة أبعد مما بين هؤلاء الثلاثة المختلفين في نزعة الفكر وطبيعة العمل وتركيب المزاج وسأله بعض الأدباء المتخاطبين عن (نيتشة) قبل سنوات فلم يشأ أن يظهر الجهل به وأبى له الحذف إلا أن يقول شيئاً فقال : آه نيتشة : إنه رجل متصوف ، إنه رجل محب للكمال وكانت سخريّة الأدباء به في تلك الآونة باللغة لأن الذي يقول في أبي نواس فلا رضى الله عنه ونفعنا بكتاماته أنه كان من أولياء الله الصالحين لا ينم عن جهل الذي يصف نيتشة بالتصوف أياً كان معنى التصوف الذي يريده .

أما ضيق اطلاعه فالدليل عليه بسيط حاسم كهذا الدليل الذي لا براج فيه ، فإن لطفي السيد قد ترجم كتاب الأخلاق لأرسسطو فاسأله أين مقدمة وهو على ذلك الكتاب ليس فيه إلا ترجمة المقدمة الفرنسية مع أن تقدمة أرسسطو إلى العربية ألزم وألقي بنا من تقديمه إلى الفرنسية أما إن هذه المقدمة غير لازمة فلا ، وأما أن كتابها فوق طاقة الأستاذ الفيلسوف وفوق مقدور اطلاعه فذلك هو التعليل الوحيد المقبول ويزيده عجزاً في عجز ، أنه قضى في ترجمة الكتاب خمس سنوات أو ستة فلم تكفيه هذه المدة لاستيعاب بعض المعلومات التي يدارى بها ذلك النقص المعيب (ولم يكن قد ظهر بعد أنه لم يترجم الكتاب وإنما وضع اسمه عليه) .

مضى زمان كانت الحذفة فيه مع قليل من البر وباجندنا هي غاية الفلسفة وغاية الشهرة وكان أستاذنا الفيلسوف يتحذف وكان ينطق اسم كرومر (كرومير) وكان مراسل وادي النيل يسأله : هل أنتم موافدون في مهمة سياسية فلا يحييه الأستاذ قبل أن ياخذه بما فتح الله عليه من العلم الواسع .

أنهى مهمة دبلوما طيبة أو مهمة بوليفية ومن كان يعرف ذلك فبأ الله كيف لا يكون فيلسوفاً . ولا نذكر ما كتبه فيلسوفنا عن شكسبير فقد ضحكت منه حتى الطلبة الذين يدرسون روايات شكسبير في المدارس الثانوية وغاية علمه أنه واحد من المفتيين الذين يضجعون على كراسهم في أمان واسترخاء

ثم ينتون في الأكوان والأمم والرجال وهم أضعف ما يكون الإنسان عن عمل عمل ، أو رأى يسلم من الخيال والاضطراب لم يفلح في مجلة الشرائع ، ولا في النيابة ، ولا في الحمام ، ولا في الجريدة ، التي أنفقوا عليها ثمانين ألف جنيه ولا في الوفد ولا في المكتبة الملكية ولا في الجامعة المصرية .

(كوكب الشرق - ٣١ يوليو عام ١٩٢٨)

* * *

يعد لطفي السيد أول من ضرب وحدة الفكر الإسلامي العربي وفرقه إلى تيارين ، قومي وديني وسارت الأحزاب المصرية المنشقة من حزب الأمة على نفس الطريق الذي رسمه كرومر ونفذه لطفي السيد . حتى عام ١٩١٤ ثم حصل لواه سعد زغلول بعد الثورة المصرية ، واستطاع هذا الاتجاه أن يسيطر بعد الاستقلال وأن يمتلك نفوذ الحكم والسيطرة السياسية بينما وقف الاتجاه الآخر على الأرض الشعبية وبرز من خلال مؤسسات الجمعيات والأزهر والصحف والكتب ، وكانت كراهة لطفي السيد للعلماء ، العربي والإسلامي وعارضته للانضمام إلى أحدهما وإلحاده حتى وفاته على الأقلية المصرية من أبرز معالم حياته وكانت الجريدة مثابة لهذا الاتجاه (فالجريدة شركة يرأسها محمود سليمان باشا) متعاونة مع المحتل وهي جريدة تنطق بلسان مصر . لا تميل إلى تركيا ولا إلى بريطانيا ويعنى هذا أنها من صنع بريطانيا والقصة معروفة فقد دعا كرومر بعد ظهور الحزب الوطني (مصطفى كامل) إلى الانقلاب بريطانيا في منتصف الطريق وقدم لطفي السيد من (١٩٠٧ - ١٩١٤) في الجريدة نظرية كاملة للتفاهم مع الاستعمار ، قوامها دعوته إلى قصر التعليم على أبناء الصرافة ، هذا وقد كانت الوزارات التي اشتراك فيها جميعها تقسم بطابع واحد فهي وزارات انقلاب ضد الدستور (الذي كتب لطفي السيد) مقالات مطولة يطالب به) والبرلمان والحربيات العامة ، والباحث في حياة لطفي السيد ليس بسعده أن يتجاهل ذلك التناقض ، كيف يشتراك داعية الدستور في وزارات عبشت بالدستور وصادرت الحرية ، ولقد بدا لطفي السيد مدفوعاً عن الحرية ، وانهى به الأمر وزيراً في وزارات الانقلاب والإرهاب ،

وحزب الأمة الذى كان يمثله بالجريدة يقوم على الإقطاعيين أصحاب المصالح
الحقيقة ، وكان يرى أن السلطة الفعلية هي المعتمد البريطاني ويقف موقف
المهادنة مع الاحتلال ، وكان من حزب الأمة المعلقين مهادنة سلطات الاحتلال
فضلاً عن أنه احتضن الفكر الواحد والتعريب ، هذا فضلاً عن أن مترجمات
أرسطو هي منسوبة إليه وليس هو مترجمها في الحقيقة وإنما قام بترجمتها قسم
الترجمة في دار الكتب المصرية ومن أبرز المواقف المؤسفة في حياة لطفي السيد
زيارتة لفلسطين المحتلة وحضور افتتاح الجامعة الصهيونية فوق جبل صهيون .

* * *

لطفي السيد : (فصل من كتاب بناء الأسرة القرآنية) :

ثلاثة محاور فكرية :

١ - الدعوة إلى القومية المصرية .

٢ - الدعوة إلى مذهب الحررين .

٣ - الدعوة إلى مذهب التعقيل .

١ - جاء لطفي السيد بفكرة الجامعة المصرية لتحل محل فكرة الجامعة الإسلامية التي عاشت مصر لها ورأت فيها عزها ومجدها بل عز الإسلام ومجلده ومن المعروف أن دولة الخلافة العثمانية كانت تحمل لواء الدعوة إلى الجامعة الإسلامية ووحدة الشعوب الإسلامية ، فجاء لطفي السيد بفكرة القومية كما بشرت بها الفلسفة الغربية الوثنية وكما أورحت بها المنظمات الماسونية ، جاء ليخالف ما اجتمعت عليه اتجاهات المواطنين المصريين ليخوض في تركيبة وليعلن الحرب عليها متضامناً مع القوى الاستعمارية الغربية المتأمرة على تفتت دولة الخلافة ، هذا في الوقت الذي يحتم فيه العدو البريطاني على صدر مصر منضعاً كل شيء فيها لأمره ومهبه عاماً لا فيها بسلاح التفرقة تحت مبدئه المعروف (فرق تسد) .

وقف لطفي السيد معاوناً للزعيم مصطفى كامل في موقعه ضد الاحتلال وما كان يرى إليه بإخراج إنجلترا دولياً لأن مصر بمقتضى معااهدة لندن عام ١٨٤٠ م ، كانت داخلة في نطاق دولة الخلافة العثمانية ولكن أستاذ الجيل لم يرض هذه السياسة وذهب يشنع عليها بدعوى القومية المصرية ليقدم للاستعمار أكبر فائدة بفصل مصر عن مصادر القوة الوحيدة التي تستمد من نسبها الإسلامي وعلاقتها بدولة الخلافة .

٢ - بالنسبة لمذهب الحررين يدعو إلى حرية التعليم والقضاء والخطابة والصحافة ولكن في ظل الاستبعاد والاستعمار فهو المسؤول عن صحيفة الجريدة التي أنشئت برأس المال مصرى مختلط من مسيو فلان والخواجة

اندراوس ، وأحمد فتحى زغلول وغير هؤلاء من أصحاب المصالح فى الوجود الاستعمارى الذين وصفهم كرومر بأنهم أصدقاء راضين عن الاحتلال وإصدار هذه الجريدة كان إرهاصاً لتكون حزب الأمة لمناهضة الشعور الوطنى فى جريدى اللواء والمؤيد ، فكان بهذا أول حزب شكل بوجى الاستعمار وصنع على عينه وبالدعوة إلى الحرية الاجتماعية كان لطفي السيد أول من دخل نظام الاختلاط بالجامعة ، يقول دكتور عبد الطيف حزه : (في غفلة من الرجعيين والمحافظين على الخلق والتقاليد قبلت الجامعة الجديدة الفتيات المصريات طالبات منها مع الطلبة وحرصن لطفي السيد ومويدوه على الآثار حزه هذه المسألة فى الصحف حتى يضعوا الحكومة والرأى العام أمام الأمر الواقع .

٣ - أما مذهب التعقيل فقد وصفه دكتور حزه بقوله : (عندى أن القصد من حركة التعقيل إنما هو إعادة النظر فى الإصلاح المصرى على أساس جديد هو العقل من ناحية ، والمنفعة الذاتية لمصر وحدها من ناحية أخرى .

وهذا كلام ينم عن جهل بالتعقيل فى المنهج الإسلامى ، فالعقل المسلم عقل مؤمن مسندى فى نظره ويخته بالوحى يختلف التعقيل فى المنهج العربى الذى يدين به لطفي السيد ، فالعقل الأوربى ونـى يعبد من دون الله وهو عقل جهول مغزور تجاوز حدود عمله فى عالم الشهادة المادى إلى عالم الغيب وما بعد الطبيعة ، إن الدعوة إلى الفلسفة العقلية دعوة هرودية خبيثة ترى إلى إحلال العقل محل الدين نقلها هؤلاء المبشرون من تراث الفلسفة الغربية هدم الإسلام ، أما مسألة المنفعة الذاتية لمصر من وراء هذه الدعوى فالواقع يكتنها فلم تجنب مصر طوال قرن استغرقته الأنظمة التى قامت فرنا على أساس هذه الدعوة وحلوها المستوردة إلا الضعف والفقر والمزق والذل .

(٣)

على عبد الرزاق

(التغريب)

(قد يكون الخلاص من العامة رواحة وفراها سروراً ، ولكنها على ذلك جديرة بأن توضع بكلمة ، فرب أذى مفارق وهو جدير بأن تتباه كلمة وداع)

إن الشيخ على عبد الرزاق لم يترك وسيلة من وسائل انتزاع الثقة من القاريء إلا أثاره إلا أصطنعها حتى لا تظن أن قارئاً يشق بشيء مما يقول ، فهو الأزهري الذي يهاجم الأزهر ويكتب عنه تحت عنوان : (على أطلال الجامع الأزهر) ، فيقول : إن السينين الأخيرة دررت ما شيدت أبدى البناء والمعمر بن ونرعت عن هيكله ما استوعته الأيام من معلني البركة ونفحات القدس والجلال ، فيما عجبأً لهذا البناء الشامخ كيف يتتصدح ، وما تصدح البناء ولكن لأن الرجل أخطأ فتغدر ، فهو لا يرى في الأزهر شيئاً باقياً ، وهو المنكر لعامة المفارق لها في احتقار شديد يقال ينشره في السياسة ويرسله من باريس على النحو الذي ذكرنا .

ولا يتوقف الشيخ على عبد الرزاق عند هذا الحد بل يذهب إلى أبعد من ذلك عننتاً وشططاً فيكتب في يوم مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم من كل عام مقالاً في جريدة السياسة فيه سخرية وغمز وقد واجهه السيد محب الدين الخطيب في الرد عليه (الفتح - سبتمبر عام ١٩٢٧ م) فقال :

كتب على عبد الرزاق في يوم ذكرى المولد النبوي الشريف مقالة في جريدة أصداء الدين الإسلامي ، تطاول فيها على المقام الحمدى الاسمى ، فاستعرض بزعمه حياة صاحب الرسالة صلى الله عليه وسلم وأخذ يبحث فيها عن وجوه العظمة ومعانها فلم تبصر عيناه للعظمة أثراً لأن حكم محمد

صلى الله عليه وسلم ونفاذ كلامته في أصحابه ، ولا في معانى العلم كما يفهمها هذا الكاتب ولا باعتبار ما للإسلام من أثر على هذه الأرض مما أحدثه محمد صلى الله عليه وسلم بين أهلها من انقلاب اجتماعي أو سياسي أو تهذيب أو مدنى ، كل ما يراه الشرق والغرب من عظمة الإسلام الرحيم ونبيه صلى الله عليه وسلم الكريم لم تقنعه عيناً على عبد الرزاق لأن عينيه لا تشعران إلا بالمسلة والأهرام والحديد ، وأذناه لا تسمعان غير فقعة أسلحة الجيوش التي تزحف باسم الملوك الطغاة ، أما فتح القلوب للفضائل وتكون النور من وإعدادها لا بجاذب خبر انقلاب حدث في الكون فهذا ليس عظيماً ولا محل ذكره يوم يبحث على عبد الرزاق عن العظمة .

يقول : وما محمد صلى الله عليه وسلم وكلمته في أمر هذه الحرب عليها إلا بين طرفيين ليس لها ثالث : فإذاً أن تكون حقاً تلك الكلمة التي جاء بها محمد صلى الله عليه وسلم ، وإنما أن تكون باطلة ، إن تكون باطلة كلمة التوحيد - هكذا يقول على عبد الرزاق - فسوف تذهب من الوجود كما تتلاشى قضايا العلم الباطلة وسوف تذوب إذا طلعت عليها أنوار العلم والعقل ، وإنما أن تكون حقاً كلمة التوحيد فسوف يشق لها العلم والعقل طريقاً إلى هذا العالم حتى تستولي عليه وتشيع بين جوانبه .

يريد أن يقول : إن ما ينسب إلى محمد صلى الله عليه وسلم من عظمة في العلم والإصلاح والفتح وغير ذلك كله باطل ، وأنه إنما جاء بكلمة لا تزال موضع الشك عند على عبد الرزاق وتحتاج إلى زمان لتبيّن صدقها أو كذبها ، فعظمة محمد صلى الله عليه وسلم الآن موقوفة على كلمة مشكوك فيها :

أنا كنت أقول دائمًا : إن مصيبيتنا في على عبد الرزاق ليست من ناحية كفره ولكن من ناحية جهله : أرأيت رجلاً في الدنيا يبحث عن حل مسألة هندسية في علم الكيمياء : أرأيت قط (أبله) يراجع معنى الكلمة لغوية في كتب التشريع . إن على عبد الرزاق يحاول ذلك : يقول : إن الدائرة التي تنحصر فيها مباحثه هي المادة : وهذا الرجل لا يصدق بما فوق المادة : وفي مقالة علامة أخرى تدل الناس على جهله وهي خلطه بين العقل والعلم .

في مسألة إثبات صحة "لا إله إلا الله" وتعريفه نفسه للفضيحة عند الناشر
بأنه لا يفرق بين المحيط الذي يجول فيه العقل والمحال الذي يجول فيه العلم
الطبيعي فيظن أن "لا إله إلا الله" غريبة عن الاثنين .

* * *

وعندما أشرف على عبد الرزاق على مجلة (الرابطة الشرقية عام ١٩٢٨) أصدر مجلة لا دينية - على حد تعبير السيد رشيد رضا - تؤيد ما يسميه ملاحظة العصر الاديني وتحرير المرأة المسلمة ، وهي تدافع عن الترك والفرس والأفغان فيما يحاولونه من تجديد مفهوم الإسلام على احتراس قليل من التعبير . هو أقرب إلى الدفاع عن مصطفى كمال وأمان الله خنان منه إلى الهجوم عليهما وإذا بنا نرى مقالة الدكتور طه حسين الذي اشتهر بالطعن في الإسلام وتكتيб القرآن (العظيم الحميد الكريم الحكم) خلاصة لمبحثه الجهمي السخيف في ضمير الغائب واستعمال اسم الإشارة في القرآن وفي العدد الثاني سلامة موسى عدو الأديان كافة والإسلام خاصة وعدو الأدب ، والفضائل الروحية وعدو الرابطة الشرقية من وطنية وجنسية ولغوية وداعية الكفر والوحمة والهتك الذي يعتمد عليهم بالأدب المكشوف ويرجحه على ضده من التصون والحياء .

فنـ ذـ الـذـى جـعـلـ هـذـهـ الـمـحـلـةـ مـيـدـاـنـاـ لـسـبـاقـ أـشـهـرـ فـرـسـانـ الثـقـافـةـ الـإـلـخـادـيـةـ وـجـعـلـهـ لـسـانـ حـاـلـمـ وـمـقـاـلـمـ وـمـاـ اـخـتـارـهـ الـمـحـلـةـ مـقـالـهـ عـنـ (ـمـسـيـلـمـةـ الـكـذـابـ) مـخـالـفـةـ فـمـبـأـهـ وـلـحـمـتـهـ عـمـاـ عـنـدـ الـمـسـلـمـينـ يـسـمـيـ صـاحـبـهاـ مـسـيـلـمـةـ نـبـيـاـ ،ـ كـمـ يـسـمـيـ نـهـاـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ نـبـيـاـ يـعـنـيـ أـنـ كـلـاـ مـنـهـماـ كـانـ نـبـيـاـ لـقـوـمـهـ ::ـ إـلـخـ

* * *

هذه هي صورة على عبد الرزاق صاحب كتاب الإسلام وأصول الحكم الذي أحدث في الإسلام حدثاً لم يقل به أحد من قبله وهو أن الإسلام دين روحي والتشكيل في دولة الإسلام التي أقامها النبي صلى الله عليه وسلم ، وإن الإسلام دين محمد صلى الله عليه وسلم كدين المسيح عليه السلام لا رسالة له ولا حكم ولا دولة .. و قالوا : إن الكتاب إنما أريد به معارضه الملك فؤاد

ف سعيه نحو إقامة الخلافة في مصر بعد سقوطها في تركيا وهي قوله :
خادعة ، فإن الكتاب إنما استهدف ضرب مفهوم الإسلام القائم على أنه
دين ودولة في الصimir :

ولقد كشف الشيخ محمد بخيت في رده على المؤلف عن خيط من
حقيقة استطاع الدكتور ضياء الدين الرئيس أن يتبعه ويصل إلى أن هذا
الكتاب في الأصل من تأليف المستشرق اليهودي (مرجليوث) وأنه أهداه
للشيخ وطلب إليه أن يذيعه بعد أن يضيف إليه بضعة آيات من القرآن وجملة
من الأحاديث .

وكان مرجليلوث قد شن الهجوم على الخلافة لأن بلاده بريطانيا كانت
في حرب مع تركيا وقد أعلن الخليفة العثماني للجهاد الدينى ضدّها ، والنحوص
الواردة في الكتاب قاطعة بأنه كان موجهاً ضد الخلافة العثمانية والمعروف
أن الشيخ على عبد الرزاق ذهب إلى بريطانيا وأقام فيها عامين ولا بد أنه
كان متصلاً بالMASTER مرجليلوث أو تلميذه عليه (كما أسلفنا في الباب الأول) .

ونجداً المؤامرة تتجدد اليوم مع المد الإسلامي وصيغات اليقظة الإسلامية
بكتابات عبد الحميد الكاتب في أخبار اليوم ، وبكتاب جليد أصدره
محسن محمد بيرد نفس الكلمات التي يتعلّمون بها عن الخلافة والملك فؤاد
والحقيقة إن على عبد الرزاق كان تابعاً للنفوذ الغربي فكراً وسياسة وأنه
بالرغم من تلقّيه علوم الإسلام في الأزهر فإنه سرعان ما سقط في مصيدة
الاستشراق والتغريب من أجل الحصول على لقب (الأستاذ المحقق) بدلاً
عن الشيخ القاضي ، وقد استطاع مرجليلوث خداعه بأن وحبه كتابه ليصدره
باسمه وهذا أمر يوحى ب مدى ما تتحمل هذه النفس من مهانة في قبول ترديد
آراء الآخرين وهي ضد الإسلام وخاصة ومرجليلوث مستشرق يهودي شديد
الحقد على الإسلام ولا عجب عندما كان طه حسين يدافع عنه أن يكتشف
المرء تلك الوحدة الجامحة بينهما وهي أن كلاهما كان تابعاً لمرجليلوث ، فإن
كتاب الشعر الجاهلي لم يكن إلا حاشية طه حسين على متن مرجليلوث ، كما

ذكر محمود محمد شاكر ويمكن أن يقال : إن كتاب الإسلام وأصول الحكم هو حاشية على عبد الرزق على متن مرجيويث أيضاً .

ولعل هذا يعطى صورة عصر التبعية الذي وقعت فيه أفلام كثيرة لامعة خدعت المسلمين يوماً ولكن الأمر لم يعد الأمر خافياً .

وقد بحثت سنوات ما بعد هذا الكتاب على الشيخ على من الخزى والذل مهما كانت محاولات إعادته إلى الحياة وتوليه منصب وزير الأوقاف يوماً وما يستوى الذي حكموا على كتابه معه ، وأن إخراج على عبد الرزق من هيئة كبار العلماء إنما يعني رقة دينه وعجزه عن فهم الإسلام فهماً صحيحاً وأنه فتح ثغرة في الإسلام عليه وزرها وزر من قال بها إلى يوم القيمة .

وقد اتسعت دائرة فهم الإسلام على حقيقته اليوم ولم يعد ينفع التغريب إعادة إثارة هذه الشبهات من جديد .

(٤)

أمين الحولي

(التغريب)

لقد استطاع الشيخ أمين الحولي أن يترك بصماته على تلاميذ أشرفوا منهجه وساروا على طريقه الذي علمه إياه من المستشرقين والمبشرين في روما ، عندما سافر إليها إماماً للسفارة المصرية ووقع في شباك المتأمرين ووجدوا فيه صيداً ثميناً : يظهر على عبد الرزاق في نتاج محمد أحمد خلف الله عن الفن القصصي في القرآن ويظهر أيضاً في عمل تغريد عنبر وكتابها عن القراءات فتلك آثارنا تدل علينا وتكشف حقيقة الأهداف الخفية ، فقد كان مشرفاً على الرسائلتين ومن وراء النصوص التي حاولت أن تتحدث عن بشرية القرآن ووعي التشكيل في صدق قصص القرآن .

وقد حدثني أحد تلاميذ الشيخ أمين الحولي ، فكان مما قاله : إن لأمين الحولي كما لغيره آراء لم تكتب دائماً وإنما كانوا يقولونها لتلاميذهم وأهم أفكار أمين الحولي أن الوحي ما هو إلا شعور داخلي من عند النبي صلى الله عليه وسلم وأن القرآن قسمان : قسم يمثل التواميس الكونية والقسم الثاني : المعاملات . والمعاملات قسم خاص ي المجتمع خاص ، وبالعرب ، وهو قابل للتغيير . أي أن الإسلام ليس نظاماً اجتماعياً ، وإنما هو دين لا هوقي كالمسيحية :

هذه كانت روح الجامعة المصرية وكلية الآداب في الثلاثينيات وكان أمين الحولي على طريق الدكتور طه حسين بروح لعدة شهادات :
 أولاً : بشرية القرآن وأنه من صنع محمد صلى الله عليه وسلم (ويبدو هذا وأصحح في إشرافه وتوجيهه لخلف الله وتغريد عنبر) .
 ثانياً : دعوته إلى إقليمية الأدب ، ونظرية الأدب المصري واستبعاد فكرية عروبة مصر ، أو القومية العربية .

وقد تولى أمين الحوى تربية هذه البذرة وبذل في هذا السبيل جهوداً كبيرة طوال مدة توليه التدريس في كلية الآداب سعى إلى دعم هذه النظرية ونشرها بوجه خاص بين طلابه ، وشرحها في محاضرة عامة (أوائل عام ١٩٣٤) بقاعة محاضرات الجمعية الجغرافية وفي مجلة كلية الآداب ، واعتبر من درس الأدب العربي على أساس التقسيم الزماني وقال : (بضرورة العدول عنه إلى التقسيم المكاني ودرس الأدب العربي إقليماً بعد إقليم لا عصرًّا بعد عصر) (مصر في تاريخ البلاغة) .

وادعى أن ليس للأمة الإسلامية على أى حال تملك الوحدة في تاريخ الأدب العربي وقد راجعه في رأيه هذا كثيرون في مقدمتهم ساطع الحصري :

أما بالنسبة لدراسة القرآن في كلية الآداب فقد كانت مصدر اعتراف من السكثرين بما انتهى إلى منعه من هذا العمل ، فقد كانت دراسته للبلاغة القرآن نوعاً من السخرية بالقرآن الكريم ، وكانت دراسته للبلاغة عاملاً على هدم البلاغة العربية التي قامت على أساس القرآن الكريم وإقامة فن جديد استورد اسمه من الأدب الغربي وهو (فن القول) : وقد كشف الكثيرون عن زيف دعوه وهدفها الخبيث في التوهين من العلوم التي أنشأها القرآن الكريم ، إلى جوار ما كان يدعوا إليه طه حسين بالنسبة للتحول وغيره مما يراد به القضاء على وسائل فهم القرآن الكريم ، وقال في الدفاع عن خلف الله (إنه لا يلزم أن تكون حوادث القصص القرآني قد وقعت بل منها ما هو تصوير وتمثيل للمعاني) وهو الذي حاول أن يقنع خلف الله بهذا بالاعتماد على نصوص محرفة أو غير صحيحة أو من وجهة نظر أى للشيخ محمد عبده .

وهكذا هو جم القرآن من ناحيتين : هاجمه محمد حسين هيكل من ناحية المعجزات ، وهاجمه أمين الرافعى وخلف التسعن ناحية القصص وقال في هذا :
- للمؤمن حق تأويل هذا القصص على أساس أن القرآن يعبر عن المعنى ويصورها بالحكاية وأسلوب الحوار .

- إن وجود شيء من قصص القرآن لا يقتضي صحته لأنه يحكى من حال الأقدمين الصحيح والقاسد والصادق والكاذب :

- متابعة الشيخ محمد عبده في تأويله الملائكة بالروح والقوى والشياطين وإبليس بداعي الشر وتأويل قصة آدم عليه السلام .
- قوله : إن المدoul أعلى كعباً في الإيمان فلن يسلم لأنه أكثر اطمئناناً وأقل تعرضاً للشكوك .
- (قدمنا الرد على هذه الشبهات في كتابنا المساجلات والمعارك الأدبية) .

* * *

بل إن الشيخ أمين الحولي ذهب إلى أبعد من ذلك فقد كتبت ابنته عنه تقول :

لم يقنع بالسلوك التقليدي الذي سلكه أغلب معاصريه وأبناء عطيقته بالاكتفاء بالتعليم الديني ولكنها استطاع بطموحه وسعة أفقه أن يغزو آفاقاً جديدة ، آفاق حضارة الغرب ، وعندما سافر بعد تخرجه من مدرسة القضاة الشرعي إلى أوروبا حيث عنى إماماً في المفوضية المصرية في روما ، ثم في برلين كانت السنواتخمس التي قضتها هناك في العمل والدراسة لقاءه الأول والماضي مع الحضارة الغربية ، وكان كما كتب صلاح عبد الصبور يخدم الحضارة الغربية في مظاهرها الثقافية والفكرية دون أن يستخدى أمامها ويرى أن من واجبنا أن ننفيه منها في تنقيح مفهوماتنا وتصحيح نظرتنا وإثراء أرواحنا .

ونحن نسأل أن هذا العطاء الذي تقدمه الحضارة الأدبية غير إفساد البيوت بإدخال الفنون المنحرفة التي تشغل عن الوجهة الصحيحة التي رسمها الإسلام . إن أمين الحولي لم يحضر لنا من الغرب غير مفاهيمه تلك في الأدب وفي التفسير وفي احتقاره للبلاغة العربية وفي تفسيره للقرآن ، هذا الذي حاولون تصويره بأنه موقف الباحث المستنير بعيد عن التزمر والتعصب ، وهل التسلك بالإسلام على حقيقته والإيمان بمفاهيمه الأصلية هو عثابة تعصب وأين موقفه من الإسلام وهو داعية الفن والحياة على النحو الذي أشاعه في مجتمعه ، هذا الجانب الذي كشفت عنه الدكتورة سمحاء الحولي حين تقول : جانب من شخصيته أدين له بوجهة حياني وهدفها ، ذلك هو صلبي بفن الموسيقى فقد بدأت تلك الصلة من الطفولة المبكرة وبتوجيهه (رشيد) منه

لماذا اتجه هذا الاتجاه وهو ابن القرية والشيخ المعم الذى ظل طوال حياته محافظاً على زيه الإسلامى ، ولعله كان الوحيد من أبناء جيله من خريجى مدرسة القضاء الشرعى فى احتفاظه بزيه وكان يقول :

أنا مؤمن بالتطور ، أنا أحب المسرح والموسيقى الكلاسيك وفى بيئى معلم علمى وتفسيرات القرآن وفي بيئى أركسترا صغيراً . إن ما خرج به أمين الحولى من قراءاته وأسفاره ، أنه عاد لمصر مفتاحاً على الغرب رافضاً كل أشكال الجمود النفسى والانغلاق على التراث داعياً إلى الاستفادة من الثقافات الأجنبية ، لقد تفتحت طفولتنا على ذكريات تجربة مع المسرح ليس كعاشق للمسرح فحسب ، بل كمؤلف مسرحى مارس الكتابة المسرحية فى بداية حياته رغم ما كان يجتذب بالمسرح حينذاك من محظورات الدين والتقاليد وخاصة بالنسبة لطالب يدرس الشريعة الإسلامية .

وتشربنا في طفولتنا ذكريات أسفاره ومشاهداته للأوبر فى إيطاليا وحفلات موسيقية حضرها وعارض فنية زارها .

وكان برد أمى بإعجاب اسم عازفة بيانو مصرية سمعها تعزف في أوروبا موسيقى كلاسيكية ، وكان حديثه عنها عنصرأً جوهرياً في اختيار طريق حيائى فيما بعد ، فقد كان الفوز الذى اختاره والدى ليحدثنى عنه كمثل وقدوة هو هذه العازفة المصرية ونمط معنٍ تلك الحالة التى نسجها عقلى الصغير حول (عايدة علم) وامتدت إلى عشق أصيل للموسيقى وقبل أن أبلغ الثامنة عاد والدى إلى البيت يوماً متهلاً وبشرنا بأنه قد اشتري لى بيانو ، ويا فرحته ، هل أصبح يوماً عازفة بيانو حقيقية مثل (عايدة علم) وعندما إحتل البيانو مكانه في حجرة الصالون بدأت حيائى تدور حوله وبدأت خطواتى الأولى على طريق الموسيقى .

واستمرت هذه الدراسة أعوااماً طويلاً وأصبحت من معالم حياة الأسرة وعندهما عاد من رحلته إلى الصين عام ١٩٥٥ أحضر معه بعض النوتات الموسيقية وعرفت حمال أنشاد الربابة ، وعزف الأرغون ، والناي ، والمزمار وروعة المواويل كأنه اتفق معهم أن يقدم لهم أولاده عن طريق الفن » :

الحق أن أمين الحولي خدعاه بريق الحضارة وبريق التبعية للفكر الغربي ولماهيم المستشرقين وظن كما ظن طه حسين وغيره أنها منطلق للشهرة والشهرة ولكن أصوات الحق لم تثبت أن ظهرت فكشفت هذه البارقة الخادعة والخدوعة على السواء .

وقد قرر العلماء إلغاء رسالة تغريده عنبر التي كتبها بتوجيهه الشيخ أمين الحولي لمحاجاته لروح البحث العلمي في مسائل متصلة بالدين وقد ذهبت إلى الاستشراق في روما فطبعها ونشرها في إهتمام كبير .

وكان الشيخ على الحفيظ قد كتب يقول : اطلعت على الرسالة فلاحظت أن بالمدحمة جملة تدل على أنه كان للنبي صلى الله عليه وسلم اختبار شخصي في إبدال لفظ بأخر في القرآن راه من المصلحة وفي تغيير حلة بتقديم كلمة فيها على أخرى لزيادة الإيضاح والبيان ، كما انتهت من بحثها في المخاتمة إلى أن الآراء في القراءات المختلفة لم يكن توفيقيا وإنما كان مرده أحيانا إلى عوامل بعضها شخصي وبعضها مكاني ، ذلك ما أثار الصدمة ، وترتب عليه اتهام الكاتبة بالزيف في العقيدة وهي شبهة لا يؤيدها دليل وهي فيها مخطئة فطعما ولكن ذلك لا يترتب عليه اتهامها بأى زيف ولا يستتبع إلا نسبة الخطأ إليها وتهافتها في الحكم بلا سند بناء على مجرد ظن واستنتاج شخصي) .

المهم أن هناك شبكات أوجح بها صاحب فكرة الرسالة ، وضمت بين يدي طالبة قليلة الخبرة بالتحقيق العلمي وتقدير ظروف النص وليس لها أرضية أساسية في دراسات القرآن إلا ما تعلمته في كلية الآداب :

* * *

عمل الشيخ أمين الحولي في حقوق خمسة :

- ١ - إقليمية الأدب .
- ٢ - طمس البلاغة العربية وتغليب مفهوم (فن القول) .
- ٣ - العامية من مولدات التضليل .
- ٤ - تغليب الجماليات على الأخلاقيات والدعوة إلى الفن مفهومه الغربي .
- ٥ - الدعوة إلى الاحتكاك بالغربيين احتكاكاً مباشراً وعملياً بالسفر والراسلة .

(٥)

حسين فوزى

(التغريب)

منذ وقت بعد بدأت حملة الدكتور حسين فوزى على التراث الإسلامى ووقفه منه موقف الازدراء والانتقاد ، فقد عملت في نظره الأساطير الغربية وكتابات الجنس واللهوى والموسيقى فاغتر بها وملأت نفسه وكانت كلماته دائمةً تحمل ذلك الطابع من الأغصان نحو الثقافة الإسلامية وهو من أجل هذا الاتجاه يعلى من شأن الإقليمية والفرعونية وينظر إلى اللغة العربية في ازدراء ، وبالرغم من بلوغه سن الثمانين فما زال مبهوراً بالحضارة الغربية في مرحلتها المضطربة الفاسدة التي تعيشها الآن ، ويتحدث عنها في إعجاب شديد ، بل أنه يقول : إنه لا توجد إلا حضارة واحدة هي الحضارة الغربية وهو في كل هذا الاتجاه إنما يجري مجرد التبعية للاستشراق والتغريب ونظرته إلى الحضارة نظرة مضطربة غامضة ، مسرفة في التبعية والعصبية التي لا تجد في الغرب نفسه من يتصبب لأنخطاها وفسادها ، وهو يعلن دائماً أن الحضارة ليست هي البحث العلمي والمعاقل ، ولكنها هي إلى ذلك المسارح والتصوير والفنون المسرحية كلها ومفاهيمه في الدين هي مفاهيم التفسيرات الغربية والصادمة والعلمانية ، حيث يقول : إن الدين وإن المجتمعات الحديثة لا يسرها الدين اليوم ، كذلك فهو يتنكر عن الناحية الخلقية في المعاملات الإنسانية :

وهو يتبع الاستشراق وخصوم الإسلام في انتقاد الحضارة الإسلامية ويرى أنها مقتبسة من الحضارات الهارسية والهندية واليونانية .
ومن أخطائه قوله : إن الإنسان حر في عقيدته ، وأن الدين للديان ، وأن الإنسان له علاقة بالله بينه وبين نفسه وأنه من الخطأ أن يحمل على شعب متقدم نحو الحضارة أن يتلزم بمبادئ أو قواعد سلوكية وضفت في عصور وفي أمكنة غير هذه العصور .

ومن جماع هذه الآراء نرى الدكتور حسين فوزى ليس إلا مستشرق يتحدث باللغة العربية وأنه بعيد كل البعد عن أن يعطي الفكر الإسلامي شيئاً ولكن نشره لهذه الآراء المسمومة ومداومه تردیدها يوحى بأنه مقيم عليها في إصرار وعناد وتعصب بالرغم من التوافد الجديدة التي فتحت أمام الفكر الإسلامي سواء بما كتبه المفكرون المسلمين من كشف عن مفاهيم الإسلام واحتلاتها اختلافاً واضحاً عن المفاهيم التي كان يرددتها التغريبيون في الثلاثينيات والماضية من مفهوم المسيحية بعد أن هزمتها الدوائر العلمية وحجبتها عن المجتمع ، أم أن أمثال هؤلاء معلمون ملقنون لا يكفون عن تردید هذه الأنكار لِإفساد القلوب والآقوال ؛ إن الدكتور حسين فوزى لوقرأ – ولا بد أنه قرأ البعض كتاب الغرب الذي يعجب به لوجود إحساساً واضحاً بالإنصاف نحو الإسلام من ناحية ، ومحاولته لتفهمه ، ولوجد تلك الظاهرة الواضحة بين مفكري الغرب لِلكشف عن زيف الحضارة الغربية وفسادها وهزيمتها وأزمتها الواضحة التي لا يمكن للنظر الصادق أن يتجاوزها ولكنها لاتعني الأ بصار ولكن تعمي القلوب التي في الصدور ، ومارأيك في رجل في سن الثائين يتحدث عن مقارنته بين الرقص وبين الموسيقى ، ولا يختى هذا الاتجاه ولا يخشى سحرية الناس به ويقول : (لقد نشأت في أجيال الإعجاب بالغرب إلى درجة الإيمان بمقومات الحضارة النابضة المتحركة) وهل إذا نشأ المفكر الحصيف في حيل وعلى مفهوم ، أفالاً يمكن أن يتغير تفكيره مع الزمن وأن يكتسب معلومات أوسع وأن يغير نظرته إلى أشياء كثيرة ، ذلك هو الجمود الذي يصيب بعض القلوب فيختى عليها فلا تستطيع أن تتجاوز واقعها وهو ممتنع بالعنف والفساد .

من يتصور أن مفكراً عالماً من العلوم تشغله تفاهات حضارة أوروبا ويقضى حياته في البحث عن تسريرات الشعر والرقص والنظر إلى الفاتنات الخارجات في الصباح إلى العمل في باريس ليتحدث عن ملابسهن وأزيائهن ، ويتحدث عن الكاتدرائيات والفن القوطى في أوروبا ، وزياراته للمعابد

والكنائس ولعل أسوأ ما يحاول الدكتور حسين فوزي أن يرده في السنوات الأخيرة هو متابعه ل尉ار التغريب :

حين يتحدث عن الحضارة يتحدث عن حضارة : أثينا (روما) الغرب .

وحين يتحدث عن الفن يتحدث عن الموسيقى الغربية .

وحين يتحدث عن اللغة يتحدث عن العامية .

وحين يتحدث عن التاريخ يتحدث عن الفلكلور الشعبي والعامي ، يقول : إن تحول إلى العامية في بعض الألفاظ والتراث مذهب قديم ، ويقول : إنه معجب بالعامية المصرية التي تتكلّمها الأمهات وهو في هذا يزدري النصحي ، وبهاجم النحو والبلاغة ويحاول استخراج كلمات من الجاحظ ، وابن جنی في الدفاع عن العامية ، فإذا عرضت له تساولات حول فساد الحضارة الغربية دافع عنها بحرارة وقال : إن كل الحضارات عرفت الخير والشر ، وأن الإنسان صانع الحضارات لم يتخل عن أسمى البهيمية فيه ، وبشك في أنه يتخل عنها ثم يسخر بخريته فيقول :

(إذا أردت مدينة فاضلة فاحشد لها الأنبياء والرسل المعصومين ، وانظر إلى يوم الفردوس وحضارته وهذه لن تقوم إلا بعد قيام الساعة وبعد يوم الحساب مع التحفظ على الحور العين والحدن منهن) .

أيه سخريته بالدين واليوم الآخر ، وبحقائق الحياة والوجود ، ألا فليعلم الدكتور حسين فوزي أن ذلك كله حق ، وأنه إن لم يرجع فسوف يجد بيده صفرآ من كل شيء نافع يوم يقوم الحساب وسوف لا يشتراك في هذه الحضارة التي يسخر منها ، ويكتفي حسين فوزي بإعادة النظر في كتاباته قوله في إسرائيل : (إن المصريين لديهم شعور عميق بأنهم ليسوا عرباً ، كما أن العرب ليسوا فراعنة وأن حال عبد الناصر فشل في إكران الشعب بالقوة على أن يؤمن بأنه عربي) ، ونقول : إن الشعب يعرف أنه مسلم ، أما الإكران على القومية بمفهومها الراشد فقد رفضه المصريون ولكن إيمانهم بالعروبة متصل بمفهومهم الإسلامي الجامع .

يقول الأستاذ جابر رزق : (هذه هي المرة الثانية التي يذهب فيها الدكتور حسين فوزي إلى إسرائيل ليحاضر هناك مفترياً بالكذب على

الشعب المصري بجاحد لعروبه لارضاء لليهود المغتصبين للفلسطين ورغم الاستنكار الذى وجه به الدكتور (الفرعونى) لما قال فى زيارته الأولى فهو لا يزال يعنى فى التبجح والافتراء والكذب فى دعواه بأن مصر فرعونية ولبيست عربية ، والسر وراء تملق الدكتور العجوز لليهود هو أنه قد باع نفسه لليهود من قديم ، من قبل أن تقوم دولة الاغتصاب الصهيونية على أرض فلسطين العربية المسلمة وهذه حقيقة تاريخية كشفت عنها الباحثة المصرية (سهام عبد الرزاق) فى رسالتها صحافة اليهود العربية فى مصر ، حيث كشفت الباحثة عن أساليب اليهود فى السيطرة على أصحاب الأقلام الكبيرة أمثال الدكتور طه حسين ، والدكتور لويس عوض ، وتوفيق الحكيم ، والدكتور حسين فوزى وغيرهم .

وقد أشارت الباحثة إلى أن اليهود جاؤوا بانشاء مجلة الكاتب المصرى إلى مصادقة كبار الكتاب والأدباء المصريين والتقارب لهم حتى ينعمون بطريق غير مباشر من الكتابة ضد اليهود .

ومن هؤلاء الدكتور حسين فوزى فالعلاقة بينه وبين اليهود قديمة عمرها أكثر من ثلاثة عاماً .

وهكذا نرى الدكتور حسين فوزى محبوساً في عصر الإحياء الأولي وعصر التنوير الذى امتد عبر القرنين السابع عشر والثامن عشر متضمناً الثورة الفرنسية ، دون أن يطلع أبناء أمته على الحقيقة : من أن عصر التنوير هو عصر اليهود الذى أخذوا يزيفون الفكر العربي المسيحي ويدخلون إليه الأخاد والإباحة والمادية ليعدوه بالمسؤولية إلى الثورة الفرنسية التى قضت على وحدة الفكر资料 وتأسست تلك التيارات التى حطمت الدين فى أوربا .

لقد كان أساتذة حسين فوزى فى الغرب ، وأساتذة طه حسين ، هم هؤلاء اليهود صانعوا علوم المدرسة الاجتماعية الفرنسية التى رضع لبانها توفيق الحكيم فى الاتجاه نحو الفن الفصصى الذى تسير مصادره من التوراة والتلمود فى قصة سليمان وأهل الكهف والذى دفع حسين فوزى إلى هذه الوجهة الغارقة فى الأوبرا والموسيقى والإعجاب بهذا الجانب وحده من

حضارة الغرب ، جانب الفنون الإباحية الراقصة الماجنة ، متهدلاً عن تلك المعرفة الواسعة بالعزف والنعم والموسيقى الغربية الصاخبة ، والتي كان رسولها وداعيها والمتحدث عنها – يقول توفيق الحكيم : لقد كتب الفدر عليه وعلى صديقه حسين فوزى أن يهيا العمر في الوحدة المظلمة المؤلمة ، ذلك أن النفوس لم تتطو على ضوء واحد من الإيمان بالله تبارك وتعالى الحالى ، إلا تلك الصيحات المستيرية التي يصدرها توفيق الحكيم والتي لا تمثل عوده إلى الله ولا التفاس التوبة .

ذلك الإصرار الذى يجمع بينهما على أنها فراعنة ولسنا عرباً ، وعلى تلك الدعوة الجبرية على الإسلام التي يدعى بها حسين فوزى باتهامه بأن التشريع الإلهى لم يغطى كل تفصيات الحياة ، وهى عبارة من عبارات المستشرقين الساذجة التي لا معنى لها ، فهل من شأن التشريع الإسلامي أن يقدم كل تفصيات الحياة أم يعطى الخطوط العامة ويدع للفقهاء على مدى العصور إيجاد الفتوى ل بكل ما يطرأ من جديد وبذلك يظل الإسلام قادرًا على العطاء المتجدد وفي رأى حسين فوزى أنه يمكن التخفيف من غلواء المادية وذلك بإعطاء الحياة الروحانيات التي هي في نظره هي الفنون (الروحانية هي الأدب والمسرح والأوركستر) .

فهل هذا رأى سليم يتفق مع مفاهيم العلوم ، أم أن الروحانية هي إعلاء الجانب الربانى في الحياة وكسر جمود المادية . إن الأدب والمسرح والأوركستر اليوم هو أسود صفحات المادية التي تدعى إلى الجنس والإباحية والجري وراء الأهواء .

إن كل دعوة حسين فوزى هي المصرية (معناها الإقليمي) هذه المصرية المجردة من العروبة والإسلام ، مدعوة لاعتقاد الحضارة الغربية بلا تحفظ ولا احتباط .

و تلك دعوة باطلة قد تجاوزها الزمن وماتت ولن تقوم لها قائمة

* * *

عباس محمود العقاد

(أخطاء المنهج)

درس الأستاذ العقاد الفكر الإسلامي في العقود الأخيرة من حياته (من الخمسين) ولذلك فقد درسه من خلال الفكر الغربي الذي تأثر به طويلاً ومن ثم فقد كان مرجعه في الفهم نظريات غربية قامت أساساً على مفهوم المسيحية أو على معارضة مفهوم الإسلام الجامع مثل كتابات اليهود والنصارى الغربيين في مفهوم التوحيد ولذلك فقد لقى كتابه عن (الله) معارضة من الباحثين المسلمين (راجع كتابنا : الشهادات والأنخطاء الشائعة) . كذلك فإن العقاد لم يدرك الفرق بين العبرية والنبوة ، فوصف النبي صلى الله عليه وسلم بما وصف به أبو بكر وعمر رضي الله عنهم - مع أن النبي صلى الله عليه وسلم يتميز بأنه نبي مرسى بوصي إليه .

كذلك فإن الأستاذ العقاد حاول أن يفسر شخصية عمر بن الخطاب رضي الله عنه على أساس نظرية لبروزو في الوراثة وليس على أساس أن الإسلام هو الذي غير السكين النفسي له وحوله من حال إلى حال .

ومن أخطائه استعمال الألفاظ القرآنية في المعانى السياسية الحزبية ، كقوله في قصيدة إلى سعد زغول (أنا جبارك) ، وكلمة جبار من صفات الله تبارك وتعالى ، وقد أخطأ سعد الذي تربى في الأزهر في استعمالها ، كما أخطأ العقاد في تداولها . وفي الشعر استعمل كلمة (رحم) للشاعر ، وهي خاصة بالله تبارك وتعالى :

ومن ذلك كتابه عن (ديمقراطية الإسلام) حيث نقل جميع ملامع الفكرة الديمقراطية الغربية وطبقها على الإسلام مع أن الإسلام يختلف اختلافاً واضحاً عن الديمقراطية الغربية وإذا كان هناك لقاء في بعض المفاهيم

الديمقراطية أو الاشتراكية فهو لا يدل بالطبيعة عن أن الإسلام ديمقراطياً أو اشتراكياً وإنما للإسلام ذاته الخاصة المتميزة .

كذلك فإن الأستاذ العقاد عالج الفكر الإسلامي معالجة فلسفية على النحو الذي كتب به (الفلسفة القرآنية) و (التفكير فريضة إسلامية) والإسلام منهج متميز له مفهوم قرآنی خالص ، أما التفسير الفلسفي فهو بمثابة مرحلة من مرحلة التفسير الإسلامي التي مر بها الشيخ محمد عبده وآقبال وغيرهما والتي لم تتحقق أثراً كثيراً للإسلام .

وعندما ألف العقاد كتابه عن محمد عبده : كتب أحد الكتاب (كاميل الشناوى) يتحدث عن ما أسماه صفحات ناقصة عن علاقة محمد عبده وكرومر وقال : إن القارئ في حاجة إلى من يتحدث عن هذه الصدقة ويفسرها ويبرر موقف الأستاذ الإمام منها ; وقال العقاد : إن محمد عبده لم يكن صديقاً لكرومر ولكنه كان خصماً للخدیو عباس ، وسر هذه الخصومة أن الإمام أراد أن ينهض بإصلاح الأزهر وإصلاح الأوقاف وإصلاح المحاكم الشرعية وكان الخدیو يرى أن هذه الإصلاحات إفساداً لسيطرته و مطامعه .

وكان كرومر يعارض الخدیو وكان طبيعياً لا تقوم الحرب بين كرومر والمفتي الذي يتخذ من وظيفته وسيلة للإصلاح .

وقال العقاد : لقد استغل كرومر خصومة المفتي للخدیو فكان يزور محمد عبده فاضطر محمد عبده إلى أن يرد له الزيارة ولكن هذا لا يعني أن محمد عبده كان يخدم الاحتلال .

وعارض بعض الكتاب أن يضاف كتاب العقاد عن (بنiamin فرانكلين) إلى عبقريات العقاد : يقول سامي داود وقد مر بعد عهد الأنبياء والصحابة أربعة عشر قرناً خطها العقاد جمیعاً فلم يجد فيها عبقرية واحدة تستحق الذكر ثم جاء العصر الحديث بكل العبقريات العلمية والفلسفية والسياسية والاقتصادية فهر العقاد بهذه العبقريات جمیعاً ، ثم اختار عبقرية واحدة منها ليبدأ بها عبقريات العصر الحديث : هي عبقرية بنiamin فرانكلين الأمريكي الذي نسبت إليه هذه المؤسسة . وقال إن تأثر العقاد قد جعله يرفع بنiamin فرانكلين إلى مستوى عبقريات الأنبياء والصحابة والخلفاء الراشدين أو على الأقل

نخصه وحده بهذا الارتفاع دون كل العباقة الذين مرروا بهذه الأرض .
وكان سامي داود يقصد أنه كتاب دعاية للناشر الأمريكي .

وقال العقاد في الرد على ذلك في إبانه أنه كتب عن سعد زغلول وغاندي وابن الروبي وأبي نواس وبيكون ، وبرنارد شو ، ودار النقاش حول مهاجمة العقاد لأودلف هتلر وسفر العقاد إلى السودان خوفاً من وصول الألمان إلى مصر . ولا ريب كانت حملة بعض الكتاب اليساريين على العقاد نتيجة كتابه عن الشيوعية وعن كارل ماركس . ولكن البعض كان يرى أن العقريات كتبت لهاجمة مفهوم الماركسية في معارضته البطولة الفردية وهاجم البعض مقالاته في المصور عن الشركات المختلفة وقالوا انه كانت إعلانات .

* * *

(٧)

محمد حسين هيكل

(أخطاء المنهج)

لا نستطيع أن نتجاهل الحقيقة وهي أن الدكتور هيكل كتب (حياة محمد) في وجه التحديات التي قامت في البلاد العربية والإسلامية بانتشار التبشير وتوسيعه ، وقد وقف في وجه هذه الموجة وقفة شريفة ، ولكن حس جائ إلى كتابة سيرة النبي الأعظم ليجعلها سبيلا إلى مواجهة هذه الظاهرة الخطيرة لم يتسكن من امتلاك الأداة الإسلامية الصحيحة فقد كان لا يزال حاضراً للأسلوب الغربي في التفكير في إطار المفاهيم العلمانية والمادية ، ومن ذلك أنه بدا كتابة السيرة بترجمة كتاب مستشرق فرنسي هو (درمنجم) له موقفه الطبيعي من الإسلام وإن كان في كثير من مواقفه يحاول البحث عن الحقيقة ، غير أن الدكتور هيكل تبنى كثيراً من آراء الاستشراق ومفاهيمه فجاءت دراسته عن (حياة محمد) مشوبة بكثير من الأخطاء :

أولاً : محاولة تصويره أن الإسراء بالروح ، تحت عبارات براقة كقوله أن محمداً صلى الله عليه وسلم في لحظة الإسراء والمعراج انتقى لديه حجاب الزمان والمكان واجتمع الكون كله في روحه فوعاه منذ أزله إلى أبد الدهر يصل بعد ذلك إلى أن الإسراء تم بالروح وذلك لأن الإسراء بالجسد – كما يقول الأستاذ على العريني في بحثه في مجلة دعوة الحق – يتنافى مع المناهج الغربية إذ العلم كما يقول هيكل في عصرنا الحاضر يقر هذه الإسراء بالروح ويقر المعراج بالروح ، فحيث تتقابل القوى السليمة يشع ضياء الحقيقة ويخلاص من هذا إلى أن الإسراء والمعراج وقعا بالروح أو الروحيا فقط .

ثانياً : يرفض الدكتور هيكل الأحاديث المروية عن شق صدر الرسول عليه الصلاة والسلام في طفولته من قبل ملائكة كريمين ويدعم هذه الأحاديث

فِي سُورَةِ الْأَنْشَارِ وَحْجَتْهُ فِي ذَلِكَ (١) عَدْمُ اطْمَئْنَانِ الْمُسْتَشْرِقِينَ وَجَمَاعَةِ الْمُسْلِمِينَ إِلَى رِوَايَةِ الْمَلْكِينَ ، وَبِرَوْنَاهَا ضَعْفَيْةُ الْسَّنَدِ وَبِرَوْنَاهَا ضَعْفَيْةُ الْمُسْتَشْرِقِ وَلِمَ مُوَيْرُ أَنَّ الرَّسُولَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَصَابَتْهُ نُوبَةُ عَصْبَيْةٍ ، وَإِنْ كَانَ «دَرْمَنْجَمْ» يَرَى أَنَّهَا لَا تَسْتَنِدُ إِلَى شَيْءٍ صَحِيفَ غَيْرَ مَا جَاءَ فِي ظَاهِرِ الْآيَاتِ (٢) إِنْ شَرَحَ الصَّدِيرُ كَانَ رَوِيَّاً بِحَتْنَاهَا (الْغَاِيَةُ مِنْهُ تَطْهِيرُ الْقَلْبِ وَتَنْظِيفُهُ لِيَتَلَقَّى الرِّسَالَةُ الْقَدِيسَةُ خَالِصَةً وَبِوَدِيهَا مُخْلِصًا تَامًا لِلْإِخْلَاصِ

ثَالِثًا : أَنَّ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيْسَ فِي حَاجَةٍ إِلَى الْخَوَارِقِ ، كَمَا تَبَسَّرَ لِسَابِقِيهِ مِنَ الرَّسُولِ وَأَنَّ حَيَاةَ مُحَمَّدٍ كَانَتْ كُلُّهَا إِنْسَانِيَّةً سَاعِيَةً وَيَنْسَاقُ هِيَكَلُ مَعَ مَا أَسْمَاهُ الْمَوْضُوعَيْةِ وَالرُّوحُ الْعَلْمِيَّةُ حَتَّىٰ فِيهَا أَخْبَرَ عَنْهُ الْقُرْآنُ بِصَرِيحِ الْقَوْلِ وَوَاضِعُ الْعَبَارَةِ فِيهَا يَخْتَصُّ بِالْكَارَاتَةِ الَّتِي وَقَعَتْ لِجُنُودِ أَبْرَهَةِ عَنَّا مَا هَاجَمَ مَكَةَ بِجَيْوَشِهِ قَصْدَ تَهْدِيهَا ، وَلِمَا فَرَ السَّكَانَ لِشَعَابِ الْجَبَالِ ، وَخَلَا الْجَوَّ لِأَبْرَهَةِ وَجُنُودِهِ لِتَخْرِيبِ بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ ، يَرَى هِيَكَلُ أَنَّ وَبَاءَ الْجَارِيِّ قَدْ تَفَشَّى بِالْجَيْشِ ، وَبِدَأَ يَفْتَكُ بِهِ وَلَا يَقْبِلُ قَصْةُ الطَّيْرِ الْأَبَابِيلِ الَّتِي رَمَتِ الْمُغَيْرِيْنَ بِحَجَارَةٍ صَغِيرَةٍ فَقَضَتْ عَلَيْهِمْ ، وَعَلَى فِيلِهِمْ فَهَذَا مَنْطَقَ الْعُقْلِ يَقُولُ بِالْجَرَاثِيمِ وَالْوَبَائِمِ ، أَمَا مَا سَوَى ذَلِكَ مِنْ قُدْرَةِ الْقَادِرِ الْحَكِيمِ فَيَدْعُى أَنَّهُ أَمْرٌ لَا يَقْرَأُهُ الْعِلْمُ وَتَرْفُضُهُ الْحِكْمَةُ فِي التَّوَابِينَ الْعَلْمِيَّةِ ، يَقُولُ عَلَى الْعَرَبِيِّ : الْحَقِيقَةُ أَنَّ هِيَكَلُ أَرَادَ أَنْ يَتَقْرَبَ إِلَى أَصْدَاقَاهُ مِنَ الْمُسْتَشْرِقِينَ ، كَمَا أَنَّهُ كَانَ يَتَقْرَبُ إِلَى بَعْضِ الْوَزَارَاءِ الْمُسْكِيْحِيْنَ فِي الْحُكُومَةِ الْمَصْرِيَّةِ ، وَكَانَ السَّادَةُ فِي عَصْرِ ١٩٣٥ م مُوجَّهَ الْمَنَاهِجِ الْعَرَبِيَّةِ وَالرُّوحُ الْعَلْمِيَّةِ الْمَوْضُوعَيْةِ الَّتِي كَانَ يَصْدِرُهَا الْغَرْبُ بِوَاسِطَةِ الْمُبَشِّرِيْنَ وَالْمُسْتَشْرِقِينَ وَتَلَامِيذِهِمْ وَشُعْرَاءِهِمْ فِي الدُّولَ الْإِسْلَامِيَّةِ فَنَجَدُهَا تَطْبِقُ عَلَى الْأَدَبِ الْعَرَبِيِّ وَيَتَسَلَّلُ إِلَى الْحُكْمِ فَتَشَارِقُ الْفَصْلِ بَيْنَ الدِّينِ وَالْوَلَوْلَةِ وَكِتَابِ عَلَى عَبْدِ الرَّازِقِ (الْإِسْلَامُ وَأَصْوَلُ الْحُكْمِ) أَكْبَرُ شَاهِدٍ ، أَنَّهُ بَعْدَ سَقْوَطِ الْخَلَافَةِ الْعُثْمَانِيَّةِ عَامَ ١٩٢٤ .

وَيَقُولُ إِنَّ الشَّيْخَ مُصْطَفَى صَبَرِيَّ قَدْ هَاجَمَ هَذَا الْمَهْجَعَ هَجْوِيًّا وَاسْعَى فِي كِتَابِهِ (مَوْقِفُ الْعِلْمِ وَالْعَالَمِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ) .

وَقَدْ أَوْرَدَ الشَّيْخُ مُحَمَّدُ زَهْرَانَ فِي مَجَلَّةِ الْمَنَارِ أَخْطَاءَ هِيَكَلٍ فِي السِّيرَةِ ١ - أَنَّ كَلَامَهُ فِي بَدْءِ الْوَحْيِ يَنْهَا أَنَّ أَوَّلَ سُورَةَ (أَقْرَأْ) نُزِّلَ مَنَامًا :

- ٢ - ما أورده في قصة إبراهيم والكعبة .
- ٣ - قصة شق الصدر .
- ٤ - الإسراء والمعراج .
- ٥ - معجزة الغار .
- ٦ - قصة سراقة .
- ٧ - إنكاره المعجزات .

وقد عالجنا هذه الظاهرة في بحث مستقل نورده بعد :

أخطاء في كتابة السيرة

إن هناك ظاهرة عميقة تبدو في أفق الفكر الإسلامي الحديث جدرة بالرصد والدراسة : تلك هي انطلاقته إلى آفاق الرشد ودخوله مرحلة الأصالة استراراً من المتابع الأولى وتحرراً من زيف المحاولة التي أجرتها حركة الاستشراق والتبيير والغزو الفقاف خلال السنوات الخمسين الأخيرة ، وقد انبعثت هذه الحركة المتوجهة إلى التأصيل على يد حركة اليقظة الإسلامية التي حلت لواء الدعوة لاتقاد المتابع في المنهج القرآني بعيداً عن مناهج الفلسفات أو الاعتزال .

والظاهرة كما يلي :

في خلال فترة الاستعمار الغربي للعالم الإسلامي كانت المحاولة ترمي إلى (تغريب الإسلام من مفاهيمه الأصلية) وقد جرت هذه المحاولة باستخدام مذاهب ترمي إلى عزل مفهوم الجهاد كما حدث في القاديانية ، أو إعلاء شأن المفهوم العقلاني أو المفهوم الوجداني ، اعتماداً على صور قدماء في الاعتزال أو التصوف الفلسفي أو الباطنية : وقد كان لهذا الاتجاه الفلسفي أثره الوقى في رد عادية الاتهامات التي وجهت إلى الإسلام بأنه ضد العقل أو أنه جرى ينكر الإرادة الفردية .

وقد حاول كثير من الباحثين الدفاع عن الإسلام بأسلوب الفلسفة أو المنهج الغربي للبحث أمثال محمد عبده ، وإقبال ، والقاد ، والدكتور هيكل .

ولكن منهج القرآن كالماء لا يستغني عنه أحد ، ومنهج الفلسفة أو الكلام

كالدواء لا يحتاج إليه إلا المريض حسب ما عبر الإمام الغزالى في مثل هذا الموقف إبان هجمة الفلسفة اليونانية .

وقد مرت مثل هذه التجربة من قبل ووقف منها الإمام الغزالى والإمام ابن تيمية مثل هذا الموقف لقد كان المسلمين يرون إبان هذه المحاولات بأن علماء من المسلمين يدافعون عن الإسلام ، ويردون عادية خصوصه ولكننا حين نعاود النظر الآن نجد أن هذا الأسلوب لم يكن أصيلاً وأن منبع القرآن هو الأسلوب الوحيد للدفاع عن الإسلام وليس أسلوب الفلسفة أو أسلوب المتكلمين .

وأن محاولة الرد على شبهات موجهة إلى الإسلام بأسلوب الفلسفة أو المنهج العلمي الغربي من شأنه أن يبدو بريقه فترة ما ثم تتجاوزه التغيرات وتطوره التطورات : أما مفهوم القرآن ومنطقه ومنهجه فإنه خالد وباق لا يعتريه تحول أو اضطراب .

عن محمد عبده بدور العقل في مواجهة التحدي الذي كانت تقدمه آراء الاستشراق من اتهام الإسلام بالجبرية الصوفية أو القدرية فمحاول أن يعلى العقل حتى يضع الإسلام في مستوى مفاهيم الغرب الذي كان يعلى شأن العقل والعلم إذ ذاك ولكن الأستاذ الإمام ذهب بعيداً فأعلى العقل على النص وجعل العقل حكماً على الوحي . وذلك حين قال بتأويل النص حتى يوافق العقل . (وقد تعرض الأستاذ سيد قطب إلى هذا المعنى في كتابه خصائص التصور الإسلامي) : ولكن المنهج القرآني يرى غير ما يرى الشيخ محمد عبده – وهو مفهوم الأصالة : وهو ما كشفت عنه مدرسة اليقظة ذلك أن للعقل مكانه وحدوده وأنه ليس الحكم الأخير (وما دام النص محكماً فالمدلول الصریح للنص من غير تأويل هو الحكم) .

وهذه الظاهرة التي اضطر الشیخ محمد عبده أن يواجهها في سبيل الدفاع عن الإسلام قد اخترت من بعد معمزاً ما يزال يستعمله خصوصه الإسلام وإلى اليوم .

كذلك فإن حديث الشیخ محمد عبده عن أن الشريعة تتصل بأمور العباد

وأن فيها سعة للاجتهداد قد أخذها دعوة التغريب من بعد وحاولوا أن يقولوا بأن الشريعة الإسلامية تستطيع أن تبرر واقع المجتمعات اليوم وهذا ما لم يقصد إليه الشيخ محمد عبده ولقد جرت المحاولة في هذا الاتجاه نحو النظر إلى المعجزات وأحصيَت كتابات لغريف وجدى والشيخ المراغى والدكتور هيكل كانت مثابة تيار خطير من تيارات إنكار المعجزات في سبيل إعلاء نظرية العقل أو المنهج العلمي الغربى :

وقد أفضى في كشف هذه الظاهرة الإمام العلامة الشيخ مصطفى صبرى شيخ الإسلام في الدولة العثمانية في كتابه (موقف العلم والعالم من رب العالمين) : وهو كتاب خطير يمثل مدى خطير ظاهرة إنكار معجزات الرسول في سبيل أصحاب المنهج العلمي الغربى .

وحيث تقرأ للدكتور هيكل محاولته في كتابه السيرة تجده يحاول أن يواجه خطرين : خطير حملة التبشير التي اجتاحت البلاد الإسلامية في الثلاثينيات وخطير الاستشراق .

يقول في مقالة (كيف ولماذا أكتب حياة محمد) .

إن المستشرقين الذين كتبوا عن محمد وعن الإسلام قد تأثروا في كتابتهم بدافع من التعصب المسيحي وإنهم ألقوا على ما كتبوا صبغة البحث العلمي ولا ريب أنهم على الأغلب لم يستطيعوا أن ينفذوا إلى دقائق أسرار الحياة العربية لتأثيرهم بالبيئة الغربية التي يعيشون فيها والتي ورثوا من تراثها في التفكير والبحث ما لا يسهل عليهم معه إن حسوا بإحساس رجل الصحراء والعائش في الجو المكشوف وللبيئة الطبيعية كما للبيئة الوراثية على التفكير وعلى التصور أثر عجيب لا سبيل إلى إنكاره » :

ثم يشير إلى أنه يريد أن يرضى العقل الحديث بكتابه السيرة وأن هناك مسائل يرى أنها من وضع بعض الكتاب الذين دسوا عن حسن نية أو سوء نية طائفة من الخرافات » :

ولقد واجه الدكتور حسين المراوى (هيكل) في إثباته للسيرة وكشف عن خطأ الاتجاه إلى تقبل وجهة نظر إميل درمنجم التي بني عليها

هيكل كتابه (حياة محمد) وأشار إلى تلك العبارات الماكرة التي نقلها هيكل عن درمنهم والتي تحاول أن تصور النبي صلى الله عليه وسلم ، وقد تأثر بأهل الكتاب في الجزيرة العربية أو في ذهابه إلى الشام أو في إرسال بعض أصحابه إلى الحبشة المسيحية وهذا كله زيف مقصود أعده درمنهم وتابعه فيه هيكل إلى حد ما .

وقد أشار الدكتور المراوى إلى أن هذا هو السير في الطريق الذى رسمه الاستشراق ، وهذا شبيه بالوقوع في الفخ الذى نصبه الاستشراق في اتهام الإسلام بالجبرية مما دفع بعض الكتاب إلى إعلاء ما أسموه عقلانية الإسلام . ولقد سار اتجاه هيكل شوطاً ولكن عجز ، لأنه بعيد عن الأصالة واستطاعت حركة اليمامة أن تبني (منهج القرآن) وأسلوبه في كتابة السيرة وفي التعريف بالإسلام ومنهج القرآن هو الأصالة ومنهج الفلسفة والأسلوب العلمي الغربي هو منهج (التغريب) .

وقد تصدى لذلك رجل من أجل رجال الفكر الإسلامي في عصرنا وهو الأستاذ محمد سعيد رمضان البوطي في كتابه (فقه السيرة) التي كشف بها زيف محاولات كتابة السيرة على غير الفهم القرآني قال : إن الهدف هو تصحيح أغلاظ كثيرة من كتبوا عن السيرة في هذا العصر وأن نحيط الغشاء عن المغالطات التي كانت ولا تزال تنسها أفلام كثيرة من الكتابين المستشرين و المستغربين وهي أغلاظ و مغالطات قامت لنغذيتها ورعايتها وترويجها مدرسة فكرية معينة نشأت في أواخر القرن التاسع عشر و راحت تمد من ثورها وظلالها إلى أيامنا هذه

إن هذه المدرسة لم تعد تخدع إلا قلة من بقابا المفتونين باسمها وباسم مؤسسيها ورعايتها وأن الحقائق الناصعة في حياة المصطفى صلى الله عليه وسلم تظل هي المشرقة السائدة و يظل العقل الحر نراعاً إليها موقناً بها غير مطمئن إلى أى تأويل أو تخليل يستهدف تحويتها أو التلاعب بها . ولقد علم عامة الباحثين والمفكرين أن أهم أسباب نشأة تلك المدرسة في حينها : ذلك الانهيار الذي أصيّبته به كثيراً من العقول العربية المسلمة من أبناء النهضة العلمية في أوروبا ، فقد راحت تلك العقول تتوهم تحت تأثير ذلك الانهيار – أنه ليس

بين المسلمين وبين أن ينهضوا مثل تلك النهضة إلا أن يفهموا الإسلام هنا كما فهمت أولئك النصارى هناك ، وأن يضعوا حقائق الإسلام الغيبية من وراء اكتشافات العلوم المادية فلا يؤمنوا بغير لم يدركه علم ولا يرجوا على معجزة لم يؤيدها اكتشاف أو اختراع ، فإن فعلوا ذلك نهضوا نهضة أولئك في علومها وخلفوها في رقيها وفنونها : ومن هنا أنشأ أقطاب تلك المدرسة ما زعموه (الإصلاح الديني) والدين الصحيح ما كان يوماً ليقصد حتى يحتاج إلى مصلح أو إصلاح :

وكان من مظاهر هذا الإصلاح ظهور أول تجربة تجربة تحليل حياة الرسول صلى الله عليه وسلم تحليلاً يسير في خضوع منكسر وراء العقلية الأولىية وتحت لواء ما زعموه (العلم الحديث) أجل : فقد كان كتاب حياة محمد حسين هيكل التجربة الرائدة في هذا المضمار ، أعلن فيه الرجل أنه لا يريد أن يفهم حياة محمد صلى الله عليه وسلم إلا كما يأمر به العلم ولذلك فلا خوارق ولا معجزات في حياته عليه الصلاة والسلام وإنما هو القرآن والقرآن فقط : وابنی الشيخ مصطفى المراغي شيخ الأزهر يقرظ الكتاب ويبارك المخطوطة الرائدة وتطلق (محمد فريد وجدی) هو الآخر ينشر سلسلة مقالاته داعيًّا الناس إلى فهم الإسلام والسيره النبوية عن طريق العلم ، ولو اقتضى ذلك الإعراض عن الخبر الصادق الذي ثبت في الكتابة والسنّة وإنما كان يقصد بطريق العلم ألا يستسلم العقل للغميّات ولا للخوارق والمعجزات وإن جاء بها الخبر الصادق المتواتر ، لأن العلم إنما يتحقق بإنكار كل ما لم يقع تحت حسلك وشعورك :

كانت هذه المدرسة رد فعل أثاره الانهيار والشعور بالضعف لدى طائفة من المسلمين تهياً لها بسبب ظروف خاصة أحاطت بها أن تطلع على الحياة الأوروبية فتسهّل لها زخارفها وملاذها فانخدعوا من نزوات أنفسهم حاكماً مسلطاً على عقولهم واصططعوا بذلك مدرسة فكرية ظاهرها الإصلاح الديني وباطنها الاستخدام النفعي والانهيار الفكري بين يدي نهضة الغرب: ولم تكتسب هذه المدرسة أى نهضة علمية كالمى نهضتها أوروبا كما كانوا يوهمون أو يتوهمون ، كل ما بحثته أيدي ذلك الإصلاح الديني فقدان الحقيقةين معها فلا هم على حقيقتهم الدينية أبقوا ولا على النهضة العلمية عثروا .

ويقول : إن المسلم لا ينبغي للحظة واحدة أن يحاول فهم حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم على أنه عبقرى عظيم أو قائد خطير أو راهب محنت ، فمثل هذه المحاولة ليست إلا معاندة أو معابة للحقائق الكبرى التي تذخر بها حياة محمد صلى الله عليه وسلم فقد أثبتت الحقائق أن النبي صلى الله عليه وسلم كان متصفًا بكل صفات السمو والكمال الخلقي والعلقى والنفسى ، ولكن كل ذلك كان ينبع من حقيقة واحدة كبرى في حياته عليه الصلاة والسلام ألا وهي أنه نبى مرسلا من قبل الله عز وجل ، ولا ينبغي لل المسلم أن يتصور أن المعجزة الوحيدة في حياته صلى الله عليه وسلم إنما هي القرآن ما دام أنه لا ينكر أن له عليه الصلاة والسلام سيرة تحاول أن تفهم حياته من خلالها .

أما إن كان ينكر وجود هذه السيرة فإن عليه أن ينكر معجزة القرآن أيضًا إذ لم تبلغنا معجزات رسول الله صلى الله عليه وسلم المختلفة إلا من حيث بلغتنا منه معجزة القرآن . ١٤٦

وقد زال اللبس وشرقت الحقيقة مرة أخرى حين غلب المنهج القرآني الذى حملته حركة اليمقظة الإسلامية والتى قدمت الآن جيلا أو جيلين على طريق الأصالة كان رائد هذه المدرسة في الحقيقة هو الإمام حسن البنا ومن حوله نشأ الكثرون : مصطفى السباعي و عمر الأميري و محمد المبارك و محمد الغزالى و سيد قطب و تابعه على الطريق أجيال كثيرة :

ولا ريب أن طريق التغريب هو ما بعثه المستشرقون وحملوا عليه تلاميذهم ومن استهواهم عملهم ومن حول المنهج القرآني والمنهج الفلسفى نجد ذلك الخلاف الواضح بين ما كتبه عباس محمود العقاد في كتابه الفلسفة القرآنية ورد عليه في ذلك الدكتور محمد أحمد الغمراوى يقول : (ينبغي أن ينبه المسلم إلى أن يقرأ للعقاد باحتياط وهو يكتب عن الإسلام فالعقاد ابن العصر الحديث أخذ ثقافته مما قرأ لأدبائه وعلمائه وهو شئ كثیر ، وليس كل ما كتبه المستشرقون عن الإسلام يقبله المسلم ولا كل نظريات علماء الغرب تتفق وما قررها القرآن لكن العقاد اعتقد من هذه النظريات ما اعتقد ، فهو ينظر إلى القرآن الكريم من خلال ما اعتقد منها ويبعد أن من بين ما اعتقد العقاد نظرية (فريزير) في نشوء الأديان فهى عنده ليست سماوية ولكن أرضية

نشأت بالتطور والترقى إلى الأحسن ومن هنا تفضيل العقاد للإسلام على غيره من الأديان فهو آخرها وإن فهو خيرها ومن هنا تفضيله ما سماه الفلسفة القرآنية على غيرها من الفلسفات : إن لم يكن هذا هو تفسير إطلاق اسمه الغربيين على كتابيه (عقبريه محمد) و (الفلسفة القرآنية) فهذه التسمية خطأ منه ينبغي أن ينبه إليه قارئ الكتابين من المسلمين لينجوان ما أمكن مما توحى به التسمية من أن محمدًا صلى الله عليه وسلم عبقرى من العابقة لا نبى ولا رسول بالمعنى الدينى المعروف في الأديان المزيلة : يؤكد هذا الإيحاء إن جماء الكتاب واحدًا من سلسلة كتب العبريات الإسلامية وإن يكن أوها فالناشىء الذى يقرأ بعد عبقرية محمد صلى الله عليه وسلم عبقرية أبي بكر رضى الله عنه . وعقبريه عمر رضى الله عنه مثلا لا يمكن أن يسلم من إيمانه حتى إلى نفسه أن محمدًا صلى الله عليه وسلم ، وأبا بكر وعمر رضى الله عنهم من قبيل واحد : عبقرى من عابقة وإن يكن أكبرهم جيئا ، فالذى سمى النبي صلى الله عليه وسلم بطل الأبطال فأوهم أنه واحد من صنف ممتاز من الناس متجدد على العصور ، بدلا من صنف اختتم به صلى الله عليه وسلم صنف الأنبياء والمرسلين من عند الله . فالنبي والرسول يأتيه الملك من عند الله بما شاء الله من وحي ومن كتاب ولا كذلك العبقرى ولا البطل ، فالتبورة والرسالة فوق البطولة والعقبريه بكثير ، وكم من الصحابة رضوان الله عليهم من بطل ومن عبقرى وكلهم يدين له صلى الله عليه وسلم بأنه رسول الله إلى الناس كافة في ذلك العصر وما بعده وأنه خاتم النبيين (وهذا الذى يشير إليه الأستاذ سيد قطب في كتابه (خصائص التصور الإسلامي) الذى أراد به في الحق أن يكشف عن الفوارق العميقة بين التفسير الفلسفى للإسلام والقرآن ، الذى ذهب إليه العقاد والتفسير القرآنى للإسلام والقرآن ، ولعل هذا كان سر الاختلاف بينهما وسر الخلاف بعد أن بدأ معاً الطريق إلى فهم الإسلام والكتاب عنه في أول الأربعينات عندما كتب العقاد عبقرية محمد صلى الله عليه وسلم ، وكتب سيد قطب التصور الفنى للقرآن ، ثم اختلف الطريق ، أما العقاد فقد اعتمد مدرسته الفلسفية الغربية وعرض عليها الإسلام فأصاب وأنخطأ ، أما سيد قطب فقد خلص ثوبه تماماً وآمن بمفهوم القرآن الأصيل ولا ريب أن ما قاله الأستاذ أحمد شكرى في هذا المعنى كبير الدلالة :

أراد العقاد أن يجعل للإسلام فلسفه وكان يعرض العقيدة أحياناً بأسلوب الفلسفة، ونحن نختلف معه، لأنه لا بد أن تعرض العقيدة بأسلوب العقيدة، إذ أن عرض العقيدة بأسلوب الفلسفة يقتاتها ويطغى على شعاعها ويقصرها على جانب واحد من الكينونة الإنسانية، وفارق كبير بين التصور الفلسفي والتصور الاعتقادي ذلك (أن التصور الفلسفي ينشأ في الفكر البشري من صنع هذا الفكر لخوالة تفسير الوجود وعلاقة الإنسان به ولكنها يبقى في حدود المعرفة الباردة ، أما التصور الاعتقادي فهو تصور ينبع من الصميم ويتفاعل مع المشاعر ويتلبس بالحياة فهو وشيعه حية بين الإنسان والوجود وبين الإنسان وخالق الوجود) . وفي نفس الطريق من التبعية والتغريب إلى الأصالة والمنابع الأولى نجد تلك الأبحاث الواسعة العميقه عن استقلالية الشريعة الإسلامية عن القانون الوضعي ، واستقلالية التربية الإسلامية عن التربية الغربية وذاتية الإسلام الواضحة في مناهج الاجتماع والنفس والأخلاق بما يختلف اختلافاً واضحاً عن الفلسفة الغربية المادية منها بنوع خاص واستقلالية الإسلام في منهجه السياسي والاقتصادي عن الرأسمالية والليبرالية وعن الديموقراطية ، والماركسيه والاشراكية على نحو (مفرد) لأنه رباني من عند الله . هذه هي الصورة التي تبدو في أفق الفكر الإسلامي اليوم لتزيح ركام الفلسفات والمفاهيم التغريبية التي حملها الغزو الثقافي من الفكر التلمودي والوثني والإباحي الغربي وألقي بها في أفق الفكر الإسلامي وانخدع بعض مفكري الإسلام فمحاولوا أن يتخلوا من الأسلوب الفلسفي مدخلاً إلى فهم الإسلام ، وهي محاولة لم فيها أجر واحد ، أما مفهوم حركة اليقظة الإسلامية فقد لمع في الأفق أول ما لمع قرآنياً ربانياً خالصاً متحرراً من كل مفاهيم المذاهب والفرق .

وبعد فذلك أولى المحاولات في الكشف عن هذه الظاهرة أرجو أن تتبعها حلقة أخرى على نفس طريق الأصالة والرشد الفكرى ولعل أهم ما يجب أن أشير إليه هنا أن (الأصالة) قد كسرت ذلك القيد المسموم الذي حاول به دعاة التغريب أن يفصلوا بين الفكر الإسلامي الحديث وبين الفكر الإسلامي في منابعه الأولى في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والصحابة والتابعين رضوان الله عليهم . . .

وأبانت أن الانطلاقة الحديثة مرتبطة ومدعمة بالسابق لها كحلقة من حلقات متصلة لا انفصال لها :

(٨)

طه حسين

أهم الأخطار التي يروج لها فكر طه حسين والتي يحبح الحبيطة في النظر إليها هي :

أولاً : قوله بالتناقض بين نصوص الكتب الدينية وبما وصل إليه العلم ، وقوله : (إن الدين لم ينزل من السماء وإنما خرج من الأرض كما خر جن الجماعة نفسها) وهذه نظرية شاعت حيناً في الفكر الغربي تحت تأثير المدرسة الفرنسيّة التي يرأسها اليهودي (دوركايم) :

ثانياً : إثارة الشبهات حول ما سماه القرآن المكى والقرآن المدني ، وهي نظرية أعلنتها اليهودي (جيول د زير) وثبتت فسادها :

ثالثاً : تأييده القائلين بتحريف العرب الفاتحين لمكتبة الإسكندرية وهي نظرية رددها المستشرق (جريفيني) في مؤتمر المستشرقين عام ١٩٢٤

رابعاً : عمل على إعادة طبع (رسائل إخوان الصفا) وتقديمها كمقدمة ضخمة في محاولة لإحياء الفكر الباطني المحسوس الذي كان يحمل المؤامرة على الإسلام والدولة الإسلامية :

خامساً : إحياءه شعر المجنون والغزل بالذكر وكل شعر خارج عن الأخلاق سواء كان جنسياً أو هجاء ، وقد أولى اهتمامه بأبي نواس ، وبشار والضمحات في دراسات واسعة عرض فيها آراءهم وحلل حياتهم ،

سادساً : ترجمة القصص الفرنسي المكشوف ، وترجمة شعر بودلير وغيره من الأدب الأجنبي الإباحي الملبيع .

سابعاً : إثارة شبهة خطيرة عن أن القرن الثاني المجري كان عصر شرك ومجون .

ثامناً : قدم فكرة فصل الأدب العربي عن الفكر الإسلامي كمقدمة لدفعه إلى ساحة الإباحيات والشك وغيرها وذلك باسم تحريره من التأثير الديني :

تاسعاً : إعلاء شأن الفرعونية وإنكار الروابط العربية والإسلامية ومن ذلك قوله : إن الفرعونية متأصلة في نفوس المصريين ولو وقف الدين الإسلامي حاجزاً بيننا وبين فرعونيتنا لنبدلناه .

العاشر : إشاعة دعوة البحر الأبيض لحساب بعض القوى الأجنبية والقول : بأن المصريين غربوا العقل والثقافة ، وأن الفكر الإسلامي قام على آثار الفكر اليوناني القديم ولذلك فلا مانع من تبعيته في العصر الحديث للتفكير الغربي .

الحادي عشر : الادعاء بأن الشاعر أبو الطيب المتنبي (لقينط) وهى دعوى باطلة أقام عليها كتابه (مع المتنبي) متابعاً رأى الاستشراق وهادماً لبطولة شاعر عربي نابه .

الثاني عشر : اتهامه الخطير لابن خلدون بالسذاجة والقصور وفساد المنهج وهو ما نقله عن أستاذة اليهودي (دور كايم) .

الثالث عشر : إعادة خلط الإسراطيليات والأساطير إلى السيرة النبوية بعد أن نقاها المفكرون المسلمين منها والتزيد في هذه الإسراطيليات والتلويع في وذلك في كتابه (على هامش السيرة) وقد كشف هذا الاتجاه الدكتور محمد حسين هيكل ووصفه مصطفى صادق الرافعى بأنه (تهكم صريح) .

الرابع عشر : حلته على الصحابة والرعييل الأول من الصحفة المسلمة وتشييدهم بالسياسيين المخترفين في كتابه (الفتنة الكبرى) .

الخامس عشر : إثارة الشبهات حول (أصلية) الأدب العربي والذكر الإسلامي بما زعمه من أثر اليهود والوثنية والنصرانية في الشعر العربي .

السادس عشر : إنكار وجود سيدنا إبراهيم وسيدنا إسماعيل عليهمما السلام وإنكار رحلتهما إلى الجزيرة العربية وإعادة بناء الكعبة على نفس التحرو الذى أورده العهد القديم وكتابات الصهيونية :

السابع عشر : دعوته إلى إعلاء شأن الأدب اليوناني على الأدب العربي والقول : بأن لليونان فضلاً على العربية والفكر الإسلامي .

الثامن عشر : دعوته إلى الأخذ بالحضارة الغربية (حلوها ومرها وما يحمد منها وما يعاب) في كتابه (مستقبل الثقافة) .

الناسع عشر : وصف الفتح الإسلامي لمصر بأنه (استعمار عربي) وعبارته هي : (خضع المصريون لضروب من البغى والعدوان جاءتهم من الفرس والرومان والعرب) .

العشرون : إنكار شخصية عبد الله بن سبأ اليهودية وبرئته مما أورده الطبرى ومؤرخوا المسلمين من دور ضخم في فتنة مقتل عثمان في كتابه (الفتنة الكبرى) .

* * *

هذه أبرز الشبهات التي أوردها كتب طه حسين وقد واجهتها أقلام الكتاب في عصره ومن بعد مواجهة حاسمة وكشفت زيف هذه الادعاءات ولم يرجع الدكتور طه عن رأي واحد منها (وإن كان قد رجع عن رأيه في المنشاوي ولم نورده لهذا) ولا تزال هذه السموم باقية في مؤلفاته وكتبه بين أيدي الناس ، ولقد هزم هذا الفكر الاستشرافي التبشيري هزيمة منكرة ، وطه حسين حي ، لقد ووجه طه حسين بالرفض والخصومة وحرقت كتبه في بعض العواصم العربية (دمشق) وأرسل إليه كثير من المفكرين برقيات تعارضه وقد زيفت كثير من الدوائر العلمية آرائه كما فعل مؤتمر ابن خلدون ودراسات أساتذة كلية أركان حرب الجيش رأيه في العروبة :

إن النقطة الحقيقة هي (التبعية والمسؤولية التي يحملها فكر طه حسين للأجيال المتعاقبة) كما أشار إلى ذلك الأستاذ الجليلي أحمد حسين ، هذا الفكر الذي ما زال مطروحاً بين أيدي الشباب بكل ما فيه من تناقض وسموم واحتلالات وشبهات بعد أن مضى صاحبه : وقد قيل : إن الدكتور طه حسين قد تنازل عن كثير من آرائه في سنواته الأخيرة ، ونقول : فأين الدليل ؟ بل إن العكس هو الصحيح ، فإن الدكتور طه حسين كان حريصاً في مجموعات مقالاته التي نشرت في السنوات الأخيرة أن يستبعى هذه السموم وأن يعيد طبعها ، وأن يعلن في حديث مع فؤاد دواه بأنه لم يتنازل عن أي

رأى قال به أو أعلنه ، وكل ذلك يعزز القول : بأن الدكتور طه حسين كان مصرأً على تلك الآراء حتى آخر لحظة من حياته .

وقد كان من حق الأجيال الجديدة المسلمة علينا أن نعلمهم كيف يتفقون من كل ما يقدمه الكتاب التغريبيون موقف الخذل وأن يعرضوه على قيمتنا الأساسية وما هيمنا الأصيلة فما وجدوه متفقاً معها فليتقبلوه ومام لم يجدوه كذلك واجهوه بخدر واحتاطوا منه .

ولعل كتابنا (طه حسين : حياته وفكره في ضوء الإسلام) قد كشف عن جذور الحياة الفكرية والاجتماعية والسياسية في مصر والبلاد العربية خلال تلك المرحلة التي عاشها الأمة منذ جاء الاستعمار وألقى على الحياة فيها من تيارات تحصل بثبيت النفوذ الأجنبي عن طريق الثقاقة والفكر والتعلم .

ونحن نتصدى للكشف عن تلك الأخطاء التي تمثلت في كتابات عدد من المفكرين الذين ظنوا أن طريق التبعية للتفكير الغربي والتماس أسلوب العيش الغربي هو الطريق الوحيد لبناء النهضة العربية الحديثة ، وقد كشفت الأحداث من بعد - وقبل : إن برحل الدكتور طه حسين - عن فساد هذا الأسلوب وهزيمة تلك المدرسة ، وتبين أن الطريق الوحيد هو طريق الأصالة والتماس المناهج التي نجح بها المسلمون من قبيل في كل أزمة وقد تبيّنت في السنوات الأخيرة من المقالات التي كتبها عبد العظيم أنس ، يوسف إدريس ، وكمال زهيري وغيرهم حقيقة خطيرة ظلت خافية وقتاً طويلاً ، وهي أن طه حسين كان يكن عاطفة خفية ظل يسترها وقتاً طويلاً تحت ستار من النظاهر بالديمقراطية وحب الغرب ، وهي محبة الشيوعيين ومساندتهم ومتابعة كتاباتهم وتحمّلها أن تندّ دعوتهم وأن ينتشر فكرهم فهو يتبعهم ويقرأ ما يكتبونه ويعلّم عليه إذا قابلهم ويقضى لهم مصالحهم وهو يوسيطونه من مركز النفوذ والقوة في أمورهم .

(مقال عبد العظيم أنيس : العربي مارس عام ١٩٨١)

وهم يرونه رائداً للفكر الماركسي بكتابه (المعلوبون في الأرض) وقد كان لاتصاله بالوفد وعمله به مدخله للباحث الماركسي المعروف الذي كان يقوده الدكتور محمد متذوقي ، وهو حين يتحدثون عن جهة لصر وولاه لها إنما يعجبون بإقليميته الواضحة العميقه ذات الطابع الفرعوني الكاره للعروبة والإسلام معاً . وقد دافع عن الماركسيين الذين فصلوا ومحضوا عام ١٩٥٠ ومنهم عبد العظيم أنيس وعمل على إعادةتهم بعد خروجهم من المعتقلات ، وقال له طه حسين : إنكم تنياً ورون وتنظرون أنني على يمينكم هل كتب أحدهم شيئاً كالمعلوبون في الأرض وفي فترة من الفترات هاجم فتحى غانم كتاب (المعلوبون في الأرض) من وجهة نظر ماركسيه وقال : إنه لغو .

هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى موقفه من الصهيونية .

يقول الأستاذ أحد حسين : (كيف عملت الصهيونية على إذاعة شهرته عالمياً وذلك مناسبة خطاب إسحاق نافون رئيس دولة إسرائيل عنه وكيف زار المستعمرات الإسرائيلية منذ عصر مبكر جداً وأن اليهود وسيطراً عليهم على الأعلام الدوليحقيقة مؤكدة قد عملوا على بناء شهرة طه حسين دولياً باعتباره وقت من الإسلام موقفاً معادياً في الصدر الأول والأكبر من حياته) . وقد حقق هذا الموقف الدكتور حسين فوزي مجلة أكتوبر (٢٨ أكتوبر عام ١٩٧٩) حين قال : (إن زيارته الأولى لإسرائيل مع طه حسين كانت عام ١٩٤٤ قال : في عام ١٩٤٤ ذهبنا إلى القدس مع طه حسين وكان مديرأً لجامعة القاهرة بنيابة وكان حسين فوزي عميداً لكلية العلوم ، وقد طلب إليهما ألا يخطرا أحداً من العرب أنه اتصل بأحد من اليهود) . وقد قدمت الأحداث الجديدة التي نشرت في السنوات الأخيرة حثائق هامة في هذا الحال وخاصة بحث الدكتور عواطف عبد الرحمن .

الصحافة اليهودية في مصر

التي تقول : (وعندما أقبلت الأربعينات وأصبح تحقيق الوطن القومي اليهودي قاب قوسين أو أدنى وانكشف تماماً الخطر الصهيوني أمام

رأى العام العربي والمصري من خلال الصدمات التي وقعت بين الحركة الوطنية الفلسطينية في مواجهة الحركة الصهيونية المدعومة بالساندنة البريطانية . فقد فوجيء الرأى العام المصري بأسلوب دعائى جديد يتلخص فى إصدار صحيفة مصرية ذات طابع ثقافى ضمت تخبئة من كبار المثقفين المصريين بتمويل يهودى صهيوني وبواجهة حضارية لا تحتمل إثارة الشكوك حول انتهاها ، تلك صحيفة (الكاتب المصرى) التي صدرت فى أكتوبر عام ١٩٤٥ وكانت تتولى تمويلها إحدى العائلات اليهودية الثرية وهى أسرة (هراري) ويرأس تحريرها عميد الأدب العربي الدكتور طه حسين وأن متابعة إعداد الخلة تثبت بالفعل نوعاً من التماطل للقضية الفلسطينية أو معالجتها كحادث هامشى لا يحتل أكثر من عمود أو اثنين من أعمدة الخلة .

وأشارت إلى تعاطف طه حسين مع الحركة اليهودية ، فقد تلمند على يديه كثير من الطلبة اليهود أمثال إسرائيل ولفنون الذى أعد رسالة الدكتوراه عن (تاريخ اليهود فى بلاد العرب فى الجاهلية والسلام) أشرف عليها الدكتور طه حسين ، وقد أحاطت الصحافة اليهودية طه حسين باهتمامها الواضح وخاصة عندما أعيد إلى الجامعة بعد إقصائه عنها لفترة طويلة عام ١٩٣٤ ، وقد قام اليهود بترجمة كتابه (الأيام) إلى العبرية ، كما قام بزيارة مدارس الطائفة الإسرائيلية بالإسكندرية عام ١٩٤٤ وكان فى استقباله كبار الشخصيات اليهودية وعلى رأسهم الحاجم الأكبر (فنتورا) وأعدوا نشيداً خاصاً للترحيب به ، وألى طه حسين محاضرة عن علاقة اليهود بالأدب العربي استثمرتها الصحف اليهودية فى الدعاية :

اما البحث الثاني فقد قدمته فى أطروحة الآنسة (سهام نصار) عن الصحافة اليهودية فى مصر : فأشارت إلى الدور الخطير الذى قامت به مجلة الكاتب المصرى ، ومحاضرات طه حسين فى المدارس الإسرائيلية عن فضل مรعوم للهود على الأدب العربي :

ولقد أثيرة فى الجامع العلمية شبهات طه حسين وخاصة فى مؤتمر السنة والسبرة الذى عقد فى قطر عام ١٤٠١ هـ حيث عرض الدكتور محمد البهى ، والشيخ محمد الغزالى وغيرهم لتجاوزات طه حسين واتخذ المؤتمر قراراً بمحجب مؤلفات طه حسين عن الشباب المسلم :

وما قاله الدكتور محمد البهى : إن الدكتور طه حسين أثار فى كتابه (الفتنة الكبرى) شبهة خطيرة لم تصح مطلقاً وهى قوله : إن الإسلام ينفى على هامش حياة المسلمين وأنه لم يستطع أن يفرض حياة المسلمين بين أصحاب الحضارات المختلفة ، وقد رد عليه الدكتور محمد البهى في كتابه (الفكر الإسلامي الحديث) رافضاً هذا الرأى الضال .

* * *

الفصل الثاني

كتاب لبنان المارون

دبرت الدول الأوروبية فتنة عام ١٨٦٠ في لبنان لعزّ لها عن الدولة العثمانية ، وإعدادها كمنطلق لإتمام عزل العالم الإسلامي والبلاد العربية وإسقاط الدولة العثمانية ، فقد فرضت الدول على الدولة العثمانية إقامة نظام خاص ينبعه الاستقلال الذاتي تحت رئاسة حاكم مسيحي تختاره الدول الأوروبية ويصدق على هذه السلطان ولم تثبت البعثات التبشيرية إن هرعت إلى بيروت وأقامت معاهاها وإرسالياتها في محاولة لفرض نفوذ ثقافي غربي على أبناء المارون وقد بدأت الإرساليات الفرنسية هذا العمل ولحقت بها البعثات الأمريكية ولم تثبت بعد قليل أن أصبحت مصدرًا خطيرًا لتصدر صحفيين وكتاب إلى مصر و مختلف أنحاء العالم العربي ، و بما يذكر أن : (سركيس ، و صروف ، و نمر ، و مكاريوس ، و زيدان ، و فرج أنطون ، و شibli شمیل) كانت الدفعة الأولى من خريجي هذه المعاهد وهم الذين تصدروا الصحافة العربية في مصر و كانوا أصحاب الحملة العنيفة على الدولة العثمانية وعلى السلطان عبد الحميد وهم الذين مهدوا لتفوز الاستعمارى والصهيونية ولغسل العرب عن الترك وتقسيم البلاد العربية بين الصهيونية وفرنسا وإنجلترا .

وقد حلّ الصحفيون الشاميون المتعاونون مع الاستعمار لواء الآراء المدamaة والمادية والإلحاد والشعوبية والتغريب ، وقد وصف (اللورد كرومر) هذا الفريق في مذكراته بأنهم منحة من السماء ، وأنهم خيرة البلاد ، وقد وصل بعضهم إلى أعلى المراكز الإدارية وفي فصل مطول من كتاب الدكتور أنيس صايغ (الفكرة العربية في مصر) يتحدث عن الأقليات فليرجع إليه من يشاء و بما قاله : لم يكن كل السوريين المتعاونين مع الاحتلال موظفين أو مربين ، فنهم من أنشأ صحفاً وأشهرها صحيفتي المقطم والمقطف اللذان أصدرهما فارس نمر ، ويعقوب صروف ، وإسكندر مكاريوس ، وكانت

الصحيحهتان اللسان الناطق لسلطات الاحتلال باللغة العربية ، فأيدتا ذلك الاحتلال وقاومتا الحركات الوطنية بكل ما في لفظها تأييد ومهاجمة من معان ، وكتب هؤلاء الثلاثة يدافعون عن حق الإنجليز بمصر ، ويصفون حسنان الاستعمار ويهددون أبطاله ، ويطالبون باستمراه ، ويدعون أهل مصر إلى الإذعان إليه لأنه يحميهم من داء (الوطنية) ولم تمر مصر حادثة واحدة إلا وقفوا فيها موقفاً معارضاً لأمنى الشعب ، اتخذوا الصحفيون وأصحاب الأقلام الشاميون والمسيحيون منذلحظة الأولى موقفاً موالياً للاستعمار والتفكير العربي بشقيه ، وكانوا أعوااناً لكل النظريات والمذاهب والأيديولوجيات الواهدة .

لماذا اختار المسيحيون الفكر العربي ؟ اخذهو بحكم الولاء العقائدي ، ولأنه معارض لل الفكر الإسلامي الذي يمثل نفوذ الجماعة القائمة ، وقد علمتهم معاهد الإرساليات أن ينقضوا على الفكر الإسلامي وأن يعملوا على احتواء المسلمين في الفكر العربي ، يقول :

لم يكن المفكرون المسيحيون في هذا المضمار خاصة الصحفيين والناشرين مجرد مراقبين سلبيين بل كانوا مفكرين متقدرين لعبوا دوراً مهماً في تحديد الفكر المعاصر ، فلم يكن غريباً أن يbedo هؤلاء المفكرين المسيحيين أمام المسلمين ليس مجرد مجددين بل مفسدين للترااث والقيم التقليدية ، وقد تضمنت أقوالهم والطريقة التي قاموا بها هذه الأقوال : أكثر من مجرد انتهاء العادة ، كان هناك تجاوز نوع من المهرطقة ، كان المسيحيون المتعلمين مهينون بكل قلوبهم لتبني حضارة أوربا الحديثة أكثر مما لهم أهمية في المجتمع العربي الإسلامي من خلال كونهم مفسرين للغربيين ومبشرين لقيمه .

ومن هنا كانت صيحات ضد التراث الإسلامي عندما بدأ تجديد التراث وفي اللغة كانت دعوتهم إلى لغة وسطي للكتابة ، ولغة عامة للإنجليز ، وظهر سليم سركيس ، وفرح أنطون ، وسلامة موسى ييشون سموهم ، وظهر الصراع بين أسلوب القرآن وأسلوب التوراة في كتابات المنفلوطي وجдан وفي أحضان الكتاب المسيحيين ظهرت فكرة القومية العلمانية وهم الذين هاجموا ارتباط الدين بالسياسة في الفكر الإسلامي والمجتمع الإسلامي .

فارس نمر

أبرز كتاب (المقطم) ومنشيه وراسم سياسته من بدء صدوره عام ١٨٨٩ إلى وفاته عام ١٩٥١ خلال أكثر من ستين عاماً قضاهما في العمل الصحفي ، قدم إلى مصر مع صروف حيث التقى باللورد كروم ، الذي اتفق معهما على إنشاء جريدة تواجه الصحافة الوطنية وقد شغل نمر بالمقطم . وكان صروف ، ونمر ، ومكاريوس والجموسة كلها من بعد فرح أنطون ، وسلم سرگيس ثمرة الإرساليات ، وحملة لواء الصحافة والقلم في مواجهة :

- ١ - السلطنة العثمانية ، والسلطان عبد الحميد فقد حمل حملة عنيفة عليهما ومهلاً لإسقاطهما .
- ٢ - تأييد المحتل الماسوني والدعوة الماسونية .
- ٣ - مقارعة الصحف الوطنية .
- ٤ - مدح المحتلين ورفع شأن دورهم في خدمة البلاد .
- ٥ - نشر الدعوة إلى الانتداب على سوريا ولبنان .

وأشار الباحثون إلى أن فارس نمر هو الذي سعى لقبول سعد زغلول في الوزارة وكان صاحب الفضل في إسناد عرش مصر إلى السلطان أحمد فواد ، وقد هاجم فارس نمر كل الشرفاء الأبرار : مصطفى كامل ، محمد فريد ، عبد العزز جاويش ، أمين الرافعى وكانت أقصى مقالاته في المجموع على مصطفى كامل : تلك التي نشرها عام ١٩٠٤ تحت عنوان : (شحات برند نجوت) وهو (نمر) الذي كان سبباً في تحول قاسم أمين من الدفاع عن المرأة لسلمة إلى الدفاع عن المرأة العصرية إرضاء لنازلي فاضل .

وقد وصف فارس نمر ما قاساه في مواجهة حملته على الخلافة والإسلام وحمل وجهة الاستعمار في وجه المصريين والعرب والمسلمين فقال : (إنه كان يبيت مؤرفاً ، يتنقل على فراش المهموم والعموم من تعاقب الأحداث وبما يسميه الدسائس التي تحاكي لهم في الظلم وكان يكتم خبرها عن شركائه) .

فرح أنطون

يمثل فرح أنطون أجرأ أطراف الدعاة إلى التغريب في عصره ، وهو الرائد الحقيقي لسلامة موسى ، ولويس عوض ، وأكثرهم قدرة على التحرر من قيود التقاليد والأساليب والأفكار ، فكان يصدر الأراء بالغريب المثير ، وصفه لويس شبحوا بأنه مغرم بدراسة الكتبة المتطرفين في آرائهم الدينية والشيوعية من فرنسيين وروسيين وجرمانين كرييان وكارل ماركس وتولستوي ونيتشه فعششت أفكارهم في دماغه فصار يختارهم في كتاباته وهو لا يزال حيّا حل يعالج المواضيع الاشتراكية والديمقراطية المتطرفة المجردة من روح الدين لا تأخذه في كتاباته مللاً بل تجاوز في ذلك حدود الفطنة دون مراعاة لصحته .

وقال مارون عبود : إنه فتح باب التفكير الحر وشرعه للناس ، وقد تعمد في مجلة (الجامعة) مواجهة الإسلام بعبارات متعصبة وعنفية ، حتى وصفها رشيد رضا بأنها تصدت للفتنة في الإسلام وفي أمته الإسلام ، عن طريق خدمة العلم دون الدين ، ودعوى إرادة النصيحة للمسلمين وهي تظن أن المسلمين في اعتقاد هذا الرجل قد بلغوا من الجهل والخفاقة مبلغاً يجعله يتمثل بهذه الكلمات ، وهو يزعم أن الجمع بين الرئاسة الدينية والمدنية في خليفة المسلمين قاضٍ بهدم الإسلام ، ومؤخر أهله عن جميع الأمم ودعا إلى جعل السلطان رئيساً مدنياً كملوك أوروبا .

وقد رد عليه الشيخ محمد عبده في عديد من مقالات نشرت في المويد والمدار بدون توقيعه ولكنها هزت المجتمع ، وكشفت عظمة الإسلام وتكامله ونظرته الجامعة بوصفه متبع حياة ونظام مجتمع .

* * *

سليم سركيس

أما سليم سركيس فهو صاحب الهجوم العاشرف على السلطان عبد الحميد والخلافة الإسلامية وقد كانت كل رحلاته وأحاديثه بعده لغات أوروبية واسعة معارفه وتنوعها كلها في خدمة النفوذ الأجنبي وفي خدمة الماسونية

والصهيونية وفي حقد جارف على الدولة العثمانية ، والخلافة والسلطان عبد الحميد :

يقول مؤرخه أحمد حسين الطباوي في مجلة الثقافة (ديسمبر عام ١٩٨٠) وهو يسرد تاريخ حياته : إنه سافر إلى فرنسا وبريطانيا وفي باريس التقى مع بعض رجال تركيا الفتاة (الاتحاديين) ولا بد أنهم ساوموه على الخطط التي سيقوم بها من تأليف كتاب كله خيالات وأوهام وأحقاد عن السلطان عبد الحميد . كما أنه زار مجلس العموم البريطاني – لنفس الغرض ، كما أنه ألقى خطبأ وأحاديث في تاريخ التوراة وهذه توحى بالوجهة الصهيونية .

قال : ولما أصدر مجلة المشير عام ١٨٩٤ حمل فيها على الدولة العثمانية واستخدم الصور الهزلية في ترسيم الحوادث الخلية والعمومية ، وقد سبقة إلى ذلك يعقوب صنوع ، ولما حوكم دافع عنه صحي فرنسي هو هنري روشفور في خمس مقالات ولما توقفت الصحف التي يكتب فيها عن الدخول إلى الدولة العثمانية (لما فيها من طعن ضد الباب العالي حتى قال عنه السلطان عبد الحميد : إنه خائن للدولة والأمة وحكم عليه بالإعدام) ، حاول بالمكر إدخال أفكاره فأخرج مجلة باسم امرأة وقد استغلها في توهين القيم الإسلامية في مجال المرأة والأسرة ، فكان يعني بوصف حفلات الرقص والأزياء ، أى أنه أدى خدمة أخرى للراسونية ، وكانت أحاديثه مع عملاء الاستهار والنفوذ الغربي في مقدمتهم (نازلى فاضل) التي كانت تفتح صالونها لأعوان كروم ورمع أمثال شبل شمبل .

أما كتابه (سر ملكة) الذي أصدره عام ١٨٩٥ فكان هجوماً عاصفاً حاقداً على الدولة العثمانية والسلطان عبد الحميد وإذا كان قد تنبأ بسقوط عبد الحميد قبل سقوطه بسنوات على أيدي رجال الاتحاد والترق ، فإن سركيس ، وفارس نمر ، وجرجي زيدان ، هذه العصابة كانت تعرف مدى أبعاد الخطط المرسوم ، وقد شاركوا في تفويته والخاص بالخاص من السلطان عبد الحميد ، بل إن عملهم في مجال الصحافة والنشر لم يكن أكثر من إعداد الناس لتفويته قتل أو إسقاط السلطان عبد الحميد ومن بعده الخلافة الإسلامية ، وذلك بعد أن اتصل به هرتزل ورده السلطان في عنف وعرف أنه (سهل إلى تحقيق غايتهم في فلسطين إلا بإسقاط عبد الحميد ، ومن

ثم سلطوا عليه تلك الطغمة الظالمة المعتمدة في مصر وهم المارون المسؤولون
أعداء الخلافة والدولة العثمانية والإسلام . وقد تكشفت هذه الصفحات الظالمة
من بعد وكان على الأستاذ أحمد حسين الطماوى أن يتبه إلى ذلك ويشير إليه ،
أما كتابه عن المكتوبجي الذى أصدره عام ١٨٩٥ فكان هجوماً على رقابة
الصحافة في الدولة العثمانية ، فإن رقابة الصحافة ليست عيباً وهى موجودة
حتى الآن في كل مكان ، وإن أخذت أساليب جديدة وكان السلطان يعلم
مخطط المسؤولية وهدف مدحت وزعماء الاتحاديين وكان يعلم مدى اتصالهم
باليهودية العالمية والتفوذ الأجنبي ، فكان لا بد من مراقبة كتاباتهم في الشام
التي كانت بؤرة المؤامرة ، ولقد كان هؤلاء جميعاً من المستأجرين ، فإذا
دفع لهم السلطان صمتوا ثم عادوا مرة أخرى إلى التآمر ليدفع لهم مرة أخرى

أما لغة سركيس التي كانت موضع الإعجاب فإن لغة سركيس هي
مقدمة عامة ومحاربة الفصحى وهذا الخوار الذى دار بينه وبين إبراهيم
اليازحي صاحب الضياء يكشف عن أوائل تلك الحرب ضد الفصحى الذى عرفناه
بعدف كتابات لطفي السيد وسلامة موسى ، وكان علينا أن نعرف أسماء الأمور
فإن سركيس كان يعمل على نفس خطة أستاده يعقوب صنوع . وهو إشاعة
العافية والأزجال والسخريات للقضاء على الفصحى وعلى الأدب الرفيع ،
وذلك تحت اسم لغة العصر ، وهي القضية التي ما زال نعاني منها .

يعقوب صنوع

هو أحد أعمدة دعوة الغزو الثقافي الغربي ، وقد خدع الكثريين حتى
وضع اسمه في صفوف المهاجرين والمحررين والمقاومين للظلم والاستبداد ،
ولقد أضيق اسمه إلى قائمة تلاميذ حال الدين الأفغاني ، بينما كان هو خادماً
للأهداف الاستعمارية شأن جرجي زيدان ، وسلام سركيس ، وفرح أنطون ،
وولي الدين يكن وغيرهم ، فيعقوب صنوع يهودي أساساً وقد حمل الدعوة
إلى العافية وأنشأ الصحافة الساخرة للعبث بكل القيم والمقدرات وإدخال عنصر
الفكاهة والسخرية بكل شيء . من النكتة المكشوفة إلى الكلمة الجريئة ،
وهو الذي فتح هذا الباب في صحفتنا العربية والمصرية :

ولم يكن يعقوب صنوع إلا واحداً من هذه المدرسة التي عملت في صف الاستعمار وخدمت أهدافه بالاستيلاء على قيادة الصحافة والمسرح ، وقد حمل معه سعوم القصص والمسرحيات الفرنسية المنشورة فعربها ومصرها ، وساهم بجهد ضخم في إنشاء المحفوظ الماسونية في مصر عام ١٨٦٥ والواقع أن يعقوب صنوع كان صناعة الخديو إسماعيل أساساً وكان يعلم أولاده اللغة الفرنسية وله قصائد عديدة في مدحه والإشادة به ، وتردد أنه كان أستاداً في علم الرقص وأنه علمه في قصور الخديو والباشوات .

وكان أمراء عابدين قد أرسلوه إلى باريس ليتعلموا بها فهو رب لغتهم أصلاً وليس خلافة مع الخديو إسماعيل مرتبطاً بهدف أو إعانته بفكريه ، كما حاول بعض التغريبيين أن يصوروه ، بل على العكس كان جرياً وراء التيارات الصهيونية والاستعمارية التي حملت على الخديو عباس ومهدت لاسقاطه وقد ألف يعقوب صنوع مخطفين في مد خدمة الماسونية طبعة الصهيونية وفي ذلك العهد .

ولا ريب أن يعقوب صنوع هو رائد تنفيذ مشروع الدعوة إلى العامية بالكتابات العامية ، وتنفيذ مشروع الكاريكاتير والمسرح العامي . أنه يهودي فرنسي الجنسيه يدعى يعقوب رو فانيل ويطلق على نفسه اسم جون سانوا ، كان يسمى الخديو شيخ الحرارة .

شبل شمبل

هو أول من نشر مذهب دارون باللغة العربية ، ولم يكتف بذلك بل كان يصرح قولاً وكتابه بالتعطيل والإلحاد ، ولم يتمجرأ أحد قبله على ما تجرأ عليه كما ذكر السيد رشيد رضا في (بيان عام ١٩١٧ - المدار) .

وكان الدكتور شبل شمبل من دعاة الاشتراكية (المادية) وكان مادياً في أفكاره وأرائه وقد ترجم (مقدمة بختر على مذهب دارون) ونجد هو أشد تلاميذ دارون إلحاداً وتعطيلياً ،

يقول الدكتور يعقوب صروف :

أساس الفرق بيننا وبينه في الأمور العلمية والاجتماعية إننا نميل إلى الخنز

ونرى أن نذكر كل أمر بما يستحقه من الاحتمال والبرهان أو التحقيق ، إثباتاً كان أو نفياً ، مدفوعين إلى ذلك بما أثرته فيما العلوم الرياضية التي تعلمناها وعلمناها ، وقلما يستطيع هذا التدقير من لم يبحث في الموضوع من أما الدكتور شمبل فلم يدرس العلوم الرياضية ، وكان حاد الذهن سريعاً التصور فيبادر إلى المعاشرة بما يعتقد صواباً ولو خالفاً المأثور ، ولم تقم أدلة قاطعة على تأييده ، وقد صرخ بذلك منه عهد بعيد حيث قال : (أما أنا فافق إذا كان ذلك يبعد آفة ، إنني مُنْتَهٍ بذلت لحقيقة تستهويني فلن أعود أحفظ نفسي من إبهامها) .

إن هذه الحماسة لا يقدم عليها المرء في عمله الخاص الذي يحبه من كل جوهر وعرف دخاله وتشعب الآراء فيه بل من يلم بالموضوع إلاماً أو يكون من الغادين فيه ، فلم يكن الدكتور شمبل كذلك في علم الطب بل كان يجري معاجلة مرضاه ووصف الأدوية لهم حسب القواعد المقررة ، ولا يأخذ بالاحتمالات ولا تستهويه المكتشفات الجديدة ، وهذا شأن كل متعمق في علم من العلوم أو موضوع من الموضوعات ، ألا ترى أن دارون نفسه صاحب المذهب الدارويني مضط عليه سنون كثيرة وهو يبحث ويتحقق ويكتب ويستشير قبل أن يجهز مذهبه لأنك كان يرى أماكن الضعف فيه ولم يبادر إلى نشره إلا إيجابة للاحاج أصدقائه الذين رأوا أن ولس يكاد أن يسبقه إلى نشر مذهب مثله .

والخلاصة أن دكتور شمبل لم يكن متخصصاً في العلوم الطبيعية ولكنك كان طيباً ، غالباً في نزعته في كراهية الشرق والإسلام والخلافة والدولة العثمانية وموالياً شديداً الموالاة للغرب للتغريب وقد اختير ليحمل هذه الرسالة ، وقد نقل مذهب دارون عن أشد غلاة المادية ، (نجير) وكان يهدف إلى ما بعد المذهب وهو التصور المادي للحياة الاجتماعية كلها وكانت أهمية شمبل شمبل تحصر في محاربة الغبيات ، وكان يرى بنقل الداروينية إلى وضع أقدس المقدسات الدينية بين قوسين أو وسط علامة استفهام كبرى ، ولما وجدوا أن دعوته لم تتم وقوبلت بالمعارضة الشديدة جاء اسماعيل مظهر ليقدمها بأسلوب جديد مختلف ، في إطار كلمات براقة : التطور ، التجديد ، الدعمراطية ، وجاءت بعد ذلك كلمات الفرعونية والاشراكية ، والديكارتية والماركسية على ألسنة طه حسين ، وسلامة موسى

أديب إسحاق

لقد ادعى أنه تلميذ جمال الدين ، وورقت كلاماته في الصحف التي أصدرها في مقاومة الاستعمار البريطاني ولكنّه كان واحداً من مجموعة من شرّيجي إرساليات التبشير تحارب الاستعمار البريطاني وحده وترى الاتجاه إلى فرنسا هو الحرية منشى الحرية ، اتصل أديب إسحاق بجمال الدين وادعى أنه من دعاة الحرية ، فما أن أخرج جمال الدين من مصر حتى والى التفوّذ الفرنسي ، فكتب في باريس يهاجم مصر ، ثم عاد إلى مصر مع أعلام الاحتلال فأعطى جائزة ومنصباً وهكذا نجح الجماعة كلّهم : يوسف الخازن . رزق الله حسون ، سليم عنحوري ، لويس صابونجي ، كان هدفهم تدمير الدولة العثمانية وتحطيم الجامعة الإسلامية وفصل مصر عن تركها لحساب التفوّذ الأجنبي ، تلك هي مدرسة إرساليات التبشيرية التي صنّعها التفوّذ الأجنبي في بيروت لإعداد تلك القاعدة الضخمة التي انطلقت منها بعد ذلك كل قوى الفكر والصحافة والأدب وفي مقدمتها أصحاب المقطم علاء كرومر ودعاة الاحتلال وسرّكتيس وشاهين مكاريوس الدين كانوا جميعاً يعرفون طريقهم : محاربة الإسلام تحت اسم محاربة الدولة العثمانية والسلطان عبد الحميد والدعوة إلى تحرر الوطن باسم الإقليمية وتمزيق تلك الجبهة الصامدة ، تلك هي دعوة الصهيونية والاستعمار الكامنة وراء إرساليات التي أطلقت خريجها فانتبوا في مصر وتونس والمغرب يقودون الصحافة لحساب التفوّذ الإنجليزي والفرنسي ومن ورائهم الصهيونية كانوا يعملون في البلاد العربية فإذا ضاقت بهم ذهباً إلى إيطاليا أو فرنسا يصدرون صحفاً صفراء يهاجمون منها الخلافة والإسلام .

وأديب إسحاق وسليم نقاش : أصدرا جريدة التجارة وجريدة مصر كتبوا في مواجهة الاستعمار البريطاني (ولم يهاجموا الاستعمار الفرنسي في شمال إفريقيا) ، بل كانوا فرنسي الزعة ، ورداً على المقطم ، ولكن كانت كتاباتهم في الحرية والرّبّية والستور كتابات غريبة تفهّم مفاهيم الرأسمالية والديمقراطية الغربية .

لويس صابونجي

أما لويس صابونجي فقد وضع برنامج الحرب الوطني عام ١٨٧٩ ونشره بلانت في التيمس عام ١٨٨٢ وناصر عربى وسافر إلى لندن وهاجم الخليفة والسلطان عبد الحميد ، تحت اسم تشخيص أمراض الدولة العثمانية . وقد تبرع له أحد الممولين في إنكلترا برأس مال قدره عشرة آلاف جنيه لنشر هذه الجريدة (الخلافة) عام ١٨٨١

وكانَت هذه الصحف الصادرة في الغرب من المارون في حضانة النفوذ الاستعماري والصهيوني ، وكانت الأهرام مؤيدة للنفوذ الفرنسي والمقطم مؤيدة للنفوذ البريطاني . ولم يكن تأييد الأهرام للحركة الوطنية إلا معارضة لبريطانيا : وقد حمل هؤلاء جميعاً على الدولة العثمانية والخلافة تحت اسم الوطنية والحرية والدعوة كذباً وتضليلاً إلى إعادة الخليفة إلى العرب .

ونجد في وقائع (رزق الله حسون) مثلاً هذَا فهو قد سجن وفر من السجن وهرب إلى روسيا وهناك هاجم السلطنة العثمانية وسافر إلى لندن وأصدر جريدة عربية عام ١٨٧٢ وحمل على العثمانيين ودولتهم وهاجمهم هجوماً شديداً ، يوصف بأنه أقوى من هاجم الدولة العثمانية وعاون المستشرقين في إنجلترا وفرنسا وروسيا ، وكتب ضد العرب والإسلام بلهجات قاسية ، وقد وصفه الاستعماريون والتغريبيون بأنه رائد الصحافة العربية الذي كافع الطغيان .

هؤلاء علماء المسئونية والاستعمار :

الدعوة إلى اللغة العامية ، والزجل ، وكلمات عامية فرنسية كما يقول يعقوب صنوع (أبو نظارة رزقاً) : (دخلنا الرستوران وأكلنا بشمبانيا) أما خليل عبد السيد فقد عنى بمحاجة التراث الإسلامي .

* * *

(1)

جران خلیل جران

(أدب المهجـر)

إن من أبرز أعمال دعاء التغريب (إعادة إحياء الموتى) فهم لا يلبثون
يدين آن وآخر أن يجرو إعادة الحياة للموتى تحت دقات الطبول وصيحات
الإذاعات ، وإقامة المهرجانات ، ثم يتبعن لهم بعد قليل أن محاولتهم باطلة
وأن من مات لا يبعث ، وخاصة إذا كان من هذا الفكر الوثنى الضال المنحرف
الحاقد على اللغة العربية وعلى قيم الأخلاق والفضيلة على النحو الذى عرف عن
جبران خليل جبران الذى صفت له قوى التغريب عند بزوج فجره ، وظلت
أنها ستفضى به على البلاغة العربية وسترفع به أعلام الأسلوب التورانى الذى
حاولته جماعة المهاجرين من أمثال ميخائيل نعيمة ، وأمين الرمحانى وجبران
خليل جبران واليوم وبعد مائة سنة تعود طبول التغريب لتدق مرة أخرى
مترجمة كتب جبران ومحفلة به ، ولكن بعد ماذا ، بعد ما ارتفعت الغشاوة
عن العيون التى خلدت فى الثلاثين ، والواقع أن الأدب المهاجرى قد اعتمد
على مصدر أساسى ، هو الحملة العنيفة على الدين واللغة ، ومقومات المجتمع
العربي الإسلامى ، والثورة على كل القيم والعقائد والإفراط فى الإباحة ومهاجمة
القيم الأخلاقية فى الحب والزواج من إدخال الأسلوب جديداً مستغرب يصادم
الحس الإسلامى ويعارض مفاهيم البلاغة ، ويعلى من صيغة التوراة والمحار
الغرى .

وقد تصدر بقرار خليل بقرار هذه المدرسة.

ويمكن القول بأن المدرسة المهاجرية الشمالية التي كونها جبران ورؤس ناديه كانت ثمرة من ثمار الإرساليات التبشيرية التي وردت ل لبنان وسيطرت على وحدة التعليم والثقافة فيه ، ومن ثم كان لهذه الثمار اتصالها بالمدارس الغربية ، وخاصة مدينة بوسطن التي اتخذها المهاجرون مقرًا لهم وهي منذ قدم مقر الإرساليات التبشيرية في الولايات المتحدة ، ولعل أصدق ما يمثله

الأدب المهجري ما كتبه جبران نفسه عام ١٩١٩ في خطاب إلى إميل زيدان (مجلة الملال) : إن فكرى لم يشر غير الحصر وشبكتى ما ببرحت مغمورة بالماء .

ومن الحق أن أسلوب جبران قد بهر كثيراً من الشباب وسرى سريان النار في الهشيم ، ولكن سرعان ما انطفأ وفقد أثره ، وذلك لصادمته طبيعة النفس العربية ، ومعارضته لمجدها ، وتضاربه مع مزاجها التضييسي والاجتماعى ، ذلك أن جبران كان إقليمياً مغرقاً في الإقليمية ، إباحياً مسرفاً في الإباحة ، وقد حاول في الكثير من نبراته محاكاة مزامير داود ونشيد سليمان وسفر أيوب ومرأى أرميا وتخيلات أشعيا على حد تعبير ميخائيل نعيمه - فكان بذلك وكان إخوانه طلائع الغزو الصهيوني - وكان أسلوب التوراة هو المثال الأدبي الأول الذى تأثر به وقد حفلت كتاباته بمجموعة من الصور والتعبيرات ، التى استقاها من الأسفار فهو يقدم أشياه الجمل والظروف ، والأحوال ، ثم يمزج ذلك بفن (ولت ويهان) الشاعر الأمريكى ، كما أشار كثير من مترجمى سيرته إلى أنه بعد حرمان الكنيسة له وهو في العشرين من عمره على أثر قصصيته إلى هاجم بها الأديان ، اندفع في طريق إحياء أمجاد فيليقية وحضارة الكلدانين . وقد أشار في خطاب له من بوسطن سنة ١٩٢٠ لصديقه نخلة إلى هذا المعنى فقال : إن القوم في سوريا يدعونى كافراً والأدباء في مصر ينتقدونى قاتلين : هذا عدو الشرائع القدمة والروابط القدمة والتقاليد القدمة ، وهؤلاء الكتاب يا نخلة يقولون الحقيقة : لأنى بعد استفسار نفسي وجدتها تكره الشرائع ، بل لقد صور جبران مفاهيمه وانحرافاته في مقال مطول أسلفه على هذا النحو ؟ « هو متطرف بمبادئه حتى الجنون ، هو خيال يكتب ليفسد أخلاق الناشئة ، هو فوضوى كافر ملحد : هكذا يقولون عنى وهم مصيرون فأنا متطرف حتى الجنون ، أميل إلى الهدم ميل إلى البناء ، وفي قلبي كره لما يقدسه الناس وحب لما يأبونه » ولا ريب أن كتابات جبران هي طابع النفس المنحرفة ، وقد التقطه الغزو الثقافي ودفعه إلى الأمام وفتح له آفاق الشهرة ومع ذلك فقد سقط أدب جبران ولم يتحقق النتائج التي عول عليها دعوة التغيير .

وقد جرت محاولات لضرب أسلوب المفلوطي الذي بُرَزَ في هذه المرحلة بأسلوب جبران على فرق ما بينهما من نجاح ومضمون فأسلوب جبران هو أسلوب الخيال والإباحة والملام ومعارضة الأخلاق والعقائد وهو معارض لطبيعة النفس العربية والمزاج العربي ، أما أدب المفلوطي فقد كان موازياً لهذه النفس ، مستمدًا من أسلوب القرآن في الأداء ، حتى قبل أن قلب جيل كامل من دمشق إلى فاس قد خفف من خفقات قلب المفلوطي .

ويمكن القول أن الأدب المهجري قد كشف عن زيفه (أولاً) حين انفصل عن قيم الأمة العربية والأدب العربي في البلاغة والأسلوب ، وخاصة حين حاول النيل من اللغة العربية وإشاعة طوابع الظلال والأضواء والرمز ، وهي بعيدة عن طابع اللغة العربية وأدبها الصريح الواضح .

ثانياً : حين اتصل بقيم الأدب الغربي وفلسفته المادية والإباحية ، فأعلى من شأن وحدة الوجود والأدبية وفلسفة نيتشه التيوصوفية المستمدّة من الأفلاطونية الجديدة ، ومذاهب الكشف الجنسي وذلك حين أسرف (جبران ونعيمه) وكسروا في احتقار القيم العربية والعقائد الروحية مع الدعوة إلى الكشف الغربي والإباحية والانفصال عن القيم الوطنية والقومية والهروب من الواقع والإيمان ، واتخاذ الأمية أساساً لتفكير الدعوة الإنسانية مع الإقليمية والخصوصية للدين والأخلاق .

ولقد أسرف الذين تحدّثوا في مهرجان جبران وغالوا في محاولة تصوير أثره حيث كانت كل الدلائل والواقع تكتفي بهم ، ولكتهم صدقوا حين قالوا : إن جبران كان ثورة على القدم ، وعلى كل الأشياء التي تربطنا وتشدّنا إلى الماضي . ولقد حاول جبران كما حاولت مدرسة المهاجرين إحياء العرفية الفينيقية الونتية ، ومهاجمة قيم العروبة والإسلام فأعادت وأحييت كل ما رددته فلسفات زرادشت والمحوسية ووثنية اليونان والروماني هرباً وراء فرويد ونيتشه وغيرهما وكان هذا كلّه مصاعداً في إطار التوراة وأسلوبها من خلال المزامير وأسفار الجامعة ونشيد الأنشاد وسفر أيوب ودخila على الأدب العربي ، وعلى الذوق العربي وعلى المزاج العربي ، ومن هنا كان سقوطه واندحاره .

(٢)

جريدة زيدان

(روايات الإسلام)

منذ توفي مؤسس الملال عام ١٩١٤ ، ولا تزال آثاره تجذب اهتماماً كبيراً من جهات بعینها ، فما تثبت بين وقت وآخر أن تظهر روايات الملال مطبوعة طباعة فاخرة : هذه الروايات التي تسمى روايات الإسلام والتي خدعت كثيراً من شبابنا بذلك الأسلوب القصصي الذي كان يغriهم بالقراءة ثم يدنس لهم سحوماً كثيرة من شأنها أن تغير نظرتهم كمسلمين إلى زعماء الإسلام وأبطاله و يجعلهم يحسون نحوهم بانتقاد شديد ، يزيل من هيئتهم ويقلل من مكانتهم ويصورهم على أنهم كانوا يتصارعون على منصب أو حب أو مال . وهذه هي المحاولة الخطيرة التي يشهد لها الكاتب أساساً وإن أخفها وراء مظاهر براقة من التصوير الفني والعاطفي ، وقد كان لا بد من « إعادة النظر » في أعمال هذا الكاتب الذي حاول كتابة تاريخ الإسلام من خلال كتابة تاريخ التمدن الإسلامي ومن خلال رواياته ، وقد اكتشف أمره مبكراً ، فلم يخف على أهل جيله أنفسهم وقد نشرت مجلة المنار عدداً من الدراسات حول مؤلفاته من أهمها ما كتبه الشيخ شibli النعاني (المحلد ١٥ - ١٩١٢) في نقد كتابة تاريخ التمدن الإسلامي والذي قال فيه : إن الغاية التي توحّها المؤلف ليست إلا تغيير الأمة العربية ، وإبداء مساوتها ، ولكن لما كان يخاف ثورة الفتنة غير مجرى القول ولبس الباطل بالحق ، وكذلك نشر الأستاذ أحمد السكندرى دراسة في المنار عن مؤلفات جرجي زيدان و منهجه في البحث ، و تحدث كثيرون عن (جرجي زيدان) : (الذي شوه التاريخ الإسلامي برواياته الفاسدة حيث اعتمد على المخابرات الأجنبية ، وكان عضواً في الجمعيات الماسونية في الشرق العربي و رافق الحملة النيلية إلى السودان عام ١٨٨٤ بصفة مترجم في قلم الاستخبارات ، ثم عاد إلى بيروت فدرس فيها اللغتين العبرانية والسريانية ورحل إلى لندن (١٨٩٠) ورجع إلى مصر فأنشأ مجلة (الملال)

الذى كان موازياً لمرحلة المقتطف ، وكان محتضناً بالدراسات التاريخية في الأغلب وقد خدم الاستشراق والتغريب في هذه المرحلة خدمات جلٍ منها موقفه من السلطان عبد الحميد والجامعة الإسلامية . وهو موقف خصوصية وكرامة (فقد كان كتاب المارون اللبنانيين هم عصبة الحرب على الخلافة الإسلامية والدولة العثمانية ، والسلطان عبد الحميد الذي وقف في وجه الصهيونية فسلطوا عليه كذلك كان موقفه المؤسف من الإمام مهدي السودان ، الذي توّكّد وثائق التاريخ أنه قام بحركة استقلالية إسلامية ناصعة ، كذلك فقد وسع دائرة الخلاف بين الصحابة وجدد الخلافات بين الأمويين والعباسيين وجرى في ذلك بجري المستشرقين الذين حاولوا إثارة هذه السموم .

والواقع أن طبيعة تكوين جرجي زيدان وواقع حياته توحى بأنه عمل في دائرة الاستشراق والتبشير الغربي وفق مخطط دقيق ما كر ، لم يكتشف إلا بعد وقت طويل ، وطالع حياته تعطى إشارة واضحة لذلك ، كما أشرنا وفي هذه الفترة وضع تحت إعداد دقيق وخاصة خلال إقامته في لندن حيث اتصل بمعاهد إعداد غير المسلمين للعمل في الشرق ، وفي هذه الفترة اتصل بالمسونية ولما عاد ألف كتابه (تاريخ المسونية) الذي ما زال أكبر مراجع المسونيين وهو في صف دعوتهم ، وقد كانت مجلة الهاي محاولة لنقل مفاهيم الفلسفة المسونية الملحقة الإباحية إلى أفق الفكر الإسلامي بذلك وذكر شديدين .

(وما يذكر أن صروف ، ونفر ، ومكاريوس ، أصحاب المقتطف) كانوا ماسوناً أيضاً وكذلك سليم سركيس ، والدكتور شيلي شمبل وجماعة الصحفيين المارون الذين انتشروا في أوروبا لحرب السلطان عبد الحميد والإساءة إلى سمعته ووصفه بالسلطان الأحمر . وكانوا جميعاً أولياء الاستعمار البريطاني ، وقد وصفهم اللورد كرومر بأنهم هبة السماء له .

فلياً وقع حادث إسقاط السلطان عبد الحميد عام 1909 وتولى الاتحاديون السلطة في الدولة العثمانية بدأ بالدفاع عنهم وسافر إلى هناك وتلقى تعليماتهم يقول السيد رشيد رضا (م ١٧ المنار - ١٩١٤) : ثم ظهر منه رأى من جرجي زيدان -- بعد الانقلاب العثماني نزعة جديدة تقدمتها نزعة عدت أحيا المذهب

الشعوبية ذلك بأنه زار الآستانة ولقي فيها بعض زعماء جماعة الاتحاد التركى ثم عاد مشبعاً بالنهضة التركية مستنكراً مجازة العرب لإخوائهم الترك بالقيمame بنهمسة عربية مستصوياً خطة الاتحاديين الأولى في تريلك العناصر وإرغام العرب في الترك ، وقد كتب في الحال ما يشعر بهذه النزعة فهاج ما كتبه جماعات فتيان العرب في الآستانة وسوريا وقادوا يحملون عليه في الصحف . أما النزعة التي سبقت هذه النزعة فهي مطاعن له في العرب أو دعها كتابه تاريخ الحمدن الإسلامي فطن لها أخيراً من لم يكن يحفل بها وزادهم التفاتاً إليها ترجمة جريدة (إقدام) التركية ل تاريخ الحمدن الإسلامي ونشره منها بالتتابع فتشاور كثير من الشبان المتعلمين في الرد على هذا التاريخ ولم يظهر منه شيء .

وقد أشار العلامة شibli النعفاني في نقده لكتاب التجديد الإسلامي إلى أن الغاية التي توخاها جرجي زيدان ليس إلا تحمير الأمة العربية وإبداء مساوئها ، ولكنه لما خاف ثورة الفتنة غير مجرى القول وأليس الباطل بالحق ، وبين ذلك أنه جعل العصر الإسلامي ثلاثة أدوار فتح الدور الأول ولما غر الناس مدحه الخلفاء الراشدين ، وبمدحه لبني العباس وهم أبناء عم النبي . ورأى أن بني أمية ليست له وجهة دينية فلا ناصر لهم تفرغ لهم وحمل عليهم حملة شناء فما ترك سيدة إلا وغزاها إليهم وما وجد حسنة إلا وابتزها منهم وقال العلامة شibli النعفاني : لقد تعود المؤلف (جرجي زيدان) قبولاً مختلفاً أهل الكتاب وادهائهم ، وسبب ذلك أنه يزن التاريخ الإسلامي بميزان غيرنا ولذلك يصفعى إلى كل صوت ويستمع لكل قائل . لا يعرف أن هذا الفن أى : كتابة التاريخ - له أصوله وقواعدة ما لم تكن الرواية مطابقة لهذه الأصول اليقينية فلا يلتفت إليه أصلاً ، فكان الناقل للرواية لا يدأن يكون قد شهد الواقعه فإن لم يشهد فليبيه سند الرواية ومصدرها حتى تصل الرواية إلى من شهدتها بنفسه ، ومنها أن يكون رجال السند معروفين بصدقهم ومنها إلا تكون الرواية مختلفة للرواية ومجاري الأحوال ، ولذلك اهتم مؤرخو الإسلام قبل كل شيء بضبط أسماء الرجال والبحث عن سيرهم وأحوالهم ودياناتهم وحملهم من الصدق ، فدونوا كتب أسماء الرجال وقادوا في ذلك حمنة يضيق عنها النطاق البشري فعملوا كتاباً غير ممحضورة منها الكامل لابن عدى والثقة لابن حيان وتهذيب الكامل للغرى وتهذيب التهذيب لابن حجر

وطبقات الصحابة لابن سعد ، و Mizan al-Adl لالهبي ، ونجد كتب القدماء من مؤرخي الإسلام كلها أو أكثرها كسرة بن إسحاق ، وتاريخ الطبرى وابن قتيبة وغيره مسلسلة الاستاد مبنية الأسماء يمكن نقد الرواية ومعرفة جيدها من زيفها .

وَمَا أَخَذَ عَلَيْهِ وَقْوَفَهُ فِي صُفْ خَصْوَمِ الْمُسْلِمِينَ الْقَائِلِينَ بِأَنَّهُمْ (حَرَقُوا)
مَكْتَبَةَ الإِسْكَنْدَرِيَّةِ ، فَقَدْ أَشَارَ إِلَى ذَلِكَ أَكْثَرُ مِنْ إِشَارَةٍ ثُمَّ عَقَدَ بَابًا لِلْإِثْبَاتِ
أَنْ خَزَانَةَ الإِسْكَنْدَرِيَّةِ حَرَقَتْ بِأَمْرِ عُمَرِ بْنِ الْخَطَّابِ وَقَدْ أَطْبَقَ فِي ذَلِكَ
وَاسْتَدَلَ عَلَيْهِ بِدَلَائِلٍ ، وَأَشَارَ النَّعْمَانِيُّ إِلَى أَنَّ الْمُؤْلِفَ اعْتَمَدَ عَلَى رِوَايَاتٍ
ثَبِيتَ كَذَبَهَا وَقَالَ : إِنَّ أَقْدَمَ مَنْ رَوَى هَذِهِ الرِّوَايَةَ هُوَ الْبَغْدَادِيُّ ، ذَكْرُهَا
مِنْ غَيْرِ إِسْنَادٍ وَمِنْ غَيْرِ إِحْالَةٍ عَلَى مَصْدَرٍ ، وَقَالَ إِنَّ أَوَّلَ شَيْءٍ يَهْمَنَا هُوَ : هَلْ
ذَكْرُ الْفَقْطَى وَالْبَغْدَادِى هَذِهِ الرِّوَايَةُ مُسْتَنَدَةٌ وَذَكْرُهَا مَصْدَرُ الرِّوَايَةِ وَاسْمُ
رِوَايَتِهَا أَمْ لَا .

وأنت تعلم أن البغدادي والقسطنطيني من رجال القرن السادس والسابع
فأى عبرة برواية تتعلق بالقرن الأول ، يذكر أنها من غير سند ولا رواية
ولا إحالة على كتاب أئم القداماء الموثوق بها فليس بهذه الرواية فيها
أثر ولا عين ، وهذا تاريخ الطبرى واليعقوبى والمعارف لا بن قتيبة والأخبار
الطوال للديوبورى وفتح البلدان للبلاذرى ، والتاريخ الصغير للبخارى ،
وثقاة ابن حيان ، والطبقات لابن سعد ، وقد تصفحتها وكررنا النظر فيها ،
وومن أن فتح الإسكندرية مذكور فيها بقصصها وقصصيضاها فليس بحريق الخزانة
فهذا ذكر . (المنار م ١٥ - يناير ١٩١٤) .

وقال شبل التعانفي : واعلم أن مسألة إحراق خزانة الإسكندرية موضوع
هم عند أهل أوربا ، وقد أطلاه البحث فيه نفياً وإثباتاً ، ومن ألم بهذا البحث
بجملته وتفصيلاً المعلم وايت والمعلم دى ساسى الفرنسي في ترجمة كتابه
لالأفادة والاعتبار واسفهكن أردنك ودربر الأمر يكاني ، صاحب كتاب
لبلد بين العلم والدين ، وكرجين وسيديو في تاريخ الإسلام والمعلم رينان
القمي سوف الفرنسي في خطبته عن الإسلام والعلم ، وقد طالعت كل هذه
الأبحاث والمقالات ، والحاصل أن محقق أهل أوربا قضوا بأن الواقعة غير

ثابتة أصلاً ، منهم جبیون المؤرخ الإنجليزی ودربر الأمریکانی ، وسديو الفرنسي وکر دیل الألماني ورنیان الفرنسي وعدهم في إنکار ذلك أمران :
الأول : أن الواقعه ليس لها عین ولا أثر في كتب التاريخ كالطرى وابن الأثير والبلاذری وغيرهم ، وأول من ذکرها عبد الطیف بغدادی والقطنی وهم من رجال القرن السادس والسابع ولم یذكرها مصدراً للرواية والاستدلال .

والثاني : أن الخزانة كانت قد ضاعت قبل الإسلام : أثبتوا ذلك بدلائل لا يمكن إنکارها .

هذا مجمل ما أشار إليه العلامة شبل النعماي . أما العلامة أحمد السكتندری فقد أشار إلى أن مما یوتحد على جرجی زیدان أنه كثير النقل من مستعری الإفرنج من غير تمحیص للدعواهم وأنه ينھیء في الحكم الفنى ، أى أنه یقرر غير الحقيقة العلمية ، وأنه ينھیء في الاستنتاج ، وأنه یقيم الدعوى بغير دلیل وینھیء في النقل وأنه قليل تحری الحقيقة ، وتروج الدعوى بغير دلیل وأخبار الحان أو لذكر عجائب الأمور وغرائبها وأنه یستدل بجزئية واحدة على الأمر الكلی .

وعن كتابه (تاريخ العرب قبل الإسلام) أخذ عليه السكتندری أنه أغفل مدة حکم الفرس في اليمن بعد ذی زن وکثرة شکه وترددہ وتناقضه في أكثر الحوادث وتفريحه الإعلام تحریجاً غریباً واختصاره التاريخ جداً وإنکار بعض الحقائق البذیھیة في موضع وتشدیه بتحقیق بعض الظنوں في موضع آخر : وما أخذه عليه ما أسماء (جسارتہ) في وضع الأسماء ، والتقسیمات التاريخیة ، مع ضعف الاستظهار کتقسیم أدوار تاريخ العرب وتسمیة الأمة التي سماها (استرابون) اليونانی جرھین بالقريتين نسبة إلى قریة وهم اسم الحمامنة أغنى أهل الأرض :

وکذلك أخذ عليه تھجینه أخبار العرب في حوادث الفخر والغلبة وتصدیقه خرافات استرابون وھردوت مع أنهم لم یدخلوا بلاد العرب ولم یرباها ، وکذلك أخذ عليه سوء التعبیر من الوجهة الدينیة في عبارات السکاتب

كقوله : (أقدم المصادر العربية المعروفة عن تاريخ العرب وأقربها إلى الصحة : القرآن) .

راجع : المئار م ١١ ص (٨٦٣ ، ٧٨٧) .

إن إعادة النظر في كتابات جرجي زيدان تكشف بوضوح أنه يمثل إتجاه الاستشراق والتبيه والتغريب ، حاملاً شبهاته وسمومه وعانياً على غرسها في أبحاث التاريخ الإسلامي ، وقد كانت هذه الكتابات مجهلة المصدر حتى إذا ترجمت دائرة المعارف الإسلامية التي كتبها متخصصوا المستشرقين تبين أنها تضاهيها من حيث وحدة المصدر ، ثم جاء بعد ذلك طه حسين ، وأحمد أمين ، وأمين الحولي وغيرهم فأدخلوا التاريخ الإسلامي مراحل جديدة أشد خطورة ، ثم جاءت بعد ذلك محاولات التفسير المادى للتاريخ الذى حمل لواءها عبد الرحمن الشرقاوى وغيره .

روايات جرجي زيدان

أما المجال الذى استطاع جرجي زيدان أن ينفتح سمه فيه بحرية فهو مجال القصص فقد ألف بعدياً من القصص تحت اسم روايات الإسلام دس فيها كثيراً من الديسائس والمؤامرات والأهواء وحاول إفساد مفهوم الشخصية الإسلامية والبطولة الإسلامية حيث أساء إساءة بالغة إلى أعلام من أمثال صلاح الدين الأيوبي ، هارون الرشيد ، السلطان عبد الحميد ، عبد الرحمن الناصر ، أحمد بن طولون ، الأمين والمؤمن ، عبد الرحمن الداخل ، شجرة الدر . وقد أقام تصوره على أساس خطير :

أولاً : تصوره للخلفاء والصحابة والتابعين بصورة الوصoliين الذين يريدون الوصول إلى الحكم بأى وسيلة ولو كان على حساب الدين والخلق القويم مع تجريحهم واتهام بعضهم بالحقد وتدبير المؤامرات .

ثانياً : تزييف النصوص التى نقلها عن المؤرخين القدامى وحولها عن هدفها تحويلها أراد به السخرية والاستخفاف بال المسلمين وبنى عليها قصصاً غرامية باطلة .

ثالثاً : استهدف من حشد القصص الغرامية ذات المواقف المنسنة داخل روایات تاریخ الإسلام إثارة عزیزة الشاب و تحريك شهوة المراهقين مستغلاً ضعف ثقافة الكثیرین منهم و جعلهم بالغاية التي يرمي إليها في روایات مع الاستشهاد بالأبيات الشعرية المکشوفة الساقطة التي تحرك الغرائز الدنيا .

رابعاً : تبين من البحث الذي قدمه عالم أزهري درس باستفاضة روایات جرجي زيدان أن معظم الأحداث التاريخية في روایاته قد حرفت وبنیت على أساس فاسد .

فقد ظل جرجي زيدان على حد تعبير الباحث الدكتور . . . ينقب وينفر ويجهد نفسه في مزاج الحق بالباطل وتقديمه في أسلوب براق جذاب معتمداً على فن أدبي ذي أثر بالغ وذلك هو فن القصة والرواية ، حيث لم يكن حريصاً على تحری الحقائق التاريخية قدر حرصه على الحبكة القصصية وخلق الحوادث المثيرة خلفاً ، وقد عمل جاهداً على طمس التاريخ الإسلامي وتشويه معالمه بغية تنفير أبناء العرب وال المسلمين من ماضي آبائهم الحميد .

خامساً : من أخطر شبهاته : أنه قال ببشرية القرآن وشك في مصادر العربية الأولى ، و مدح بنى العباس لأنهم أزلوا العرب منزلة الكلب (على حد قوله) و نسب إحراق مكتبة الإسكندرية إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

وقد طبع اللبنانيون روایات جرجي زيدان مزادته بالصور الملونة والألوان الصارخة بقصد استهواء الشباب وحملهم على قراءة هذه الكتب التي لا تعطیهم إلا صوراً مشوهة للتاريخ أنفسهم وأخباراً ملفقة بغية التشكيك في ذلك التاريخ :

سادساً : أعطى نفسه الحرية المطلقة في تفسير أحداث التاريخ في معظم روایاته استناداً إلى موقف الأديب من التاريخ ، وكانت تفسيراته متعددة متكلفة في محاولة لإثارة مشاعر السخط في نفوس المسلمين .

سابعاً : تفسيره لتصريحات هارون الرشيد مع اخته العباسة و جعفر اليرمكي بما لا يتفق مع ما عرف عن الرشيد من أنه كان يحج عاماً و يغزو عاماً بل وبما لا يتفق مع أيسر قواعد التفكير والمنطق السليم ، وفي روایة

أرمانوسة المصرية حاول أن يقول : إن الحب بين أرمانوسة وأركاديوس قائد حصن الروم هو السبب في هزيمة الروم وانتصار المسلمين وأتهم المسلمين بأنهم دخلوا البيوت ينهبون ويسليون عندما فتحوا بلبيس وهو منافق تماماً لما أورده المؤرخون المتصفون .

ثامناً : في رواية فتاة غسان أورد شبهة بأن النبي محمد صلى الله عليه وسلم أخذ تعاليمه عن الرهبان وتأثر بتعاليم الراهب بحيرا ، واتسمت كتاباته بالسخرية والاستخفاف بوثائق العهد النبوى ووصف حادثة شق صدر النبي صلى الله عليه وسلم بالغرابة وادعى أن هناك خصومة بين خالد بن الوليد وأبي عبيدة بن الجراح ، وأنه مصادره في هذا من كتب المستشرقين :

ناسعاً : في رواية عذراء قريش أقام منطقه على تجريح الصحابة واتهام بعضهم باللحد وتدبر المؤامرات واتهام السيدة عائشة بالميل إلى سفك الدماء والتزوع إلى الشر ، ووصف الخليفة عثمان بأنه رجل إمعه وذليل ومستسلم لأن عمه ، وافتوى على علي بن أبي طالب وفسر الفتنة تفسيراً مغرضًا واتهام علياً بالتهاون في المطالبة بدم عثمان .

العاشر : وفي رواية العباسة اتهم الرشيد بالاستهان والمحون والاستبداد والظلم ، وقدم تفسيراً خطأً ومغرضًا لقتل بنى برمك ، وشوه شخصية العباسة أخت الرشيد :

الحادي عشر : في روايات (شارل وعبد الرحمن) : زعم بأن القواد وأمراء الجناد من المسلمين كانوا مشغولين بحب فتيات النصارى وقد فتنهوا بمحالهن وإن هذا الحب قد صرفهم عن أمر الفتح ، فتركوا جنودهم في ساحة القتال وادعى أنهم كانوا يهتمون بالغنائم أكثر من اهتمامهم بما عداها ، وجرى على تصوير حروب الإسلام على أنها حروب غنائم :

الثاني عشر : أجرى على لسان أبي مسلم الحراساني من الأفقاء ما قال: من أن العرب كانوا يحتكرون غير العرب ويسوونهم سوء العذاب ثم ينخررون عليهم بالنبوة وطمسم معالم التاريخ الإسلامي في هذه الرواية بالدنس

والافتراء وقدم صوراً باهراً للسكنية ورهبانياً ، وأشاد بالأديرة والرهبان حيث جعلها ملجاً الضعفاء ولذذ التائبين والخائفين .

وفي رواية الأمين والمؤمن كان واضح التحامل على العرب واصفاً إياهم بالاستبداد وسوء التصرف مع الأجناس الأخرى التي تربطهم بهم رابطة الإسلام قبل كل شيء .

الثالث عشر : في رواية فتاة القرى وان حاول التشكيك في أنساب الكثرين من حكام المسلمين وكذلك عمد إلى التشكيك في نسب الخليفة العز لدن الله واعتمد في قصصه الغرامية على الخيال إذ لا يوجد ذكر لكل هذه المواقف في جميع كتب التاريخ ، وخاصة حاكم سلجماسة الأمير مهدون ، بل أن صاحب سلجماسة في كتب التاريخ مختلف تماماً مما جاء في رواية زيدان مما يؤكد ميل زيدان إلى التزوير والتحريف :

بل أن صاحب سلجماسة هو محمد بن داسول وليس الأمير مهدان ولم يقل ابن الأثير : إن له بنتاً شغلت القائد جوهر فخطبها لابنه وقد أعطى زيدان اليهود في روايته دوراً إيجابياً وجعلهم أصحاب الفضل الأول في إزالة الدولة الإخشيدية وإقامة دولة الفاطميين مقامها :

الرابع عشر : في رواية صلاح الدين تلقيق وتزوير وإفساد للمجتمع ، فقد ذهب إلى أن الخليفة العاصد لما ضعف أمره استدعي صلاح الدين وأوصاه بأهله خيراً ، وأن صلاح الدين نقض هذا العهد بعد سويعات وحاصر قصر الخليفة وأخذ كل ما فيه ومن فيه ، ولا ذكر في كتب التاريخ لثالث الوصبة ولا إشارة في كتب التاريخ إلى سيرة الملك هذه ، وهذه الوصبة التي ذكرها زيدان لم ترد في الكامل لابن الأثير ولا غيره ، فهي ملقة مزورة ، كذلك فقد زيف زيدان النصوص التي نقلها من ابن الأثير وحوها تحويلاً أراد به السخرية والاستخفاف بال المسلمين وبني عليها قصصاً غرامية باطلة ولم يعن المؤلف بالتصوير الحى لشخصية صلاح الدين ولم يسجل مواقفه الخامسة وصرف الشباب عن الحديث عن الدور المهم الذى قام به صلاح الدين بالحديث عن مكائد الحشاشين وتهديدهم لصلاح الدين واعتمد على روايات طائفة الحشاشين تلك الجماعة الضالة المنحرفة ، وحاول أن ينسب إلى صلاح الدين قصصاً غرامية كاذبة .

الخامس عشر : وفي رواية شجرة الدر حاول أن يصور نساء السلطان الصالح نجم الدين أيوب بصورة النساء اللاتي يتاجرن بأعراضهن في سبيل الحصول على ما يتطلعن إليه ، وليس معه أى دليل من التاريخ وهذه الدعاوى التي أوردتها حول شجرة الدر تختلف عن الحقائق الواردة في الكتب التي أرخت هذه الفترة من أمثال :

النجم الراهن : لأبي الحasan .

المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار : للمقرizi .

صحح الأعشى : للقلقشندى .

السادس عشر : وخلاصة ما يصل إلية البحث حول روايات جرجي زيدان

١ - تحوير مواقف الشخصيات التاريخية :

٢ - إثارة الشكوك حول البطولات الإسلامية .

٣ - تعمد إغفال الحوادث التاريخية المهمة .

٤ - إضفاء هلاك مثالية على الأدباء والرهبان .

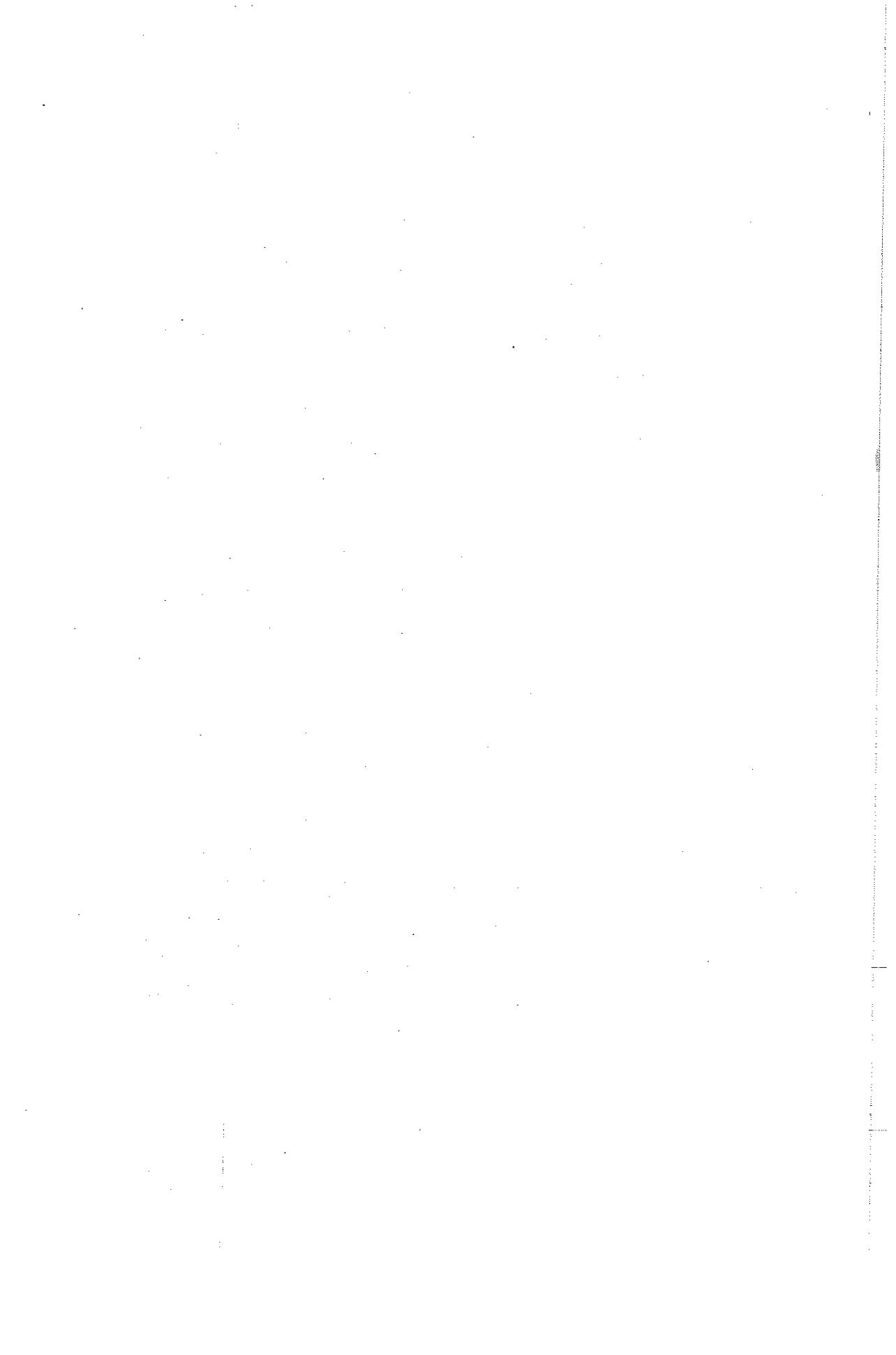
٥ - التلاعب بالمصادر والمراجع .

* * *

(٢)

قالت مجلة الموسوعات عام (١٨٩٩) لم يلزم جرجي زيدان بتمحیص
الحوادث التاريخية فاختلق شخصاً ونسب إلى بعض الشخصيات الإسلامية
البارزة ما ليس فيها مما أثار حمّور المسلمين: فعذراء قريش (أسماء) بطلة
الرواية لا وجود لها إلا في ذهن المؤلف وقد يكون له بعض الحق في هذا
ولكن الباطل أنه نسب لمحمد بن أبي بكر المعروف عنه الرهد عشق هذه
العذراء . بل إن صاحب الظلل بنى على هذا الباطل باطلًا فاختلق سبياً
من عنده ليس له أسانيد تاريخية في تفسير بعض الأحداث وزعم أن عشق
محمد بن أبي بكر كان سبياً في ازدياد هياججه على عثمان ونسب إلى الحسن
بن علي عشقه لهذه العذراء الوهمية ، وغيره محمد بن أبي بكر منه وادعى
أن الإمام علي أعجب بعذراء قريش عندما دخلت عليه في زى رجل مع
أن الدين كان يبحث على عدم تشبه الرجال بالنساء ، والنساء بالرجال ،
وقد عرف عن علي تمسكه بالدين مما ينفي عنه أن يعجب بمثل هذا وقد أقر
جرجي زيدان بخطاه في هذه الواقع (هلال مايو عام ١٨٩٩) ويحاول أن
يدافع عن نفسه ولكن دفاع الطائر الذي وقع في شبكة الصياد ، ويقول :
(إن الخلة انطوت وبقيت القصبة في أيدي القراء يعاد طبعها دون التفات إلى
هذه الملاحظات) ، وقد أرسل العلامة رفيق المعظم إلى جرجي زيدان
(مايو عام ١٨٩٩) يوأله على إغفاله الاعتبارات التاريخية ويستنكر تأليف
التاريخ الإسلامي برمه في قالب قصصي . وهذه الملاحظة قد تكررت من
الناقدين فقد انتقد في شأن هذه القصص الأخبار الكاذبة ، وثانياً نسبة العشق
والغرام إلى رجال سلفنا الكريم ، وقد أشارت جريدة المؤيد إلى ذلك في
التعليق على قصة الحجاج بن يوسف فقالت : الحوادث الغرامية لم تستند
إلى أحد من رجال السلف العظام والأئمة الذين يخلون عن هذه الانحرافات ،
هذا فضلاً عن الأخطاء في الأمور التاريخية المستوره .

* * *



الفصل الثالث

الفن والمسرح

- ١ - نجيب الريحاني .
- ٢ - زكي طليمات .
- ٣ - يوسف وهبي .

جاء هذا الفن الوافد إلى المسلمين من الغرب ، واستطاع أن يسيطر ويتسع خلال أكثر من قرن من الزمان دون أن يتمكن المسلمون من توجيهه وجهة صالحة أو خالصة تتفق مع أخلاقيات الإسلام وقيمه ، بل استطاعت القوى المسيطرة أن تفسد به مفاهيم الإسلام الأصيلة وأن تحرف به كثيرةً من القيم ، وأن تدخل به على الأصالة الإسلامية تحريرات ضالة وآراء فاسدة ، وبالرغم من الدعوة إلى إقامة مسرح إسلامي وفن إسلامي فإن عائلة المسرح الغربي الوافدة لا تزال مسيطرة في مختلف الحالات بعيدة الآخر في إيجاد الانحرافات في نفوس الشباب والفتيات ، بل الآباء والأمهات يقولون زكي طليمات وهو من دعاة المسرح الوافد :

إن المسرح يعكس الحياة في مختلف صورها ، ويقدم المحسن والأصداد والخبيث والشر ، والقصون والابتذال ، هذا إذا كان الهدف طيباً ، أما إذا كان الهدف مبيطاً فإن الخبيث والقصون والحسن تختفي تماماً ، وإن قلم الكاتب المفسد يستطيع أن يرسم الجانب الهابط وحده وبجانب الرذيلة بدعوى أن هذا هو واقع المجتمعات ، وإن هذا هو الأدب الواقعي ولا شك أن الشرير في الرواية يعدد فوائد الخمر ويصفها بالساحر الذي يبدد السموم وبالبسم الذي يداوى كل الأمراض ، وهذه المعانى تدخل إلى النفس وتستقر فيها ولا يخرجها منها تلك النهاية التي نراها في آخر المسرحية ، ويقول : إن خدعة النهاية هذه من مؤامرة المسرح وصناعته ، فبعد أن يرى المشاهد ساعتين كاملتين من السموم والإباحية والفساد والانحراف ويستمع إلى قاموس كامل للكل

الالفاظ القبيحة ، يكون من الخداع المضلل أن تأتي النهاية فينهرم معها الشر وينتصر الحق : بعد ماذا وقد تركت هذه المفسدات على ذلك المدى الطويل أثرها في النفس و هي بطيء إلى قاع الأحسيس ، وأحسن المشاهد أن ذلك كله مشروع و مباح و يمكن أن يقع و يصفع :

إن من أكبر عيوب المسرح أنه يجسم الخطيئة والرذيلة و يقدم الدفاع عنها في ثاباً مهاجمتها ، فهو أسلوب ردئ في عرض الشر بينما يمكن أن يكون العرض في مجال الكتابة أخف من ذلك أثراً :

ولا ريب أن المسرح فن غريب على الأدب العربي دخيل على الفكر الإسلامي ، قد فرض فرضاً في وقت لم يكن المسلمين بذلك ملوك إرادة الأخذ والعطاء من الحضارة الغربية ، بدأ تحت اسم الإصلاح والتسلية ، ثم لم يلبث أن فرض نفوذه وسلطاته وأصبحت له نماذج ومدارس ودعوى عريضة بأنه فن) .

وما أعطى المسرح هذه الأهمية أن القوى التغربية أرادت أن تقتل به قيم المجتمع الإسلامي وأن تدخل مفاهيم جدلية معارضة للإسلام في مجال العلاقات بين الرجل والمرأة ، بل أن بعض الأيديولوجيات كانت ترى أن المسرح هو بديل الكنيسة ، ولما كان المسرح في الغرب قد بدأ في خدمة الوثنية ، ثم تحول إلى خدمة الكنيسة ، فإنه لم يلبث أن عمل في خدمة الماركسية والوجودية ، وحمل جميع سوم الدعوات الضارة وطروحها على المشاهدين والمتمرجين الذين لا يملكون المعاشرة أو المناقشة فيما يقدم إليهم وهذا أخطر ما هناك ، ثم جاءت قوى خادمة للتغريب والغزو الثقافي فسيطرت على هذه الملاعب (كتابه وإخراجاً) على نحو غایة في الإفساد والإجرام .

وعندنا أن أكبر عملية تمويه قامت بها الحضارة الغربية المعاوية هي محاولة تصوير الإصلاح والرقص والعرى والكشف والإباحية المتمثلة في المسرح والسينما على أنها فن رفيع ، له أصوله العلمية وضوابطه التي يتمخرج فيها المخرجون والممثلون من جامعات متخصصة ، والتي يتقدم فيها البعض بأطروحتات دكتوراه ، وهناك دكتوراه في الرقص ، ودكتوراه في المسرح ، ودكتوراه في الديكور ، والإخراج ، كائناً هذا الفساد والتهريج البالغ

محدثه من الإقداع هو بمثابة فن عالٍ وعلم رفيع ، بل أن هناك من يصف المسرح بصفة القداسة ، ويصف الفن بصفة الخلود ، وقد خالت هذه الأباطيل المضللة على قومنا فصدقواها ، وكان عليهم أن يكونوا أشد حنكة وحكمة فلا يسقطوا هذه السقطة وأن يعلموا أن هذا لون من الخداع والتويه البالغين حد الفساد والإفساد .

إن مفهوم الإسلام للفن مختلف اختلافاً واضحاً عما يقدمه هؤلاء الذين تعلموا في الغرب من خلال العقدة والمساوة والصراع بين الإنسان والآلة فالفطرة الإنسانية الإسلامية لا تقبل هذا المفهوم الوثني الضال .

إن الإسلام يجعل أخلاقية الفن مقدمة عن جماليته ، ولا يضحي بالقيم الأخلاقية في سبيل التسلية أو الإصلاح أو الترفية : واستخدام الفن إنما يرى في الإسلام إلى إبراز قيم الحق والاستقامة والخير وليس لاعتبار الجمال أو الحرية المطلقة بمثابة القيمة المطلقة وليس الهدف في مفهوم الإسلام غاية وإنما هو وسيلة إلى تربية الذوق والارتفاع بالإنسان فوق الأهواء والشهوات وفوق الرزيلة والحس الشهواني .

والفن من وجهة نظر الإسلام ليس مستقلاً ولا كاملاً بذاته ولكنه تابع لحياة البشر وميدان الفن هو الحياة ذاتها وليس للفن معنى إذا لم يرتبط بالحياة والإنسان والمجتمع .

فالإسلام يقدم الأخلاق على الجمال ويقدم المضمون على الإسلام وهدف الفن في الإسلام هو نقل أو إيصال اسماً وأفضل القيم والأفكار والمشاعر إلى الآخرين بأسلوب جميل ومؤثر بحيث يوفر عنصر المتعة إضافة إلى التأثير في سلوكهم وإرشادهم إلى الصراط المستقيم (على حد تعبير الأستاذ محمد شمس الدين صديق) ولكن هل يتتوفر هذا الآن والمسرح بأيدي أولئك العناة من أولياء مدرسة التغريب والشعوبية ؟ وهل هناك أى بريق لإمكان قيام مفهوم إسلامي للمسرح .

• • •

خضع رجال الفن لتيارات التغريب والغزو الفكرى التي هبت على العالم الإسلامي وكانت الفنون والثقافة من أكبر أهداف المؤسسات التي قامت

لها الغرض ، وقد استطاعت المسئونية احتواء عدد كبير من المشغلين بالفن والمسرح وكان عبد العزيز حمدى قد كون حفلا يسمى : مهرجان الفنان المصرى عام ١٩٤٧ وذلك بهدف توظيف الفن فى خدمة المسئونية . وقد قام هذا المهرجان باحتواء عدد كبير من الأسماء الامعة فى سماء الفن والمسرح فى ذلك الوقت وكان لهذا أثره فى تحول هذه الأداة فى خدمة أهداف التفؤذ الغربى ، باستهواه الجماهير بالإيماء والإشارة ، وكان من نتيجة ذلك تلك المحاولة التى خطط لها أعداء الإسلام بإعطاء الفن لفظ القداسة والفن الراقى . وقد اتسع نطاق ذلك إلى المسرح والسينما وحفلات الرقص والإخراج ، بل إن المحاولات التى جرت ولا تزال تجرى لإخراج أفلام أو مسلسلات إسلامية فإنها تقدم من وجهه نظر مخططات معاذية للإسلام ترمى إلى تصوير أعداء الإسلام فى صورة البذخ والقوة والتمكّن وترسم دعاة الإسلام فى صورة الفقر والتخلّف وترى هذه الخطة إلى :

أولاً : إفساد الذوق الإسلامي ونشر الرذيلة ومحاربة العادات والأدب الإسلامية بمختلف الوسائل كالأكثار من عرض مناظر الجريمة والقتل والعنف وشرب الخمر والفسق حتى يعتادها الناس .

ثانياً : أفلام الجريمة التى هي درس للمراهقين فى السرقة والاغتصاب والاحتيال .

ثالثاً : أفلام الجنس الخليعية التى لا تهدف إلا نشر الإثارة ونشر الرذيلة .

رابعاً : الأفلام الدينية تهدف إلى الحط من شخصيات الإسلام ، وإبرازهم فى صورة باهته وترويج تعاليم الدين أو نقدتها :

خامساً : إعلاء شأن العافية وتسجيل أحاديث العاهرات وتصرات اللصوص والقتلة وتخليد الرأقصات والمحرمين :

* * *

الفصل الرابع

دعاة التغريب

- ٢ - سالمه موسى .
- ٤ - لويس عوض .
- ١ - ساطع الخصري .
- ٣ - توفيق الحكيم .

(١)

ساطع الخصري

(القوميات)

قال عنه الأستاذ علي الطنطاوى : هو الذى حارب الدعوة الإسلامية صهره كله بقلمه ولسانه وسلطان وظيفته حرباً علمية منظمة وكان أسلوبه في محاربتها هو العمل على إحلال « العربية » محل (الإسلامية) وهي بذاتها دعوى الجاهلية التي نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها وبين أن صاحبها ليس منا وإقامة برامج المدارس على هذا الأساس الواهي ، وهو أنسخ ثمرة من ثمار المدرسة الاتحادية التركية تعلم في مدرستها وآمن بفلسفتها ونقل فكرها ومضامينها إلى العرب . ومدرسة الاتحاديين التي أنشأها تركيا الفتاة وحزب الاتحاد والترقى ، هي صناعة الفوضى الغربي لتحطيم الوحدة الإسلامية الجامعة التي كانت تمثلها الخلافة الإسلامية العثمانية وخلق القوميات والأقلبيات ، وقد عاشت هذه المدرسة في حضانة الفكر المادى الفرنسي ، وكان رجالها من أتباع هيجل ونيتشه والفلسفه الوضعية أو جست كمت ، والتشيع بالنظرية الطورانية العدوانية ، وقد نادى ساطع الخصري بمفهوم القومية العربية الوارد الممتد من النظرية الغربية ، والنظرية التي طبقها الاتحاديون في تركيا ، وقد ركز على اللغة وعز لها عن الفكر الإسلامي ، كما ركز طه حسين على الأدب وزعله عن الفكر الإسلامي وفق نظرية ضيقة أوربية وقد اعترف بأن إسرائيل قومية تقوم على الدين ، ورفض اعتبار الإسلام مقوماً بوصفه ديناً : ومفهومه

للإسلام ناقص ، وهو مفهوم العلمانيين الاتحاديين في تركيا ، وقد فهم الإسلام على أنه دين ، كما فهم الأوربيون المسيحية لم تفرق بين الدين ثقافة أو الإسلام ولم تفرق بين العصر والبيئة والجذور الثقافية التي تختلف فيها عن مفهوم القومية وقد قاوم التجزئة والإقامة ولكن ليس بأسلوب الأصالة بل بأسلوب وافد وقد هاجم القومية السورية ، ثم هاجم البعث في سنواته الأخيرة ولكن دون أن يصل إلى أصالة مفهوم العربية وترتبطها مع الإسلام ، هذا الترابط الجذري الذي لا سبيل الانفصال عنه .

وقد حمل فكر ساطع الحصري من حيث هو فكر - في داخله تناقضاً كبيراً بين موقفه من الماركسية ومن الإسلام ومن الاحتلال العربي ، مما تبين معه صعوبة مماسك منهجه الملفق ، الذي كان يهدف مع فكر الإرسوزي وعقليته وآخرين إلى انفصال نظرية القومية عن مفهوم الترابط والتكميل القائم بين العروبة والإسلام وتفریغ العروبة من مفهومها الجامع روحاً وفكرياً وعقائدياً بالإسلام ، واستبقاء روح الصراع بين القومية ودول الغرب .

وقد تبين اليوم أن العالم الإسلامي قد تجاوز القومية وأن العرب أنفسهم قد تجاوزوها ولكنها تحاول أن تستيقظ من جديد في إطار من الماركسية والبعثية والناصرية القديمة بعد أن قضت الأحداث عليها وأثبتت الواقع التاريخية أنها ليست صاحبة للعطاء وأنها حاولة باطلة إذا استقلت بذاتها ولم تكمل تسلسلها التاريخي والاجتماعي .

* * *

سلامة موسى

(التغريب)

إن إعادة النظر في كتابات سلامة موسى في مطالع القرن الخامس عشر إنما تأتي نتيجة لتلك المحاولات التي ترسى إلى طرح فكره ونظرياته ومطبوعاته مرة أخرى في أفق الفكر الإسلامي بعد أن تجاوزها الزمن.

ومن أسوأ اسمومه مهاجمته للفصحي ، ودعوته إلى العافية ، ودعوته إلى العلمانية والاشتراكية ودعوته إلى تفريح التعليم والثقافة من مفهوم الإسلام الذي يسميه (الدين) وحرية المرأة كما يفهمها الأوربي ، مع حملة ضخمة على الإسلام والشرق فيقول .

(أنا كافر بالشرق مؤمن بالغرب ، إنني أجعل قرائي يولون وجوههم نحو الغرب ويتصلون من الشرق) .

وهو الذي روج للدراون وفرويد سنوات طويلة ثم تبين أن آرائه كلها منحرفة وناقصة ، وقد حاول أن يغير رأيه في السنوات الأخيرة بعد أن تجاوزته متغيرات الفكر والحضارة :

بل إن سلامة موسى يرفض الحقيقة القائلة بأن الغرب قد أخذ من الشرق الثقافة في القديم وحتى بالنسبة للمسيحية فإنه يماري في مغالطة واضحة فيقول :

لا يمكن القول أن أوربا استفادت ديانتها الراهنة من الشرق ، ولكن يجب أن لا نلقي القول جزافاً ، فالديانة المسيحية مؤلفة من عنصرين أحدهما خاص باللاهوت والآخر خاص بالأخلاق ، فال الأول وهو اللاهوت يرجع الفضل فيه إلى المصريين ، فإن النظريات الخاصة بالثالوث المقدس أو التمجسد أو البعث هي نفسها تلك النظريات التي كانت شائعة عن المصريين ونظرية الثالوث هي أهم أركان الديانة المصرية القديمة فإن الربية أليس هي العذراء التي تلد هورس من رب الأرباب أوزوريس ، ويمكن أن تتبع تطور الفن المسيحي حتى تصير أليس وابنها هورس كلها مريم وابنها السيد المسيح

أما من حيث الآداب المسيحية فالفضل فيها يرجع إلى الإغريق ، فإن من يقرأ
مجادلات الرسل يشعر بالروح الإغريقية الذي كانوا متشبعين بها في تبشيرهم
لأمم الوثنية .

ولسلامة موسى في هذا الاتجاه يعارض الحقائق الصحيحة لتطور الفكر
المسيحي والغربي ولكنه يجري وراء غايته الأساسية وهو التنكر لكل فضل
للشرق أو لتراث الإبراهيمية الخفيفية الذي ظلل هذه المنطقة قبل رسالة موسى
ورسالة عيسى عليهما السلام .

وقد صدق الأستاذ عباس العقاد حين قال : أن سلامة موسى جمع
من متناقضات العلم ما لا يفوقه فيه إنسان في هذا الصدد ، ومن ذلك قوله
أن أكبر تأثير في مصر في العصور الحديثة هو إسماعيل باشا الذي حاول
أن يجعل مصر الشرقيّة الآسيوية أمّة حديثة غربية وبلغت ثورته أن حض
المصريين على التزوج من الغربيات ، ذلك لكي يجعل بيوننا وعاداتنا المزدوجة
غربيّة ؛ وأنّ عرّابي كان من العامة فلم تفلح ثورته وانعكست على يده الغاية منها .

وقال العقاد : إن سلامة موسى يشتري الأرض ويتجه بتربيته الجنائزير
ويسخر العمال ويتكلّم عن الاشتراكية التي تحرم الملك وتحرم سلطان رأس
المال وهو يعيش من التقىبر عيشة الفرّون الويسطى في الأحياء العتيقة ويتكلّم
عن التجديد والمعيشة العصرية ، وهو ينبعي الحضارة الآسيوية وأنه لن ي
طوابيّاه يذكرنا بخلائق البدو والمغول في البراري السiberية : ذلك أن الكاتب
الذى يكتب ليحقد وبحقد ليكتب ويدين بالذاهب ليربع منها ولا يتكلّف
لها كلفة في العمل أو في المال : وأخفف السخف قول هذا الكاتب :

إن اليساريين يفضلون اللغة العامية لأنّهم شعبيون مستقبليون ومصيبة الدنيا
أن تخشو هذه البيغواطات أفاهاهم ما تسميه تفسير الظواهر الاجتماعية وهي
لا تعرف ما تحت أنوفها مما تسمعه بالأذان وتبصره بالعيون :

فاللغة العامية لغة الجهل والجهلاء وليس بلغة الشعبيين ولا من يحبون
الخبر للشعوب لأن الغنى الجاهم يتكلّم العامية ولا يقرأ اللغة الفصحى ولا يمتاز
بفهمها على القراء .

عندما فتحت أبواب الحرية في الكتابة انطلق أصحاب الأهداف التغريبية يؤيدون العهد الجديد ، ليتاح لهم بذلك أفكارهم التغريبية المطيرة بحرية ومن ذلك نجد سلامة موسى يبرز بكتابه (الثورات) الذي هو خدمة أساسية للتفكير المسؤولية التي تعمل على تحطيم الأنظمة الروحية والأحكام الأخلاقية في العالم الإسلامي ، معلياً من شأن الثورة الفرنسية على أساس أنها قمة الثورات وإعلان الإعجاب بها مع عدم تعمق الدوافع والغايات التي أحاطت بها وأنها هي ثورة المسؤولية الحقيقة التي أخذت تعدد لها منذ : فولتير وروسو وديدرولى التي غيرت وجه أوروبا كلها في سبيل تمكن اليهود للخروج من الجيتو وإحلال الانهاء الوطني بديلاً للانهاء الديني والقضاء على التنظيمات المسيحية التي حاولت وقف خطورهم وسيطربهم ، وتحطيم وحدة الجامعة المسيحية في أوروبا بل إن البروتستانتية كما تبين من بعد كانت في خدمة أهداف المسؤولية والصهيونية . وتنجي بوضوح هوية سلامة موسى في أول عدد أصدره من المجلة الجديدة (ديسمبر عام ١٩٢٩) كأنا أراد أن يسجل برنامجه التغريبي كاملاً فأورد هذه الموضوعات : العلم وحده ، المجددون يقولون بالتطور ، دارون ، الفرعونية ، الإغريق ، الصراحة في المسائل الجنسية ، البهائية ، الرجعية ، الوطن والعالمية ، التجديد في تركيا ، الشرق شرق ، والغرب غرب ، الأزمة الدينية في العالم ، اللغة العربية ، المادية ، العقل وحده ، غاندي ، السفور في العالم الإسلامي ، فولتير ، هافلوك أليس ، نيشة ، البشرية دين جديد ، التعليم ، السلفيون والجددون .

ويقول نعيم عاشور عن سلامة موسى وهو أحد تلاميذه : إن آراءه واتجاهاته كانت تجذب في معظمها للتطرف الجارف والخروج عن المألوف ، وكان يختفي نزعته الطائفية وراء ستار رقيق من العلمية ، ولكنه اضطر أن يكشفها في جريدة مصر ، وكان يكشفها لتلاميذه في اجتماعاته الخاصة مع دعاوه الدائمة في كتاباته على نبذ التعصب وإبعاد الدين عن الخلافات السياسية والمنتهيات الاجتماعية والتطورات الوطنية والقومية .

وكانت أهم أعماله :

١ - دعورته إلى الفرعونية :

- ٢ — مناداته بكتابة اللغة العربية بالحروف اللاتينية .
- ٣ — نظراته الإباحية في معالجة الجنس .
- ٤ — النظرة الماركسية .

عمل سلامة موسى في جمعية الشبان المسيحية ، وما وصفه نعيم عاشر
 بأنه حدبه على الشباب ، والندوات والمحاضرات والمناظرات التي كان
 يشارك فيها وملئى كثير من الشبان المسلمين والمسيحيين الذين كانوا يؤمنون
 بما يعتقده على أساس الإيمان بالغرب وكراهية الإسلام ، وكان يوزع على
 الحالسين ورقة صغيرة يكتب كل منهم رده على ما يوجهه إليهم من أسئلة
 كشباب ليعطوها له في آخر الجلسة حيث يقوم بعمل حصر ميداني لمشاكل
 الشباب :

(٣)

توفيق الحكم
(الغريب)

بالرغم من أن توفيق الحكم قد جمع أوراقه منذ وقت طويل وأعلن أن شجرة الموز لم تعد تطرح ثمرة فإنه ما زال ينثث سمومه في كل مناسبة فقد أثثت عليه الثائرة دعوته إلى فندق العالم ، وقد كانت آثار كتابه عودة الوعي لا تزال تكشف عن تراجعه الخطير في تأييد موقف الأمس ، وكان أخطر ما ذكره في كتابه وثائق في طريق عودة الوعي (ص ٧٧) قوله أنتا تحتاج إلى ثورة علمانية وإعادة العقل وسيطرة العقل . ومن قبل كان موقفه في ندوة القذافي وحديثه عن تطوير الإسلام ، والإسلام لا يتطور بمفهوم الأيديولوجيات والنظريات التبشيرية وهو ما زال يتمخبط بين الدعوة إلى (تحرر الفن) أى تمكينه من الرذيلة والإباحية إلى الاشتراكية إلى العلمانية وفي هذا كله يبدو توفيق الحكم الملحق الصادع بالدعوات التي تُعزق إطار الفكر الإسلامي الأصيل :

ولست أدرى من الذي يقول كلمة حق عن هذا التراث الطويل المضطرب هل هؤلاء الذين كتبوا : توفيق الحكم (رائد بلا نظرية) ومن ذلك قوله : يعيش توفيق الحكم في إطار الأساطير

١ - ويعتمد وجهة نظر الكتاب المقدس في القصص : أهل الكهف وسلیمان الحكم .

٢ - ويعتمد وجهة نظر المأساة اليونانية : في الملك أو ديب وبجماليون فهو محصور في الجو اليوناني الأصلي ، لم يخرج عن دائرة النص ، ولم يخطم الأسوار اليونانية بل التزم بها .

٣ - الحضارة الفرعونية ، وفيها يعود إلى النصوص الفرعونية وكتاب الموقى - إيزيس .

٤ - الأفكار الوجودية : مسرحية السلطان الحائز :

- ٥ - مدرسة اللامعقول : يا طالع الشجرة (بكيرت ويونسكو) .
- ٦ - ثأرها بالمد اليساري والاشتراكي (١٩٥٥ - ١٩٥٨) الواقعية الاشتراكية في الفن والأدب .

ويقولون : إن شخصية توفيق الحكيم من الشخصيات الحساسة التي تتأثر بالأفكار السائدة تأثراً سريعاً وملماً .

ولقد سار على طريق طه حسين في إفساد المفهوم الإسلامي السائد في تفسير التاريخ وعنه تغلب الصورة الفنية على الحقيقة التاريخية ، ومنذ وقت بعيد كان توفيق الحكيم شأنه في ذلك شأن كل دعاة الغرب يلقط المواقف ليحدث الدوى ويطرح النظريات الواافية (عام ١٩٣٧) كتب مقالته المشهورة (آن الأوان أن تلبس القبعة) وقال فيها الشباب أقدموا على لبس القبعة ولا تخشو شيئاً ما دمتم مقتعين بأن الطربوش لم يعد يصلاح لحاضركم ولا مستقبلكم .

ورد كثيرون على توفيق الحكيم : قالوا إن هدفه من لبس القبعة إعلانه انسلاخ ذلك القطر عن الجانب الذي فيه التاريخ الإسلامي والاتصال بالجانب الذي فيه القافلة الأفريقية ، ولا يدعو شخص إلى تعميم القبعة في قطر إسلامي إلا إذا كان الإسلام هيناً عليه وإنما إذا كان يرتاح فيما بينه وبين نفسه إلى تقليل ظله . وقال الأمير عمر طوسون في الرد على توفيق الحكيم : في اعتقادنا أن الذين يدعون الآن إلى لبس البرنيطة إنما يريدون لأنفسهم الانطلاق من قيود الدين والعرب والعادات القومية الشرقية ، وقال السيد حب الدين الخطيب : فالدعوة التي يبنها توفيق الحكيم لتكوين عصابة من المصريين تخرج في وقت معين بالبرانيط هي وليدة الاقتئاع بضرورة انسلاخ المصريين عما كانوا فيه وأخذهم بالتفريح بخدافيره تقليلياً لما فعلت أنقرة ، ولكن أنقرة فعلت ذلك اعتقاداً بأن الإسلام عربي وأنه أجنبي عنها وأنها تريد الرجوع إلى القومية التركية وتراث كل ما يحيط بها فهل لتوفيق الحكيم لغة غير اللغة العربية وقومية غير القومية العربية ، ولكن لطمة القبعة التي تلقها دعوة البرنيطة من شباب الجامعة هذا الأسبوع كانت ألمة جداً وقد دلت أن البرنيطة ليس لها رؤوس تقبلها في هذا الوطن .

وفي مجال آخر عرف الإسلام والأديان تعريفاً استثنائياً علمانياً ، فقد قال في مقال نشرته الرسالة تحت عنوان نجم أحد عام (١٩٣٧) : إذن فالإسلام وكيف ظهر الإسلام بظهور محمد ، والمسيحية بظهور المسيح ، واليهودية بظهور موسى . وبعد أن ذكر أن كل الأديان تتحدد في الجوهر وتختلف في المظاهر قال : هنا يخطر بالبال سؤال ، هو تجوز المفاضلة بين الأثواب وهي كلها من صنع الخالق المعصوم الذي لا ينبغي أن ينحط ، ولا أن يصحح ما سبق أن صدر منه : إذ أن جوهر الحق وحده من شأن الله ، أما الأسلوب الذي يعرض على الناس فهو من شأن الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، قبل الإجابة إلى هذا السؤال يجب النظر في قضية أخرى ، هل للطبع والمزاج والخلق الذي ركب عليه النبي أو الرسول أثر في رسالته ؟ هل شخصية الرسول تطبع بخاتمتها شكل الدين الذي يدعو إليه ؟ هل بظروف العيش التي نشأ عليها النبي دخل في اتخاذ القالب الذي أفرغ منه . موضوع النبوة أن أجب على كل هذا الإيجاب ، فإن التبعة في أسلوب الأديان تقع بلا مراء على كاهل الأنبياء . والنبي مسئول عن الطريق الذي اتبعه للإبانة عن (الحق) مسئولية ملقاة على شخصيته التي صبغت الشريعة بصبغتها .

قال في الرد عليه محمود أبو رية : الكاتب يعني إنه ما دامت الأديان تختلف في المظاهر فإن هذا الاختلاف لا يكون من الله لأن الله سبحانه لا ينبغي أن ينحط ولا أن يصحح ما سبق أن صدر منه ، وإنما مصدره الرسل وأسلوب الذي يعرض به الدين على الناس هو من شأن الرسل فقط وكل أسلوب خاضع بطبع الرسول ومزاجه وخلقه . أى أن كل دين من وضع من يدعو إليه وبهذا الرأي الجبار الذي بعث به تفكير الأستاذ توفيق الحكيم يكون دين الإسلام هو من وضع محمد صلى الله عليه وسلم ، وهذا الأسلوب أثر من طبعه ومزاجه وخلقه ، وأن شخصيته هي التي طبعت بخاتمتها شكل الدين الإسلامي . هذا هو الإسلام في نظر الأستاذ توفيق الحكيم فهو ليس وحى من الله ، وليس هو منزل من عند الله وأن محمدآ صلى الله عليه وسلم هو الذي وضع شكله وصيغ قالبه ثم خرج يدعو الناس إليه ألا فليعلم الأستاذ توفيق الحكيم أن دين الإسلام الذي أصطفي الله له من عباده من بيته للناس لم يكن محمد صلى الله عليه وسلم يدرى منه شيئاً ولا يعرف قبل أن يبلغ

الأربعين أنه سبّحه إليه : «وكذلك أوحينا إليك روحًا من أمرنا ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نورًا نهدي به من نشاء من عبادنا وإليك نهدي إلى صراط مستقيم» ، وأنه ما كان يوُمِل أن ينزل عليه وحي وأن الله قد علمه ما لم يكن يعلم ، وأنه كان لا ينبع إلا ما يوحى إليه ، هكذا كان شأن النبي صلى الله عليه وسلم (وكل هذا وارد في آيات القرآن الكريم) . إن دين الإسلام ليس من طبع النبي ولا من مزاجه ولا من خلقه ولا من شخصيته ولا من ظروف عيشه في شيء ، وإنما هو وحي نزل عليه وأوجب الله عليه أتباعه والدعوة إليه وتبينه للناس .

وإن اختلاف الأديان في المظاهر يرجع إلى أن كل رسول يبعث إلى أمة بأنها من الأحكام والتكاليف بما يطابق حاجتهم في مجتمعهم ، والأسناد وهو رجل قانون يعلم أن طبائع العمران تختلف باختلاف الأزمان فيها يصلح للناس في زمن لا يكون صالحًا لغيرهم في زمن آخر ، وظل الأمر كذلك إلى أن أدركـت البشرية رشدـها وأصبحـت في حاجة إلى دين حـام دائم لا يتبدل ولا يتغير ، صالحـ لكل زمان ومكان ، ومن ثم بـعثـ إليه مـحمدـ صـلـى اللهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ بـالـدـيـنـ الـكـامـلـ وـالـكـتـابـ الـخـالـدـ وـالـاـخـتـلـافـ فـيـ الـأـدـيـانـ لـمـ يـتـاـولـ أـصـوـهـاـ وـلـمـ يـقـدـ التـغـيـرـ إـلـىـ أـرـكـانـهـ ، وإنـماـ كـانـ هـذـاـ الـاـخـتـلـافـ فـيـ بـعـضـ الـأـحـكـامـ وـالـتـكـالـيفـ لـيـكـونـ حـسـبـ مـزـاجـ كـلـ أـمـةـ ، وـالـشـرـاعـ كـالـقـوـابـ تـبـعـ الـبـيـةـ وـالـاجـمـاعـ ، أـمـاـ أـصـوـلـ الـأـدـيـانـ وـهـيـ الـإـيمـانـ بـالـلـهـ وـالـبـوـمـ الـآـخـرـ وـالـعـلـمـ الصـالـحـ فـهـيـ لـاـ تـغـيـرـ أـبـدـاـ .

ولـاـ يـكـنـيـ توـفـيقـ الـحـكـيمـ بـعـاتـعـةـ الـفـكـرـ الـاسـتـشـارـاـتـ الـوـثـقـىـ بلـ أـنـهـ لـيـذهبـ إـلـىـ أـبـعـدـ مـنـ ذـلـكـ ، فـقـدـ كـتـبـ يـطـلـبـ تـعـيمـ اـخـتـلـافـ النـسـاءـ بـالـرـجـالـ وـيـقـولـ : إـذـاـ كـانـتـ إـخـلـالـ الرـجـلـ وـالـمـرـأـةـ مـتـيـةـ فـلـاـ يـنـجـمـ عـنـ هـذـاـ اـخـتـلـافـ خـطـرـ ، إـذـاـ كـانـتـ النـتـائـجـ سـيـئةـ فـهـنـهـ مـرـجـعـهـ سـوـءـ خـلـقـ هـذـينـ الشـخـصـيـنـ ، ثـمـ يـذـهـبـ إـلـىـ أـبـعـدـ مـنـ ذـلـكـ فـيـقـولـ : وـهـىـ مـغـامـرـةـ لـاـ يـهـدـىـ مـنـهـاـ فـيـ هـذـاـ عـصـرـ الـحـدـيـثـ وـمـاـ الـفـنـ وـالـكـسـبـ إـلـاـ ثـمـنـاـ لـلـخـطـرـ ، وـهـذـاـ أـسـلـوبـ الـمـسـؤـلـيـةـ وـالـمـبـادـيـةـ التـلـمـودـيـةـ الـتـيـ نـشـرـهـاـ فـرـويـدـ ، وـدـورـ كـاـمـ ، وـسـارـتـ فـهـرـجـرـيـ فـيـ هـذـاـ الطـرـيـقـ ؛ هـذـاـ فـوـقـ مـوـقـعـهـ مـنـ الـوـحـدـةـ الـإـسـلـامـيـةـ وـعـلـاقـةـ الـعـرـوـبـةـ بـالـإـسـلـامـ مـاـ قـيـنـاهـ فـيـ بـحـالـاتـ أـخـرـيـ .

ويمكن تلخيص أخطاء توفيق الحكيم فيما يلي :

أولاً : افترى على الحق حين جعل العز بن عبد السلام عاشق عانقة مليئاً
لها ويتسل وما هكذا كان العز ولن يكون .

وقد يكون هذا الانحدار الشأن (و هذه عبارة الشيخ محمد مدهعاً غضبه
عندما انتقده أمين الحولي في الأهرام قال : إن الروائي لا يقتيد بالتاريخ
 وإنما يريد أن يصور النفس البشرية ولكل نفس منها ارتفعت مثالب
ومحرجات ، والعز وإن لم يكن في تاريخه ما يوحى ذلك المثلك فهو بشر
ينتظر أن يحدث منه هذا وإن لم يحدث ، وهذا كلام باطل لأن العز وأمثاله
قد تخلبوا على النوازع المنحدرة وعاشوا في أفق الطهارة ، فمحاولة إلصاق
التهم بهم بدعوى أنهم معرضون لها كبشر حاوله هابطة ولها دلالة خبيثة ،
ولا تشرف كتاباً كـ الحكيم) .

ثانياً : لم يكن توفيق الحكيم أكثر من قنطرة لمرور الأفكار الواهية ،
المأساة اليونانية ، نقل الفكر اليوناني الإغريقي الإباحي الصال (لم يحطم
الأسور اليونانية بل التزم بها) .

الأفكار الفرعونية ، تابعها وعرضها بكل ما فيها من أساطير وولهات ،
الاشراكية ، الوجودية ، الامعقول في مسرحيات الصفقة ، والسلطان
الحاير ، وبا طالع الشجرة ، وهكذا عاش حياته الفكرية كالمها خاضعاً
للتغيرات التي تضرب موجاتها في جدار الفكر الإسلامي دون أن يستطيع أن
يقدم شيئاً فيه أصالة عربية أو إسلامية حقيقة ، ومن أخطائه أنه يقدم الفكرة
الفنية على الحقيقة الإنسانية ، وقد كان على مدى حياته تابعاً للفكر الغربي ،
الفن للفن ، تحرر الشباب من قيد الأصالة . سوء رأيه في العرب .

(٢)

الولا للتفكير اليهودي لـ توفيق الحكيم ظاهر في اعتماده التوراة في كتاباته
عن الملك سليمان وعن أهل الكهف ومحارضة مشهوم القرآن فيما ، ومن
ذلك دعوه إلى التقرير بين الأديان الثلاثة ، مع جماعة من الصحفيين ورجال
القانون ، وهذه أخطر مراحل حياة توفيق الحكيم . فلما تغيرت الظروف .

بدأ بعمل في ميدان آخر أشد خطراً ذلك الذي أسماه (الحوار مع الله تبارك وتعالى) والذي خاض فيه خوضاً شديداً.

إن مراصد التغريب قادرة على أن تواجه ذلك الضياء الذي بدأ يغمر المجتمع الإسلامي بالاحتفال بمرور ألف عام على الأزهر وإسلام فيلسوف كبير كان له أثره في تنظير الماركسية في البلاد العربية أربعين عاماً، وذلك بلهالة التراب الذي قام به توفيق الحكم، فالحقيقة ليست كما ظن البعض أن (جارودي) يريد أن يسحب البساط من الاحتفال بالأزهر، بل الحقيقة هي أن توفيق الحكم هو الذي أخذ من هذا الوقت مناسبة لهذه الضربة الغربية الخطيرة التي تفوق ما قام به طه حسين، وذلك يازلة قدسية مناجاة الله تبارك وتعالى وإسقاط أسلوب الحديث الرفيع من الذات العلية وكسر هذه القداسة وهبات فإنه هو الذي سقط وانكشفت صلته باليهودية التلمودية التي عاش يخدمها منذ كتب أهل الكهف وقصة الملك سليمان على مفاهيم التوراة المكتوبة بأيدي الأخبار.

وكان موقفه من العرب والإسلام وولائه للهود وترجمتهم لمؤلفاته هذا يكشف زيف هذه الشخصية التي خدعت الناس طويلاً. ومن العجب أن يسمح توفيق الحكم في حديثه مع الأخبار (١٣/١٠/١٩٨٢) فيقول: لن يتأخر لقائي بشخص مهم جداً لابد أن يحضر في يوم أو في شهر أو في سنة، ولما سأله عن هذه الشخصية المهمة التي ينتظرها قال: إنه الأستاذ الكبير (عزاليل) ! وأخشى أن يسألني سعادته مهما صنعت بخياني الطويلة فلا أجد غير اجابة واحدة: (عشت بقلبي على الورق) فهل الذي يقول هذا تكون له مناجاة مع الحال الأعظم؟ !

• • •

توفيق الحكم

محاولة جديدة على طريق تغريب الإسلام

إن محاولة (تغريب الإسلام) ، خطوة قدمة لها أبعادها ولها أبعادها وهي لا تتوقف عن العمل ، وما يقوم به الأستاذ توفيق الحكم ١ و م ليس إلا وجهاً جديداً من وجوهها وحلقة أخرى من حلقاته بدأها طه حسين ، وسلامة موسى ، وعلى عبد الرزاق ، وحسين فوزي ، ولطفي السيد ، وزكي نجيب محمود ، ولويس عوض .

ذلك أن تاريخ الأستاذ توفيق الحكم حافل بمعارضته للفكرة الإسلامية منذ اليوم الأول لظهور مسرحية أهل الكهف عام ١٩٣٢ وحتى اليوم في خلال نصف قرن لم يتختلف عن مواقفه التي تجري مع أهواء التغريب وليس موقفه اليوم في التهجم على أدب الحديث مع الحق تبارك وتعالى إلا ذروة هذه المحاولة المستمرة الخطيرة التي واجهها كثير من الباحثين المسلمين في وقتها كاشفين عن المهدف الدفين من استغلال منبر من منابر الصحافة كالأهرام لإذاعة هذه الأفكار .

ومنذ صدرت (أهل الكهف عام ١٩٣٢) انكشف هذا الاتجاه ، واستخدم الحوار لخدمة مفاهيم القصة الغربية القائم على الخطيئة والمساءة والكشف والإباحة ، والمعارضة للمفهوم الإسلامي الذي لا يعرف الخرافات أو الوثنيات أو الأساطير المستمدة من عقائد تقوم على تعدد الآلهة وعلى صراع الآلهة مع بعضها ومع الإنسان ، لتعارض هذه الأفكار والصور مع إيمان المسلمين بالخالق الواحد وإكباره وتعاليه عن مثل ما توصف به القصة اليونانية من صراع وشبوات وما تسمى إلى ذكور وإناث وألهة الصيد والخمر والحب ، فقد نأى الأدب العربي عن ذلك وسما بالألوهية عن مضاهاة البشر لا يقرها عقله ولا يرضها مزاجه النفسي كذلك فإن مفهوم الأدب العربي (الإسلامي المصدر والاتماء) يتعارض مع فلسفة المسأة

الغربيّة القائمة على الخطبيّة والقصاص والغفران والتي ترى أن الإنسان مرتبط بخطبة أولية هي (خطبة آدم) (في الفكر الغربي والتي لا يقرها الإسلام) وهناك مفهوم الصراع بين الآلهة والقدر وبين الإنسان والخطبيّة ، ويبدو البطل في صورة المتحدي لإرادة الله والمتحدى للقدر .

ومن هنا فقد حاول توفيق الحكيم بعد عودته من الغرب (دون أن يحصل على شهادة القانون ورضي بأن يكون خادماً للأسطورة الإغريقية) إخراج الأدب اليوناني القائم على علم الأصنام والمتمثل في صراع القدر وصراع الآلهة وكلّاهما غريب عن النفس العربية الإسلامية وكان في مقدمة من نقلوا القصة العربية والمسرحية إلى إحياء الأساطير القديمة . ومن هنا كانت فرحة طه حسين التي لم تخفيها حين أعلن أن هذه القصة فتح لم يسبق في تاريخ الأدب العربي كلّه ، لأنّه كان يعرف مدى السّموم التي يمكن أن تنشرها في جو الأدب العربي والفكر الإسلامي ، وخاصة إذا كانت هذه المسرحية قد وردت في التوراة وفي القرآن وهي تختلف في كلّ منها عن الآخر . وقد اختار توفيق الحكيم أن يعتمد رواية التوراة في كلّنا قصته عن أهل الكهف وعن النبي سليمان عليه السلام .

وقد كشف كتاب اليقظة عن أن هاتين المسرحيتين ليستا سوى نسخ ممسوحة عن أسفار اليهود وأن المفهوم الذي قدمه توفيق الحكيم في مسرحية سليمان قد جرد النبي من النبوة ، وحاول أن يصوّره على أنه رجل جنسى تحكمه شهوته في اقتناء النساء وهو مفهوم التوراة التي كتبها يهود والذى دحّضه القرآن حين كشف عن نبوة سليمان التي تعلو على الأهواء فسليمان (عليه السلام) في مفهوم الإسلام نبي معصوم ، وفي قصة (أهل الكهف) يخرج توفيق الحكيم عن المفهوم الأصيل لقصة هذه الجماعة من المؤمنين ونجده ذلك التجاوز والمعارضة من توفيق الحكيم للنصوص القرآنية الصحيحة والاعتماد على الكتب الأخرى من كتب النصارى واليهود والأساطير القديمة دون أن يعتمد على مفهوم القرآن ، يقول السيد أبو الحسن التدوى : إن قصة أصحاب الكهف والرقيم هي قصة الأديان والقوّة والثبات والتضحية والجهاد التي تكرر في تاريخ الإنسانية وفي تاريخ الحق والعقيدة وهي برهان على أن الأسباب خاضعة للإرادة الإلهية صديقة للإيمان والعمل الصالح ، فسبيل المؤمنين أن

يستمبلوا هذه الإرادة بالإيمان والعمل الصالح مما يستحق نصر الله وتأييده
نقول : أما في أهل الكهف ل توفيق الحكم فإن الصورة تختلف ، فهو لاء قوم
لم يكن في قلوبهم إلا حب الدنيا والحديث عن أهواها ، فقد أجرى بينهم
أحاديث تختلف تماماً مما كان يشغل أهل الكهفifar بينهم من بطش
الظالمين من أهل الوثنية ، وكيف يمكن أن يفكر هؤلاء في تلك الشواغل
الدينية من حب وعواطف في موقف قد نصبت فيه المذابح وجرى تخطف
الناس ليقرروا بالكفر وإلا فالموت الزؤام .

وكان هذا من أقسى ما حملته رياح التغريب ويرتبط هذا برأيه الذي أعقبه
في (العرب) . وقد نسب إليهم الجمود والتخلف وصور حضارتهم الإسلامية
بصورة رزية . وقد وصل في ذلك إلى الحد الذي فاق فيه المستشرقين
المعصبين أمثال دوزي ، ومرجليوث بشهادة الدكتور طه حسين نفسه .
وقد رفض السيد محب الدين الخطيب رأى توفيق الحكم في قوله : (هل
يوجد اليوم شرق ؟) وقال له : إن الذي يقول : بأن حضارة الغرب كل
لا يتجزأ ويدعو إلى الانسلال من الإسلام والأخذ بالتفريح بكل ما فيه من
قوة وضعف ، فهو رجل يغش المسلمين ويؤثر نهضتهم ويشغلهم عن
الحقائق لأن في الغرب جانباً قوياً هو العلم ، كما أن في الشرق جانباً قوياً
هو هدايته الحمدية التي أوじدت ألمع نهضة في تاريخ الإنسانية ولن تصلح
الإنسانية وأحد جانبيها ضعيفاً نتيجة إبطاؤه في الأخذ بالعلم الإنساني المشاع
الذى كانت له حلقات ذهبية في سلسلة تاريخية ، وستكون له حلقات ذهبية
أخرى في سلسلة مستقبلة ، ولقد أباع الناصحون للشرق بأن نهضته إذا لم
تردوج فيها علم العصر وأنظمته وصناعاته وروحانية الإسلام وهدايته ونوره
فغاية الشرق المسخ والبوار ، ولا يرضى عن ذلك إلا شانٌ أو غبي . ثم ومن
أخطر الأفكار التي يطرحها توفيق الحكم بين حين وآخر فكرة (تطوير
الشريعة) وقد أعادها ورددتها مرات عديدة كأنه مصر عليها بالرغم مما كتب
في الرد عليه حولها والحقيقة أن طرح هذه المفاهيم يوحى بأن الدعاة إليها
يعرفون الفوارق العميقة بين الإسلام وبين الفكر البشري ، وهو الذي يتحدث
الناس عن تطوره والذي يستلزم إجراء تطوير فيه بالإضافة والحدف حتى
ب يستطيع الملاعنة بينه وبين متغيرات الزمن والبيئات .

أما الإسلام فإنه بوصفه منهجاً ربانياً فهو لا يخضع لهذا المفهوم ، فقد وضعه خالق السموات والأرض والعارف بالعباد والنفس الإنسانية ومرافق التغيير والتطور على مدى الأزمان ، ومن ثم فقد جاء منهج الإسلام مرنّاً واسع الأطر قابلاً للمتغيرات قادرًا على الإستجابة لاختلافات العصور والأزمان والبيئات . وقد أقام الإسلام منهجه على أساس واضح هو (الثوابت والمتغيرات) وربط (الإلهي والزمي) دون أن يحدث هذا اضطراباً على النحو الذي يفهمه أهل الفلسفات المادية والغربية والانسارية التي تفصل بين الروح وال المادة والقلب والعقل والدنيا والآخرة ، فلإسلام ثوابته الواضحة التي لا يمكن التحدث عن تطويرها أو تغييرها ، وله حركة المتغيرات المستمرة داخل إطار الثوابت فهو لا يتوقف عن تطور في الفروع ، والاستجابة للظروف المتغيرة ، أما فكرة تطوير الشريعة التي تجول بفكير بعض الغربيين من أجل تقبل الإسلام للربا والخمر والزنا والميسر والانحلال الاجتماعي وللقضاء على المسؤولية الفردية والالتزام الأخلاقي فإن هذا كله مستحيل وغير مقبول ولن يكون الإسلام يوماً مبرراً لفساد المجتمعات القائمة الآن ، وعلى المجتمعات نفسها أن تصحح طريقها على أساس حكم الله وأن تلتزم بالضوابط والحدود التي أقامتها الشريعة الإسلامية من أجل سلامة الحضارة والمجتمع وحماية الأسرة والأفراد ، وأن كل ثرثرة في هذا المجال لا تستطيع أن تخندع أحداً اليوم في العالم الإسلامي الذي أجمع على أن الشريعة الإسلامية هي مصدر التشريع وإن الذين يقولون بتطور الشريعة لا يستهدون الحق أو الخير لأمتهن وإنما يرغبون إلى تحقيق غاية من غايات التفوذ الغربي والاستشراف والتغريب بإخراج المسلمين من منهج حياتهم الأصيل ومن العجيب أن يحدث هذا في الوقت الذي يتجه فيه نوابغ الغرب ومفكروه إلى الإسلام والإيمان بأنه أصلح منهج للحياة ، بل ويعتقونه تاركين مفاهيمهم السابقة ، أمثال الدكتور موريس بو كاي ، والفيلسوف رجاء جارودي .

وقد جرت في السنوات الثلاثين الماضية محاولات لعقد مؤتمرات في بعض الجامعات الغربية دعى إليها بعض علماء المسلمين من أجل ما أسموه تطوير الشريعة الإسلامية بحيث تصبح إداة لتبصير القيم الغربية ومن أساليبهم في هذا التطوير استدراج علماء المسلمين للكلام في نقاط معينة من نظم الشريعة

تختلف ما استقر عليه عرف الغربيين مما يجرى باسم المدنية وذلك لكي يلحوظون إلى تحريف نصوص القرآن والحديث والمثل بها إلى ما يوافق العادات الغربية السائدة . والجانب الخطر في هذه الوجهة هي محاصرة الدين لتضييق دائرة نفوذه وقصرها على شئون العبادات وإلغاؤها المعاملات التي يقوم عليها تنظيم المجتمع ، أو فكرة إعادة النظر في الدين وتطوره وضع تجربة الدين وتجربة النبوة والمعجزات والصلة والحياة الأخرى موضع البحث وإخضاعها لقوالب علم النفس الحديثة التي يقوم على الحدس والى تخضع نفسها للتغيير والتبدل ، وهى بذلك تجعل الدين مسألة ذوقية وهنية ليس لها وجود حقيقى . وهناك التطاول عن أسلوب الله تبارك وتعالى في العمل . ولما كانت هذه الخطط لم تتم وهى تبعث بين حين وآخر فإن محاولة توفيق الحكيم الأخيرة هي حلقة على هذا الطريق ومحاولة لتقديم مجموعة جديدة من الأفكار المسمومة فيها الجرأة على الله تبارك وتعالى بمثل هذا الحوار الذى يكشف عن خطوة خطيرة في وقت تحاول الأمة الإسلامية أن تجمع شملها وتعجمه إلى الله تبارك وتعالى بالعمل بمنهجه حتى يكشف عنها هذه الأزمات القاتلة منذ علت صيحة (العودة إلى الله) بعد نكسة عام ١٩٦٧ وتوفيق الحكيم يبذل اليوم محاولة جديدة على طريق تغريب الإسلام وستلقي نفس الهرمة والفشل الذى لقيته سابقاً لها وحسبنا الله ونعم الوكيل .

* * *

(٤)

لويس عوض
(التغريب)

إن ما كتبه لويس عوض في جريدة الأهرام في الفترة من سنة ١٩٥٨ - ١٩٧٣ لني حاجة شديدة إلى المراجعة ، فقد أفرغ الدكتور سهوماً كثيرة في الصفحات الأدبية للأهرام ، تمكن بعض الكتاب من مراجعة بعضها ومضى البعض الآخر دون مراجعة وكان من أبرز ما روج فيه الساكن تلك الكلمات العنيفة المتعصبة التي ردّها الأستاذ محمود محمد شاكر في مقالاته التي نشرتها الرسالة وجمعها في كتابه (أمسار وأباطيل) ومن هذا الركام تلك الألقاب التي وزعها على متابعيه من أمثال دعوه بأماره الشعر إلى صلاح عبد الصبور الذي رد الجميل للدكتور لويس عوض بعد قليل حينما أصدر كتابه (مدخل إلى فقه اللغة العربية) الذي حشأه بكثير من الأباطيل والزيف وذلك بوصفه رئيس أكبر مؤسسة للنشر في القاهرة .

وقد كانت وجهة لويس عوض وخطه مكشوفة وليست في حاجة إلى تفصيل كثير . إنها تتلخص في الدعوة إلى تعلم اللغات الأوروبية وترجمة كل ما كتب في الغرب . بدون قيد أو شرط ، دعوة مطلقة ليس لها ضوابط ولا قيود يرى بها إلى أن يتسلط الشباب كالطير الأعمى في شباك المستشرقين في أوروبا من غير حصانة أو فهم للأخطار الحبيطة به ، يدعوا توسيع آفاق الثقافة والفكر ، ونحن نعرف ماذا سيعلمونه هناك : سيعلمونهم احترام دينهم ولغتهم وثقافتهم ، وإكبار شأن التغريبيات والشعوبيات . وتجميد مذاهب التفسير المادى للتاريخ . ومفاهيم تين وبرونتير في الأدب من حيث أن الإنسان حيوان واحتقار التراث الإسلامي . والاعتزاز بشكسبير . وفرويد ، وسارتر ، ونيتشة وفلسفية المادة . يقول لويس عوض : أوجه الشباب إلى قراءة الأدب العالمي والفكر العالمي والفن العالمي . وأن طه حسين ، وسلامة موسى ومندور . وعبد الرحمن بدوى لم يصلوا إلى ما وصلوا إليه

إلا من خلال استيعابهم للتراث الإنساني في مجمله من مصر القديمة إلى اليونان القديمة إلى الآداب اللاتينية ومن أدب الإنجليز والفرنسيين والإيطاليين إلى أدب الروس).

مكذا تتجه الدعوة إلى الشباب ليقرأ دون وجهة محددة أو هدف واضح عمله هذا الشباب ودون تعريف له بهذا التراث الإنساني الضال المليء بالخرافات والوثنيات والأساطير.

والمثل الأعلى الذي برفع آمالهم دائمًا هو طه حسين ، وسلامة موسى وغيرهم من دعاة التغريب ، ماذا يقيّد شبابنا المسلم من تراث اليونان ومن أساطير الفراعنة ، والفرس ، والهنود ، بعد أن جاء الإسلام وجاء بالفكرة الناتجة ، والدعوة الساطعة ، دعوة التوحيد الخالص وقد اعتبر المؤرخون أن كل ما سبق الإسلام كان مقدمة له ، وفي الإسلام غنى عن كل ما سبقه ، فقد قدم الإسلام للإنسان منهاجاً كاملاً من الميافيزيقاً لم يعد معه في حاجة إلى دراسة هذه الفلسفات ، وبكفى أن ينتفع المسلم المثقف بالمعطيات التي جاء بها العلم التجاربي فهي وحدتها التي تحتاج إليها والتي هي ملك مشاع للبشرية كلها والتي لا دخل لها في تكوين العقائد والثقافات للأمم . من حيث أن كل أمة لها ثقافتها الخاصة المستمدّة من عقبيتها وتراثها ولغتها .

وما هي الفائدة التي يجنيها المسلم من إقامة هذه الجسور من الأساطير القديمة والخرافات والمفاهيم الضالة التي صورت الإنسان حيواناً مادياً ونفت عنه التكامل بين الروح والمادة .

ويتحدث لويس عوض مع الشباب عن فرويد ، ودارون ، وسبنسر وهو يعلم أن جميع كتابات العلم الصحيح قد كشفت زيف ما دعا إليه هؤلاء ، وما ذهبا إليه وأن العلم التجاربي قد تجاوزهم الآن .

ويدعو لويس عوض الشباب إلى إحياء الأساطير في فاوست ، ورميثوس وماكبث ، وأجامون ، وعطليل كائناً هذه الأساطير تمثيل قيماً حقيقة أو مفاهيم اجتماعية خالدة للإنسان تستطيع أن تعيش في كل زمان ومكان ولا ريب أن لويس عوض يريد إفساد عقليات الشباب المسلم بدعواه

هذه وكيف يتوجه الشباب المسلم هذه الوجهة وعنده من عطاء القرآن والسنة وتراث النواعي الأجاد في كل جوانب الفكر الإسلامي ما يكفيه ، ولماذا يرد على أعقابه لتدريس أساطير الأولين وقد جاءت الأديان المزيلة لتحرر الإنسان من هذه الزيوف ، ثم جاء الإسلام ليقدم للبشرية نظاماً عالياً إنسانياً جاماً إن لويس عوض ودعواه قد تجاوزها الزمن لأنها ليست تقدمية تعنى العطاء الحقيقي الخالص الصادق المنبعث من النفس المؤمنة بحق هذه الأمة في امتلاك إرادتها وإنما يراوغ لويس عوض ليحقق هدفاً وغاية حمل لوائها منذ وقت بعيد ، ولويس عوض يعلم أن شبابنا المثقف لا يثق به ولا يقرا له إلا ساخراً من صيحاته التي نعرف مصادرها ولذلك فهو كناذخ في قربة مقطوعة ، وكل محاولة لاستبقاء نفسه على قمة الفكر هي محاولة باطلة ، فقد علت صيحة الوعي الصحيح لل الفكر الإسلامي ولم تعد تخدعها تلك المحاولات التي يقوم بها في عدة ميادين :

أولاً : مهاجنته للغة العربية وحلته عليها ودعوه إلى العامية وكتابته بها متابعة لخط الذي رسمه سلامة موسى من قبل .

ثانياً : الغمز للتاريخ الإسلامي والعربي والتقليل من شأن بطولاته وموافقه والتشكيك في مصادره وكتابه - ومحاولة الاستفادة ببعض النصوص في الجبرق أو في غيره لخدمة أهدافه .

ثالثاً : الاتهام بإذاعة ذلك التراث المسموم الضال : تراث الوثنية اليونانية وخاصة ما يتعلق بصراع الآلهة ، والحديث عن قرابين الآلهة وسرقة النار وكلام الساحرات وهذه الجولة مع الأساطير القدية .

رابعاً : مصادفة ذلك التيار الذي قام عليه في بيروت يوسف الحال ، وأدونيس وترويده بأحمد عبد المعطي حجازي ، وصلاح عبد الصبور هولاء الذين يرددون المصطلحات الكنسية واليسوعية :

يقول الدكتور رشاد رشدي في مناقشة أفكار لويس عوض :

في أغلب ما يكتب يبدأ بإصدار أحكام مسبقة يكون مصدرها أوهام في عقله أو متأهات في وجدانه أو أغراض له شخصية بختة . ثم يتبع هذه

الأحكام ببراهين وأدلة بعيدة عن الحقيقة كل البعد ، ولكن صحتها أو زيفها لا تهمه ما دامت تعاونه في إيهام القارئ بأن الأحكام المغرضة والتي يعلم هو جيداً أنها خاطئة ومع ذلك يتصدرها على الناس والأشياء ، على أنها أحكام سليمة ، وهذا منهج أقل ما يمكن أن يوصف به أنه غير علمي . فضلاً عن أنه يخاطب القارئ في شيء كثير من التعالى فيحشو كلامه بعبارات مبهمة مثل الأسطواليسيّة والطوبونية وغيرها مع ذلك مع دكتور عوض لا تعرف أنك أنت فهل هو يتكلّم من منطلق فرعوني أو يساري أو يميني أو فاشي أو ليبرالي . أو من كل هذه المنطلقات معاً وفي وقت واحد .

المفاهيم الخاطئة :

- ١ - الإصرار على أن الثقافة المصرية الحديثة مستوردة من أوروبا خلية وتفصيلاً .
- ٢ - محاولة إلغاء عروبة مصر وتأكيد أنهاها إلى الغرب .
- ٣ - الإقلال من شأن الثقافة العربية .
- ٤ - إعلان الإفلاس العام للثقافة المصرية وأنها بحاجة إلى الاتصال بشفافات راقية .

يقول الدكتور عبد العزب الدسوقي :

إذا كانت نبرة لويس عوض هادئة باردة فليس لأنه لا ينفع أو لا يفضّب ولكن لأنه تمرس على القتل العمد ، فالمدوء ليس أتزاناً وإنما هو احتراف للظلم ودلالة على ما درج عليه من براعة في صناعة السموم :

إن مهمته في إصدار الأحكام العامة دون معرفة أو علم أو شك أن يسدّد إلى قلبه سهماً نافذاً لو لا أنه اكتفى بأن يسكب على وجهه وثيابه زجاجة من السير الأسود ويتسأّل :

ما هو الحجم الحقيقي للدكتور لويس عوض وهل أصبح حفناً من الأساتذة الكبار ؟ ويقول : بالرغم من مرور الأعوام الطوال لا أظن أنه أبدع شيئاً مهماً أو حصل علماً نافعاً أو اكتشف خبراً أو صقلته الأيام ، فقد أقحم نفسه في أشياء كثيرة لا يجيدها .

١ - حاول الشعر في مطلع حياته وبشر بموت الشعر العربي وطالب بكسر عمود البلاغة العربية ، ولم يمكِّن الشعر العربي ولم تتحطم أعمدة البلاغة العربية ولكن شعر الدكتور لويس عوض هو الذي مات واندُر وقادت نظريته في إحياء البلاغة العامية وتهشّم عمودها .

٢ - حاول أن يكون مؤرخاً ومع أنه لم ينخُص في التاريخ ففشل فشلاً ذريعاً ، وكثُرت سقطاته وتضاعفت عثراته ويُكفي أنه أشاد ببعض الخونة والجواصيس الذين تعاونوا مع الحملة الفرنسية ضدّ أبناء وطنهم من أمثال المعلم يعقوب ورفعهم إلى مصاف الأبطال .

٣ - حاول دراسة الأدب العربي فما استقام له منهج وما حقق شيئاً في هذا الحال ودليل فشله يتحقّق بشكل واضح في دراسته على هامش الغفران (الأهرام في السينين) وقد حركت هذه المقالات قلم الأستاذ محمود محمد شاكر فتعلق على الموضوع في مقالات متعددة صارت فيما بعد كتاباً في جزئين بعنوان : (أباطيل وأسمار) وهو من أهم الكتب التي صدرت في تاريخنا الحديث تحقيقاً وتأصيلاً للمنهج العلمي في الدراسة الأدبية إلى جانب ما فيه من متعة فنية وجمال في العرض ودفاع عن تاريخنا ومقومات حضارتنا وسيظل هذا الكتاب العظيم دليلاً عيّناً على أن الدكتور لويس عوض في حجم他的 البوسنة وأن المالة التي منحها له ظروف الحياة في عقد السينين (عقد افريقيا اللعين) لا تساوى جناح تلك البوسنة، بل سيظل هذا الكتاب حصيناً سوابق أدبية للدكتور لويس عوض تحمل بين طياتها سطوراً كثيرة تهدر كل قيمة علمية وأدبية له ، ويُكفي أن شاكر قد ضبط لويس عوض متلبساً بعدم معرفة قراءة الشعر العربي ، فبيت شيخ المرة المشهور :

صليت خر المجر نهاراً ثم باتت تغض بالصلبان

الصلبان : بالباء المنقوطة ومن تحْمَنْ نقطتين تعني نباتاً صهراً وياً كانت الإبل تأكله نهاراً في القبض والهجرة ، فرأها لويس عوض (الصلبان) بالباء المنقوطة من تحْمَنْ نقطة واحدة فتحولت إلى الصلبان جمع صليب وبذلك تغير معنى البيت تماماً كما فهمه الدكتور عوض ومن العجيب أن لويس عوض فهم البيت على هواه بعد أن حرفه ، ثم رتب عليه مجموعة من الأحكام

تصحيلها تصحيلآً من نقول مبتسراً لم يحسن نقلها كاملاً وبالتالي لم يفهمها ومن ذلك أنه حديثنا أن أبا العلاء تعلم في اللاذقية كما تعلم في أنطاكية ، وأنه في إحدى رحلاته نزل بدير ولقي راهباً درس على يديه الفلسفة اليونانية وعلوم اليونان وأدبهم فشك في دينه وحصل له انحلال . وقد زعم الدكتور عوض أنه نقل ذلك عن طه حسين ، تلك هي الصيحة التي سجلها الأستاذ شاكر على الدكتور لويس والتي تدل على عدم بصره بالتحقيق التاريخي والدرس الأدبي وفعل مثل ذلك بقصة راهب دير القاروس التي وهم فيها الدكتور عوض . والذى يقرأ كتاب (أباطيل وأسمار) يعرف الدكتور لويس عوض تماماً ويجد بدون عناء مكانته العلمية وقيمة الأدبية . إن أى كتاب يكتبه الدكتور عوض لا تأثير له وليس له أية قيمة وأنه قد سقط من غرائب المعرى من ارتكب تأليف كتاب على هامش الغفران

ولقد كشف كثير من الباحثين خبيثة لويس عوض فقال توفيق صايغ :
إنه في كل ما يكتبه يحاول تغطية اتجاهه الفرعوني وكل كتاباته (ابعدوا
شبح العرب عن مصر ، العرب استعمروا مصر وشوهروا وجهها الحضاري)
هو وكل الملاح على هذا الطريق الذي رسمه لهم من قبل زكي شنودة في كتابه
تاریخ الأقباط - ونضیف سلامہ موسی .

مِنْهُمْ كَأَنْكَ تَحْسِنَ الْكَلَامَ بِالْأَنْجِلِيزِيَّةِ وَقَدْ رَدَ عَلَيْهِ الْأَسْتَاذُ أَحْمَدُ جَلَالٌ :
إِنَّ قَوَاعِدَ الْإِسْلَامِ لَا تَخْضُعُ لِتَطْوِيرِ الْأَجْيَالِ لِأَنَّهَا مِنْ وَحْيِ اللَّهِ وَلِأَنَّهَا تَعْالَى
الْفَطْرَةُ الْإِنْسَانِيَّةُ الَّتِي يَعْلَمُ أَسْرَارَهَا عَالَمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَالسُّرُورِ وَالنَّجْوِيِّ
وَالَّذِي لَا تَخْفِي عَلَيْهِ خَافِيَّةً فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ فِي النَّفْسِ وَلَا فِي الْجَسْمِ
فَلَيْسَ فِي الْإِسْلَامِ قَدِيمٌ وَلَا حَدِيثٌ فِي مِيدَانِ الْأَحْكَامِ وَالْإِصْلَاحِ ، إِنَّمَا هُوَ
دِينُ الْفَطْرَةِ الَّتِي يَعْالِجُ كُلَّ نَفْسٍ فِي كُلِّ عَصْرٍ وَيَعْالِجُ النَّفْسَ الْإِنْسَانِيَّةَ
فِي مُخْتَلِفِ أَلْوَانِهَا وَأَجْنَاسِهَا وَعَصُورِهَا وَكُلُّ نَظَامٍ يَضْعُفُهُ إِنْسَانٌ فِي عَصْرٍ يَهْدِمُ
إِنْسَانًا فِي عَصْرٍ آخَرَ .

* * *

الفصل الخامس

نجوم الصحافة

١ - مصطفى أمين .

٢ - إحسان عبد القدوس .

٣ - أمينة السعيد .

٤ - حسين مؤنس .

٥ - صلاح جاهين .

٦ - يوسف إدريس .

٧ - أليس منصور .

(١)

مصطفي أمين

يقسم مصطفى أمين صفحاته اليومية تحت عنوان (فكره) الذى ورثه عن على أمين حول ثلث أهداف أساسية :

الأول : رعاية الراقصات والممثلات والفنانين والدفاع عنهم وحماية هذه المؤسسة الخطيرة التي أفسدت المجتمع الإسلامي إفساداً تاماً وكتاباته في هذا الاتجاه هي كتابة المدافع المدافع المؤمن بقداسة الفن الحافر لفتاة المسلمة إلى هذه الوجهة دون خوف أو تردد .

الثاني : إعلان الشغف البالغ والتقدير الواffer والإكبار لكررة القدم ورجالها ولعباتها ومتابعة هذا الأمر بشيء كبير من التقدير وهذا يوحى بالحلقات التي تحميها أقلام بعض الكتاب في متابعة أهداف المسؤولية العالمية في دقة ومكر ، وبحاول مصطفى أمين أن يغلف هذه الأهداف بتلك الصور من الرحمة والحنان والتوجه إلى الله وهي التي علمتهم إياها (الدعاء الكبار) ليكونوا قريبين من القلوب في هذا ، فقبل آرائهم تلك المسمومة في يسر وتعاطف من القراء الطيبين السنج الدين لا يعرفون الخطايا .

ولكن إذا تحدث مصطفى أمين عن أدوات المجتمع ومشاكل الأسرة فهل ينسى أن الخططة التي رسماها منذ عشرين عاماً هي التي أوصلت المرأة والمجتمع والشباب إلى تلك الأزمات التي يواجهونها الآن ، حين فتحت لهم أبواب الصور العارية والقصص الجنسية وترجمة الكتب الإباحية واعطاء ذلك كلها صفة الشرعية حتى تظن الفتاة أن السقوط والانحراف ليس إلا عملاً عصرياً لا عيب فيه ، هذه المحاولة في تغيير الأعراف والقضاء على مفهوم الأخلاق الاجتماعية كانت الصيحة التي قادها مصطفى أمين من أكبر العوامل في حجبها ، وقد اعترف مصطفى أمين مرة في فكره بهذه الآثار الخطيرة حين قال :

«فتاة من الجيل المتعجل الذي نراه حولنا في بعض الأحيان ، فتيات صغيرات يجهلن كل شيء عن الدنيا و يتصرورن أنهن صاحبات تجربة طويلة ، أولاد صغار لم يتعلموا وهم يتواهون أن من حقهم أن يكونوا فلاسفة . هذه الظاهرة ليست غلطة الصغار ، ولكنها هي جريمتنا نحن الكبار : نحن الذين لم نفرق بين الحرية وقلة الأدب ، وبين الديمقراطية واحترام الأكبر سناً . نحن الذين حطمنا كل تماثيل آبائنا وأجدادنا ، ولم نحاول أن نقدم لهم قيماً جديدة تستحق تقديرهم ولاعجابهم ، ولا أمثلة كبيرة يقلدونها ، نحن الذين عبידنا المادة وكفربنا بالروح ، ولم نغرس في أولادنا التقاليد الجميلة» . . ولكن هل هذا الكلام يعني أن مصطفى أمين قد اتخذ خطأً جديداً بحرر الصحافة من انحرافها . .

هل يعلم مصطفى أمين أن متابعته للمرأة والتصفيق لها في كل مجال هو الذي خلق هذا الجو المضطرب ، إن مصطفى أمين ، يقف هنا في إصرار على دعم الهدف الذي عاش له : إن المرأة في المخطلات الماسونية والتغريب هي مصدر التدمير الحقيقي للأسرة والمجتمع كله . إن مصطفى أمين يصر على أن عقارب الساعة لن ترتد إلى الوراء ، ولا يمكن انتزاع الحقوق التي حصلت عليها المرأة . وهذا دليل على الإصرار على الهدف . فهل إذا ثبت أن هذه التجربة فاشلة ولم تتحقق شيئاً ، وأنها حفقت نتائج سيئة في مجال الأسرة والطفل ، أليس من حقنا أن نرجع عنها ، وأن نختار أسلوباً آخر ، أليس الحق أحق أن يتبع ، لا ، إن مصطفى أمين هنا في هذه النقطة بالذات يتكتشف في صورته الحقة . إنه لا يتصور أن يرجع عن هذه الخطة التي غذاها وكان لعمله في الصحافة أكبر الأثر في تشكيبها ، وإذا كان يرى هو أن أحداً لا يوافق على أن تعود المرأة إلى البيت ، فإننا نقول له إن المرأة نفسها هي التي تطلب ذلك وترى أنه خطأ يحب الرجوع عنه ، وأن تربية أولادها وأمان أسرتها أهم وأولى . دعك من خداع الرجل الذي يدعي أنه لا يستطيع أن يفتح بيته بدون زوجته العاملة ، وهي كانت قروش المرأة تفتح بيوتاً وأى بيوت هذه التي تقيمه قروش المرأة ، إن هذه المبالغ تتفق على الزينة والملابس ومصاريف الانتقال ، وما نريد الرجل الذي يأخذ مرتب زوجته ليستعين به على تكلفة مصاريف منزله ، ولقد قامت البيوت بأجور الرجال دائمًا وقد يمًا وستقوم ،

و تلك دعوى باطلة يرددتها مصطفى أمين وأمينة السعيد ولم تجد تخدع أحداً ، إن الأسرة المسلمة التي تقتنع فيها المرأة بأن بيتهما أولى بها لا تحتاج إلى هذا المورد لتأكل منه ويكتفيها القليل ، فهي لا ترغب في الترف ولا في الملابس الزاهية التي حرمتها الإسلام .

تقول مجلة الحرية اللبنانية : إن مصطفى أمين عاش في ميدان الصحافة مغامراً ضخماً يبحث عن الجواد الرابع ويراهن عليه ويتأمل الصراع السياسي والاجتماعي في مصر بعين يقظة وفي اللحظة المناسبة يغير موقفه وينضم إلى الحركة التي تكسب المعركة فقبل عام ١٩٣٧ كان الوفد هو الحزب الذي يضم الجماهير الشعبية وكان رغم إقصائه عن الحكم ورغم حرب الاستفتاد التي تعرض لها معرفة تماماً أنه الجواد الرابع ، وأن حكومات الأقلية السياسية سوف تقضي عن الحكم عاجلاً أو آجلاً تاركة مكانها لحزب الأغلبية ، كان الحبيطون بالملك فاروق يحاولون خلق تيار صحي مضاد للوفد ومويد للقصر وهكذا صارت أخبار اليوم تحمل تحقيقاً صحيفياً مسلسلاً بقلم مصطفى أمين تحت عنوان (لماذا فسدت العلاقات بين الوفد والقصر) تحاول اتهام الوفد بأنه عميل للاستعمار وتظهر الملك بمظهر الوطني الأول في مصر ، وواضح أن أخبار اليوم قد راحت على الجواد الرابع في هذه المرحلة وقد اعترف كريم ثابت أنه هو ومصطفى أمين وادمجار جлад ، كونوا ثلاثة يتولى عملية الدعاية للملك فاروق ، ولما تولت وزارة صدقى في محاولة لدفع مصر إلى توقيع معاهدة تجر أقدام مصر نحو الدفاع المشتركة أيدتها أخبار اليوم رغم ثورة الشعب العنيفة ضدها وكتب مصطفى أمين في آخر ساعة ٢٧ نوفمبر عام ١٩٤٦ مدافعاً عن المعاهدة مؤكداً أنها خطوة نحو هدف عظيم ، كتب تحت عنوان خادع براق : «أوقعها والعها» ولما حدثت حركة الجيش وأقصى فاروق لم يكتب مصطفى أمين إلا قليلاً حتى قدم حلقات عن فاروق يكشف فيها خفاياه وليه السابق وكذلك فعل بعد وفاة عبد الناصر .

يحاول مصطفى أمين في هذه السنوات (١٩٨٠ وما بعدها) أن يختفي صورته الحقيقة وراء قناع براق من التحدث عن القدر وعن الدعوة إلى إصلاح المجتمع وينسى أنه في مفاهيمه وخطبه كان من الأسباب الرئيسية في كل ما يحيق بالمجتمع اليوم من أسباب الانحطاط والاستهانة ، ولكنه في صلف عجيب يدعى إلى الإصلاح بعد أن فتح أبواب أخبار اليوم لأسلوب عجيب من الكشف والإباحة سواء في أبواب السينما والمسرح والكرة أو في تحسين الجريمة ووضع التفاهات المشتركة ، الزاعقة في الصفحة الأولى وهو لا يستطيع مهما أخفي هدفه إلا أن يظهر ، ييدو ذلك واضحاً حين يتحدث عن تربية الأنبياء قيungan به القول ، إلى أن يجعل الرقص من وسائل التربية فيقول (لا أريد أن أصف اختفاء الرقص التوقيعي في مدارس البنات حتى لا تقوم على الدنيا) أعتقد أن نقطة العمل الأساسية في رسالة مصطفى أمين حياته كلها هي إخراج المرأة من رسالتها ودفعها إلى طريق آخر لتوادي دوراً آخر وهي محاولة باطلة سببها مصطفى أمين نهايتها وتحمل تبعتها وهي تحمل نفس الادعاءات التي تحملها كتابات أمينة السعيد ومصادرها واحد .

ومن ذلك قوله : « هل نستطيع أن نعقد مؤتمراً اجتماعياً ندرس فيه أمراضنا الاجتماعية كما بحثنا أمراضنا الاقتصادية ، هل نستطيع أن نجمع بين رجال الدين والمصلحين والباحثين الاجتماعيين وعلماء النفس وعلماء التربية في مكان واحد ونبحث في شجاعة ما أصابنا من انحلال والأزمة الأخلاقية التي نشكو منها وحدها فقد أصبحت أزمة عالمية تهدد مستقبل مجتمعاتنا بالفناء أو نبحث بصرامة وشجاعة مسألة السكان ، كل مجيد منهم بأنه إلحاد وكل قديم منهم بأنه رجعى ، منذ أكثر من ستين كنا أكثر انطلاقاً وتحرراً مما نحن اليوم ، هل يستطيع أن يقوم عالم مثل عبد العزيز فهمي ويطالب بأن نكتب العربية بمحروف لاتينية ولا يتم بأنه شائن للعروبة وعدو للإسلام ونطالب بقطع رأسه ، هل من الممكن أن يصدر قاض شرعى كالشيخ على عبد الرزاق كتاباً يهاجم فيه الخلقة ويقول أنها ضد الإسلام ، هل يمكن أن يكتب قاسم أمين كتابه الذى دعا فيه إلى حرية المرأة وصمد للحملات » ويزعم أننا كنا في الماضي أكثر استعداداً لتحمل الحوار والمناقشة مما نحن اليوم (الأخبار

١٧ / ٢ / ١٩٨٢) ومعنى كلام مصطفى أمين هذا مفهوم ، نعم لم بعد يجرؤ أحد على ذلك لأن الوعي الإسلامي أصبح قوياً وقدرآ على مواجهة محاولات التغريب والشعوبية والمسؤلية ولعل مصطفى أمين أنه عضو أساسى في كل ما أصاب بلادنا من أزمات اجتماعية بدعوه إلى حمل لوائها إلى التحلل والكشف وصفحات أخبار اليوم تشهد بذلك ، فصطفى أمين هو الذي أنشأ هذه المواجهة الجريئة حين حول الصحافة إلى عملية تجارية بصرف النظر عن الهدف الوطنى والأخلاق واستطاع أن يدفع بالكثيرين إلى مجالات الحصول على الإعلانات والتعرف بأصحاب الشركات عن طريق أو آخر وعلم جيلاً من الصحفيين تقديم كل ما يغدو أهواه القارئ ونزواته وغراائزه في سبيل زيادة التوزيع وأخترع وأسوأ أعماله مسألة المرأة وحريتها وعملها تحت تأثير الوجهة التي قدمتها المسؤلية ويفخر مصطفى أمين بهذا الاتجاه فيقول (الأخبار ١٨ / ١٠ / ٨١) هنا منارة التقديم في الشرق الأوسط ، هنا نزعت أول امرأة مسلمة الحجاب عن وجهها وتبعتها كل نساء الشرق ، هنا دخلت أول فتاة مسلمة إلى الجامعة ، أول طيارة ، أول نائبة ، مصر هي الجريدة المصرية والكتاب المصري والمسرح المصري والفيلم المصري والأغنية المصرية (لا ما أسوأ ما قدمت مصر من أفلام ومسرحيات وأغان) ولقد كان مصطفى أمين وأخبار اليوم حرباً على كل وطنية وعربيه وإسلامية ، وكانت منذ اليوم الأول خادماً لهدف معروف يسرى وراء كل هذه المظاهر البراقة ، ومن أجله تعاون مع كل تيار وكل وجهة وكل حكومة .

أما قصة خدمة الفلاح والعامل ، فهذه كلها بالونات ملونة خادعة إن مصطفى أمين يحاول في عاموده البوى أن يعطي صورة الخادم للمجتمع لتتصل بالجماهير الذي يزوره أصحاب الشكاوى وال حاجات ، فهو يتحدث دائمًا عن هذه وتلك وهؤلاء الذين (دخلوا إلى مكتبي) فهو مركب نقص شديد يريد أن يستعلى على هذه الصورة من ناحية ، ومن ناحية أخرى بالحديث عن نفسه وعن والده وعن سعد زغلول في محاولة لإبراز دور وإنفاء أشياء كثيرة معلومة للناس جميعاً وخلق حالة كبيرة تضفي بطولة ومجداً بينما يُعرف التاريخ الدور الحقيقى الذى قام به (مصطفى أمين) في تحديث الصحافة

ودفعها نحو الجنس والإباحة والإثارة وإعلاء شأن السينما والكرة والفنانات وإعطاء المرأة دوراً مخالفًا لكل مفاهيم الأصالة والقطرة ومقومات المجتمع الكريم، إن عليه مسؤولية دفع التغريب في مصر خطوات واسعة ما كان يصل إليها في مجال الاجتماع والسياسة والاقتصاد والفن لو لا هذه القوة الضخمة المشتملة في أخبار اليوم ، ويتحدث مصطفى أمين عن جده الشيخ أمين يوسف الذي كان من رجال الثورة العربية ، ولكن ما هي مسؤولية الأجداد إذا جاء من الأبناء من أخذ الطريق الآخر ، طريق سعد زغلول الذي أخرج الوطنية المصرية من إطار الإسلام ودفعها إلى مفاهيم ميكافيلي والخضوع للدراسات الاستعمارية وتجهيزات كرومر : إن كتابات مصطفى أمين عن سعد زغلول لا قيمة لها أبداً من الناحية التاريخية ولن يعتمد عليها باحث ، لأنها تقوم على مصادرين :

١ - على مصدر أهواه الوراثة .

٢ - على معارضة حقيقة لكل الوثائق التاريخية التي هي في أيدي الناس من كتابات عبد الرحمن الرافعى ، و محمد على علوية ، و عبد العزيز فهمي وغيرهم ، فكل الدين يقرأون لمصطفى أمين كتاباته عن سعد زغلول لا يستطيعون أن يثقوا بأنها ذات مصدر علمي، وإنما هي رواية خيالية، وإنما تقوم على هوى خاص وهو صلة القرابة التي لا تقوم على تحرى الحق ، دون سند تاريخي حقيقي ، ومهما حاول مصطفى أمين على طول السنوات وعلى مدى اليوميات أن يثبت لسعد زغلول في نظر القارئ في هذا العصر (شيئاً) بوضعه موضع البطولة فإنه وأهم ولن يصل إلى شيء مما يريد .

إن محاولات مصطفى أمين في التباكي على الأخلاق ونقد أخلاقيات المجتمع المعاصرة اليوم لا يمكن أن توصف إلا بأنها إحساس بالذنب ، فمصطفي أمين في نظر كثير من علماء الاجتماع متهم بأنه شارك بقدر كبير فيما وصل إليه المجتمع من انحراف وفساد مما يتباكي عليه اليوم ، من صور الفساد الاجتماعي الذي تمر به مصر والبلاد العربية بواسطة ما قدم من منهج صحي عن طريق الأخبار منذ صدورها عام ١٩٤٣ ، بل أن البعض ليرى أن مصطفى أمين أخطر من حيث الأثر التغريبي من طه حسين ، فقد كان

ولا زال مدرسة قائمة لم تتوقف عن العمل ولقد أدى دوراً خطيراً في تحويل الأعراف الأخلاقية العربية الإسلامية في مدي عشر بن عاماً بأسلوب غاية في المكر والبراعة ، ودون أن يصطدم بأحد ، طه حسين عمل في ميدان التربية والتعليم ، ومصطفى أمين عمل في ميدان الصحافة وتحويل الرأي العام من معالم الغربة على العرض والكرامة والأخلاق الإسلامية وحماية المرأة المسلمة من الأخطار إلى الفخر فوق ذلك كلها وصولاً إلى طريق محفوف بالمخاطر تصل إليه اليوم المرأة تحت تأثير مغريات العصر ، لقد هدم مفاهيم الأخلاق الإسلامية مما قدمه من تطورات في الصحافة الاجتماعية والسياسية لقد فتح الباب واسعاً أمام مفاهيم وافدة ليست من مفاهيم الإسلام في الفن ، والمسرح ، والرقص ، والكرة ، والجنس عن طريق القصة والسينما والغناء وغيرها ، وجعل للفنانات كرامة قداسة وجعلها من المثل العليا التي تتطلع إلى تقليدها الفتاة المسلمة في حركتها وفي لوى الكلمات وفي لحن القول ، وجعل للإباحيات أهمية ومكانة وساير كل عصر وكل حكومة وكل زعيم من أجل تحقيق هدفه في القضاء على أخلاقيات التعامل بين المرأة والرجل وفي مجال الحياة حيث افتتح الباب واسعاً أمام الانهزامية وأخذ يبث مفاهيم مسمومة عن المرأة والعمل والكسب وزيادة إيرادات البيوت وكلها مفاهيم غير صحيحة وغير إسلامية أصلاً وغير مقبولة في تقدير الإسلام ، وحارب كل نهضة إسلامية ، وكل وجهة دينية ، لقد حاول أن يجعل للمرأة مكاناً واضحاً خارج البيت وبطولة ظاهرة في عالم الرياضة والرقص والفن والتجدد ، وأنى على الشيوخ الذين أخرجوها بناتهم إلى عالم الرياضة . واحتضن بعض الأزهريين وجعلهم نجوماً .

إن التحول الخطير الذي قامت به الصحافة بتجاهل الروح الإسلامية في الأمة وآثار الصحوة الإسلامية وكل ما يتصل بذلك من تقييم حول مظاهر حقيقة انطلقت من قلب الأمة حول تطبيق الشريعة وحول بناء أجيال جديدة مؤمنة بالله وحول تطهير نحويات المجتمعات الإسلامية ، كل هذا كان لمصطفى أمين دور كبير في حجبه وتشويهه والاسماواته في حماية مكاسبه الزائفة في الإباحيات وتهديم المجتمع والأسرة وإعلاء شأن المرأة الخارجة عن البيت ، ولقد كانت

وراء هذه التجربة قوى كبرى تدفعنا إلى التغريب والخروج عن أصلتنا
وقيمتنا ونعد أصول أخلاقنا وتحريف العرف والقيم والمشخصات بحيث يمكن
أن تستسلم الأمة للانصهار في بوتقة الأهمية تحت أسماء لامعة كالديمقراطية
وحرية الفكر وغيرها من كلمات التلهم والتتجديف.

(القصة)

وصف الأستاذ بخي حقي كتباً إحسان عبد القدوس بقوله :
 (لا عجب إن كانت ألفاظه كبالونات المراقص المتواطبة أمام عينيك ، فكيف تريد منها أن تستقر على الورق ، الوبيل له إذا كان في يافعاً أو فتاة في مقتبل الصبا ، فإن السحر يصبح نوعاً من التخدير كبقية المخدرات لا تخاف من خطر) ، وهى عبارة رمزية تحاول أن تصور مدى الخطير الذى يواجه الشباب القارئ لكتابات إحسان عبد القدوس التى تحاول أن تصور الجريمة الجنسية والمطاردة والاغتصاب شيئاً مشروعاً وطبيعياً ، ولا بأس به ، بل وتحاول أن تقول : إنه نشأ مع المجتمع وهو ما تقوله المدرسة الفرنسية الاجتماعية التى أنشأها اليهود (دور كايم ، وليفي برييل ، وفرويد ، وسارتر) لإفساد المجتمعات الغربية وتدميرها وإذا كان قد وجد من يروج لهذه الآراء في مجال الفلسفة والأدب والاجتماع من أمثال لويس عوض ، وحسين فوزى ، وتوفيق الحكيم فقد وجدوا إحسان عبد القدوس في مجال القصة التى يقرأها الآلوف وينخدع بها شباب ليس له خلقية عقائدية تحميء من السقوط ، يتلطخ إلى صور الهوى المحرم ولطالمما واجه النقاد إحسان عبد القدوس بالتساؤل عن سر هذا الإصرار على تلك العبارات الزاعفة فكان يقول لهم : إنى بطبعى لا أستطيع أن أتوقف عن فكرى الفنى . الفكر الذى عشت فيه منذ كنت أقضى طفولى وصباى بين كواليس المسارح وف استديوهات السينما وبين أحضان كل الفنون .

قال الكاتب : لماذا هذا القدر الكبير من الجنس ؟ أنت تجعلنا نشك في أن كل الفتيات يسلكن سلوكاً سيناً ، وكذلك كل السيدات في أصانع بلا يد ، البطلة سيدة قد مارست الجنس مع كل شخص وكان كل عملها هو ممارسة الجنس حتى مشاكلها تتجتمع حول هذا الأمر ، لماذا ؟

قال إحسان : أعتقد أن طرح السؤال على هذا النحو فيه مغالطة ،
أنا روائي ومن حق أخبار نمازجي من عينات اجتماعية ونفسية معينة ،
أنا لا أفهم أحداً : أنا أتحدث عن شخصية اخترتها بعناية من بين ملايين
السيدات وكتبت عن ظروفها وملابسات حياتها . هناك الملايين من الفتيات
البربيات الشرقيات وهذا لا شك فيه ولكن هناك عشرات من الفاسدات .

ونحن نسأل: لماذا لا يتوجه إحسان إلا نحو هذا الصنف من الساقطات وكل يمكن أن تكون هذه النساج النادرة مما يقدمه الفcasاص الأمين على شرف أمته وعلى عرضها وعلى كرامتها بهذه الصورة العنيفة المصارخة المبالغة فيها إلى آلاف الفتيات البريئات اللائي يقرأن هذا على أنه واقع وما دام قد وقع فهذا مبرر لوقوعه مرة أخرى وتقليله أو للاتجاه نحوه، هل هذه مهمة صاحب القلم الذي كرم الله وأناط به أمانة حماية أعراض هذه الأمة؟، وهل يمكن أن يكون مثل هذا يسمى: (مصلحةً اجتماعياً) هذا الذي يريد أن يجاهر بالجريدة ويدفع بها ويقدمها على أنها شيء مشروع ويعطيها مزيداً من البريق والإثارة. كم كان هذا العمل دافعاً لشرارات من الفتيات إلى الانحدار والسقوط بدعوى أنها ظاهرة اجتماعية ، وهل يمكن أن يكون اختبار هذه العناصر عاملًا على أن يحول دون سقوط المزيد ، وهي تعرض على هذا النحو من الإعجاب والتقدير ومع هذا العرض المثير للدقائق هذه الاتصالات ووصف النبود والأجداد والقبيلات في تلك العبارات المثيرة الصاعقة؟ ولماذا تخصص الأستاذ إحسان عبد القدوس في قصة الحبانية الزوجية وحدها ، وأنفق فيها كل وقته وجهده؟ ، ولماذا حرص على إعطاءها هذا التقدير من الإضاعة والكشف «إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم»

• • •

ويسائل السائل الأستاذ إحسان عبد القدوس فيقول :
لو أن لديك بنباً هل كنت تسمع لها بالعمل أو تسمع لها بجريدة
الاختلاط ؟

و يجيء بعد مقدمة طولية :

إذاً كان لي بنت فسوف أطل منها ألا تعمل : إن زوجتي لا تعمل ؛

بل أنها تعيش وفق تقاليد وعادات أهل العائلة الشرقية القديمة ، ولو رزقت بنتاً كنت سأعاملها بعقد الفلاح الذي جاء من شبرا الجملة . لأنني أعرف أنني أعيش بين عالمين متناقضين : عالم عقلي كونته التجربة في الصحافة والسياسة والأدب والاحتياط بكل تجارة الإنسان مع معظم بقاع العالم ، وعالم نشأت فيه وتعلمت تقاليده : لأنني أكثر محافظة في عاداتي وتقاليدي من أي فلاح نشأ في القرية ومع هذا فإن دورى كأديب وروائي هو دور المصلح الاجتماعي (كذا) .

ولا ريب أن هذه الإيجابة واضحة وصريحة وكافية لحقيقة عرفناها عن كل دعاء تحرير المرأة وكتابه القصة الجنسية ، وكتاب الإثارة جيمعاً أنهم يوصدون ببؤتهم ويعيشون حياة رجعية كاملة في حياتهم الخاصة ، ولكنهم يحرضون الناس على الكشف بما يقدمونه من آثار قصصية .

* * *

يقول الأستاذ فتحى سلامه : لقد أطلق على (إحسان عبد القدوس) روائى الجنس : ظل يكتب بطريقته الخاصة متهدلاً للتيار الأخلاقى الذى طالب بتحريم كتب إحسان عبد القدوس . يقول : (وكان ممكناً أن أتجنب كل هذه المتابع لو رفعت بضعة سطور من كل قصة ولكنى رفضت إن لا أستطيع أن أشوه الحقيقة) .

ما هي الحقيقة التي لا يريد أن يشوها إحسان عبد القدوس ؟ هذه الحقيقة يسمى بها توفيق الحكيم : الطريق الوعر .

يقول توفيق الحكيم : إذا كان إحسان عبد القدوس يسلك هذا الطريق الوعر ليحول دون وقوع خطر من الأخطر فيجب أن نعذرها وأن نتحمله ، فإن كثيراً من الكتاب الاجتماعيين والأخلاقيين ، قد تعرضا للسخط الناسى في مبدأ الأمر) .

ولا ريب أن عبارة توفيق الحكيم عبارة ضالة ، فما هي الأخطر التي يدافع عنها إحسان عبد القدوس ، أنها مساحكات باطلة ، فإن إحسان يتبع هذا توفيق الحكيم الذى ابتدع ذلك بكتابه الرباط المقدس ، وماذا يمكن

أن يكون من اصلاح اجتماعى من كاتب يصر فى أعمق نفسه على أن يذيع روح الإباحية والاغتصاب ويتحصص فى الحياة الزوجية ليجعل من آحاد الأحداث (ظاهرة كبرى) مروجاً بإصرار مستمر على تحويل القصص الخيالية إلى صور لها طابع الواقع لتكون أعنواناً فى النقوس .

ولكن عندما يعرف الشباب الآثار النفسية التي تشكلت فى نقوس الكتاب فى مطالع حياتهم فإن ذلك يفسر لهم الاتجاهات نفسها : أما الأستاذ إحسان عبد القدوس فهو صريح فى هذا ، يقول : إن جدى هو الذى أشرف على تربيتى حتى أول دخولى الجامعه فى ظل تقاليد ذلك الزمان وعندما وعيت الدنيا كان أبي قد انفصل عن أمى ، لهذا عدت للإقامة مع عمتى حتى بلغت الثامنة عشرة ، ودخلت الجامعه وعشت مع أمى .

وقد تعلمت أن أقبل يد كل شخص يكترى ويدخل دارنا : دار جدى وعندما أنهيت من تقبيل أيدي الجميع أخذتني أمى ونهرتني بشدة وقالت : يجب ألا تقبل يد أحد غيرى : وهكذا عشت فى تناقض بين بيتبين لكى منها تقاليده وعاداته .

ونحن نعلم أن كثيرين قالوا له : إن والدته كانت أكبر ممثلة فى مصر فلماذا لا يكون هو (د.ه. لورنس مصر) وقد كان فقد سلك أسلوب لورنس فى الكتابات المكشوفة ثم فلسف هذا الاتجاه بدراساته لفرويد ، وسارتر ، ودوركايم ، وهافلوك إليس وكل الإباحيين .

ولقد استطاع إحسان عبد القدوس أن يغلف أفكاره ودعاؤه وإباحياته بأن يديرها فى إطار قصة سياسية أو وطنية ليخدع بها الشباب ، وهو نفس العمل الذى قام به جرجى زيدان عندما أفسد تاريخ الإسلام وهو يعرضه للشباب فى قالب قصص غرامية .

ولعل أجمل ما فى الأمر كله أن طه حسين قال لإحسان عبد القدوس عندما سأله عن قصصه التى يرسلها إليه إن زوجى تضع الكتب التى تأتينى فى البانيو ثم تخثار منها أسبوعاً وبعدها تأمر بقلذفها إلى الشارع :

يقول محرر مجلة حضارة الإسلام: إنه ضمن مسلسل التهويذ الثقافي صدرت رواية إحسان عبد القدوس تحت عنوان : (لا تتركوني هنا وحدي) والتي يروى فيها قصة فتاة يهودية مصرية تتزوج مسلماً وتعشق الإسلام ، ثم تضطهد من المجتمع المصري بعد وفاة زوجها ، هذه الرواية وغيرها جزء من عملية تهويذ ثقافي قدمت للأدمة على مراحل لم يقدمها كتاب يهود ولكنها قدمت من كتاب أمثال إحسان عبد القدوس ، طه حسين ، لطفي السيد ، سلامة موسى ، لويس عوض ، نجيب محفوظ ، توفيق الحكيم ، من مثلوا طيلة ربع القرن طلائع الفكر التلמודي بدأوا من دار الكاتب المصري التي قام على رأسها طه حسين وموهباً أحد اليهود ومرروا بالعلاقات الأدبية والشخصية ، والتي أقامها توفيق الحكيم مع الجامعة العبرية ، فقيل : وبعد إنشاء دولة إسرائيل والتي أخذت تعد ذلك الطابع السرى ثم عادت لظهور إلى العلن . قال إحسان عبد القدوس في الأهرام : ليست هذه أول قصة أكتتها عن المجتمع اليهودي ، فقد سبق أن كتبت منذ عشرين عاماً قصة (بعيداً عن الزمن) ، وفي عام ١٩٧٥ كتبت قصة (ابن صديقتي اليهودية) بل أنني ذهبت عام ١٩٤٥ إلى فلسطين وزرت الوكالة اليهودية ودرست المجتمع اليهودي .

وبالجملة فإن إحسان عبد القدوس في نظر الباحثين يحمل لواء - المدعوة إلى :

أولاً : (انتهاص المقدسات) وهذا يتمثل في قصة (منهي الحب) التي يتحدث فيها عن ثورة قامت في الجنة يقودها الأنبياء يطالبون بالغاء الجحيم

ثانياً : الدعوة إلى انتهاص القيم والأخلاقيات .

ثالثاً : التفكير في رفع مستوى التوزيع أكبر من التفكير في العمل الأدبي وقد واجهه نبيل راغب بهذا المعنى في مناقشة معه حيث قال له :

أجمع الكتاب على أنك كاتب تسرف في نثر التوابيل الجنسية في رواياتك ويرون أن روايتك بين القراء يرجع إلى هذا العنصر ، بينما تؤكد أنك كاتب اجتماعي تتحرى تحت تأثير أفكار محددة هي الجنس والهدم ومن ذلك

تساؤله : هل الخيانة الزوجية مبرر كاف لعدم الحياة الزوجية ؟ ، وهذه التساؤلات من صميم دستور المسؤولية التي ترغب إلى الكتاب أن يقتنعوا الناس به ودعوى إحسان بأنه لم يكن محرفاً هي دعوى مزورة ، فقد كانت مجلة روز اليوسف تعتمد على قصصها في التوزيع ، وكانت الكتابة الجنسية هي المصدر الحقيقي للتوزيع وكذلك الحالات والصحف التي ينشر بها تتحوّل هذا المنحى .

رابعاً : إن العناوين التي يقدمها إحسان عبد القدوس لقصصه إنما هي مصطلحات رغب دعاة التغريب في ترويجها لكثرتها ترددتها في الإعلانات وفي غلاف الحالات (أنا حرة) هي ليست اسم قصة ولكنها دعوة إلى الفتيات للتحرر من كل القيم والأخلاقيات ، وكذلك مصطلح (لا شيء لهم) هي دعوة إلى اللاادبية وانكار الالتزام الأخلاقى والمسؤولية الفردية ومفهوم الحرية عند إحسان عبد القدوس هو مفهوم الوجودية وأصحاب الفكر الإباحي وهو امتداد للطريق الذي شقه توفيق الحكيم بقصة (الرباط المقدس) ، ولا شك أن هدف القارئ لما يكتب مرتبط ب موقف صاحبه وسلوكه الشخصي في الحياة .

خامساً : إن إحسان عبد القدوس يقدم إيضاحات حقيقة عن منهجه في الكتابة من خلال عرض ذكرياته ، يقول : لأن أمي فاطمة اليوسف كانت مثلاً شهيرة اسمها روز اليوسف في العمر الأول لحياتها ، اعتزلت الصعبية في طفولتي وتحفظوا في معاملتهم لي ، هذا جعلني في حالة دفاع دائم عن النفس وما زلت ، وكان جزءاً من دفاعي عن نفسي لا أرسّب حتى لا أعطى مجتمعي الصغير سلاحاً يحاربني به بشاعة .

أمينة السعيد

(الصحافة النسوية)

حاولت أمينة السعيد خلال فترة إشرافها على مجلة (حواء) أن تطرح مجموعة من السموات وأن تقف في عنف وصلف أيام حركة العودة إلى الله التي قادتها المرأة المسلمة حين التفت إلى الإلحاد والطريق الإسلامي في التعامل ، فقد أحسست - هي ومن ورائها من التغريبيين - بأن ذلك الخطط الذى ظلت تعمل له سنوات طويلة قد أهان مرأة واحدة وفجأة دون مقدمات فقد عمدت أمينة السعيد خلال أكثر من ثلاثة عاماً أو تزيد أن تأخذ بوجهة نظر التغريبيين في كل قضايا المرأة وأن تدعوا إلى إخراج المرأة من بينها بدعوى معاونة الزوج ، ضاربة عرض الحائط بكل كلام يقال عن الأطفال الذين يسلّهم الأمهات للحضانات الغربية وأيدي الخدم ، وأن تدعوا المرأة إلى الأزياء الغربية وإلى العادات الغربية ، وأن تزين لم حبوب منع الحمل وتحذيد النسل وأن تجرب في التعامل مع المرأة على التحشو الذي أوردهن بروتوكولات صهيون وأن لا تتردد في الهجوم على الأستاذ الإمام الدكتور عبد الحليم محمود في أكثر من مناسبة بأسلوب طائش .

لقد كانت أمينة السعيد من أوائل الدعاة إلى دفع المرأة إلى مجالات السهر والقصر والرحلات بدون حرم ، وهي التي دعت إلى تقسيم الثياب وعارضت التحشم وهاجت إلى الإلحاد سوءاً وحاذت الادعاء على الإسلام بما ليس فيه من آراء باطلة ورافضة .

ومن قوتها الباطل : (إن توفير الثياب أولى من رعاية الدين في سفر لأخذاً والصدور) :

تقول أمينة السعيد : (إن الإسراف في التحجب هو سوء ديني) بينما الحقيقة أن التحجب وقاية لفتاة المسلمة والزام منها بتعاليم دينها ، فلا إسراف

فيه ، والكاتبة تعرف بأن قوامة الرجل على المرأة شىء مقرر في الإسلام ولكتها في نفس الوقت تعتبر القوامة اليوم لا مبرر لها ، لأن هذه القوامة مبنية على أن الرجل هو الذي يعمل ، أما وقد أصبحت المرأة تعمل ولها مصدر من المال فإن هذه القوامة لم تعد ، وهذا تفسير ضال وباطل ، فإن المرأة وما تعمل به ملك لزوجها في الحقيقة ولا ينقص شيئاً من قوامتها حتى ولو كان هو لا يعمل ومن الكذب والتضليل أن تعلن أمينة السعيد أن المرأة ما دامت قد استطاعت أن تتساوی مع الرجل فلا مبرر للقوامة .

* * *

وقد كشفت إحدى الباحثات في رسالتها عن الصحافة النسوية فساد الدور الذي قامت به مجلة (حواء) التي تشرف عليها أمينة السعيد وقالت : إن اهتمامات حواء هي اهتمامات ومشاكل الشريحة العليا من الطبقة البرجوازية فضية كبيرة من موادها عبارة عن مواضيع تبحث في قضايا المجال والمكياج والمنزل والمطبخ والديكور والأبراج والأحلام فضلاً عن عروض للأفلام ولقاءات وإعلانات عن سلع كمالية .

وهي تعالج اهتمامات فئة خاصة من نساء المدن ، أما مشكلات وقضايا نساء الطبقات الشعبية في المدينة فليس لها أثر يذكر ، ولا تمثل المواضيع التي تتعلق بمشكلات ومشكلات المرأة المصرية الحقيقة سوى ١٠ في المائة .

أما صورة المرأة التي تعرضها حواء فهي تلك المرأة الأنثى المغربية في ذاتها وواقعها الاجتماعي العام الضائعة ضمن العلاقات الاجتماعية القائمة والتي لا ينظر إليها إلا ككائن ذي شعور مرهف حساس ليس في مستطاعه خوض الصراع الاجتماعي والسياسي والاقتصادي التي يمر به المجتمع المصري .

وترى الباحثة أن معظم الموضوعات التي تتناولها الصحافة النسوية في الوطن العربي لا تسهم بشكل أساسي في ربط قضية تحرير المرأة بمساركها في التنمية الاقتصادية والاجتماعية والفكرية . وهي تركز على الجوانب المختلفة من اهتمامات المرأة : أزياء ، ومكياج ، وتسريحات شعر ، ولا تحاول الصحافة النسوية الاقرابة من مشاكل الغالبية العظمى من النساء مثلاً بنساء البوادي والطبقات الشعبية في المدن من فقر وأمية وتشريعات قانونية مختلفة .

وتقول أمينة السعيد : إنني أريد أن أثبت أن النساء يستطيعن القيام بنفس الأعمال التي يقوم بها الرجال ويحملن نفس المسؤوليات إلى جانب قيامهن بشئون البيت وهذا الذي تدعوه إليه محال فضلاً عن أنه منافق للفطرة وللتاريخ ولواقع المجتمعات الآن ، فقد أثبتت المرأة فشلها في أي عمل سوى عملها في محبيط الأسرة (زوجة وأمًا) أما الجماع بينهما فحال ولا شك أن البيوت التي تعمل المرأة خارجها بيوت فاشلة في وجهها قنطرة مضطربة ، غير منتظمة ، غير قائمة على ذلك الحنان والرحمة والأمومة التي لا تستطيع المرأة أن تعيشها إلا إذا كانت قائمة على بيتها وحده وقد فشلت المرأة في كل عمل أنسد إليها حتى عمل أمينة السعيد في دار الملال .

إن أمينة السعيد اليوم بعد (جهاد) ثلاثين عاماً في سبيل إشاعة مفاهيم مسمومة عن طريق مجلة أسبوعية تبث فيها أفكارها ، تحس بالفاجعة عند ما ترى هذه الأفكار وقد سقطت وذلت لأنها لم تكن موازية للفطرة الإنسانية ولم تكن على الطريق الصحيح ولكنها كانت ضد الأصلية والفطرة والحق والإيمان النفسي المنبعث من دين الله .

إن كل الدفوع التي حملتها في سبيل دفع المرأة إلى خارج منزها ، قد سقطت ، إن المرأة المسلمة عرفت اليوم طريقها إلى العلم وإلى العمل ولكن بمفاهيم أخرى مختلفة عن أهواء الماسونية والتغريب .

إن محاولة أمينة السعيد في مجلة حواء وباب أسألوني في تزهيد المرأة في طريق الله ودفعها إلى الغواية والانحراف وفتح أبواب الأزياء والتجميل ومفاسد الترف واللعصور والتوليات لم تعد تقنع أحداً إلا قلة قليلة . إن ضرائبها التي وجهتها إلى علماء الإسلام كل مرة لم تغفها شيئاً عن أن عرفت بالسفاهة والمجاء والبغى ، إنها لم تعد تستطيع أن تدافع عن هذه الحنة التي تنجت عن عمل المرأة وهي فساد الأجيال التي ربيت في أحضان الخدم والخاضن الغريبة وأن خسارة الأمة نتيمة ذلك بحد بالغة مهما حاولت أن تتحدث عن دور الحضانة ، إن مهمة المرأة الحقيقة المقدسة هي الأسرة والبيت وأبنائها جنود الوطن وحاته ، أما إخراج المرأة من المنزل فهو هدف الصهيونية العالمية ، أما حكاية (المورد الاقتصادي) فتلك قصة قد بارت

وفسدت فن هو الرجل الشريف الذي ينتظر أجر امرأته ، لتقيم به الأسرة معه ، بعد شراء أدواتها وحاجاتها التي تزين بها في الخارج وتلبس في البيت أقذر الملابس . إن البيوت قد أفترت وتهدمت وامتلأت بالظلم نتيجة غياب المرأة عن مكانها الحقيقي وما تستطيع أمينة السعيد أن تصدق حين تقول إن المرأة تحقق ذاتها في مجتمعها فتحن نعرف والناس يعرفون أن المرأة لا تعمل شيئاً ذا بال وأنها تعيش على مجاملات الزملاء أو على أهواهم مع الأسف ، هذا الذي يفسد عليها علاقتها مع زوجها حين تسمع كلمات الإطراء الكاذبة ثم تعود إلى البيت فتجد مسئولية وجهداً ، هنالك تضطر ب نفسها وتسقط وتحطم أسرتها .

يقول الأستاذ محمد الشهاوى لأمينة السعيد: كفى عنا هذا البلاء غير حمل الله . الإسلام لم يحرم المرأة من التعليم ، تطالعنا السيدة أمينة السعيد بين الحين والآخر بأحاديثها الصحفية التي تلخص بالاقتراحات على حمى الدين الإسلامي وعلماء الإسلام والتي لا تستند إلى البرهان العلمي أو السند الفقهي ، وكأن شريعة الله في حكمها أمر متrox للتفصيرات العفووية التي تأتى مع النقاش الحاد الذى يفتقر إلى الموضوعية والالتزام بالحدود المتعارف عليها بين من يملكون حق ملء أعمدة الصحف والمحلات بالآراء والفتاوی . إنها ترى أن عودة المرأة المتعلمة إلى وظيفتها في المنزل ل التربية أولادها ورعاية زوجها نكبة ، وتنستد على ذلك بتجربة المرأة التركية بعد حكم أتاتورك ، إن زيارة للمصالح الحكومية التي تكتظ بالموظفات العاملات اللائي لا يجدن سوى الفراغ والجدال وشغل الترفيه وتجهيز خضار الغذاء لأولادهم أو مشاهدة دور حضانات الأطفال لمشاهدة المعاملة التي تسقى بها أطفالنا والرعاية غير السليمة التي تغرس في نفوسهم العقد النفسية بسبب الإهمال والرعاية كافية للر د على دعوى السيدة أمينة السعيد وقد يأ قال أحدهم أن أولادنا (تربية خدامين) ، إن الأطفال في الأسر التي يعمل فيها كلا من الزوجين لا بد أن ينحرجا إلى الحياة منحرفين ، إن متابعة المرأة العاملة هي في عدم قدرتها على الجمع بين الوظيفة والزوجية وعدم القدرة على اللحاق بزملائها الرجال في المناصب القيادية وعدم مقدرتها على مجاراة زميلاتها في العمل فيما يليسوه أو يتزبنون به . الأمهات العاملات : زوجات تعسات بالليل والنهار لا يجدن وقتاً لقراءة كتاب عن كيفية إعداد الطعام .

إن السيدة أمينة السعيد عندما حاصرها الأسئلة عن مسئولية الأبناء قالت
على الرجل أن يرعى أولاده فهل هذا قول يقبله عقل ، ترك المرأة عملها
الأصيل إلى عمل زائف ، ويتولى الرجل عمل المرأة ، لماذا ؟ أليس الخبر
أن يتولى كل من الرجل والمرأة مسئوليته إلى رسمنها له الإسلام بدلاً من هذا
الجنوح إلى الأهواء .

• • •

(٤)

حسين مؤنس

(الغريب)

خلال توليه رئاسة تحرير الملال (١٩٨١ -) كشف الدكتور حسين مؤنس عن متابعة تامة لكل أفكار الاستشراق والتغريب وخاصة في مجال المرأة فقد حرص أن يجري في هذا الطريق الذي يلح عليه مصطفى أمين وذكر عبد القادر . . . التباكي على المرأة والقول: بأنها ما زالت بعيدة عن تحمل تصريحها من مسؤولية الرجال وإنكار كل الضوابط والحدود التي يقررها الإسلام للمرأة في العمل والخروج والملابس ، وينذهب حسين مؤنس إلى التساؤل : كيف أن شعر المرأة عوره ويد المرأة عوره وصورتها عوره .

وينهكم الدكتور حسين مؤنس بالفكرة الإسلامية فيقول: إن تاريخ الفكر الإسلامي طويل ، ولكن الشجعان فيه قليلون أو قل لم يوجدوا فقط ، والواقع أن هذا - كما يقول الأستاذ عبد الجود الحضري - كذب على الحقائق وما زالت الأرض التي عذب عليها مفكرو الإسلام شاهدة على ذلك - الإمام مالك والإمام أحمد والنووى - البخارى وآخرون غيرهم تحملوا أشد أنواع العذاب لأجل المبدأ الإسلامي ليس إلا يقول :

« ونرى الدكتور يحمل مفاهيم الحادية عن الأخلاق ويردد في علانية آراء (دور كايم) فيقول: (إن عفة المرأة ترجع إلى شخصيتها وتربيتها ونوع الرجال الذين يحيطون بها) وهذه العبارة خادعة موهنة فإن علماء النفس يقولون صادقين: إن البيئة تلعب دوراً هاماً في تحديد سلوك الفرد وتنشئة شخصيته وأن تلوث البيئة ينعكس على الجسد ، ومن ثم فإن الإباحية المعاصرة أشد ألمًا من مخلفات التبرول وهل يجوز لامرأة عفيفة الطابع أن تظهر جسدها للناس ؛ إن الأدب الظاهري دليل الكمال الباطني وقد يأكّلوا ما فيك يظهر على فيك .

وبحاول الدكتور مؤنس الاعماد على كتاب الأغاني (لالأصفهاني) كمراجع أساسي للتاريخ الإسلامي الماجن كما يعبر الكتاب ويبدو أنه يجهل حقيقة الإسلام ويدلل على بجهله بهذا التاريخ الذي كان في عصر الحجاج ولو أنه علم حال الرجل الذي صنف الأغاني لما اتبعه أو نظر إليه ، فقد كان بذى اللسان ، يغضب لأنفه الأشياء ويضيق من أيسر الأمور ، يطلق لسانه بلا هوادة حتى ولو كان في أوقى الأوقياء وكان من الفذارة مكان ، دنس في ثيابه وفي نفسه ، لا يتورع عن مكروه ، اهتم بتاريخ الجانب المزلي فزاد ليشفي غليله وتزيد ليرضى مزاجه الخليع ، ومثل الأصفهاني ساقط في ميزان التفكير الإسلامي ونحن ننظر إلى أي رجل تحت ميزان (الجرح والتعديل) .

ويغالط الدكتور مغالطة واضحة يهدف بها إلى الطعن في تاريخ المسلمين الأول، فيقول : إن المرأة السافرة اليوم أقرب ألف مرة إلى معنى الشرف والعنف ، وما عليه لو قرأ فضائح الجنس المنشورة صباح مساء ، ألا فليعلم أن تويني قال : سيعاني العالم لسبعين طويلاً من أزمات أخلاقية يسببها الجنس وهو هي ذي أوربا مجتمع الجنس والجريمة وخطف النساء وإباحة الأعراض والشذوذ الجنسي

ولا نشك أن آراء سيمون دي بوفوار بالغة الأثر في أعماق الكاتب فهو يرى أنها المثال المحتذى لكل الناشئات ، يطالع أفكارها في حرارة ، وحين يريده أن ينقل شعوره للآخرين يقول : (لقد قالت سيمون في مذكرة أنها : إن سر نجاحها الأكبر هو أنها لم تذكر قط في عملها أنها امرأة) ١٥

* * *

وعند الدكتور حسين مؤنس نجد كل العلاقات والتوجيهات : الخضارة المصرية أم الحضارات ، المرأة يجب أن تنطلق ، رأيه في العرب واللغة العربية معروف تقول مجلة المجتمع الكويتي (٢٥ مارس عام ١٩٧٥) إن الدكتور مؤنس فاجأ المجتمع الكويتي بمقال أثار سخطاً عاماً وحادياً فقد وجه إساءات مباشرة للإسلام والشعب الكويتي - وكان يعمل بذلك - بسخر من القضية والاحتشام ويروج للرقص والابتذال ويشوه سمعة مصر بتجريح نسائها ورجالها ومع ذلك يدرس الثقافة الإسلامية ويكتب تاريخ الإسلام .

كتب تحت عنوان (المرأة وستها العالمية) في جريدة القبس ، يدعوه إلى الرذيلة وينتمي فيه الذين يدعون إلى الاحتشام بالانحراف ويشبه علماء الدين بالقطط وينصب نفسه مروجاً للرقص الشرقي ، ويتجاوز كل قيم الدين فيجري على لسان أشخاص هم من نوعه هذه العبارة :

وإذا لم يرزق الله إنساناً امرأة جميلة هل تحرم عليه أن يرى امرأة جميلة ترقص مثلاً . ولا يزال يتدنى حتى أتتهم نساء قومه بالخيانة وأتتهم رجال بني قومه بعدم الرجولة وأن غيرهن لا تتعذر إطالة الشوارب ،

بلى أن يعرف القراء أن حسين مؤنس هو واحد من الذين تربوا على مناهج الاستشراق وتبناوا خطفهم في تشويه تاريخ الإسلام . وهو الذي حاول تشويه حقائق التاريخ الإسلامي ، وهو يضع كتاباً تاريخياً لوزارة التربية هنا (أى في الكويت) وتداركت الوزارة هذا الدس فمحذفته ، وقد تحدثت أسللة كثيرة : هل يبقى مثل هذا الشخص رئيساً لقسم التاريخ في جامعة الكويت وكيف يؤمن على تدريس مادة الثقافة الإسلامية والحضارة الإسلامية في الجامعة وكيف يؤمن على كتابة التاريخ الإسلامي :

إن ترويجه للرقص الشرقي ودفعه عنه إساءة مباشرة لقيم القرآن والإسلام فكل رقص حرام لأنّه يجعل جسد المرأة وبطريقة مبتذلة متعمدة محوراً لتركيز أعين الرجال . وإذا كان الإسلام يأمر بغض البصر فهل يسمح بفتح العين عمداً على امرأة ساقطة تتاجر بجسدها وتغري بالرذيلة والانحلال .

إن الذين فقدوا هويتهم وقدروا الإحسان بهذه الأمة لا يبني هم أن يفرضوا تجربتهم الخاصة علينا « إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الدين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة والله يعلم وأنتم لا تعلمون » .

ومن صنوف العذاب الأليم في الدنيا إسقاط هيبة هؤلاء المخاهدين وكشفهم وتجريدهم من كل قيمة أدبية ، فلا وزن أبداً ولا احترام فقط لأشخاص لا يقيمون للإسلام وزناً ويحاولون بشتى الطرق المخاهرة بعدم احترامهم لقيمه .

ما معنى أن ينتمي حسين مؤنس الداعين إلى الاحتشام بالانحراف ، إن أوروبا العاربة فقدت مع العرى قيم المروءة والشرف وكذلك أمريكا وفي العواصم العربية التي انتشر فيها التعرى كثُر فيها الفساد .

(٥)

صلاح جاهين (العامية)

تدرع صلاح جاهين ودعاة العامية بأكذوبة أسموها (الوجدان الشعبي) والوجدان الشعبي برأه من أضاليلهم ، هذا الوجدان الشعبي الذي نشأ وتربي وتشكل على بيان القرآن الكريم .

وقد استطاعت العامية في العقود الأخيرة في حياة الماركسية والمذاهب المدamaة حتى عقدت مؤتمراً في دمشق عام ١٩٥٥ يتحدث عن ازدواجية اللغة في كل قطر عربي ويجعل من العامية لغة .

وكان خدعة دعاة العامية دائماً هي قولهم : الكتابة بالعامية وصولاً إلى الفصحي أو الكتابة بالفصحي وصولاً إلى العامية .

ومنذ لطق السيد الذي دعا إلى ذلك وما زال هذا الاتجاه متداً ولكنه استطاع في السنوات الأخيرة في ظل أزمات الفكر الإسلامي ، فارتعدت لغة الحديث العالى وحاولت العامية أن تسيطر من خلال الإذاعة والإذاعة المرئية وجرت محاولات في الصحف لعدم الأسلوب البليغ .

ومهما حاول دعاة العامية الدفاع عنها فإنهم مضطلون ، ولن يستطيعوا مهما قدموا أن يقنعوا الناس بأن العامية بياناً أو دوراً حقيقياً ، ومهما دافع عنها من أصحاب الصحف أو كتاب الفصص فإن هؤلاء جميعاً يدافعون عن الذوق العالى وطفولة البشرية وخرافات وأساطير الأمم في سدايتها وآخرها عن المنطلق الحقيقي .

وإن هذه الاتجاهات تغري فاسد ، يعمل على حساب الفصحي وعلى حساب الكلمة البليغة والمعنى الرفيع ، وما كانت الكلمة العامية بقادرة يوماً على أداء الشعور النبيل .

ولقد كانت دعوة الشعر العامي كلها تسهدف الفصحى وتسهدف البيان العربي وما زال دعاتها يبطون مفاهيم خطيرة وخلفيات ضالة تحمل أهواء التغرب والشوعية ، ولقد ارتبط الشعر العامي بالسکاريکاتير وبالإثارة وعمل على خلق تيار من التغيير والمحوار والأداء يجري مع الكلمات المكشوفة والعبارات الهاباطة ويصرف الناس عن القيم الإسلامية الحقة والمعانى الروفية . إن دعوى صلاح جاهين العريضة بالأنها إلى مدرسة غربية أو مدارس يثرب دائمًا بعراضها لا يغنى عنها شيئاً عن أنه على غير الطريق الصحيح : طريق الأصالة وأن مثل هذا الاتجاه لابد أن يموت وينطوى لأنه مضاد لنوميس الحياة والفطرة وقد انطوت من قبله كل دعوات العامية والحروف اللاتينية وغيرها .

ولاشك أن هذه المحاولات التي يرمي بها صلاح جاهين عن قوس في سکاريکاتيره اليومي لن تغنى عنه شيئاً ، فقد عرف بمحاربة الفضيلة والأخلاق والحسنة وأنه في كل مرة يتعرض لل المقدسات يمس مشاعر ملايين المسلمين ويزداد في نظرهم مقتناً وكراهة ولن تغنى هذه السخرية بالقيم الإسلامية شيئاً فهو مكشوف تماماً بدعوته إلى المفاهيم الماركسية الخفية تحت أستار من العصرية والفن والتي تسهدف تزييف أصالة النفس الإسلامية وتؤدي إلى تدمير المجتمع ، وأبرز ذلك سفرياته وأغانيه وعاميته ودعوته لكتابه القرآن الكريم بالحرروف اللاتينية .

ومهما دعا إلى العامية فإنها دعوة قد تجاوزها الزمن ، وكل نتاجها محكم عليه بالفناء ، بعد جيل أو بجيدين ، أما التراث الحالى فهو التراث المكتوب بالفصحي ولن تتحقق أهواء دعوة العامية وذلك لأن العامية لا تستطيع أن تنقل إلى المثقفين الأغراض الأدبية والفنية .

إن هؤلاء القوم لم يقرأوا فكرنا ولا تراثنا ولكنهم نشأوا على مفاهيم مكسيم جوركى والمنشائين من الغربيين وقد وجهوا وجهة معينة تسهدف زرع ثمار مسمومة في تربتنا مثل دعوتهم إلى (الحب مش عيب) وغيرها من المفاهيم التي تتعارض مع معانى الفضيلة والخلقى الكريم . ولذلك فهم دائمًا مصابون بخيبة الأمل ، ومعدودون في صف الخارجين على هذه الأمة .

يوسف إدريس

(الغريب)

تنسم كتابات يوسف إدريس بالجلد والاندفاع والعنف مع فلة الحصول والغزارة والثرثرة وضعف الرصيد الثقافي ، فضلاً عن تدنى الأسلوب ، وعدم القدرة على الأداء الأدبي الصحيح .

فإذا أضفنا إلى هذا طابعه الفكرى الماركسي والعلمانى والاباحى الذى لا يقر معهأى معنى من معانى الأخلاق أو احترام القيم أو الأصالة الفكرية إلى أى مدى تكون كتاباته غير ذات قيمة حقيقية .

ولقد بدأ يوسف إدريس من كتابة القصة وهو مجال مفتوح لكل من يستطيع أن يقرأ قصة أجنبية أو يترجمها ، وكان لا تصاله بالدكتور طه حسين كطبيب أثراً في تنويعه طه حسين به ، ومن هنا جاءت شهرة أما القيمة الحقيقية فلا توجد ، إلا من حيث أن كتابات القصة فناً قائماً على التقليد والتبعية للفن الغربى وليس له أى جذر عربى أصيل ، من هنا كان إعجاب كتاب الغرب بما يكتب بوصفها بضائعهم ردت إليهم . ولقد كانت صيغته في المجموع على التراث الإسلامى والعربي أكبر دليل على عجزه عن فهم هذا التراث أو الاتصال به أو معرفة قيمة الحقيقة ومن جهل شيئاً عاداه ، ولقد كانت الماركسية حريصة على أن تسىء إساءات واضحة إلى كل قيم الفكر الإسلامى وخاصة التراث الذى أنشأ ذلك الفكر الإسلامى الذى يقلره قدرة رجال الغرب المنصفين ويتجاهله أهله المنكرين له من أصحاب الأسماء العربية ..

ولا ريب أن كتابات يوسف إدريس في مجموعها لا تساوى أكثر من حفنة من تراب ، من حيث أن هذا (الفن) الذى يدعونه لا يمثل تصوراً حقيقياً للأمة الإسلامية وإنما يمثل أهواء هذه الجماعات التى ت يريد أن تطرح شرائع من الإباحيات والكشف والعبارات العارية الصالحة عن طريق المسرح والقصة .

إن دعوة يوسف إدريس ومدرسة طه حسن ، ولويس عوض إلى إطلاق الفن من قيود الأخلاق مرفوضة في أفق الفكر الإسلامي رفضاً تاماً ، فالفنان ملتزم بالقيم التي جاءت بها رسالات السماء ، وقد تزه عن هذا المذهب الضال في الغرب كثيرون وحاربه زعماء الإصلاح من أمثال : كارل ليل ورسكن ، وأن اللغة العربية والفكر الإسلامي لها آدابها القائمة حول الدعوة إلى الحق والخير ومكارم الأخلاق .

ونحن نعرف أن الذين بدأوا حياتهم في الطفولة في مجال تمس وشقاء ، حيث لم يجدوا ذلك المعين على الوجهة الصحيحة ، هؤلاء هم قادة السكرة الباطلة المنحرفة ويشيد يوسف إدريس - كما يشيد بذلك أنيس منصور بأن طفولتها كانت طفولة تعسة ، يقول (لقد كان مفروضاً أن أتحول إلى عدو للمجتمع أو خارج على القانون أو إلى التفيس ، متطرف في حب الناس وللآخرين) وليس عداوة للمجتمع أشد من هذه الدعوة التي يحمل لواءها وهي دعوى القصة الإباحية ذات المصدر الماركسي ، وعبارته واضحة في رفض قيم الدين (أنا لا أريد قيماً ثابتة للحياة اكتشفها الأقدمون) وهذا أمر واضح في دعوته المندفعه الحمقاء إلى حرب التراث وهو يعني به كل قديم ولا يستطيع أن يصرح بأنه إنما يعني مهاجمة الدين نفسه .

وهو يصور في آرائه هذه من تلك النظرية الضالة : نظرية المتغيرات الدائمة التي لا تعرف بالثوابت الأساسية في الحياة والمجتمع ، وهي ثوابت النظرية المادية وخطأ يوسف إدريس راجع إلى أنه لا يؤمن باللوحي ، ولا بالغيب وينقاد وراء المفهوم المادي الظاهر الذي يقابس عليه الأمور تحت اسم (القيم المتغيرة) وفي ضوء هذا الاتجاه المنحرف تصادر عن يوسف إدريس آرائه التي يقدّمها بعنف وعصبية ، على نحو لا يمكن أن يوصف بأنه صحيح علمي صحيح وإنما هي محاولة للمغایطة ولضرب القيم الأساسية الصحيحة ولكن هبات ، وهو في هذا تنكر الشجاعة الإنسانية ، والإخلاص الروحي ، وبطولة الاستشهاد ويرى أن هذه جميعها قيم انتهت لأنها كانت لعصر غير عصرنا .

ومن هذا المنطلق فإن نظرته إلى التراث الإسلامي هي نظرة فاترة لأن من جهيل شيئاً عاداه ولابد أن التراث الماركسي هو في نظره أعمق وأشد

شخصية ، والعيب أن يحصر الكتاب نفسه في محيط ضيق ، ثم يحكم على البشرية كلها التي لم يحط بعلمها فتبعد كتاباته وهي غابة في السذاجة والضعف ومصدراً للسخرية ولذلك فقد انحصر يوسف إدريس في العامة ، والمصرية ، والأساطير ، والحكاية . ولقد كان واضحاً في حديث نبيل فرج معه (كتاب مواقف ثقافية) قوله :

— ألا تؤدي حرية الإنسان المطلقة التي تدعوه إليها في بعض أعمالك إلى التوضوية وتحاول يوسف إدريس أن يدافع عن نفسه بمزيد من عبارات التوبيه الغامضة المأثورة عن الماركسيين والماديين وسوف تطوى هذه الأوراق البالية .

إن موقف يوسف إدريس من اللغة العربية ومن التراث الإسلامي سيء وهو دليل على خصوصية واضحة للإسلام رعاده واضحة لموروث هذه الأمة ، وقد وضح ذلك عند كل قرائه ولم يعد يخدع أحداً .

فالجميع يعلمون أنه يصدر عن غير (الباب الأصيل) للشقر الإسلامي وأنه من هوا الكلمة الضخمة التي تحدث الدوى من أجل الوصول إلى الشهرة تأكيداً لنفسية عاشت طفولته فاسية وذاقت من المرارة ما تربى أن تعوضه بالبريز في مجالات مفتوحة من التغريب والشعوبية ومعارضة الأصالة التي ينطلق إليها الشقر الإسلامي وما تزال قصصه أشبه بأحجار وصخور وأوحال غيموم ورق ورعد يدل على نفسية غير مستقيمة الاتجاه ، انطلقت فصدعت الكثير وأثارت أحقاد النّفوس ، وتركت جراحات في نفوس أخرى كان من نتيجة اتصالها بها أن اضطربت هي الأخرى وفسدت وهو في اهلاقه من ذلك المنطلق المسموم ، فقد دعا إلى الإقليمية ، والإباحية ، وما أشد فساداً من عباراته (الاشراكية ثورة دائمة) تلك النّظرة القاصرة التي تعتبر أن مشاكل الإنسان قاصرة على أن يأكل أو يزاول الجنس ، ولقد كانت بطولات قصصه في العقد الأسود من حياة مصر عقد الستينيات ممثلاً في فرفور الذي تقوم بطولته على الترد حتى القوانين الطبيعية حتى وصفه الكثيرون بأن دعوته إلى الحرية المطلقة تدعى إلى الفوضوية والمجلاة ، وتصور الجنس إيماناً بما آمن به الخاسر فرويد من أن الجنس هو المحرك الأعمى الذي يدفع للبحث عن الطعام والشراب فهو في مفاهيمه خليط عجيب بين الاشتراكية والوجودية وهو في مجموعة دليل على صدع واضح في الفهم والعقل .

(٧)

أنيس منصور

كشف أنيس منصور عن حقيقته وعن هويته بعد ذكراته عن العقاد ، فقد كانت تاريخاً لحياته وأفكاره وهي ترسم صورة أنيس منصور الذي دار على جميع جماعات مصر ، التصوف والمسؤولية والشيوخية والبهائية ماذا كان يفعل وهل كان يحمل ثمار هذا كله إلى أحد غير الأستاذ العقاد ، هذه القراءات المهللة ، والكتابات المملوكة ، التي كشف بها عن هويته منذ الأربعينات والتي كانت وراء قناع من الفلسفة والعلم ، والحديث دائماً عن المفاتيح التي قدمتها المسؤولية للناس لاحتواهم : الموسيقى والرقص والغناء ، هذه الجماعات المنطلقة إلى الله في كل مكان ، في الأندية والرحلات والتي يدفعها الشيطان دفعاً بتلك الأيدي المسؤولية القدرة التي تكتب وتترجم عشرات من الكتب الإباحية والمسرحيات والأغاني ، هذا الفن الذي يقدسوه وهذا الحب الذي يجعلونه قاسماً مشتركاً على كل المسرحيات والفنون والاستعراضات .

إن مذكرات أنيس منصور عن العقاد تكشف جانباً جديداً من الأثر العميق الذي أحدثه التغريب في جيل أنيس منصور ، هذه الفترة الحافلة بالفرق الصوفية والبهائية وشهود يهود والفلسفة ، هذا التحرك الذي كان يتحركه أنيس منصور يوحى بأشياء كثيرة ، لماذا هذا الحرص على معرفة كل ما يدور في هذه الأماكن والمجتمعات من أقصى اليمين إلى أقصى اليسار ؟ وقد أوضح أحد الباحثين أن أنيس منصور كان في كلية الآداب قسم الفلسفة تلميذاً لأحد اليهود ، هو بول كراوسن وأن علاقته بالفلك الأعمى والتمهودي بدأت من ذلك الوقت وقد أدى دوره في كتابات استمرت أكثر من خمسة

عشر عاماً في الصفحة الأخيرة من أخبار اليوم ما تركت كتاباً من كتاب الجنس أو الإباحة أو الأخلاق إلا تحصه وترجمه وقدمه.

ولعل قصة ظهور أنيس منصور في الصحافة معروفة ، فهي إدخاله إلى مصر لعبه السلة التي يكتب القلم بها بدون يد تحمله . إن قيمة أنيس منصور الحقيقة هي رحلته إلى بلاد السحر والخرافة وتقديمه خبر ما وجد هناك مما أهله ليفوز بلقب رئيس تحرير مجلة الجيل الجديد ، وتسويده مئات الصفحات بمكابيات الجنس والأزياء وتحضير الأرواح والعلاج بالإبر الصينية ورقصات الشعوب وخلالات الزمار وقصص الغرام والكتائس التي تحولت إلى متحف نجتذب السائحين .

وكان دفاعه عن الحمر التي تحملها الطائرات أبرز أهدافه ، إذ كيف ترك الطائرات الحمر وتعرض للخسارة وتفقد سمعتها بين شركات الطيران العالمية ، يتباكي أنيس منصور بشأن خسارة شركة الطيران العربية بسبب الحموم ، ولقد كان مروجاً للدجل الدجالين من مدعى علم الغيب من الفلكيين الذين زعمون لأنفسهم عبقرية خاصة في معرفة الغيب ، وقد تبين أن كثيراً من هذه التنبؤات كاذبة وأنها قد وضعت للإثارة ولترويج الصحف ، ومن قبل كان أحد التوأمين يكتب (بختك اليوم) ، بل أن إسماعيل التقيب يسجل في جريدة أخبار اليوم (٨ ديسمبر عام ١٩٨٠) أن كتاباً صدر عن هذه التنبؤات بقلم أحد الفلكيين الذين وصفوا بالعبارة (العبارة الفلكي) ، وقد كتبه أنيس منصور بخطه :

قال أنيس منصور : إنني كنت أريد بعد أن أشهده أن أستفيد منه في توزيع آخر ساعة عندما كنت رئيساً لتحريرها وقد اكتشف مدير مطابع أخبار اليوم أن كتاب هذا الفلكي مكتوب بخط أنيس منصور الشهير جداً عند عمال المطابع وقد احتفظ إسماعيل التقيب بهذه التنبؤات ، ثم كشف كيف أنها كانت كاذبة تماماً فلم يمت عام ١٩٨٠ أبو رقية ، أو الحسيني ؟ أو يوسف وهبي ، أو برجيف :

وبعد : فإن الصحافة هي المسئولة عن ترويج هذا النوع من دجل الدجالين ولن يغنى أن يكتب مقال لدحض هذه الشهادات إزاء ذلك القدر الواسع اليومي المستمر في عشرات الصحف :

لقد كان أنيس منصور كما صور نفسه كردة في كل شبكة ، يقول :
اتجهت إلى الفلسفة وبهرتني وأطاحت بي بعيداً جداً عن أي شيء فأخذتني
ولعبت برأسى وقلبي ، فأصبحت ورقة في مهب الريح ، فأنا أجلس في
حالة الفلسفة وأشرب كل ما يقدم لي ، كل شيء جديداً وكلها أسلحة في
يدى أطلقها على المقلسات ، كتاب عبد الرحمن بدوى (من تاريخ الإلحاد
في الإسلام) اعترض طريقي وطمس عيني وتشعبت تحت قدمي السبل ، هذا
هو الضياع ، ومنذ ذلك الوقت وما زال أنيس منصور غارقاً في الوحل !

يقول الأستاذ مصطفى الحولي : أيام حكم الطاغوت في مصر كان يسلّم
الناس بحكايات عن الجدود والعوالقة وسفن الفضاء والصواريخ التي صنعت
قبل العصر الحجرى أو بعده أو صنعتها مخلوقات في عوالم أخرى ، ثم بعد
ذلك أو قبل ذلك كتب مقالات عن العفاريت والأشباح والأشجار التي
تحتتص دماء البشر « ... وأشربوا في قلوبهم العجل بکفرهم ... » .

ما هو عجل أنيس منصور ؟ هل كل الفلسفات الأرضية منهياً بالوجودية
المادية الحديثة ، وينخلط ذلك في مقالاته بالإسرائيليات والأفكار الدينية
الموضوعة ويأخذ من هذا الخليط قصص القرآن ويزجها به دون فواصل
أو حدود ويستشهد بآيات من كتاب الله في ثانياً مزيج فكري موبوء ،
ويتطاول على مقام الأنبياء والمرسلين ، ويتحدث عنهم كما يتحدث أى مفكر
غربي عن أبطال الأساطير الوثنية .

زار الفيلبين في خدمة الصليبية الكاثوليكية وأعطى صورة مشوهة عن
ثورة المسلمين في الفيلبين وتحدث عن الولائم التي كانت تقام له . وقال عن
ثورة المسلمين ما لا يتفق مع الحقيقة التي اؤتمن الصحفى على عرضها بين
الناس ، ولا يتسمج مع الصدق الذى يعرف به الرجال ، وقال : إن المسلمين
قتلوا لأنهم متمردون على السلطة ولأنهم يطالبون بالانفصال لأنهم واقعون
تحت تأثير عناصر غريبة ، وأن أية دولة من حقها ، بل من واجبها أن
تحمى نفسها وتحمى شعبها ، والحقيقة أن المسلمين قتلوا في الفيلبين لأنهم
مسلمون . قد تكالبت عليهم القوات الصليبية الحاقدة وأرسل المبشرون
بالنصرانية إلى مناطقهم وهم لا يتأثرون إلا بالإسلام وجده وعواطفهم مع
الدول الإسلامية . لهذا كانوا مابزاوا يقفون إلى جانب العرب في حربهم

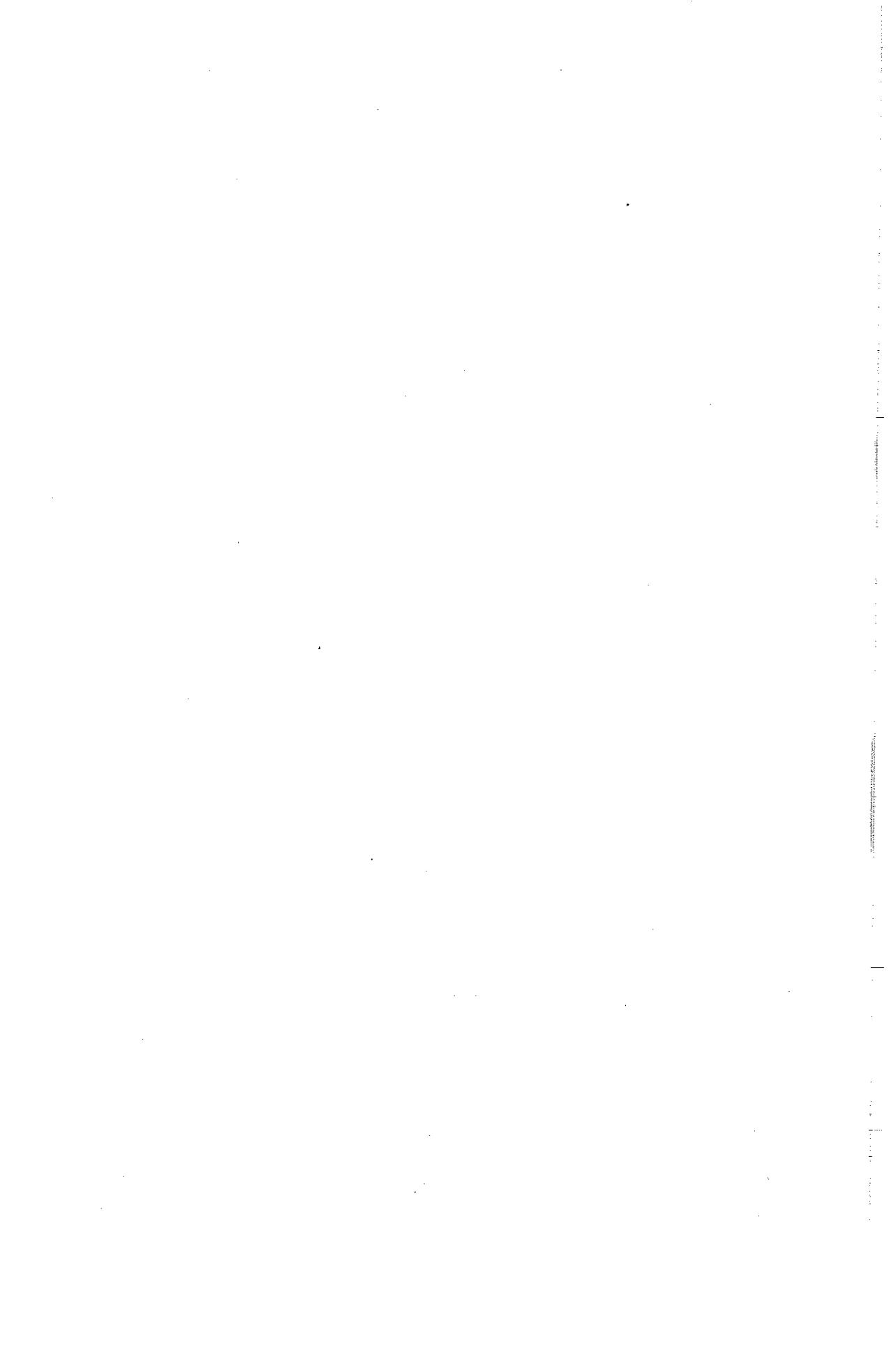
مع إسرائيل ويخاربون ولا ماركوس للصهيونية وفضح أنيس منصور نفسه عندما سجل أسئلة المسلمين وأجوبته ، فقد تبين أنه لم يزد أى مدنهم ولم يقابل أى من رجالهم ، ولم يذهب إلى جزيرة سولو ، وشأن أنيس منصور في ذلك شأن كل الوفود ، رأى كل شيء من خلال ماركوس وأنصاره ، ولم ير المناطق الإسلامية ولا الشوارع المسلمين . إن أنيس منصور قد ذهب للتمتع والزيارة ، للفندق المريح ، والطعام الفاخر ، ومنظار النساء ، وماله وال الحرب ، والمصدر الوحيد الذي يأخذ كلامه منه هو ماركوس ، وحكومنه وأرسلت زوج ماركوس مليون جنيه لأحد المسؤولين في مصر أثناء انعقاد مؤتمر وزراء خارجية الدول الإسلامية وكانت الهدية بعد زيارة نسائية لمصر ، هذه الهدايا الظاهرة والمستترة يراد بها طمس الحقائق وتضليل المسلمين . هـ

* * *

الفصل السادس

دعاة الشعوبية

- ١ - أتباع دبوري : (إسماعيل القباني ، وعبد العزيز القوصي) .
- ٢ - محمدأحمد خلف الله .
- ٣ - عبد الرحمن بدوى .
- ٤ - غالى شكرى .
- ٥ - زكى نجيب حمود .
- ٦ - عبد الرحمن الشرقاوى .
- ٧ - عمر عبد العزيز أمين .
- ٨ - صلاح عبد الصبور .



(١)

مناهج التعليم : (أتباع دبوى) (إسماعيل القباني ، عبد العزيز القوصى)

بعد أن ركز (دنلوب) أسلوب العمل في وزارة (ال المعارف) نشأت مدرسة موالية سرعان ما اتصلت بالفکر التربوي الغربي ، وتركزت حول نظرية (دبوى) تحت ظلال كليات التربية .

وقد اشترك إسماعيل القباني مع عالم النفس السويسري ادوارد كلاياريد الذى جاء مصر لإنشاء معهد التربية عام ١٩٢٩ الذى حل لواء الفكر التربوي الغربى الوافد ، وكان لنجاحه أبعد الأثر فى أن ولى وزارة المعارف فى صيف ١٩٥٢ ، لقد دأب على تكوين بجيل أو مدرسة فكرية واصلت عملها فى المراكز القيادية فى معاهد وكليات التربية والملحقين فى مصر والعالم العربى . وعلى أيدي هذه المدرسة تخرجت أجيال عديدة .

وكان الصراع قوياً بين القباني مثل المدرسة الأمريكية وبين طه حسين مثل المدرسة الفرنسية وكلاهما يطبع في أن ينضر شباب العرب والمسلمين فى دائرته ليكون على ولاء لأى الثقافتين وكانت مفاهيم الثقافتين معاشرة تمام المعاشرة لمفهوم التربية الإسلامية . كانت نظرية طه حسين فتح أبواب التعلم على مصاريعها وكانت نظرية إسماعيل القباني الاقتصار على ذوى الكفاءات والقدرات .

المهم أن كلا الرائدين لم يكن يؤمن أبداً بمفهوم التربية الإسلامية الذى يقوم على بناء المسلم على أساس الإيمان بالله وأن للمسلم رسالة هي الاستخلاف في الأرض وبناء الحياة في إطار العمل لقيام المجتمع الرباني مؤمناً بالمسؤولية الأخلاقية والجزاء الآخروى .

هذا المعنى كان بعيداً جداً عن مفهوم التربية في المدرسة الحديثة .

إن المفهوم الذي تحمله أهداف التربية الحديثة مفهوم إقليدي قاصر على الوطن الضيق ، وقادر على المفاهيم العلمانية المحدودة في إطار العمل والثروة ومشكلات المجتمع المحدودة ، في دائرة ضيقة بينما يتوجه المفهوم الإسلامي للتربية إلى أفق واسع . إن نظرية ديوى في التربية تقوم على أساس من نظرية فرويد من أن الإنسان حيوان ، وأن الجنس مصدر (دوافعه) وأن توجيه الطفل يؤدي إلى العقد . وهكذا وكلها فروض لم تثبت وأثبتت التجربة فسادها بل أن مذهب ديوى نفسه قد تخلى عنه التربويون الغربيون ، ولكنها لا تأس بتصدره إلى بلاد الإسلام لتحطيم مقومات الأمة ، ويسير عبد العزيز القوصى في نفس الاتجاه : وهو صاحب طريقة شرشر التي ترى إلى هدم اللغة العربية الفصحى ، وتعمل على تبسيط اللغة وتطويرها وكلها حاولات لفصلها عن بلاغة القرآن وبيانه :

ومن أجل هذا عين القوصى مستشاراً للتعليم عام ١٩٥٠ - ١٩٦٠ ولما ذهب إلى باريس عين سفيراً في منظمة اليونسكو ، ثم كلفته اليونسكو بإنشاء مركز تخطيط التعليم للدول العربية في بيروت و اختير مديرًا له .

• • •

يقول مؤلف كتاب (الفكر العربي المعاصر في معركة التغريب) : إن أبرز مظاهر مذهب ديوى في التربية هو إبعاد الدين عن مجال التربية ، هدفه هو إبعاد المسيحية عن برامج التعليم الغربي ، وقد قصد الاستعمار إلى فرض هذا المذهب في دراسات مدارس المعلمين العليا التي كانت مجال تخریج رجال التربية في مصر لعزل الإسلام عن مناهج التعليم ورأى في هذا عوضاً عن الإشراف البريطاني على التعليم ، الذي كان يقوم به دنلوب حتى عام ١٩٢٢ وكانت نظرية (ديوى) عماد المنهج التربوي بعد ذلك وكان إسماعيل التباني هو عماد هذه الدعوة وحامل لواءها بإنشاء معهد التربية وليس أدل على اضطراب نظرية ديوى من أنها هوجمت في أمريكا نفسها ورميت بأنها (مجردة من العناصر الصالحة لتنشيط الحياة الفكرية) : وقد ظل لأتيا نظرية ديوى سيطرتهم الكاملة على أنظمة التربية والتعليم في مصر خلال الفترة التي تورّخها وبذلك استطاعت أن تبعد الإسلام عن مجال

التربيـة والـتـعـلـيم مع حـمـلات مـسـتـمـرـة عـلـى أـسـالـيـب التـعـلـيم الأـزـهـرـيـة وإـبـعادـهـرـجـيـهـ عنـ مـجـالـات التـرـبـيـة بـحـجـجـهـ أـطـلـقـ عـلـيـهاـ (ـالـنـفـصـ فـيـ مـسـتـوـيـ الـكـفـاـيـةـ الـفـنـيـةـ لـلـتـعـلـيمـ) وـذـلـكـ جـرـيـاـ مـعـ الـهـدـفـ التـغـرـبـيـ الـواـضـعـ .ـ كـمـ حـرـصـ هـذـهـ الـمـناـهـجـ عـلـىـ حـجـبـ الـدـرـاسـاتـ الـوـطـنـيـةـ وـالـتـارـيـخـيـةـ الـتـيـ نـعـدـ إـلـىـ بـثـ أـمـجـادـ الـأـمـةـ وـعـظـمـةـ الـشـخـصـيـةـ الـعـرـبـيـةـ فـيـ نـفـوـسـ الـطـلـابـ .ـ وـقـدـ خـلـتـ الـبـرـامـجـ فـيـ الـمـدـارـسـ وـالـمـعـاهـدـ الـعـرـبـيـةـ فـيـ عـهـدـ الـاستـعـمـارـ الـبـرـيـطـانـيـ وـالـفـرـنـسـيـ فـيـ مـرـحـلـتـيـهـ :ـ مـرـحـلـةـ الـحـمـاـيـةـ ،ـ وـمـرـحـلـةـ الـاستـقـالـلـ الـذـانـيـ مـنـ :

- ١ـ الـثـقـافـةـ إـلـاسـلـامـيـةـ وـالـتـارـيـخـ إـلـاسـلـامـيـ .ـ
- ٢ـ الـقـرـآنـ وـالـدـينـ إـلـاسـلـامـيـ .ـ
- ٣ـ أـصـوـلـ الـلـغـةـ الـعـرـبـيـةـ وـفـلـسـفـهـاـ .ـ

وـأـشـارـ الـدـكـتـورـ مـحـمـدـ الـبـهـيـ فـيـ كـتـابـهـ (ـالـأـزـهـرـ فـيـ تـكـوـنـ الـكـتـلـةـ الـثـالـثـةـ)ـ إـلـىـ أـتـبـاعـ دـيـوـيـ فـيـ مـصـرـ وـمـنـ قـبـلـهـمـ دـعـاـةـ الـاسـتـعـمـارـ بـاسـمـ الـثـقـافـةـ وـالـتـرـبـيـةـ .ـ مـهـدـفـوـنـ إـلـىـ إـبـعادـ إـلـاسـلـامـ عـنـ مـجـالـ الـحـيـاـةـ وـمـنـ مـنـاهـجـ الـتـرـبـيـةـ ،ـ وـغـضـ مـنـ الـأـزـهـرـ وـالـنـيـلـ مـنـ كـرـامـتـهـ وـالـتـصـدـىـ وـالـتـحـدـىـ لـمـاـ يـعـكـفـ عـلـيـهـ مـنـ تـرـاثـ ،ـ وـمـاـ تـمـيـزـ بـهـ تـارـيـخـ مـصـرـ وـتـارـيـخـ الـعـالـمـ إـلـاسـلـامـ مـنـ تـوـفـرـ عـلـىـ دـرـاسـةـ إـلـاسـلـامـ .ـ وـإـنـ نـدـاءـ اـتـبـاعـ دـيـوـيـ فـيـ مـصـرـ بـالـوـاقـعـيـةـ فـيـ الـمـنـاهـجـ الـأـزـهـرـيـةـ هـوـ اـسـتـرـسـالـ فـيـ حـمـلـةـ الـاسـتـعـمـارـ عـلـىـ الـأـزـهـرـ وـعـلـىـ إـلـاسـلـامـ ،ـ فـالـأـزـهـرـ هـوـ عـقـبـةـ الـاسـتـعـمـارـ وـسـيـقـيـ عـقـبـةـ لـهـوـلـاءـ الـدـينـ يـنـادـونـ بـالـوـاقـعـيـةـ الـدـيـوـيـةـ ،ـ وـنـحـنـ نـرـيدـ مـنـ اـتـبـاعـ دـيـوـيـ فـيـ مـصـرـ أـنـ يـكـوـنـواـ وـاقـعـيـنـ يـعـيـشـونـ فـيـ الـمـجـمـعـ الـمـصـرـيـ وـيـقـطـعـونـ تـبـعـيـهـمـ لـلـمـجـمـعـ الـغـرـبـيـ وـعـنـدـئـذـ سـيـدـرـكـونـ أـنـ الـأـزـهـرـ وـاقـعـ لـأـنـهـ يـعـنـيـ بـالـإـلـاسـلـامـ وـبـرـاثـهـ .ـ لـأـنـمـ سـاعـةـ يـنـادـونـ بـوـاقـعـيـةـ أـوـجـسـتـ كـوـمـتـ فـيـ مـصـرـ اـنـفـصـالـيـوـنـ يـخـاـلـوـنـ فـصـلـ مـصـرـ وـعـزـهـاـ عـنـ مـجـمـوعـةـ الـشـعـوبـ إـلـاسـلـامـيـةـ الـأـخـرـىـ وـيـخـاـلـوـنـ بـالـتـالـىـ عـزـلـ مـصـرـ عـنـ قـيـادـةـ الـعـالـمـ إـلـاسـلـامـيـ قـيـادـةـ ثـقـافـيـةـ وـيـقـولـ :ـ إـنـ ثـلـاثـيـنـ عـامـاـ أـنـفـقـهـاـ أـتـبـاعـ (ـالـمـرـبـيـ التـقـدـيـ)ـ :ـ بـجـونـ دـيـوـيـ فـيـ مـحاـوـلـةـ (ـالـاـنـسـجـامـ مـعـ الـحـيـاـةـ)ـ قـدـ أـبـعـدـتـ التـرـبـيـةـ الـأـمـرـيـكـيـةـ عـنـ مـرـحـلـةـ (ـالـاـنـسـجـامـ)ـ وـرـكـتـهـ مـجـرـدـةـ مـنـ الـعـنـاـصـرـ الـصـالـحـةـ لـتـشـيـطـ الـحـيـاـةـ الـفـكـرـيـةـ .ـ

* * *

(٢)

الدكتور محمد أحمد خلف الله

(الشعرية)

كشف أخيراً الدكتور محمد أحمد خلف الله عن موقفه عندما أعلن انضمامه لحزب التجمع ، وقد كنا في حيرة لمعرفة هوبيته التي كان يصدر عنها في مواقفه منذ كتابة الفن القصصي في القرآن ، ثم توالى كتاباته عن مفهوم الدولة في الإسلام ومحاولته تزييف المفهوم الأصيل للإسلام : دينًا ودولة ودعوته في مجلة آفاق عربية (شباط عام ١٩٧٦) (إلى ترتيب جديد لسور المصحف الشريف . وهي دعوى سبق إليها لستشرق بهل والأستاذ أمين الحولي) الذي وجهه في رسالته عن الفن القصصي للقرآن ، وهكذا ينتظم عقد متصل من محاولات التغريب والشعرية ، وقد رد الأستاذ جلال الحسني على دعوه الخاصة بترتيب القرآن حسب نزوله فقال : من الحقائق التي ثبتت سلفاً أن القرآن الكريم ليس كأى من كتب التاريخ التي تعنى بربط الأحداث بالأعوام والأرقام وتوثيق الواقع بأسماء الأشخاص والأماكن وغير ذلك فإن القرآن جنب نفسه هذا الاختصاص . كان غالباً أسلوب القرآن في عرض الأمور التاريخية منتصراً إلى إهمال القصد التاريخي والجغرافي كل انصراف فهو لم يعن في قصة أهل الكهف موقع الكهف ولا عدة من جاءوا إليه من الصبية الهاربين بعقيدهم ، ولا ذكر أسمائهم ولا زمان وقوع الحادث ولا العهد الذي عادوا فيه إلى المدينة ثانية ولم يكن من دأب القرآن الإشارة من قريب أو بعيد إلى أوصاف الناس وانتماءاتهم القبائلية والجنسية .

لذا لا نرى فيه شيئاً من أسماء الأقوام والأجناس البشرية اللهم إلا ما جاء في الآية القرآنية « غُلْبَتِ الرُّومَ ، في أدنى الأرضِ »

إن القرآن تحاشى هذه الملامح حماية لمبدأ الأئمة المقدسة في مذهبه من أن يمس بضرورب من المييز العنصري وهو دين الإنسانية جمعاء .

ولقد ظهر في الفترة الأخيرة ما يسمى مدرسة أعداء الشريعة الإسلامية وهم تلاميذ الدكتور عبد الحميد متولى الذي أولى اهتماماً كثيراً بآراء الشيخ على عبد الرزاق ، فتابعه في هذا كثيرون منهم خلف الله والنبوى وغيرهم وكذلك ماضى خلف الله إلى مهاجمة كل مقومات المنهج الإسلامي : فهو في مقاله في الطليعة (جريدة الماركسيين في مصر) تتحدث عن ما ادعاه من ترك الإسلام بجماعة المسلمين أن يختاروا الكل عصر من النظم ما يلائم حياتهم في الوقت الذي يعيشون فيه حتى لا تتجدد الأمة الإسلامية على نظام واحد وأن وظيفة الدولة في القرآن هي تحقيق الصالح العام على أساس من الحق والعدل والصالح العام بما يتمحقق بدفع الضرر عن جماعة المسلمين وجلب النفع لهم ثم يقول إن القيم القرآنية هي القسم التي نادت بها الأشرافية فيما بعد .

والحق أن نظرية خلف الله مصلحة ، وزائفة وأن الإسلام مختلف تماماً عن الأيدلوجيات البشرية وأن نظام السياسي والاجتماعي والاقتصادي الجامع ، بإقامة حدود الله تماماً في كل عصر وبيئة ، أما الذي يسمح به المنتج الإسلامي في التطبيق فهي التنظيمات التي لا تخرج عن قواعده الثابتة ، أما الخصوص للمناهج البشرية الموجودة الآن فذلك هو الفضلال المبين وأن شرط تحقيق الصالح العام في الإسلام هو تطبيق شريعة الله التي جاء بها محمد صلى الله عليه وسلم وأقام عليها الدولة الإسلامية والحكومة الإسلامية التي ظلت قائمة حتى حجبها الفوذ الأجنبي عند احتلال بلاد العالم الإسلامي حيث فرض قانونه الوضعي القائم الآن والتي يجب على المسلمين أن ير فهو ويعودوا إلى مرجهم الأصيل .

وأن هذه المحاولات التي تسوقها هذه المدرسة بمبرر القانون الوضعي بأنه قريب من الشريعة أو أنه يمكن تعديله أو إدخال نصوص على عليه ، فهذا كله لا يغنى عن العودة عودة صحيحة جديدة إلى تطبيق الشريعة بإنشاء قوانين جديدة في التجارة والاقتصاد والسياسة والعقوبات والحدود وفق ما جاء به الإسلام :

كذلك يبرر خلف الله فكره القومية العربية التي طرحتها مساطع الحصرى ومبشل غفلق ويدعى أنها حركة إسلامية ، والواقع أن القومية العربية – كما يقول دكتور محمود رشوان هي فكره طرحتها الاستعمار الغربى في أوائل هذا القرن رافعاً شعار العلانية لتغريق الأمة الإسلامية وتمزيقها بعد أن أعيته الحيلة في ذلك وقد تنجح إلى حد ما ، وما زراه الآن من تفرق وانهざام وذل ما هو إلا نتائج لتبني هذه الفكرة الوافلدة (مارس عام ١٩٧٦) الطليعة .

أما قول خلف الله بأن الدولة قد ترك تنظيمها للناس وأن ما يسمى بالتنظيم الأولى لا يجب ربطه بالدين فإن هذا يعني أحد شيئاً ، إما جهل بوجود فكر إسلامي سياسى ومنهج إسلامي جامع يقود الدولة وتنظيم الأمة وأما أنه يمتهن تمويهاً خطيراً ليخدع بعض البسطاء على طريقة الشعوبين والماركسيين والتغريبيين في كل وقت وآن ، والآن قد عرفنا أن الدكتور خلف الله معتقد لذهب الماركسيه والتفسير المادى للتاريخ .

ملحوظة : (نناقش في فصل الشريعة الإسلامية أراء جديدة للدكتور خلف الله).

* * *

(٣)

عبد الرحمن بدوى

(الفلسفة الوجودية)

حرص الدكتور عبد الرحمن بدوى أن يكون بوقاً لكل التيارات والصيغات الفكرية الواقفة فقد حرص على ترجمة الفلسفات اليونانية القديمة والمعاصرة الحديثة ، وعنى بالكشف عن دعامة الحلول والاتحاد والمزيفين لتفاهيم الإسلام تحت اسم التصوف والفلسفة أمثال الحلاج والسهروردي وابن سينا وابن عربي . ولم يتوقف عند هذا الحد فكان متربعاً لفكرة سارتر داعياً إلى وجودية عربية ، بل كانت كتب سارتر تنشر في وقت واحد في باريس وبيروت بفضل ترجمات عبد الرحمن بدوى لها .

وكانت أطروحة الدكتوراه التي تقدم بها عام ١٩٤٥ عن الوجودية (الزمان الوجودي) ، وكان مشرفاً عليها عميد الأدب العربي الدكتور طه حسين الذي أعطاه لقب فيلسوف فهو خليفة هيدجر وباسيرز وسارتر وميرلوبونى ومارسيل وكيركجارد في هذا المجال . قال عنه عبدالفتاح البدوى أنه تعرف إلى المستشرق اليهودي بول كراوس الذي وجهه هذه الوجهة (هو الذي أمد عبد الرحمن بدوى بالزاد الفكري الغربي الكبير وعرفه بمجالات البحث فقام عبد الرحمن بدوى بترجمة أبحاثه إلى العربية وخاصة كتابه الأثر اليوناني في الحضارة الإسلامية) .

لقد كان إنجاه بول كراوس اليهودي وتلميذه عبد الرحمن بدوى إلى التراث المنحرف المضطرب المتصل بالفكرة اليونانية وأثره في كتابات أمثال أبو البركات البغدادي وفخر الدين الرازى وكان اهتمامه بالخوارج والصوفية والباطنية فأصدر ما لا يقل عن ١٥٠ كتاباً في الفكر اليوناني والفلسفة المعاصرة وحقق كثيراً من المخطوطات القديمة في هذا المجال .

وعبد الرحمن بدوى ثمرة ناضجة من ثمار التغريب ، من ذلك الرعيل الذى شكله الاستشراق اليهودى وطه حسين ومدرسة التغريب والتبيير ، وقد صنع هو جيلا من الشباب فى مقدمتهم أنيس منصور .

هؤلاء الذين لم يقبلوا صيحة الشيخ مصطفى عبد الرازق فى فهم للفلسفة الإسلامية على النحو الذى عرفه تلاميذه ، أمثال الخضرى والنشرار وغيرهم الذين كشفوا زيف مدرسة (ابن سينا - الفارابى) ، وكشفوا صلتهم بالدعوة الباطنية واضطراهم مؤلفاتهم فى مراجعتها اليونانية إلى نسبوها إلى غير مصادرها الأصلية والذين تأثروا بالتفسيرات المنحرفة إلى وضعها النساطرة لترويج مفاهيمهم الكنسية . لقد استبان لهم الطريق الصحيح ولكنهم تجاهلوه ورغبوه إلى طريق التغريب .

* * *

(٤)

غالي شكري

(التراث)

يحاول غالى شكري حين يتحدث عن التراث أن يتحدث عن التراث الفرعونى والبابلى والفينيقى وتراث العصور القديمة ويرى أن الفلكلور جزء من التراث . وهو يحاول أن يضع المصرىن والعرب أمام هذا الزكام المختلط المضطرب جمیعه وينسى أن الإسلام قد أحدث انقطاعاً حضارياً بين عصر ما قبل الإسلام وما بعده وأن المسلمين منذ أربعة عشر قرناً قد كونوا تراثاً إسلامياً خالصاً مستمدأً من معطيات الفكر الإسلامي وحله وأئمته قد قالوا الكلمة الفاصلة بالنسبة لل الفكر البشرى والوثنى والمادى والإغريقى القديم الذى كان خليطاً من الخير والشر والحق والباطل الذى جاء القرآن الكريم لتقييمه وتصفية موقف الإنسانية منه نهائياً .

وقد كشفت الدراسات عن أن الحضارات الفرعونية الفينيقية والآشورية والبابلية كلها كانت ثمرة موجات عربية خرجت من الجزيرة العربية وانداحت في هذه المنطقة وأنها كانت استمداداً من دعوة الحنفية الإبراهيمية وما يزال كل إيجابى فيها مستمد من هذه الدعوة التي امتدت حتى تكاملت بالرسالة التي حملها محمد صلى الله عليه وسلم والتي صحمت أخطاء ومخالفات وتحريفات اليهودية وال المسيحية .

أما إحياء التراث على النحو الذى قلمه التغريبون الذين يعزز بهم غالى شكري فهو عمل باطل ومضلل فقد فتح الطريق إليه الدكتور طه حسين بكتاباته المسمومة في هامشى السيرة والفتنة الكبرى وسار على هوجه عبد الرحمن الشرقاوى في كتابه محمد رسول الحرية و محمد عمارة في (مسلمون ثوار) وأحمد رشدى صالح في كتابه الدين واليسار والإسلام ، وهذه كلها صفحات

مظلمة استعمل فيها التفسير المادى للتاريخ ولم يستوعب مفهوم الإسلام الحقيقى وكان كتابها على عداء وكراهية من مفهوم الإسلام الصحيح وقد قصدوا إلى تزيفه ولم يكن التقديميون في استلهام التراث على هذا النحو إلا خصوصاً للإسلام كذلك فإن توفيق الحكيم في استلهام المراث في الملك سليمان وأهل الكهف كان معارضاً لمفهوم الإسلام والقرآن ، وكاتب كتابات مأساة الحاج لصلاح عبد الصبور مستمدة من مفاهيم الاستشراق وكذلك الحسين ثائراً وشهيداً لعبد الرحمن الشرقاوى . وقد ووجهت هذه الكتابات بالرد المفعم على انحرافاتها وأخطائها وأهمها أن أصحابها لم يستوعبوا مفهوم الإسلام الجامع بين الوحي والعقيدة والشريعة وإنما صدروا عن مفهوم الإسلام على أنه حركة إصلاحية بشرية وليس ديناً منزلة وهذا هو خطأهم الأكبر ، وهو الذي يرضي غالى شكري حين يرى الأقلام العربية هي التي تهدم الإسلام .

وإذا كانت قصة التراث قد طرحت بعد هزيمة عام ٦٨ فإن المفهوم الحقيقى لها أن المسلمين خرجنوا عن مفهوم الإسلام الأصيل حين التمسوا أسلوب العيش الفردى وخدعهم الاستشراق والتغريب بأن أسلوب الغرب هو الوسيلة الصحيحة للوصول إلى الحرية والتحضر ، ونسوا أن المصدر الأصيل للنصر والتمكن في الأرض هو التماس مفهوم الإسلام الجامع الصحيح الذى تجاوزه المسلمون حين قبلوا الأسلوب الغربى في السياسة والاقتصاد والاجتماع والتربيـة ، ولم تكن مفهوم المسلمين للتراث يعني الأنفلاق على النفس أو الاكتفاء بالذات ولكنـه يعني أساساً الحفاظ على الذاتية الإسلامية من أن تتصهر في بوتقة الحضارة العالمية التي ترمى إلى إزالة هذا التميـز الخاـص الذى يحدـ فيه المسلمين قوتـهم وقدرتـهم وفي مقدمة ذلك التوحيد والعدل والأخـاء الإنسـانـى ومفهومـ الجـهـادـ الذى هو فـريـضـةـ ماضـيةـ إـلـىـ يـومـ الـقـامـةـ .

ولقد فرق المسلمين دائـماً تـفـرـيقـاً واصـحـاـجاً عنـ المرـاثـ الذى هو دـينـ اللهـ الحقـ المـنـزـلـ (الـقـرـآنـ وـالـسـنـةـ) وـبـيـنـ التـرـاثـ بـمـفـهـومـ التـكـرـ الإـسـلـامـىـ الـذـىـ صـانـعـ هذهـ المـفـاهـيمـ وـقاـومـ عـلـيـاتـ الغـزوـ وـالتـغـرـيبـ عـلـىـ مـلـىـ العـصـورـ وـهـمـ لـمـ يـحـطـواـ تـرـاـئـهـمـ وـلـاـ تـارـيـخـهـمـ قـدـاسـةـ مـعـيـنـةـ ، وـلـكـنـهـمـ جـعـلـوـهـ ضـوءـاـ كـاـشـفـاـ أـمـاـمـ الـأـحـدـاثـ وـإـنـماـ اـسـتـمـسـكـوـاـ حـقـيـقـةـ بـمـيـرـأـهـمـ الـذـىـ يـقـومـ عـلـىـ مـفـهـومـ جـامـعـ لـلـرـوـحـ وـالـمـادـةـ

والعقل والقلب والدنيا والآخرة ، والذى صيغ فى أطر واسعة مرنة قادرة على تقبل تغيرات الأزمان واختلاف البيئات ، ولقد كان منهج المعرفة الإسلامية جامعاً بين الثوابت والمتغيرات ، بين الإلهي والبشري ، وقدر على العطاء وتقبل التطور والتغير في الجزيئات ، أما بالنسبة للأصول الثابتة وحدود الله فقد ظل قائماً ثابتاً راسحاً لم يتغير . وأن المسلمين يفهمون التقدم على أنه تقدم جامع بين الروح والمادة ، وهم لا يضخون بقيمهم ولا بذاتيهم في سبيل الحصول على تقدم مادي ، ولا يخضعون الأصل الإسلامي ليكون مبرراً للحضارة في انحرافاتها ، أو موئلاً للواقع الاجتماعي الفاسد ، ولكنهم يطربون إلى المجتمعات أن تصلح نفسها وتغير مسلكها لتوائم نفسها مع مفهوم الإسلام الثابت الأصيل .

حول قضية .. التراث

من أخطر محاولات التغريب الفصل بين التراث المتقدم للأمم والثقافة المعاصرة بحيل وأساليب خادعة وكلمات براقة كالتطور وروح العصر والتجديد وكلها ترمي إلى إخضاع التراث وإعطاء العصر حق القبول من الرفض بحيث يسقط دوره الحقيقى الذى يجعله مناراً هادياً وضوءاً كاشفاً للأجيال حتى لا تنحرف عن طريقها الأصيل وذاتيتها الحقيقية التى شكلتها منذ قرون طويلة ، وخاصة إذا كان هذا التراث كالتراث الإسلامى الذى يصدر عن عقيدة ربانية ومنهج أصيل .

ومن هنا تصطعن تلك المحاولات لانتهاص التراث ووصفه بأنه قديم وبأنه مضطرب وذلك في محاولة لقول : بأن المجتمعات تستطيع أن تزيع هذا التراث وتبتكر من الحلول والأوضاع الجديدة المتفقة مع روح العصر وطبيعة التطور ما تشاء دون الخضوع للتراث أو استسلامه روحه ، والواقع أن الذين يرون في التراث ضوءاً هادياً ومناراً كاشفاً للأمم حتى لا تضل طرقها ولا تنفصل عن ذاتيتها وقيمها لا يطلبون الخضوع للصور أو الأوضاع أو الحلول التي عاشها أصحاب التراث من قبل ، فذلك ما لا يطالب به إلا جاهل للتطور الأزمان والبيئات ، ولكن القصد هو أن لا يختلف عن الطريق ، أو ينحرف عن الجادة الحقيقة ، ولا ريب أن خصوم التراث لا يستطيعون أن يعلنو معارضتهم له في صراحة (لأنهم يعلمون أن كلمة التراث أو القديم تحمل في أطواها ذلك المنهج الأصيل الذى هو من صميم العقيدة) والذى يرسم الطريق أمام الأمة في حركتها إلى الأمام وفي تطورها وفي تقدمها فهو لا يحول بينها وبين التطور والتقدم ولكنه يحكم هذا في

توازن ومواعده واعتدال ووسطية عرفت منهج الإسلام وعرفها وإذا كان هؤلاء الذين يحاربون التراث يهتدون في دعواهم الباطلة بما فعلت أوروبا فإنهم يقارنون مع قصة مختلفة ، فليس التراث الغربي الذي وجدته أوروبا في عصر النهضة إلا جموع أشتات من تفسيرات رجال الدين ومن وثنية اليونان ومظالم القانون الروماني فإذا جاء عصر النهضة ليدعوا إلى الخروج عن هذا الركام لإقامة دين الإنسانية الإلحادي أو فلسفة التنوير اليهودية ، فإن الأمر بالنسبة لل المسلمين والإسلام جد مختلف فالمسلمون قد عرفوا منهاجاً ربانياً أصيلاً ، لم يعتوره الاضطراب أو الانحراف أو الفساد لحظة واحدة وظل نصبه القرآني موئلاً لم يتأثر بتعليمات التاريخ ، ومن ثم فإن التراث الإسلامي هو تفسير لهذا المنهج الرباني لإثبات الجدor ، الواسع الأطر ، القابل لمتغيرات الزمان والبيئة .

أما أن يدعو البعض إلى أن يسير التطور إلى غايته دون النظر إلى الأصول والثوابت فذلك ما يرفضه المنهج الإسلامي ، الذي يجعل من التطور حركة داخل إطار المحدود والضوابط وخاصية الأخلاقية التي لا سبيل إلى تجاوزها ، وإلا كانت حركة التطور عشوائية مندفعa إلى كل فساد واضطراب وخطر .

يقول الأستاذ عبد الله سلام الجهنـى : إن هذه المحاولة تهدف إلى أن يجعل الثقافة المعاصرة وحدة متكاملة للإنسان المعاصر – كما تدعى ذلك هيئة اليونسكو – ولذلك فهي ترى أن تراثنا الثقافي الأصيل لا قيمة له بالنسبة للثقافة المعاصرة التي تختلط لهاو ترسمها وجل هذه الثقافة المرسومة تصرف إلى تمهيد المادـة لـ الإنسان وهذا نلمس الفرق بين حـقائق تراثنا الثقافـي الأصـيل والثقافـي المرسـوم المعاصر وفرقـ أن تراثـا يـمـجدـ الإـنسـانـ بيـنـاـ الثـقـافـةـ المـعاـصرـةـ تـمـجدـ المـادـةـ .

ومن أجل ذلك لا بد من التعرف على المصادر الصحيحة لتراثنا ، هذه المصادر ليست بالقطع ألف ليلة وليلة أو كتابات الحلاج وابن عربـ وابن سبعـنـ أو رسائلـ اخـوانـ الصـفـاـ أوـ أـشـعـارـ أـبـيـ نـوـاـسـ وـبـشـارـ الضـحـاكـ وـجـمـاعـةـ الحـاجـانـ ، فـهـذـاـ هوـ التـرـاثـ الـذـيـ تـبـغـيـهـ الـيـوـمـ قـوـيـ التـغـرـيبـ وـالـغـزـوـ الـثـقـافـ لـتـفـسـدـ بـهـ عـقـلـيـاتـ وـمـفـاهـيمـ الـأـجـيـالـ الـجـدـيـدـةـ ، وـمـنـ الـجـانـبـ الـآـخـرـ تـلـكـ الـكـتـبـ الـتـيـ تـبـرـزـ عـظـمـةـ الـغـرـبـ سـوـاءـ فـمـفـاهـيمـ الـمـادـيـةـ الـوـثـنـيـةـ أـوـ فـلـاسـفـةـ

وأبطاله ، حتى أن الدكتور طه حسين عندما كتب قادة الفكر لم يذكر مفكراً واحداً من علم الإسلام بل أن المفكرين الالامين الذين نذكرهم اليوم في مجال الأدب والثقافة لم يكونوا إلا قنطرة للفكر الغربي وتابعين له و دعاة لمناهجه ومفاهيمه سواء في الأدب أو الشعر أو الاجتماع .

بل أن هؤلاء الالامين من كتاب العصر الذين اندفعوا في جرأة لإعادة كتابة هذا التراث على نحو مختلف عن طابعه ووجهه وأخضوعه للمذاهب الأدبية الغربية وكانت كتابات طه حسين لامعاً السيرة والفتنة الكبرى زانقة ومنحرفة ، وكانت تفسيرات عبد الرحمن الشرقاوى وأحمد رشدى صالح للتاريخ الإسلامي خاضعة لمهر التفسير المادى للتاريخ الذى لا يعرف بالوحى ولا بالنبوة .

لقد اعترف كثيرون بعظامه مدحورات التراث الإسلامي : اعترف به رجال القانون في الغرب فيما يتعلق بالشريعة والفقه ، واعترف به رجال التربية فيما يتعلق بمناهج التربية والتعليم ، واعترف به رجال الاجتماع فيما قدم من مفاهيم ونظريات في بناء المجتمع ، واعترف به رجال الحضارة فيما رسم من مهجر لقيام الحضارات وسقوطها ، واعترف به رجال السياسة فيما قدم من مفاهيم لإقامة نظام الحكم ، واعترف به رجال الاقتصاد فيما ذخر به من نظريات في عالم الاقتصاد والمال . كما اعترف رجال العلم التسجيري بما حوى تراث الإسلام من معطيات في مجال الكيمياء والعلوم والطبيعة والبحر والجو والجغرافيا . ولقد أفاد الغربيون كثيراً من هذا التراث الضخم ، وضموا ثمرات ذلك التراث إلى أعمالهم ، ومحبوا هذه النصوص عن المسلمين ، وما سمحوا بنشر شيء إلا تلك الكتب المضطربة التي كتبها الشعوبيون والتابعون للفلسفات اليونانية والفكر الباطنى والحلول والاتحاد ووحدة الوجود وشعر العشاق والمحان وكتب أمثال الأغاني وألف ليلة وغيرها .

وهدفهم من طرح هذه السموم هي أبعاد الفكر الإسلامي عن أن يصل جوهر هذا الفكر الأصيل القائم أساساً على التوحيد والعدل والرحمة والإخاء

البشرى . إن علينا أن نتعامل مع التراث الإسلامي على الأقل كما نتعامل معه الغرب في استخلاص تلك المعطيات للانتفاع بها في بناء مجتمعنا الإسلامي الجديد :

أو على حد قول أحد القائلين : (الحوار مع التراث من أجل إرساء قواعد تربوية سلسلة) .

(٥)

ذكر نجيب محمود

(التغريب)

يدعى الدكتور نجيب محمود أنه لم يتعود على التراث الإسلامي – ويقول :
(التراث العربي) – إلا في آخر العمر ويحاول أن يناقش هذا التراث فيما نأخذ منه وما ندع .

يقول : (ما الذي نأخذ ، وما الذي نتركه من التراث ، وما الذي نأخذ من الثقافة الجديدة التي تهب علينا ريحها من أوروبا وأمريكا ؟ وهل في مستطاعنا أن نقف منها هذه الوقفة التي نتفى ونختار ، وبعد ذلك كيف ننسج الخيوط التي استلناها من قماشة التراث مع الخيوط التي انتقيناها من قماشة الثقافة الأوروبية والأمريكية ، وكيف ننسج هذه الخيوط مع تلك في رقعة واحدة لحمتها من هنا وسداها من هناك فإذا هو نسيج عربي ومعاصر)
هذا القول يؤدي في الحقيقة إلى تقدير واحد ، هو إما أن الكاتب خادع كل الخداع أم أنه يفترض فيما السذاجة كل السذاجة ، وكأنها أول مرة يلتقي فيها الفكر الإسلامي مع الفكر الوافد . وكيف يمكن القول أن نأخذ من التراث قطعة ومن الوافد قطعة ونضئها إلى بعضها فيكون ذلك فكراً عربياً حديثاً .

ما هكذا يقوم الاقتباس من الفكر الوافد . إن لكل فكر أساساً وقيمةً ومقدرات وما يمكن أن يقبل فكر له جذور وعراقة كال الفكر الإسلامي أن يقتبس على هذا الأساس الضعيف . إنه لابد من استحضار « قاعدة الأساس » في الفكر الإسلامي وإقرارها أولاً وهي ليست تراثاً في الحقيقة ولكنها من نسج الإسلام الصحيح المزول التي لا يمكن الجديدة عنها أو التحرر منها ، فهي الأصول العامة وعلى هذه الأصول يعرض الفكر الوافد ، فإذا جاء ذلك

المقتبس صالحاً وملقيناً وغير معارض للأصول الإسلامية فإنه يقبل ، أما إذا لم يكن كذلك فهو مرفوض ، وال المسلمين يفرقون تفريقاً عيناً بين الميراث الإسلامي الذي جاء من عند الله وبين التراث الذي صنعه المفكرون المسلمين فإذا كان ذلك الأمر غريباً عن الدكتور زكي نجيب محمود فهو لم يستوعب أمراً دخل فيه ، أما إذا كان يعلم - ويعتقد أنه يعلم - فإنه إنما يموه ويخدع المزاج الأغرار بهذا القول ، وهي قوله قاتلها من قبل بعض التغريبيين وردها رجال البقطة الإسلامية ، عملية الخلط هذه بين الشرق والغرب ، والقديم والجديد ، هذه عملية مضللة ، هنا الداعي إلى إعادتها مرة أخرى وهي مرفوضة من أهل الفكر الإسلامي الداعين إلى مداخل التغريب وخلفيات الغزو والفكري التي يحاول اليوم أن يدخل في أسلوب جديد يصفق له بعض البسطاء بأن رجلاً كتب عن خرافات الميا فيزيقاً ، يعود اليوم ، فيتحدث عن التراث وعن الغزو .

يقول الدكتور عبد الحميد الحسوب : إن قاشه التراث (أى الإسلامي) مختلف كل الاختلاف عن قاشه الثقافة الأوروبية فلا يمكن الجمع بينهما في رقعة واحدة ، الحضارة والأفكار والثقافة خاصة والعلم عام : تراث المسلمين يقوم على الإسلام والثقافة الأوروبية مبنية على الفكر الرأسمالي الذي يقوم على فصل الدين عن الحياة ومنه الإيمان بالأفكار الديمقراطيَة التي أنتجهت الحربات الأربع ، وشنان بين الإسلام وبين الفكر الرأسمالي الأفكار الديمقراطيَة التي يؤمن بها الأوربيون ويطبقونها على أنفسهم هي أفكار قديمة وجدت عند الإغريق وطبقت في المدن اليونانية ، فبأى مسوغ عقلٍ يدعونا زكي نجيب محمود إلى الأخذ بهذه الأفكار لأنها معاصرة وحسب مع أنها أفكار قديمة وهل غلبتها وهزمتها وسيطرتها على العالم اليوم تعني أنها أفكار صحيحة وراقية .

إن الدكتور زكي نجيب محمود في معالجاته لقضية الثقافة العربية المعاصرة لا يحسن بكرامة النزات ولا بكرامة الأمة التي ينتمي إليها وتفكيره غير جاد وغير منتج وإن شئت فقل : إنه العقم في التفكير بل أسوأ من العقم . وهو مصبوغ بفكرة التفوق العلمي في الغرب ، وحسب أن التفوق العلمي ينبع

عنه تفوق فكري وثقافي ونسى أن التفوق العلمي شيء . والتفوق الفكري والثقافي شيء آخر . إن قهاشتك الفكرية تدل على الانهزام الفكري والانصياع بحضارة الغرب وأفكاره وثقافاته وهي قهاشة لن ترضي المخلصين الوعيين من العرب ولن ترضي المفكريين الأوربيين .

ولم يتوقف الدكتور زكي نجيب محمود عن معارضته للنقد الإسلامي وانتقاده والسخرية من شريعة الإسلام والتشكيل في وجود منهج متكامل لللاقتصاد الإسلامي فهو يصف المحدود الإسلامية علينا بأنها دعوة غربية معادية لتطور العصر ، ويتساءل في سخرية من الذى سيقطع يد السارق : هل الطيب أم الجزار ، ويقول الأستاذ عبد القادر عطا :

(إذا كان الدكتور يقول : إن منهج الاقتصاد شديد الغموض فإن هذا الغموض قائم في فكره هو ومن على شاكلته من لا علم لهم من قريب أو بعيد بشرعية الإسلام) .

ونخليء الدكتور زكي نجيب محمود حينما يظن أن العالم منذ ظهور اليهودية حتى الإسلام لم تشغله غير مشكلة تحديد العلاقة بين الخالق والخلوق : ذلك أن الإسلام قدم للبشرية المفهوم الأكمل للمجتمع الرباني الذي حقق النبي صلى الله عليه وسلم به نموذجاً عملياً لم يستطع الخلل أن يتطرق إليه إلا حينما احتلت قاعدة البناء في القلوب : ولقد بدأ الإسلام عصراً جديداً من التحدى لتيارات الهمد والدفاع عن مبادئه ، أى أنه تحول من زحف متصر إلى دفاع خلف الخطوط حينما خالف أهله تعاليمه في بناء القاعدة الصلبة واعتبارها منطلقاً نحو نشر الحضارة الإسلامية بلغتها العربية وقرأتها العربي على أم العالم .

أما دعوه العريضة الباطلة فهي قوله : (إن من يستعمل منتجات حضارة أخرى يجب عليه أن يترك كل وسائل العصر ليكون سلفياً ، ومعنى هذا أن كل من انتفع بوسائل من ابتكار بلد آخر فعله أن يعتنق مذهب ذلك البلد وهذا خطأ كبير ، وهل اشترط المسلمين على أهل أوروبا يوم كانت حضارة الإسلام وراثة هو الذي ينبر ظلامها أن يخلوا عن شخصياتهم ويندموجوا)

في البوقة العربية ، وهل أشرط المسلمين في عصور الضعف على مستعمرتهم أن يعلوّ عروتهم لأنهم يقيّمون حضارتهم بغيرات بلاد الإسلام وإذا كان الطبيب هو الذي سيقطع يد السارق فإن الجزار هو الذي سيقطع ألسنة المارقين التمردين من الفلسفه والأدباء والفنانين » .

• ويقول الدكتور عبد الله بن الحسن التركى :

(إن الفلسفه التي تشكل منها عقل الدكتور تزعزع به إلى التحرر من كل الزمام عقل أو قيد غائى شأنه في ذلك شأن الفلسفه الذين لا يدينون إلا لسلطان عقوهم وما تصل إليه تلك العقول من حقائق دون نظر إلى ما وراء ذلك مما جادت به القرائح أو نزلت به كتب السماء) .

يقول : (إن عقوبة قطع الأيدي وحرق شرب الخمر أو صنعها أو بيعها وتطبيق حد الإسلام يرى أن ذلك أمراً وحشياً يهدى كرامة الآدميين ، ولا نقول له أكثر من : إن هذا هو حكم الله في السارق فهل يرجى للمؤمنين فلاح إذا هم حكموا بغير هذا الحكم الإلهي) .

إن الداعوى التي بردها الدكتور زكي نجيب لم تعد تقنع أحداً ، وكيف يتصور عاقل أن الفكر عندنا إما مستعار من الغرب أو من التراث القديم وأن الحاضر أرقى من الماضي وأنه لا معنى لارتداد الحاضر إلى الماضي يأخذ منه مقاييسه ، والحقيقة أن هذه المصطلحات غير دقيقة عند الدكتور زكي نجيب وهي منقوله مما وجد في الغرب إلى الفكر المسيحي ولو أمعن النظر قليلاً لوجد أن التراث القديم في الإسلام هو الميراث الذي قدمه الوحي والتبور وهو من الثوابت ومن العطاء الوافر الكريم ، وأماماً من التراث الذي قدمه الفقهاء والعلماء المسلمين وهو ليس في نظر المعاصرين إلا ضوءاً كاشفاً على الميراث الأصيل للانتفاع به في استمرار الرابطة بين المسلمين وبين عقيدتهم ، وليس في التباس المسلمين لمفهوم الإسلام ما يسمى ارتداداً إلى الماضي لأنحد منه ذلك أن الإسلام نفسه هو مهيج حياة رباني المصدر له أطراه الواسعة القادرة على مختلف البيئات والعصور ، وتلك كلمات

محاول الدكتور زكي أن يخدع بها الذين لم يعرفوا حقيقة التراث الإسلامي : الذي لا يمكن أن يوصف بأنه قديم ، والذى لا يمكن أن يكون الحاضر أرق منه :

ولقد عرف الدكتور زكي نجيب محمود بأنه يدبر لحناً قدماً مسماً قد ظل برده حتى قال الناس : يا ليته يكف عنه ، فقد أصبح ثريها إلى التفوس من كثرة ترديده :

ولم يستطع الدكتور زكي نجيب محمود أن يقنع أحداً بأنه يقدم منهجاً جديداً أو منهجاً صالحاً لأنه تاريخه القديم وكتاباته السابقة ما زالت تطغى على مفاهيم الناس فتحول دون الثقة به وما زال كتاباته عن القول : بأن الغيب خرافة في كتابه (خرافة الميتافيزيقاً) أو أنه تابع للذهب العربي مادى قد أشبعه الغربيون نقداً وتمزيقاً ، وقد داسته خيول الفلسفات المتأولية وهو مذهب الوضعيه المنطقية وشيخه (او جست كت) التي يدور في فلكها ، والموصدة عليه حلقة حياته كلها بعد أن تجاوزتها الفلسفات والأحداث .

إن علماء الغرب التجربيون اليوم يتحدثون عن آفاق جديدة في العلم تصل بالإيمان بخالق الكون بينما لا يزال الدكتور زكي غارقاً في الواقع التجربى المحسوس وإنكار الميتافيزيقاً والغيب والإيمان بالجبر الذاتى ، والاحتكام إلى العقل الذى لا يستطيع أن يكون مقياساً منفرداً للنفس الإنسانية الجامعية بين المادة والروح ، كذلك فإن نظريته فى التوفيق بين الأصلية والمعاصرة ساذجة . بل وزانفة . وقد خططها المفكرون المسلمين ، ومن الأسف أن الدكتور زكي نجيب محمود يعالج الفكر الإسلامي بمفهوم الفكر الغربى ويتجاهل أن الفكر الإسلامي يختلف من ناحية تكامله ونظرته الجامعية ، وأن له مقاييس الخاصة فى دراسته ومعالجته بينما يقف الفكر الغربى عند الانشطارية والمادية . إن المنهاج الغربى الذى تناول أن تستخدم العقل وحده وتحىى الجوانب الروحية والذاتية ، فى تفسير الكون أو تفسير الإنسان تغير ولا تستطيع أن تصل إلى شيء . إن فكرة أرتداد الحاضر إلى الماضي هي فكرة رجل لا يؤمن بأن رسالات السماء قدمت للإنسان جوهر المفهوم الإنساني والعالمي وإذا كان هذا القول قد ردده أساتذته فى الغرب فإنما قصدوا شيئاً معروفاً فى الفكر الغربى الوثنى اليونانى الرومانى وعلاقته بال المسيحية ، أما بالنسبة للإسلام فإن الأمر مختلف ومسألة كتب الأقليمنت هنا تصبح عبارة خاطئة :

(٦)

عبد الرحمن الشرقاوى

(التفسير المادى للتاريخ)

في قصة الحسين شهيداً : شهد الباحثون الذين راجعوا القصة (الأساتذة زكي البهاؤى - الدكتور الطيب النجار - الدكتور أحمد الشريachi) أن الأصابع الحمراء تشير حفائق التاريخ الإسلامى وتشير بالصحابة الأجلاء والبلاك مجموعة الحفائق :

أولاً : تردد في المسرحية تشير بجاءة من أصحاب الرسول عليه الصلاة والسلام ، وهم قدوة لنا وقد نوه الرسول صلى الله عليه وسلم بعكاظة أصحابه في أكثر من حديث شريف ومن واجبنا أن نبرز مفاسيرهم ونذكر عليها وننوه بها وألا نطيل الوقوف أمام ما نسب إليهم من خلاف أو أنخطاء .

ثانياً : ترددت في المسرحية عبارات الاتهام بالكفر والخروج عن الإسلام وعبارات اللعن والتعریض الشنيع بالحرمان وهذا كله بين مجموعة تنتسب إلى الإسلام و جاءت فيها ألفاظ جارحة مثل : يا أبناء الأمهات الزانيات . . . إلخ .

ثالثاً : صورت المسرحية العصر الأموي تصويراً يجافي الحقيقة في بعض التوأحي فوصفة بأنه عهد الإقطاع والأطاع ، وجردت الأمويين من كل خير ونحو لا ننكر أن هذا العصر فيه عيوب ومخاطر ولكن هذا العصر شهد أيضاً فتوحات إسلامية كبيرة وكان فيه جهاد ونضال فكيف نجرده من كل حسنة ونبالغ في تصوير فساده كل هذه المبالغة .

رابعاً : المسرحية تعرض شخصية الصحابي (وحشى بن حرب) عرضاً مخالفًا للسيرة والتاريخ تعرضه في صورة سكرر مخمور مع أنه من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى عنه الحديث . وتصور المسرحية

مقابلته للرسول صلى الله عليه وسلم عند إسلامه تصویراً غير كريم وغير سليم ولا يتفق مع التاريخ ، ولا يناسب المعروف عن مكارم الأخلاق التي تحلى بها سيد الإنسانية ورحمة الله للعالمين . فالرسول صلى الله عليه وسلم قد قبل إسلام وحشى وقال له : يا وحشى اخرج فجاهد في سبيل الله كما كنت تقاتل لتصد عن سبيل الله .

ومن العجب أن توجد شخصية وحشى بن حرب من شخصيات هذه المسرحية ووحشى قد مات سنة خمس وعشرين للهجرة في خلافة عثمان بن عفان ولم يدرك شيئاً من أحداث هذا العصر .

خامساً : هناك نوع من القسوة في الحكم على معاوية مع أنه صحابي ومن كتاب الرسول صلى الله عليه وسلم ، فقد ذكرت المسرحية أنه عطل أصلاً من القرآن وزيف قاعدة الشورى وأهدر أحكام السنة إلى غير ذلك من التهم الشديدة التي يختلف في تحديدها المؤرخون والباحثون .

سادساً : جاء على لسان الحسين - رضي الله عنه وأرضاه - أنه ذهب حينما اشتدت الحنة إلى قبر الرسول عليه الصلاة والسلام وقال يخاطب النبي : (جل) : أنا لا أعرف ما أصنع فأغنى) فالحسين خير من يعرف أن العون إنما يلتمس من الله سبحانه وتعالى :

سابعاً : ذكرت المسرحية أن (زيد) قد فرح بمقتل الحسين رضوان الله عليه وهذا يخالف الواقع لأن التاريخ يذكر أن زيد قد توجس شرًّا من قتل الحسين وأنه بكى حين رأى رأسه ، والمسرحية تصوّر زيد في صورة مهينه وقد انصرف عما عرف عنه من احتراف بعد تولى الخلافة .

ثامناً : أن المسرحية مع الأسف كأنها تحرض على تصوير المجتمع الإسلامي بعد وفاة الرسول عليه الصلاة والسلام بنصف قرن فقط في صورة بشعة وكأن هذا المجتمع قد تداعى وتهاوى ، وصار مجتمع عريدة وفجور ، ومجتمع شفاق ونفاق مع أن المجتمع كان لا يزال فيه عدد كبير من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيه عدد ضخم من التابعين لهم بإحسان .

ناسعاً : جاء على لسان أحد الأشخاص من أتباع الحسين رضي الله عنه ما يفيد أن قتال المعارضين للحسين خير من قتال المشركين ، فهيل حكم على عقائد الناس بمثل هذه السهولة :

هذا أما فيلم (محمد رسول الله) صلى الله عليه وسلم ، الذى سمى من بعد (الرساله) فقد انطوت قصته الى كتبها عبد الرحمن الشرقاوى على أخطاء علمية وتاريخية بالغة التحريف ، وانطوت على تفسير مادى للسيرة وإيقاظ النزعات الطائفية ومداهنة اليهود. ومن ذلك أن فيلم (محمد رسول الله) صلى الله عليه وسلم على لسان كاتبه أن الوحي نزل على الرسول صلى الله عليه وسلم في غار حراء وهو نائم : وهذا تحريف وافتراء : والرسالة كلها انعكاس لظروف اجتماعية عند المؤلف والفيلم يموج موجاً بالأفكار التي تفسر الأحداث ومواقف الناس تفسيراً مادياً كما فسر الجihad تفسيراً مادياً من أجل التجارة والمال مما يتناقض مع مفهومه الصحيح وهو في سبيل الله وابتغاء رضوانه وإعلاء كلمته . ومضيا مع التفسير المادى صورت القصة على أنها صراع بين الأغنياء والفقراء ، وإلى جانب التفسير المادى للسيرة هناك نزعة طائفية تحرف الواقع وتصورها في إطار طائفى .

* * *

والمصدر الأساسي للفيلم هو كتاب عبد الرحمن الشرقاوى (محمد رسول الحرية) صلى الله عليه وسلم وهو كتاب مليء بالأخطاء والغالطات ، يقول الدكتور على العمارى : إن عنوان الكتاب يوحى بادئ ذى بدء أن المؤلف سيعمد إلى موافق خاصة من موافق الرسول صلى الله عليه وسلم يتجلى فيها إقراره لمبدأ الحرية ودفاعه عنها والميادى التي جاء بها ، وأكدها حق الإنسان في أن يكون حرآ في عقيدته ونفسه وماله : ولكن المؤلف لم يبرز هذا الجانب بل لم يبين أنه يعني به عناية خاصة وإنما عرض لطرق من حياة الرسول صلى الله عليه وسلم وأرخ لأكثر غزواته – في أسلوب قصصي طبعاً – دون أن يقف منها مشرراً إلى ما في هذه الغزوات من عناية الإسلام بالحرية في شتى مظاهرها . ولما كانت دعوة الإسلام لم تكن في جانب من جوانب الإنسانية أظهر منها في بقية الجوانب ، فقد عالج الإسلام كل القضايا التي تشغل الناس في حياتهم من اجتماعية وسياسية ودينية وأخلاقية كما بين لهم طريقى الخير والشر ، أول ما نأخذه على المؤلف اعتماده الكلى على ما كتبه (المستشرقون) ولا أطن أن أحداً من الذين لهم أدنى دراية بأغراض الاستشراق ونشأته وتطوره يجهل أن هؤلاء المستشرقين لا يلتزمون الأمانة

العلمية وأن من أغراضهم الأولى محاربة الإسلام ، وقرآنه ورسوله وتاريخه .
فمن الخطأ والخطر أن يعتمد مؤلف يكتب عن الإسلام – بعامة – وعن
سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم – بخاصة – على ما زوره هو لاء الأعداء
الذين يتخذون من قيادة البحث العلمي وسيلة للطعن والتجريح بل لسوء
الأدب واستغلال الشعوب .

عرض المؤلف في كتابه لقصة (الفيل) ولهذه القصة أصل معروف
واضح صادر كل الصدق ، فمن الانحراف في العقيدة أن نتابع أحداً يتوجه
لهذا الأصل ، ويحاول أن يتعسف في تأويله وتفسيره ، أو يحاول – مختب
ومكر – أن يكذبه وقد حرف المستشرقون القصة وادعوا أن (أبرهة)
لم يكن يقصد مكة ، وإنما مر بها في طريقه لمحاربة الفرس مجاملة من الأحباش
للروم وزعموا أن ما أصاب جيش أبرهة كان وباء جاء معه من اليمن وأن
العرب أيقنوا أن ذلك أثر من تدخل العناية الإلهية ، هكذا نقلها كاتب مسلم
من المستشرقين ، وكان من الواجب الرجوع إلى القرآن الكريم وتفسيره
والقصد من ذلك هو تكذيب القرآن ، فالقرآن أثبت أن الدين جاءوا بالجملة
كانوا (أصحاب الفيل) والقرآن يثبت أن أصحاب الفيل كانوا يريدون بمحنة
شراً ولا بد أن يكون الكيد للبيت الحرام وليس للفرس ، والقرآن يثبت
أن الله (تبارك وتعالى) هو الذي أهلك جيش أبرهة « وأرسل عليهم طيراً
أبابيل ترميهم بحجارة من سجيل » ، ويميل مؤلف كتاب (محمد رسول الحرية)
إلى تجاهل كل ما أيد الله به رسوله في أمور غير معتادة . كذلك يحيط
المؤلف في أن يجعل للنبي علمياً قبل النبوة مما كان متداولاً في كتب الأولين
فالنبي لم يطلق علمياً من أحد قبل النبوة ولا بعدها إلا عن الله عز وجل
وحاول المؤلف أن يؤكد أن بدء الوحي كان في النوم وأن الذي جاء محمدًا
إنما هو (حلم) ، وحديث بدء الوحي حديث معروف مشهور روتة كل
كتب السنة والحديث واضح في أن الرسالة إنما جاءت الرسول يقظة وهو
في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم لا يحسن اختيار الألفاظ .

* * *

إن محاولة أصحاب المذاهب المعادية والماركسية إتخاذ مادة التاريخ الإسلامي السكريمة النقية مادة لدس أفكارهم أمثال الفقي مهران ، ومصرع الحسين لعبد الرحمن الشرقاوى حيث يقولون في المسرحية ما لا يستطيعون أن يقولوه بصراحة في كتابات عامة فهو أمر خطير يجب أن يتبهله شبابنا ، فليس التاريخ عذهم أكثر من إطار الحركة ووسيلة لبث السموم وهم لا يخترمون وقائعه ولا أحداه ويستهينون بها ويرون أنها موصى إلى غابة وكذلك فعل بالتاريخ الإسلامي دعوة القرمية ودعوة الديقراطية ودعوة الشيوعية والماركسية والاشراكية ولكن تاريخ الإسلام على ألسنتهم جميعاً وأفلامهم لا يمكن أن يغري أحداً من الواقعين بأنه حقيقة وكل من يقرأه يفهم أنه زائف ولن تجد أحد عند هؤلاء حقيقة فهم التاريخ الإسلامي أو مفهوم الإسلام نفسه .

(٧)

عمر عبد العزيز أمين

(ترجمة القصة)

منذ أكثر من أربعين عاماً (١٩٨٠) وعمر عبد العزيز أمين يترجم القصص الغربية ويصدرها في سلسل وقد ترجم حتى الآن ما يزيد على ألف قصة غربية ، وفي هذه الأيام يترجم قصص أجاتا كركستي (البالغة نحو تسعين قصة) وبذلك نجد أن ركاماً ضخماً من القصص الغربي الفاسد المليء بالجريمة والجنس مطروح على أسوار حديقة الأزبكية وعلى الأرصفة وهي كتب قبيحة تصور العلاقات بين الرجل والمرأة في صورة غير كريمة وقد ترجمها أناس لا يقدرون أمانة الكلمة ولا مسئولية الكاتب إزاء الشباب الغض والفتيات الصغيرات ، ذلك أن هذه القصص المترجمة لا تمثل في الحقيقة مجتمعنا ، ولا قيمنا وأن روح الكشف والإباحية والفساد في العلاقات بين الرجل والمرأة ولقد تسرب هذا الفساد إلى ما يسمونه القصة العربية فأصبح كتاب العرب يكتبون القصة الجنسية ويتطهرون وراء المذاهب الغربية والماركسيّة فيخلطون بين فساد المذاهب الفرويدية والمذاهب الماركسيّة ويقدمون هذه السفوم كلها إلى شباب المسلمين والعرب الذين يظنون أن كل ما يقدم لهم هو حقيقة وهو فن .

ومع الأسف فإن القصة قد باءت بالفشل وانهارت ، إن كتاب القصة قد تحولوا إلى كتاب يوميات صحفية أمثل : نجيب محفوظ ، ويونس إدريس ، وإحسان عبد القدوس ، وفارق كبير بين أن يكون الكاتب قصصياً ينشيء من الخيال شخصيات يدرر بينها حواراً وبين الكتابة الاجتماعية التي لها مقاييسها ومقاهيمها التي تجعل فارقاً عميقاً بين شخصية القصص وشخصية الكاتب الاجتماعي ولكن كتابنا مع الأسف يكتبون في كل شيء حتى

فـالقصـايا الـديـنية والـتـارـيخـية الـتـي لا يـفـهـمـون أـبـعادـها كـأـنـ يـكـتبـ كـاـتـبـ قـصـةـ عنـ الـمـالـكـ الـكـرـيمـ عـزـرـائـيلـ (ـيـوسـفـ السـبـاعـيـ) وـيـسـخـرـ بـهـ أـوـ عنـ النـبـيـ الـكـرـيمـ سـلـيـانـ عـلـيـهـ السـلـامـ وـيـصـورـهـ وـقـفـ مـفـهـومـ التـورـاةـ (ـتـوـفـيقـ الـحـكـمـ) وـهـكـذـاـ تـفـتـحـ كـتـابـاتـ الـقـصـصـ بـاـبـاـ وـاسـعـاـ إـلـىـ إـفـسـادـ الـمـفـاهـيمـ وـالـقـيمـ الـإـسـلـامـيـةـ الـأـسـاسـيـةـ وـمـنـ دـلـائـلـ تـخـبـطـ كـتـابـ الـقـصـةـ مـاـ كـتـبـهـ تـوـفـيقـ الـحـكـمـ فـيـ الشـهـورـ الـأـخـرـةـ عـنـ الـحـيـادـ وـمـحـاـولـةـ تـحـطـيمـ مـكـانـةـ مـصـرـ الـعـرـبـ الـإـسـلـامـيـةـ وـدـعـوـتـهـ إـلـىـ إـدـارـةـ مـصـرـ ظـهـرـهـاـ لـلـعـرـبـ وـالـمـسـلـمـينـ وـهـىـ دـعـوـةـ مـسـمـوـةـ يـقـومـ بـهـاـ تـوـفـيقـ الـحـكـمـ كـلـاـ وـجـدـ الـغـرـضـ لـذـلـكـ فـهـوـ يـحـمـلـ فـيـ كـتـابـاتـهـ عـنـ الـعـرـبـ وـعـنـ الـرـوـابـطـ الـتـيـ تـرـبـطـ مـصـرـ بـالـعـرـوـبةـ فـيـ قـسـوةـ وـعـنـفـ.

* * *

صلاح عبد الصبور

الشعر الحديث بلا شهادة ميلاد

نشأ الشعر الحديث نشأة (لقبطة) فقد خرج عن أحضان الأصالة التي عرفها الشعر العربي المنظوم ، وذلك أن الذين القسوه أسلوباً للتعبير كانوا في حقيقة أمرهم متغربون ، تابعون لمفهوم وافد من الأدب الغربي الذي له منهجه وطبيعته الشعرية المختلفة عن النظم العربي ، وكانوا من حيث المضمون تسيطر عليهم فكرة الخروج عن القيم والضوابط والمعالم التي يدور فيها الشعر العربي الأصيل .

وكان أبرز هذه المعالم التي اغترب فيها الشعر الحديث سيطرة الأساطير والخرافات القدمة إليه والدعوة الملحقة إلى إحياء هذه الوثنيات وذلك حين أخذ برموز الصليب والخطيئة وهي مفاهيم نصرانية وافدة ليس لها أصل في معين التراث العربي الإسلامي ، فضلاً عن الإحساس الواضح بالسخرية لكل مقومات الدين والأخلاق وتبني نظريات الفن للفن وإعلاء المجاليات على الأخلاق وسيطرة مفاهيم الأدب اليوناني والإغريقي التي ترتكز على الجنس والجسد واللذة والدوران في تلك مفهوم سارتر النفسي وفرويد الفكري والجري في طريق دور كايم السكاراه للفطرة والأسرة والزواج والراغب في الجريمة والإباحية فضلاً عن سيطرة الفكرة الماركسية أساساً يختلف مفاهيمها الاجتماعية والأدبية على الوجدان الشعري فضلاً عن قصورهم لدى المفاهيم الإقليمية والقومية الضيقة .

ونرى هذا واضحاً في أشعار صلاح عبد الصبور ، وأدونيس ، وخليل حاوي ، ونزار قباني ، والبياتي .

ولا ريب إن حصيلة الشعر الحديث قد أكدت إن هذا الاتجاه بعيد عن الفطرة التي فطر عليها الأدب العربي . وأنه بنت لا جذور له :

وأن التجربة التي احتضنها قوى معينة ودفعت بها إلى آفاق الصحف قد باءت بالفشل والخذلت ولم تثبت أن ماتت ، وقد كان ذلك نتيجةً أمرٍ : أن التعبير نفسه هابط ومستواه الشعري ضعيف ، وأنه ليس شعراً بالمعنى الحقيقي وإنما هو أقرب إلى عبث النثر وأهمل من ذلك أن المضمون نفسه كان دائماً تافهاً ومنحطًاً وساذجاً وطفولياً وإذا كان بعض هؤلاء يدعون أنهم إنما يصوروون (أزمات الإنسان) فإننا نقول لهم : إن كتاباتهم لا تدل على شيءٍ من التجربة ولا من عمق المعرفة بآفاق النفس ، ولا من التأمل العميق الذي عرفه الشعر العربي الأصيل ذلك لأن العطاء إنما يأتي من متابعه ، فأن منابع أمثال هؤلاء السدج الأغوار الذين لم يلبث أحدهم أن أمسك بالقلم فكتب شعراً ، وأن آفاق التجربة النفسية عند جماعة الماديين والإباحيين والشعوبيين وليس لهم من الحكمة أو العلم أو إيمان بالغيب أو معرفة عوالم النفس والروح والمعنويات والقيم التي تصنع الإنسان .

وليس من ريب إن وراء الدفع لهذه الموجة المتحرفة قوى تهدف بها إلى تحقيق خيارات بعيدة من التأثير في البيان العربي الأصيل واللغة العربية الفصحى وهدم عamود الشعر الذي هو الشق الثاني للبلاغة العربية ، والهدف هو إنشاع روح العلوميات وخلخلة البناء القوى المتين الذي يقوم على مستوى بيان القرآن وببلغته وذلك لمحاولته إيجاد حاجز باستحداث أساليب عامية نازلة تفصل الأدب العربي عن إطار القرآن والسنة .

ولرايب إن بعض قادة هذه الحركة هم في تقدير كثير من الباحثين من الشعوبية . وقد ساوقت هذه الحركة ارتفاع المدى الماركسي في البلاد العربية غير أنها لم تستطع أن تثبت بعد أن تحطم الأيدي التي كانت ترفعها وتحميها ولو كانت لها أصلية حقيقة ثابتة واستمرت .

يتحدث أحد أبناء هذا الجيل الذي كونته ثقافة التغريب (صلاح عبد الصبور) فيقول : وقر في أذهاننا الاخلاص لنا إلا بإدراك ما عليه هؤلاء القوم علم وفن وذوق ، وبالرغم من أنني كنت طالب لغة العرب وآدابهم (في الجامعة) إلا أن الأسماء التي تفزع أذاننا كل صباح أو معظمها

كانت أسماء أجنب وكنى بالفزع العالى من المستشرقين دليلاً على ذلك ، فإن قراءة طه حسين كانت تقودنا إلى (نلينو) وقراءة تاريخ العقاد الإسلامية يقودنا إلى (أجناس جولد تسير) والبحث عن مصادر الأدب العربي كان يقودنا إلى (نولد كه) .

أما في مجال الذوق فقد كان المناخ الأدبى آنئذ عامراً بأسماء المدارس الأدبية المتوالىة منذ نشأت الرمزية فى أو اخر القرن الماضى ونازعها البارناسية فى فرنسا آفاقها ثم خلعت السريالية ضبابها على أرض الشعر وعيشت بها ما طاب لها العبث حتى ولدت شقيقها الدادية ثم ولدت الواقعية الاشتراكية وانطلقت الوجودية بعدهما الحديث فى النظر إلى الإنسان والفن .

ولدينا عشرات من الجوركين (جمع جوركى) والسراترة (جمع سارتى) واللاتية (جمع البوت) كان كل من كتب حرفاً فى الفن والتذوق يحرص على أن يخلقه باقتباس بعض خطرات هؤلاء الفرنجية .

الدكتور عبد الرحمن بدوى قدم نيشة ، وشوبهور ، وأرسسطو والذى قدموه لنا ليسوا هم بنواثهم الحقة بقدر ما هم صورة منعكسة فى مرآة بدوى ، لويس عوض انتظم مجموعة من مقالات الأدب الإنجليزى تضم إلى جانب الرواية الفنية الجانب الاجتماعى ، بدوى قدم لنا هؤلاء الأعلام كأرواح قلقة ولويس قدم لنا أعلامه بعقول مدركه فاعلة .

في هذا الطقس المغرب الصائع نشأ الشعر الحر الذى لم يكن أكثر من تقليد أجنبى في مرحلة احتواء ضخمة كانت مقاده الثقافة فيها إلى الماركسيين والعلمانيين الذين كانوا عاجزين عن الأداء العربي البليغ ، والذين كانوا يعملون على الخطأ المرسومة في هدم هذا السور العالى الذى يصل الأدب العربي والبيان العربي بالقرآن الكريم ، وهذا مجال جديد مهما كان زائفاً لإبراز شخصيات وزعامات ومن هنا جاء لويس عوض ليعطى صلاح عبد الصبور إمارة الشعر (الحر) جزاء له على تضمينه شعره بعض مفاهيم الإنجيل والصلب والخطيئة ، وهي مفاهيم لا يعرفها الأدب العربي الأصيل ،

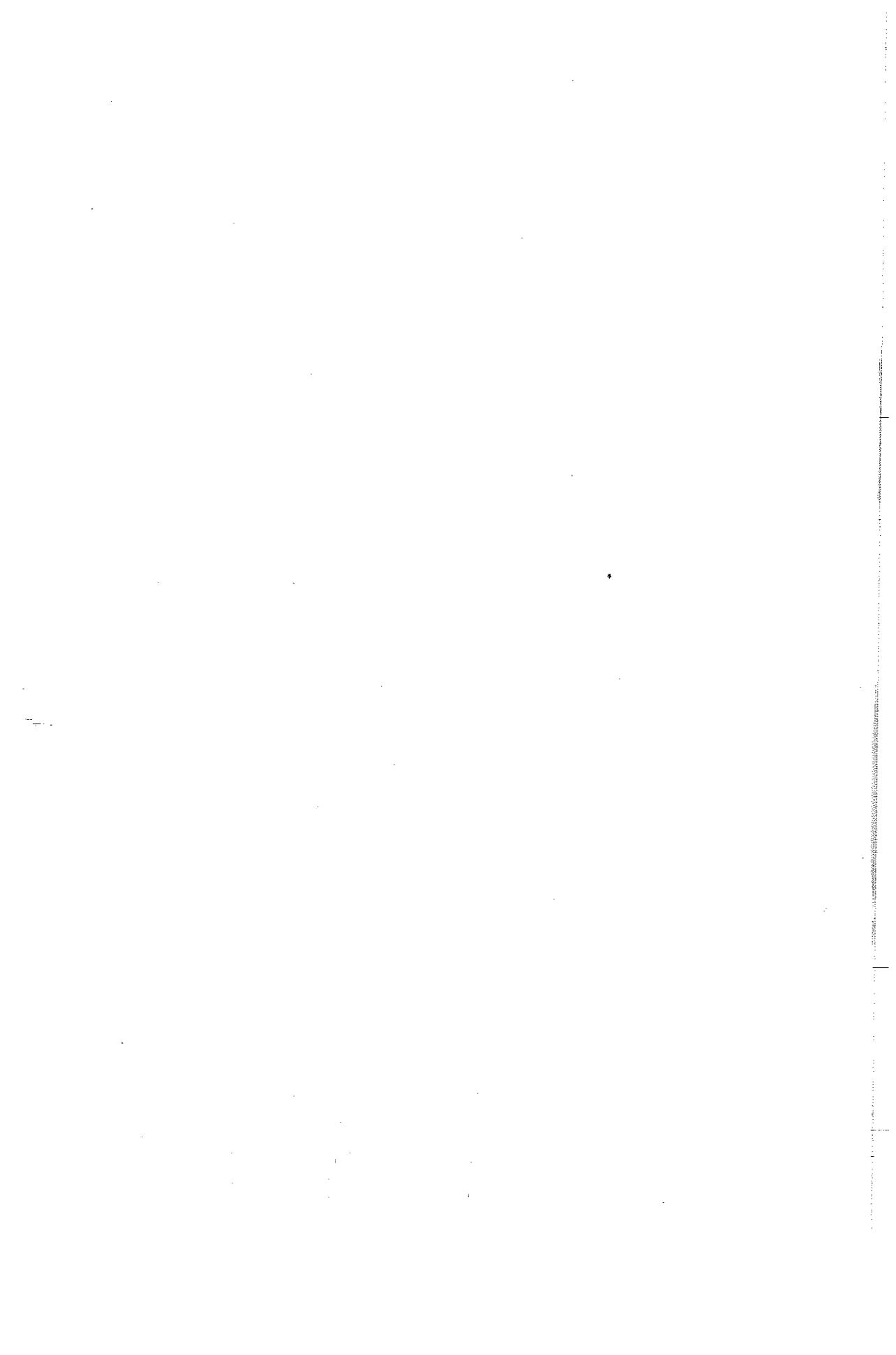
وفي الغرب عندما يولون اهتماماً للسياب والبيانى وصلاح عبد الصبور
ويعطون الجواز ، فإنما يريدون أن يقولوا كلمة واحدة :

هذه بضاعتنا وردت إلينا :

لقد تغرب الشعر العربي الذى هو ديوان العرب ، ولا يعرفون أنها
موجة عاصفة لا تثبت أن ثبات وتنطوى وتعود الأصالة مرة أخرى إلى
الشعر العربي .

* * *

٦



الفصل السابع

عصبة العلمانية أعداء الشريعة الإسلامية خلفاء على عبد الرزاق

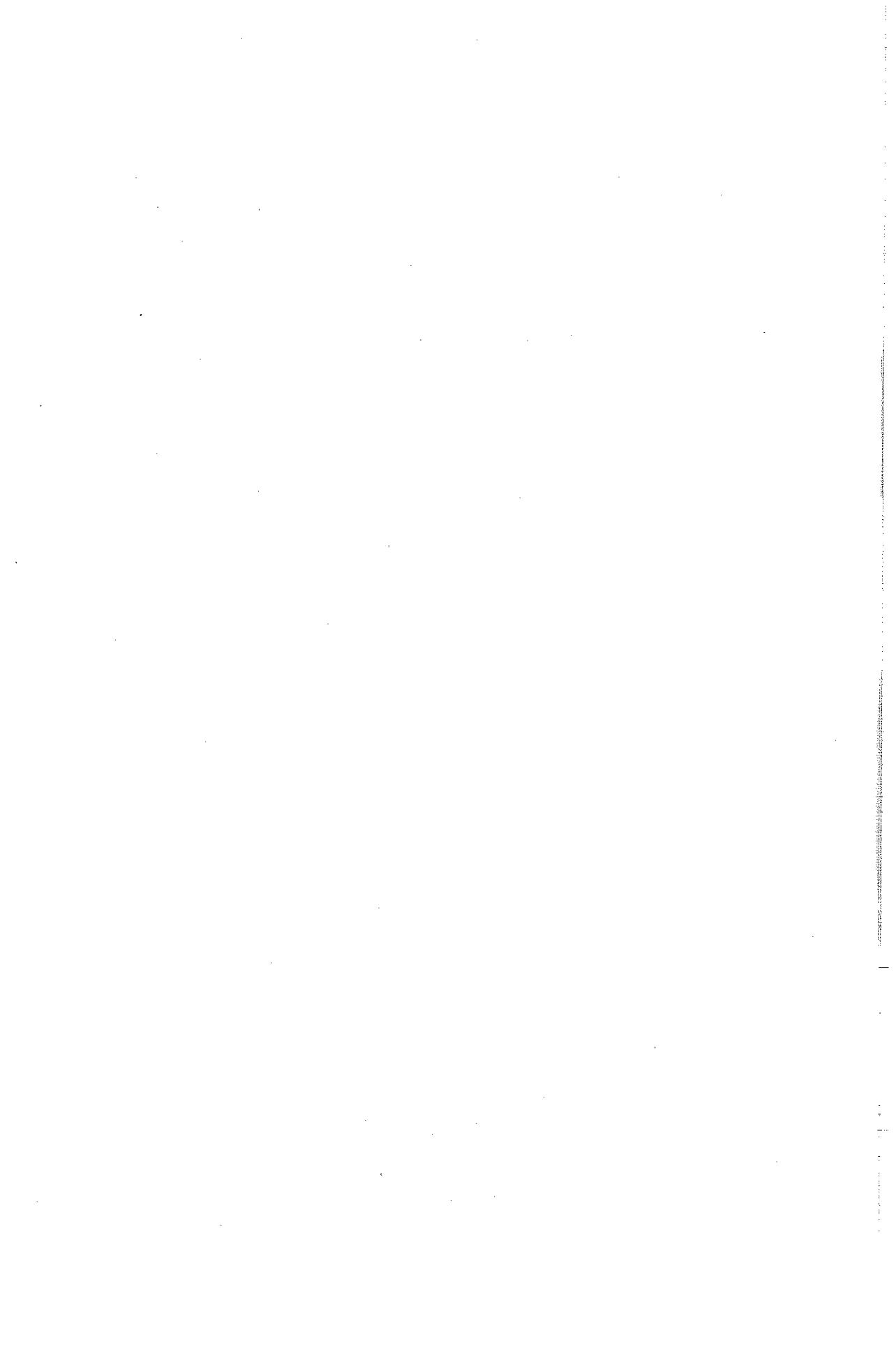
١ - خالد محمد خالد .

٢ - أحمد بهاء .

٣ - محمد عماره .

٤ - محمد أحمد خلف الله .

٥ - محمد سعيد العشماوى .



(١)

خالد محمد خالد

حاول الأستاذ خالد محمد خالد أن يحدث حدثاً عندما أصدر كتابه (الحكم في الإسلام) محاولاً التنصل من آرائه القديمة التي أعلنتها في الخمسينيات من إنكار أن الإسلام دين ودولة ، وفرح الناس بهذه العودة إلى الله ولكن التفسيرات التي قدمها لم تكن مقنعة فكيف يمكن أن يكون الديمقراطية الحديثة هي الشورى ، وكيف يمكن أن تكون الاشتراكية هي العدل الاجتماعي. إن خالد محمد خالد قد اشتهر في نظر العصررين بأنه من دعاة (الديمقراطية) الحرة بأحزابها وصحفها وأنه يرى أنها العلاج الأمثل لحاضرنا وتأمين مستقبلنا ، فكيف يمكن أن يكون من يقول : هذا مفكر إسلامي ، ثم إن هذه الجماعية المختلطة التي يجول فيها ويصول ، ويتحدث فيها عن بوذا إلى طاغور إلى سقراط إلى كونفوسيوس إلى عشرات من هذه الأسماء ، كيف يمكن أن يكون هذا تصور إسلامي يصبح معه أن يوصف خالد محمد خالد بأنه مفكر إسلامي ، الحقيقة أن الأستاذ خالد لم يخرج بعد من ذلك التصور المسيحي القديم الذي عاش في ظله طويلاً إلى مفهوم إسلامي أصيل محرر من كل تبعية لفكرة آخر تحت اسم الفكر الإنساني . إن هذا الخلط هو تماماً ما فعله (إخوان الصفا) وأريد به غير الإسلام ، يقول الأستاذ خالد في كتابه الجديد :

أرجو أن يجيء كلامي هذا تصحيحاً لرأى أبديته من قبل في كتابي (من هنا نبدأ) إذ قلت يومها : إن الدين لا يعنيه أن يكون دولة ، ولا يعنيه أن يتدخل في بناء الدولة ، ويبعد أنني كنت يومها متأثراً بتصور مسيحي عن الحكومات الدينية ولا سيما تلك التي قامت تحت ظل الكنيسة في أوروبا في عصور الظلام ناسياً يومها أن الإسلام مختلف جداً ، وأن الدولة يشكلها وبضمونها كانت تعنيه إلى أبعد مدى وأنه خاطبها بمسؤولياتها كما خاطب الفرد والجماعة بمسئوليائهما .

وفي الإسلام بالذات لا يمكن عزل الدين عن الدولة إلا إذا أمكن عزل الدين عن الدين فهو يدرك دور الدولة في الحفاظ على دين الله ويعلن أن الله يزر بالسلطان ما لا يزر بالقرآن ، ثم أنه وقد جاء يدعو الناس إلى الدخول في دين الله لا يمكن أن يترك الدولة تشكل عائقاً دون هذا الدخول . من أجل ذلك رأينا الرسول يبدأ بدعوة الملوك والأباطرة ليحملوا تبعاً لهم تجاه رعاياهم في إبلاغهم كلمة الله ودعوتهم إليها ، ومن أجل ذلك أيضاً رأينا الإسلام قد يكتفى بدعوة الناس إلى الصلاة والعبادة ، بل رأينا ينظم للمجتمع وللدولة كل شئونهما في حين للدولة مسالك الحق والعدل في حمل أعباءها ولا يغيب الإسلام أبداً عن أي شأن من شئون الحياة نريد أن نعرف رأيه فيما « وقد حمدنا له هذا العود إلى الله ، ولكن ما رأينا بعد ذلك من كتابات وخاصة ما نشره في مجلة (الدوحة) أحسينا بأن الكاتب لم يخلع ثيابه القدحية تماماً وأنه ما زال متسبباً بها ، وأنه أعاد نشر ملخصات كاملة للكتب التي أفكاره من جديد ، عاد مرة أخرى بعد أن توقف أكثر من عشر سنوات منذ اخترت كتابه الصارخة التي كانت توزع كميات ضخمة أبان مرحلة العلمانية والشيوعية ، فقد انسحب من هذا اللون واستأنر بدراسة السيرة النبوية سنوات بعد ذلك قبل أن يعلن تراجعه عن قوله المعروفة ، وبعد أن سجل المستشرون له التبعية والموالاة كامتداد للشيخ على عبد الرزاق ، ثم جاءت كتاباته الجديدة كلها وليس فيها ما يتوافق مع الصحوة الإسلامية والتطور القوى الذي قطعه الدعوة الإسلامية لتحرر من ذلك التيار المضيبي الذي كان يكتب به عدد من الكتابات فيخاطبون بين الفكر الإسلامي وبين الفلسفات الغربية والشرقية ، وهذه الاستشهادات بكتابات أمثال هولاء عن الدين وعن الله تبارك وتعالى وهي موجة معروفة كانت تريده أن تقول : إن أحناتون وأفلاطون وأرسطو وكل هولاء موحدون ومؤمنون ، ولم يكن واضحاً أمام من يقرأ ذلك الفارق العميق بين هذا الإيمان بالله وبين مفهوم الإسلام ، فالحقيقة أن الإسلام مختلف تماماً عن مفهوم الأديان في الفلسفات بل أن الإسلام جاء ليضع مفهومه في إسلام الوجه لله فوق كل هذه المفاهيم التي تحمل راية الشرك والثنائية ذلك أن الإسلام أقام مفهومه على توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية ولذلك فإن استشهادات خالد محمد خالد بالأسماء

الأجنبية والقديمة لم يعد يصلح لأن يقال لشباب الإسلام اليوم الذي تختفي هذه المرحلة وأصبح يفهم الإسلام فهماً صافياً نقياً خالصاً مستمدًا من القرآن الكريم ، وقد انطوت المرحلة الفلسفية نفسها التي حمل لوائها كثيرون ، وجاءت المرحلة القرآنية الأصلية ، وكان على الأستاذ خالد أن يتتجاوز هذه المرحلة أيضاً وأن لا يتوقف في أوائل القرن الخامس عشر عند مفاهيم طرحتها في كتبه منذ ثلاثين سنة تقريباً ، وهو يعيد الآن تلخيصها من كتبه في مقالات تدفع عنها مكافئات سخية في صحيفة يشرف عليها أحد اليساريين الذين يتملقون الناس بتقديم كلمات عن الإسلام في افتتاحيات المجلات خداعاً ومكرأً لينشر بعد ذلك كل سوم الفكر البشري .

إن إصرار خالد على هذا الخليط من الأسماء التاريخية دليل على أنه يجعل الإسلام أقل قراراً من هذه الفلسفات أو على الأقل موازياً لها ولا زلتنا نذكر كيف غضب سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على عمر رضي الله عنه عندما رأه يقرأ في ورقة من التوراة وقال له كلمته الخالدة : « لو كان موسى حياً لما وسعه إلا ابتعدي » .

فهذا الخليط الذي يقدمه خالد محمد خالد لا يمكن أن يقره عليه مؤمن بالإسلام حقاً ، وإلا فكيف يمكن الجمع بين فلاسفة الوثنية والثانوية ، والإغريقية والغنوصية ، فكيف يمكن الجمع بين سقراط ، وأفلاطون وعمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وبودا ، وغاندي ، وهيجيل ، وابن سينا وشكسبير ، والمعرى ، وانتشان ، وابن الهيثم ، وديكارت ، وابن رشد ، والفارابي تحت اسم الإنسان السورberman الذي يتحدث عنه ، وهل هناك حقيقة ما يسمى الإنسان الأعلى ؟ أم أنه لا يزال مخدوعاً بكتابات قديمة عن عليها الزمن ونظريات وافدة يحاول أن يصوغها من جديد تحت أسماء عربية .

إن الذين أبدعوا هذه النظريات أمثال : بوكاى ، وجارورى ، وهو نكهة وغيرهم قد أذعنوا أخيراً للإسلام وأحنوا رءوسهم إجلالاً وإكباراً لمفهوم واحد هو مفهوم التوحيد الخالص الذي جاء به محمد بن عبد الله رسول الله صلى الله عليه وسلم الخاتم إلى البشرية في كتاب منزل موحى به هو القرآن .

إن نظرية الإيمان بالإنسانية هي نظرية غربية خادعة باطلة نحن نعرف مصادرها ودعاتها وهي ترى إلى قديس الإنسان وإفراده بالعظمة ، وهي نغمة طالما رددتها خالد محمد خالد ، بينما أن المفهوم الإسلامي يقدم لنا الحق تبارك وتعالى وحده على أنه هو الذي تفرد بالعظمة وأن كل هذه العقول خاضعة له وعبيد بخون جباههم تذلاً ويفيناً ، نحن حملة القرآن لا نقر بالعظمة إلا الله تبارك وتعالى ، أما الإنسان فإنه مخلوق يجب أن يخضع لحكم الله .

ومن عباراته الغربية المستمدة من الفكر الغربي قوله :

(تعالوا نقدس حرية الكلمة) وشهادة الرأي والكلمة ، أي الكلمة تلك التي يريد أن يقدسها الشيخ خالد ، كلمة لامارك ، وابن مسكونيه أو سقراط . هل يظن أن كلمات هؤلاء أو غيرهم بها قيمة حقيقية إن لم تكن مستمدة من « لا إله إلا الله ». إن هذه كلمات بالية تافهة .

وعندما أجريت معه الأحاديث حول عودته إلى الإسلام بمفهومه الأصيل كان خلاصة كلامه أن الإسلام : ديمقراطية واشتراكية (أو ما يتلخص في هذا) كأنما يرى أن ما نحن منه الآن من دعوات عصرية تعيش الإسلام وأن الديمقراطية هي الشورى الإسلامية ، وأن الاشتراكية هي العدل الاجتماعي وهو حين يقول ذلك ينجزس الإسلام نجساً شديداً مع الأسف ويضع دين الله الحق في صاف الأيديولوجيات . بل يجعلها تفضلها ، وحشاً أن يكون هذا ، فإن هذه المذاهب البشرية لا يمكن أن ترقى إلى مصاف دين الله ، ولا تستطيع أن تعيش إلا سنوات قبل أن يصيبها الاضطراب والتمزق ، وقد بلغت ذلك منذ وقت بعيد وهي الآن تضييف وتحذف حتى تتمكن من متابعة المتغيرات . وقد ثبت فسادها وعجزها عن إعطاء الإنسان أشواقه ومطامحه ، ابن الاشتراكية والديمقراطية من منهج الإسلام الجامع الرباني القادر على العطاء على مدى الدهور والبيئات ، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

ومن ذلك تسميته (الحكومة الإسلامية بالحكومة الدينية) ، فهذا فيه تمجن وخطأ ، فعبارة الحكومة الدينية لها مدلول تاريخي يتمثل في كيان كهنوتي قام فعلاً وطال مكنته ، وكان الدين النصراني يستغل أبغض الاستغلال في دعوه

وإخضاع الناس له . إن الإسلام في فترات استغلاله من بعض الخلفاء والحكام لم يمنع أياً منهم سلطة بأبوبية كهنوتية ، لأنه لا يتسع لأى كهنوت لأن تعاليمه ولا في تطبيقاته . من أجل هذا كان تسمية الحكومات الإسلامية المنحرفة بالحكومات الدينية وتحميم الإسلام وزرها أمر مجاف لكل صواب (وأن إجماع المسلمين على ضرورة قيام الدولة الإسلامية مستمد مما انتظمه القرآن والسنة من آيات وتوجيهات ، كما أنه مستمد من حركة الإسلام خلال التاريخ الطويل ، فالقرآن لم ينزل على قلب الرسول صلى الله عليه وسلم ليتبعه به المؤمنون فحسب . بل ليكون أولاً منهجاً للحكم بحكم به الرسول صلى الله عليه وسلم أمته المسلمة بما أرأاه الله - أى ما رسم له في هذا القرآن من سبيل وما قرر فيه من قانون : « فاحكم بينهم بما أنزل الله » . (المائدة - ٤٨) « وأن حكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم . . . » .) (المائدة - ٤٩)

(٢)

كانت كتابات خالد محمد خالد المحددة في مجلة الدوحة تلخصاً لكتبه القديمة ، التي صدرت قبل ذلك ، ولم يكن لديه شيء جديد ، وهو في تلخيصها وقع في عدة أخطاء منها أن الأجراءات التي كانت تقال فيها هذه الكلمات قد تغيرت ، فأصبحت لا تجده صدقي ، ومنها أن مراجعات كثيرة ظهرت لمسائل كان يسوقها سوقاً ، قد وجد من يكشف خطأها ، ولذلك توالى الردود التي تدحض تقولاته ، وتكشف أخطائه .

وقد سقط أكثر من مرة في موضوعات هامة منها موقفه من معركة كربلاء .

فهو حين عرض لها لم يكتف ببيان أن الولاء يجب أن يكون للحق وحده دون غيره وأن خروج الحسين رضي الله عنه لم يكن لتحقيق مغم أو لبناء مجد شخصي ، وإنما كان لإحقاق الحق وتضحيه جليلة في سبيل هذا الحق ؛ وقد استشهد الحسين في سبيل ما اعتقد أنه حق وصواب ، غير أنه - على حد مراجعة الأستاذ إسماعيل الكيلاني - جاء بروايات يلمح القاريء من خلالها تكفيلاً لواحد من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ،

وليته عند اختباره ما اختار من روایات قام بتمحیصها ما دام يريد أن يرتب عليها قضية ، كما كان يفعل أسلافنا الحدیثین ، وليته ذکرها للقارئ بسندها حيث لا تخرج في حقيقتها عن كونها روایة من مجموعة روایات تحتمل الصدق وغيره قابلة للتحمیص والاختبار . أورد روایة يشكك في إسلام أبو سفیان بن حرب ، وما زعم من أنه وقف على قبر سید الشہداء حمزہ وقال :

— إن الأمر الذي اختلتنا عليه بالسيوف قد صار إلى غلبة بنى أمیة « هل كان حمزہ يخندق مع بنی أمیة على الملك أم أنه كان يجاهد لإعلاء كلمة الله تعالى وقد استشهد في سبيلها ؟

لقد كان أبو سفیان من أعداء الرسول صلی الله عليه وسلم ولكنه عاد فأسلم والإسلام يجب ما قبله ، واشترک مع المسلمين في معركة البر موك . ومن هذا نجد هذا التحذی على حقائق التاريخ .

وما هي مسوغات التشکیک من الناحیة العملیة ؟ وما هي فوائدہ لمحبیم المسلمين اليوم لاتعمیق المحو وإیجاد الشروخ وتکریس التباذل وإثارة الأحقاد .

لقد قال : إنی كنت قلت ما قلت بفصل الدين عن الدولة متأثر بفکر مسيحي عن الحكومات الدينیة ، ولا سیما تلك التي قامت في ظل الكنيسة في أوربا في عصور الظلام ناسیاً يومها أن الإسلام مختلف جداً وأن الدولة بشکلها ومضمونها كانت تعنيه إلى أبعد مدى .

هل يقبل خالد بعد أن تراجع أن ينسب إليه ذلك الموقف الذي ترأ منه ، فكيف يجیز لنفسه أن ينسب لأنبا سفیان موقفاً تبراً إلى الله عز وجل منه بقوله وفعله وجهاده في سبيل هذا الدين . إننا نقرأ في كتب التاريخ كثيراً من الأخبار التي نسبها بعض الشعوبین إلى بنی أمیة وبنی العباس ، هي أخطر ما ينسب إلى خلفاء ورجال ، ونقرأ كذلك في كتب الفصاصلين أخباراً منسوبة إلى الخلفاء وأهل العلم والأدب هي أقبح كثيراً مما نقرأ له ول المؤرخین والحقيقة التي يجب ألا تغیب عن الأذهان أن النزاع السياسي بين هذه الشیع المختلفة هو الذي أدخل كثيراً من الشوائب في التاريخ الإسلامي

ولا سيما فترة صدر الإسلام والأمويين فالحقائق تشبه الدر المالي بين أشواك حيث يحتاج استخراجها إلى رؤية وأناة وصبر وتقليب نظر ، أما يزيد بن معاوية الذي يسميه الكاتب (يزيد القرود) ويقول : إنه كان يتلهى عن أمر الإسلام وال المسلمين بفهوده وقروده . فإن الأخطاء التي حدثت وارتكبت في عهده لا تجيز لنا أن ننسب إليه ما ليس منه والأمانة العلمية يقتضيها التثبت أولاً وعدم تضخيم هذه الأخطاء ، فإن فيها أحقاد وسخاً قرون متطاولة علينا أن نذكر الحقيقة كاملة ولا تكتفى بالسوء من القول وباطله . قال شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه (منهاج السنة) الجزء الثاني والذي نقله غير واحد : إن يزيد لم يأمر بقتل الحسين رضي الله عنه ولا كان له غرض في ذلك ، بل كان يختار أن يكرمه ويعظمه كما أمره بذلك والده ، ولكنه كان يختار أن يمتنع الحسين من الولاية والخروج عليه ، فلما قدم الحسين وعلم أن أهل العراق يخذلونه ويسلمونه طلب أن يرجع إلى يزيد أو يرجع إلى بلده أو يذهب إلى الشغور فنحوه من ذلك حتى يستأسر فقاتلوه حتى قتل مظلوماً شهيداً رضي الله عنه وأن خبر مقتله لما بلغ يزيد وأهله سألهم ذلك وبكوا على قتله ولم تسب له حزيناً أصلاً ، بل أكرم أهل بيته وأجازهم حتى ردتهم إلى بلدتهم وقال : لعن الله ابن مرجانة ، يعني (عبد الله بن زياد) ، أما والله لو كان بيته وبين الحسين رحم لما قتله ، وقد كنت أرضي من طاعة أهل العراق دون مقتل الحسين (انظر : أيضاً ابن كثير والطبرى في حوادث عام ٦١٥) لكنه مع ذلك ما انتصر للحسين ولا أمر بقتل قاتله ولا أخذ بثأره وما عدا ذلك فتزيد وافتراء . إن الوضع في الأخبار والتزييد فيها والتجمي على حقائق التاريخ كان يتم قدماً لمصلحة الشعوبية عدوة الإسلام وال المسلمين وفي عصرنا الحاضر يتم على أيدي أصحاب النزعة الاستعمارية التي كان همهم إثارة أحقاد الماضي الدفين ، وإيقاظ سخاً التفوس بغية إبعاد المسلمين عن أمجاد تاريخهم التليد بقطع صلتهم بالجبل القدوة . ومن هنا وجب على كل من يتصدى لحوادث ذلك التاريخ اليوم ألا يختار من الروايات إلا ما يصح حسب قواعد النقد العلمي التي وضعها أسلافنا رجحهم الله لتحقق لل المسلمين خيراً في حيائهم المعاصرة وينير الطريق للأجيال القادمة والله من وراء القصد» اهـ

أما أكبر أخطاء خالد محمد خالد فهو دعایته لإخوان الصفا وقوله العريضة : بأنهم أحرار الفكر ، والحقيقة أنهم ليسوا من المفكرين الأحرار ولكنهم جماعة سرية هدامة ، ومن أخطائه قوله : إن أخناتون واحد من الأفذاذ الذين يختارهم الضمير الإنساني لكي يقوموا بعمل جيل أو أجيال ، ونحن نسأل الشيخ خالد : ما هو الضمير الإنساني الذي يقصده ؟ هل هو شيء غير الإسلام ؟ ، وإذا كان غير الإسلام فنحن نرفضه . إن هذه الكلمات التي يلوّكها خالد محمد خالد وغيره ، هي كلمات نثرها أصحاب مخطّطات بروتوكولات صهيون والماسونية وأذاعوها لخداع الناس عن الحقيقة المضيئة المشرقة الوحيدة في هذا الكون وهي كلمة التوحيد ، وأن كلمات الإنسانية هذه المطروفة كانت خادمة في يوم ما لأهداف خطيرة وإذا كان خالد محمد خالد اليوم سنة ١٩٨٠ يرد الكلمات التي كان يكتّبها في مطالع حياته الفكرية سنة ١٩٥٠ وما بعدها ، فإنه يثبت أنه لم يتقدم خطوة واحدة في سبيل الوصول إلى الحقيقة ، وأنه مع الأسف لم يجدد نفسه ولم يتبع تطور الفكر فيصحيح الآراء التي كان تتمسّك بها دعابة الليبرالية المهزّمة والفلسفات الباطلة ، والتي كان يدعّها أولئك الذين يريدون أن يقولوا : إنهم من المترنجين التابعين لتيارات طه حسين وسلامة موسى في الحديث عن إخوان الصفا وأخناتون ، وهي معانٍ أصبحت اليوم منقوضة وقد كشف النقاب عن فساد وجهتها .

إن محاولة خالد محمد خالد فهم الإسلام في إطار مفاهيم الغرب (الديمقراطية والاشتراكية) يكشف عن حقائق أقل ما فيها هي عدم القدرة على الخروج من التبعية إلى الأصالة وهو الذي درس علوم الإسلام قبل أن يتصل بالفلسفات المادية وهذه الكلمات التي يقولها لا تقل عن كلمات الماسونيين والماركسيين ودعابة الفكر الغربي .

أما الادعاء بأن كل من ادعى التوحيد على مفهوم ما فهو توحيد الإسلام فذلك أمر مرفوض تماماً . إن هذه هي عبارات الماسون ، أخناتون كان

موحداً وأفلاطون ، وأرسطو . . لا ، نحن لا نؤمن إلا بالتوحيد الحالص
الذى عرفه الإسلام وهو إسلام النفس لله .

أما إخوان الصفا الذى اندفع فىهم خالد محمد خالد فهم جماعة سرية ،
وقد تبين من مراجعات كثيرة – للمستشارين قبل الإسلاميين – أنهم كانوا
يدعون إلى غاية مقصودة وهى إقامة إمام بعينه ، ولكتبهم أحاطوا هذه
الصراحة بلوى من دقة البحث ونعومة التسبيح وإتقان الصقل ، كما يقول
أحد الذين ردوا على خالد (عبد الأمير غلوش) فقد أنسوا جمعية سرية
هدامة فى مطلع القرن الرابع الهجرى أفرغت على نفسها هذا اللقب البراق
الحادع ، ظاهرها طلب المعرفة والانتصار لبيت رسول الله صلى الله عليه وسلم
وباطنها هدم بيت محمد صلى الله عليه وسلم أى دينه الشريف السمح ،
وإزالة دولته الموحدة من الوجود وإقامة دولة لها دين مزيف من إسلام ووثنية
لا يستطيع فصل أحدهما عن الآخر ، وقد ألف هؤلاء الدجالون عدة رسائل
أطلقوا عليها رسائل إخوان الصفا ، وهى عبارة عن سياحة تنتقل بك من
حقيقة إلى خرافة ، ومن حق إلى باطل ، ومن منطق إلى سفسطة ، فهى
سياحة متموجة ذات تعاريف وتضاريس ومنعطفات ملجمة بأنماط من تعاليم
مرذك ومانى وزرادشت ، وهم قوم ملحدون وزنادقة يموهون بمظاهره
كل فرقه بينهم وينجرون فى ذلك مجرى المحبس والمسؤولية التى استهوت
مختلف الطوائف والأنماط ، فهم أعرف الناس بدس السم فى الدسم وتارة
باسم المعرفة وتارة باسم البركات والفحات الروحانية . وقد اندفع فى أعمال
هذه الجمعية السرية ورسائلها كثير من رجالات الفكر والأدب والدين ،
كما خدعت واسهنت المسئولية مثل هذا الجمع الغير ، ومن ذوى الميول
والغaiيات دون أن يعلموا أنها خدنية الصهيونية العالمية . إن رسائل إخوان
الصفا التى ترجم عن أفكار ابن ميمون لم تخلص للإسلام ولو أنها أخلصت
لاعتذر عنها ، أرادت توجيه الإسلام توجيهًا فلسفياً مع حفظ الجوهر ناظرة
إلى تطورات الزمان ولكنها لم تكن كذلك بل لوثت الإسلام ، وأقل نتائجها
أنها جرأت على تحريف القرآن الكريم وإخراجه عن ظاهر التفصيل إلى بواطن
التأويل ، كل ذلك تحت ستار الزهد المبرقع والانقطاع إلى الله كما فعل
الكثيرون من دعاةهم دون أن يفطن أحد إلى مراميهم الهدامة .

إن هذه النحلة المدamaة تحاول صبغ الملة الإسلامية صبغة الأساليب
الوثنية المنضمة للشرك والعبودية والرجوع بال المسلمين إلى الولاء بعد أن
ذاقوا نعمة التوحيد الخر الخالص .

و سكت الأستاذ خالد إزاء ما واجه إليه ولم يحر جواباً ، سواء في مسألة
الحسين أو في إخوان الصفا أو في غيرهما لأنه فوجىء بحاج مختلف عن ذلك
الجح الذي كان يسبح فيه في الخمسينيات ، لقد اتسعت دائرة اليقظة الإسلامية
و كان عليها أن تكشف الزيف ، قد يكون ما قاله خالد محمد خالد بحسن
نية ، ولكن أين وعي المثقف المتابع لتيارات الفكر الإسلامي ، وكيف
يغفل عن الكاتب عن ترشيد أفكاره والارتفاع فوق النظريات الاستشرافية
المضطربة فيبدو كأنه تجحد عند موقف قديم .

(٢)

أحمد بهاء

هذا واحد من أعداء الإسلام الذين تسللوا بأساليب التقية والخبيثة وتحريف الوسائل في مواجهة الأحداث ولكن العاية تظل واحدة وفائمة ، مهما اختلفت الطرق والأساليب ، وقد أتيحت له الفرصة واسعة لهذا العمل عندما تولى تحرير مجلة العربي الدائمة الصيت سنوات ، ففتح أبوابها للماركسين واليساريين والعلمانيين وحشد السمو من خلال أقلام كثيرة ومحظوظ واضح وهو من دعاة الربا والناصرية والبعث والاشراكية ، وهو من تلك الجماعة التي أتيحت لها الفرصة في ظل ظروف مصر القاسية في السبعينيات عندما فرض على مصر تسليم الإعلام والصحافة والمسرح للماركسين ليثروا سموهم فتولى دار الهلال ورأس تحرير الأهرام ، ثم كان في مقدمة من تركوا مصر عندما وجدوا الفرصة الذهبية هنالك ، فعملوا في الصحافة العربية وكسبوا الكثير ، ثم عاد بعد أن هدأت الظروف لينتقل بين غرف مفروشة في لندن وباريس وحسابات مرصودة وأشد حملات قلمه على علماء الإسلام . وقد تولى تلك الحملة المسمومة على العلامة الكبير الشيخ أبو زهرة في سنوات حياته الأخيرة ، وكانت في الأخير حملته على الشيخ الشعراوى ، وهو يحاول عبثاً أن يهاجم دور الأزهر وعلماء المسلمين من حدود الله ومن الشريعة الإسلامية ، فقد أبدى أكثر من مرة اعتراضه على حق الأزهر الشريف وعلمائه في الأدلة بأرأهم والفتوى فيما يعرض للناس من كل مشاكل متصوراً أنه سوف يسلب الأزهر وعلماءه واجباً كيداً وأصيلاً ظل يقوم به على مدى ألف سنة كاملة ، وكان بهاء قد كتب قبل ذلك يقول : إن أى نشاط دينى أو جماعة دينية يؤدى بالضرورة إلى الإرهاب ومحاولة قلب نظام الحكم ، ولذا يجب استئصال الأنشطة الدينية أصلاً . وقال : إن هذا هو رأى السادات قاله له قبل سنوات .

قال أحمد بهاء : يريد بعض الناس أن تنصب أقواس النصر لعدد من الصحفيين والكتاب الذين خرجوا من مصر ثم عادوا والذين كتبوا يشتمون مصر في الخارج ويسيئون إليها والآن يتتصورون أنهم أبطال ، لأنهم حملوا لواء المعارضة عندما خرست الألسنة ودقت طبول النفاق وهذا منطق عجيب أو إعطاء الأشياء عكس معناها ، يقول الكاتب الذي عرض هذا رد على بهاء : أنا أقول منتهى الصراحة إن هؤلاء خرجوا من أجل المال ليكسبوا الألوف ومئات الألوف ، وأنه لا أحد منهم صاحب مبدأ ولا صاحب فكر ولكن صاحب دينار ودرهم وصاحب دولارات تدفع ، لقد اتخذ هؤلاء حبيعاً مصر سلعة تباع وشعب مصر تجارة رابحة ، وكانت لكل كلمة يكتبونها ثمن مدفوع وثمن باهظ وكونوا الثروات من تجارة الكلمة بالباطل ، وعندما أحسوا أن الجو العربي بدأ يتحسن وأن الذين كانوا يدفعون لن يدفعوا في المستقبل ، عندما أحسوا أن تجارتهم قد بدأت تبور أسرعوا عائدين ، وقد أكد (رجب البنا) في الأهرام أن الأزهر ليس كالفاتيكان وهذه قضية محسومة في الفكر الإسلامي ولكن أردت أن يقوم الأزهر وأخذ مكانه في الصدارة ويعيد النظر في قانونه ونظامه .

وفي صدد حملته على الأزهر وعلى الشيخ شعراوى كتب فايز حلاوة في مجلة أكتوبر : لا أحد فيما فوق مستوى النقد وأولنا في هذا الإمام الرفيق أحمد (بن ماركس) الذى أفرع عنه ودهولته آراء الداعية الإسلامي الكبير الشيخ محمد متولى الشعراوى ، كما أفرع ت وأرها إبليس ، فأعلن الحرب الهجومية عليه من مقره المؤقت في باريس ، ومن المؤكد أن الرفيق أحمد (بن ماركس) من أشد الناس وأكثرهم غيرة على الدين الإسلامي الحنيف ، وأنه قد تفوق ظاهراً وباطناً في علوم الدين وفقه السنة وتعاليم إنجلترا وماركس ولينين وبرجينيف ، ومن المؤكد أن خلافه مع الشيخ شعراوى ليس خلافاً شخصياً لا سمح الله ولا عقائدياً والعياذ بالله ، بل هو خلاف فقهي شرعى مذهبى ، ما شاهدت إجماعاً على الأسف والاستمرار مثلما حدث مناسبة هذا التهجم المنكر على هذا الداعية المفكر المفسر ، أما ثلاثة الأثاقى فهى أن الرفيق (بن ماركس) بصفته من كبار العلماء الوالصلين قد أصدر فرماناً عنتراً يأخلع الشيخ شعراوى ، وحرمانه من الانساب إلى رجال الدين ، وهو سلوك يتفق

تماماً مع تعاليم كارل ماركس الذي نادى صراحة بتحقيق رجال الدين والقضاء على هيلهم واحترامهم والإساءة إلى قدرهم . إن هذا صاروخ صنع في موسكو وأطلق في باريس . إن مشكلة وضع الشباب على الخط الإسلامي الصحيح ، قد أصبحت من أشد مشاكلنا إلحاحاً وأكبرها تعقيداً ولا أعرف لحساب من توجه الطعنات الطائشة إلى صدر واحد من خيرة علماء العصر وأغيرهم على تقوى المسلمين .

(٢)

ويقول الدكتور موسى شاهين لاشين : إنه كاتب معروف في فكره واتجاهه وسلوكه وآرائه تعودنا منه التهجم على أفضلي العلامة محاولاً الخط من قدرهم العالي وكرامتهم ، هذا الكاتب في بلد دينه الإسلام ، يهاجم الشريعة الإسلامية ، التي كان عليها الخلفاء الراشدون والعلماء المجتهدون ، سخر الكاتب من ليلة القدر وسفر من هؤلاء الذين أمسكوا بالأقلام وأفتو في الحلال والحرام وعباد المادة واتباع لينين واللادينيون ليسوا مسوح الرهبان . وأطلقوا دموع التماسخ يبكون ضياع الدين وطعنوا في العباد والعلماء وأصبحت ساحة الفكر الديني خليط مزيج تعلوه الفوضى وأصوات الغوغاء . إن السخرية من الشريعة الإسلامية ومناسكها تخدم فكراً أجنبياً ونظاماً لا دينياً وهى تسعي إلى مصر والإسلام وتستخف بآهالي المسلمين .

وقال أحمد زين : ماذا يعني الكاتب عندما قال عن ليلة القدر : إن الله سبحانه وتعالى يقيم فيها (أو كازيوناً) لعباده فيه بسرع الجملة أسلوب وأرخص وهل يليق أن يقال عن الله سبحانه أنه يقيم أو كازيوناً ، وهل يجرؤ أن يقول الكاتب هذه الكلمة عن استأجروه ليعمل عندهم ، أم إن الاستهزاء بالله واجب وأننا نخشى الناس ولا نخشى الله سبحانه وتعالى .

لقد قضى في الكويت عدة سنوات كانت صحف الكويت خلاها تشن حملة عنيفة على مصر وشعب مصر فلم يفتح فم بكلمة واحدة ليرد على الحملة خوفاً على الدنائير التي كان يتلقاها ، وهذه سنة بعض الناس يهربون من الوطن عندما يصاب بنكبة .

(م ١٩ إعادة النظر في كتابات العصرين)

إن كلام الكاتب هذا فيه من إساءة التعبير ما لا يتحقق في حق الحال
تبارك وتعالى لأن فيه يشبه فعل الله سبحانه بفعل البشر على صورة هزلية ،
والله تبارك وتعالى مسذة أن يتحدث عنه بصورة تشعر ولو من بعيد
بالم Hazel ، فالكلام عنه سبحانه وتعالى يجب شرعاً وعقلاً أن يكون متسماً
بالخير وألا يكون منافياً مع الكمال المطلق المتصف به سبحانه .

ولإذا كان أحد بهذه لا يسمح لنفسه بل لا يجرؤ أن يتكلم بنفس هذه
العبارة في جانب رئيس الدولة ، فإنه يجب أن يعلم الجميع أن جانب الله هو
الإسم والأعظم وذاته سبحانه مقدسة لا يجوز شرعاً ولا عقلاً المساس ولو من
بعيد بجلالها » .

ويعاد أحد بهذه المعركة من الشريعة الإسلامية في صورة علماء الإسلام
من أجل الربا (إن على علماء المسلمين أن يكفوا عن الحديث ، عن الربا ،
والأزهر ليس فاتيكان حتى يحسم ويثير ، إنما الأزهر يجب أن يكون
كما أقيم جامعة عليا لعلوم الدين ، الأزهر أو أى مؤسسة دينية رسمية ليست
جهة اتخاذ قرار وليس سلطة إصدار تشريع ، تحليل وتحريم شهادات الاستثمار
مثلاً . إن استخدام السلطة لرجال الدين عبر تاريخ الدول الإسلامية كان
دائماً وحيم العاقب) .

إن أحد بهذه في هذه التصريحات يريد أن يفرض أن مصر دولة علمانية
متجاهلاً نصوص الدستور عن الإسلام ، وأن الشريعة الإسلامية هي المصدر
الرئيسي للقوانين وهذه جرأة بالغة في مواجهة قضايا الإسلام ، ولم يتوقف
عند هذا الحد ، بل تابع دعوة التغريب لـ الكارهه لوجة الإسلام الجديدة
فهو يهاجم البنوك الإسلامية ويشكك فيها ويتهمها بأن في معاملاتها ربا ، في
إطار حملة تشهير بالبنوك الإسلامية ، ذلك النبت الجديد الذي أينع والذى
يغبط أعداء الإسلام ، وهي في نفس الوقت حملة تهوي للربا لحساب البنوك
الربوية ، وقد استخدم في ذلك كل أسلحة الغمز والتعریض والشتم الصریح
للمعارضين حيث يصف دعاء الإسلام بالجهل والعبث والاقراء والجمود
ب بينما يصف نفسه بالدرایة ، وقد جعل وسليته للوصول إلى هدفه هدم أصول
الإسلام ، ويقول : إن الشريعة الإسلامية ليست صالحة لكل زمان ومكان ،

وأن الصحابة غيروا الأحكام التي شرعاها الرسول صلى الله عليه وسلم حسب تغير العرف والمصلحة لظفهم أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يصدر حكمه إلا في ضوء الظروف القائمة ، والادعاء بأن شهادات الاستئثار تستثمر في مشروعات خيرية ، بينما المعروف أنها تفرض مرة أخرى إلى الشعب بفائدة أكبر . وبهذا يتضح أن مال شهادات الاستئثار تفرض بالربا ويصبح صاحب الشهادة آكلاً موكلًا للربا في وقت واحد ، ولا شك أن أحد بهذه يتصدى للرأي الإسلامي في جريدة الأهرام لخدمة البنك الربوي وهو يستعمل أسلوباً متعالياً لا يقبله أحد ولا يقنع أحداً بما يقول ، ويحاول أن يحرر مفاهيم المجتمع من رأي علماء الإسلام بدعوى أن ليس لهم الحق في الإنفاس ، وهو حين يرد عليهم لا يقبل منه ذلك لأنه ليس متخصصاً .

يقول المستشار محمد كمال فراج : إن الكاتب لم يتحرر شرعية الموضوع وإذا كان من حقه أن يكتب في الصحف فالأخوي بحكم القرآن أن يبغى الجميع وسائل النشر وليس في الإسلام رجل دين بل حكم وحاكم ومحكوم منه ومحكوم عليه ، أى مكلف ، وفي لجنة الاقتصاد والمال مجلس الشعب المصري انتهينا إلى تحريم الربا بنص قطعى الدلالة وكان من معاملاته شهادات الاستئثار عدا المجموعة (ج ١) ورؤى إيمان المتعاملين بالربا فترة يصححون خلالها أوضاعهم وفقه الإسلام يقيم الهيكل الاقتصادي على أرقى ما عرفه الفكر المعاصر ، وليس من الصحيح مهجياً تحرير الاقتصاد من جوانبه وقضى على الوصف الالاربوي ، ومنيع الإسلام أنه كفاء ، وشفاء ، ووفاء ، وفاء ولا اتفق مع القول بالبدليل الشرعي ، فالبدليل يقتضي المساواة ولكن الربا تحرير للاقتصاد بالمفهوم الاقتصادي ، على أن فكرة القيمة في القرآن تمتاز عن دلالتها في الاقتصاد فهماً يتعلق بكل مال له منفعة تحافظ على بقاء الكون إحياء وإنماء ، والربا أسلوب تعامل فهو وسيلة لا يتعداها إلى الغاية فلا يكون المبادل إلا بين قيمتين محدودتين ، وهذا أصل في البيوع في القانون المقارن والمنقول بالدليل على الفقه القرآني في تحديد محل الالتزام ، والكاتب زميل في هذا التخصص ولم يتخد هذا القرار في مجلس الشعب إلا بعد الموافقة الجماعية للمؤسسات المتعاملة بالربا ، والبنك الدولي ذاته عدل عليه نظام

الإفراض بفوائد إلى نظام المشاركة ، فراحت معاملاته من نسبة ١٢٥٪ إلى ما يزيد على ٢٥٪ ، وفي الإسلام يكفل الاستغلال لعلماء الدين إلا من اتباع الفقه ليتحرروا من ابتداع الفكر ، وقالت مجلة البنوك الإسلامية : إن بهاء بدأ بالتشكيك دون إمام تام ووقف على الأشياء في المناشط والمعاملات الاقتصادية الإسلامية . إن البنوك الإسلامية كنشاط مصرف قائم على الشريعة الإسلامية هي حلقة من المنظومة الاقتصادية التي تهدف أولاً وأخيراً إلى تحرير المجتمعات الإسلامية من سوادة الربا وقبضة المؤسسات الربوية وهي بالحق النظام الاقتصادي البديل الذي بُرِزَ إلى دنيا الواقع ، وقد برحت هذه المؤسسات على أنها أوعية لها من الفاعلين والاستجابة لأغراض المجتمعات ما تجعلها تبرأ الأدعية والهيكل التقليدية القائمة وتفوق عليها .

(٣)

إذا أضفنا إلى ذلك أن أحد بهاء دائم السخرية يكتب التراث في التفسير والحديث والفقه ويحاول تقليل من شأن أئمة هذه العلوم ، يقول : الكتب القديمة التي يعتبرها البعض تراثاً رغم أنها كلام فيه سخف عظيم لا يقدم ولا يؤخر ، وهدف الكاتب من هذا التهجم أن ينصلب نفسه وأقر أنه أئمة مجتهدين في دين الله يخلون آرائهم محل شريعة الله ، وإذا كان هذا هو رأى أحد بهاء في التراث الإسلامي فهل هو هذا رأيه في التراث اليوناني والروماني القديم ؟ أعتقد أن لا ، فتلك مقدسات أكبر وأعظم من التراث الإسلامي في نظره .

وهكذا يعمل التقديميون العلانيون الماديون ، على مهاجمة القيم الإسلامية والتراث الإسلامي والطعن في الشريعة الإسلامية ، وتبزيز الفكر الأجنبي والوافد وخاصة الفكر (الماركسي الليبي) ، فذلك شيء مقدس .

وحين تولى أحد بهاء مجلة العربي ، تولى رجاء النقاش مجلة الدوحة ، ومن خالماها انتشرت سموم الفكر الوثني والماركسي ، حيث نرى من يدعوا إلى معارضته مصادرة الكتب التي تهاجم الإسلام ، أنهم يرون أنهم في مرحلة جديدة بعد هزيمة الماركسيية والناصرية في البلاد العربية ، ولكنهم يزحفون حيث ينتفعون بالتناقض بين مصر وبعض البلاد العربية . إن المحاولة مستمرة

داخل فمارات من حبر وبأساليب الغزو الفكرى عن طريق تغيير العقلية الإسلامية والأعراف الإسلامية إلى عقلية تابعة خاضعة للوادى سواء من الفكر الغربى الماركسي أو الرأسمالى على السواء . إن هدف هؤلاء جمِيعاً ماركسيين ، ولبراليين ، احتواء الفكر الإسلامي وتغريب المجتمع الإسلامي تحت اسم الحضارة والتقدم . إننا لن نقبل رأى (توبى) الذى طالما ردده أحد هؤلاء من أن استيعاب التكنولوجيا مرتبط باستيعاب التجربة السياسية الغربية . إننا نحن المسلمين لن نقبل التكنولوجيا والعلوم الحديثة إلا كمواد خام نشكلها في دائرة فكرنا ونصنع منها حضارة الإسلام ولن تكون أتباعاً أو قابلين لدائرة الاحتواء . إن هؤلاء التغريبيون نتاج غير أصيل يحملون أهداف المزينة والانحلال عن طريق أسلوب لين خادع ، كتب أحد الكتاب يعرف بصديقه فقال : (له لون سياسى معروف ارتحل لكي يضع نفسه في خدمه أهداف بعيدة عن رسالة القلم وبعيدة عن أمانة الكلمة ، ولتكن يروج الأكاذيب ويشوه الصورة السياسية والاجتماعية ولم يكن الأجر المقبض عن هذه الكلمات السوداء هو الأجر الشرعى القانونى ، بل كان رشوة مستترة يوزن فيها السطر الواحد ويزن فيها درجة حرارة الشتائم والتشويه والتسيير بمثاقيل الأصفر الرنان) . ويتحدث أحمد بهاء عن جيله ، ولا يستحق بأن جيله هذا هو جيل السنتين اللعين ، الذى كان أسوأ جيل شهدته البلاد العربية وفيه نفقت فلسفات المزينة والشعبية ، وقد بدأ هذا التيار في مجلة العربي بالحديث عن فتحى غانم ، وصلاح عبد الصبور ، ومن الطبيعي أن تتفق هذه الذيول المتبقية من جماعة المزينة وأن تدافع عن الفن القصصى الماركسي الذى قدمه فتحى غانم ، ونعمان عاشور وغيرهم ، وعن الشعر الحر الذى قدمه أدونيس والسياب ، وحجازى ، وعبد الصبور وهم يحاولون تركيز هذين التيارين المهزتين وإحياءهما بعد السقوط ، ويتحول أحمد بهاء في افتتاحه لمجلة كالعربى العمل لترويج هذه المفاهيم الزائفة ، بعد أن كانت الحلة في أيام أحد زكي تقدم عرضاً شاملأ للعالم وتياراته وتحولاته . إن مجلة العربي قد استخدمت خلال فترة تزيد عن سبعة سنوات لخدمة الفكر المعادى للإسلام وتحجيم فيها كل اليساريين والشعوبيين والزنادقة ، وإثارة مفاهيم الماركسية والعلمانية في خلاف برانق ، ومعهم فهمى هويدى مركس الإسلام ويشير الشهادات .

(٣)

محمد عماره

إن بدعة اليسار الإسلامي التي ظهرت في السنوات الأخيرة كانت بمثابة عملية تمويه كبرى ، فإن دعاتها يحاولون أن يضعوا أنفسهم في صنوف الباحثين المسلمين وهم يتناولون المسائل الإسلامية بحراة باللغة ، ويصدرون منها عن مفهوم ناقص :

أولاً : من حيث أنهم لا يؤمنون بالإسلام كنظام مجتمع ومنهج حياة و يحاولون إخضاعه لنظريات التطور التي خضع لها الفكر المسيحي الغربي ، ومن حيث سوء عقidiتهم في الوحي والنبوة فهم يحاكون الإسلام كنظام بشري و يحاولون إيجاد التغرات في جوانبه يعتمدون فيها على ظاهر بعض الأحاديث ك الحديث : «أنتم أعلم بأمور دنياكم» الذي يخذلونه تكأة للقول : بأن الإسلام دين عبادة ولاهوت . وأنه يترك لل المسلمين الحرية في اتخاذ مناهج الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية وليس الأمر كذلك ولم يكن هذا الإطار الذي قيل فيه الحديث ولا هذه هي الوجهة فيه .

ثانياً : من حيث أنهم يعلون من شأن النزعة القومية بمفهومها العلاني ويجعلونها أساساً ومصدراً ، ويجعلون الإسلام قطاعاً منها وهذا ما لم يقل به مفكر مسلم أصيل ، ذلك أن العرب قبل نزول الإسلام لم تكن لهم قومية واضحة وقد خلا شعرهم وكتاباتهم من ذكر العروبة وأن الإسلام هو الذي جمعهم عليها وجعلها في إطار الإسلام ، فالإسلام هو الذي صنع للعرب مجدهم وهم لم يكونوا إلا شيئاً بغيراً ولن يكونوا وكيف يمكن أن يوضع المنهج الإسلامي الجامع الفسيح الجوانب الشامل للعقيدة والمعاملات والأخلاق ، موضع النظرية القومية ، التي تتعلق بالجنس والدم والعرق ، صحيح أن الإسلام لم ينكر الإعراب ولكنه جعلها في إطار الإسلام وجعلها سمة كبرى واسعة الأفق ، قابلة للالتفاء مع القوميات

الأخرى تحت لواء الأخوة الإسلامية وحررها من العنصرية والكراءة
والاستعلاء . ونقاها من دعوى الجاهلية .

ثالثاً : من حيث إيمانهم بالنظرية المادية والتفسير المادي للتاريخ
والإيمان بالصراع الطبقي وهذه كلها مفاهيم النظرية الماركسية التي لا يمكن
أن ينفع لها التاريخ الإسلامي ، ولا الواقع الإسلامي ، هذا فضلاً عن
فساد فكرة (اليسار الإسلامي) ، فليس في الإسلام يمين ويسار ، ولكن
هناك منهج الله تبارك وتعالى يعمل الجميع حاكمين ومحكومين على تطبيقه ،
والالتزام به والعمل في إطاره ، مع السماح لاختلاف وجهات النظر وخلاف
آمني رحمة كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم .

رابعاً : موقفهم الحاقد من الدولة العثمانية وإنكارهم فضلها في حماية
الإسلام أكثر من أربعة قرون في مواجهة الحملات الصليبية المتعددة
فضلاً عن موقف السلطان عبد الحميد الحاسم في مواجهة الصهيونية العالمية
ولكن الهدف المضرر وراء هذه المحاولات هي اتخاذ الإسلام ستاراً
لهم مقوماته في نظر أتباعه من خلال إغراقهم بأنهم يتكلمون بلغة إسلامية ،
غير أن الغرض الواضح معروف وهو تفتيت الإسلام وإخراجه عن مفهومه
الجامع ، واتخاذه أدلة لتبرير الواقع من مثل دعواهم بأن المخالفات غيرها
بعض التصرفات التي جرى عليها المجتمع في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم
ويرى كل هذا إلى الوصول إلى ما لا يقره الإسلام هو تبرير :

- 1 - القوميات بمفهومها الغربي .
- 2 - أو قبول مناقض المجتمعات الإسلامية كالنمر والزنا والربا تحت
أى محاولات لتبرير ذلك أو التهرين من شأنه .

وفي الأخير إنما تجري هذه المحاولات بقورة في هذه الأيام ، لتأخير
تطبيق قوانين الشريعة الإسلامية والتوهين من شأفتها ومن تتأججها خدمة للنفوذ
الغربي الذي يرغب في هذا ، والذي يرى إلى محاولات لوضع الإسلام في
مستوى بعض التحلل وذلك للقضاء على ذاتيته وتميزه الخاص على النحو الذي
يسعى إليه دعوة (الحوار) وغيرهم .

وقد جرى الدكتور محمد عمارة شوطاً طويلاً في تجديد كتابات جمال الدين الأفغاني ، و محمد عبده ، والكواكبى واستغل نصوص هذه الكتابات في خدمة قضايا مثارة : كقضية المرأة ، أو قضية المعاملات مع أن اجهادات الشيخ محمد عبده كانت لعصرها ولوقتها ، ولا يمكن أن تكون صالحة لعصرنا بعد مرور أكثر من سبعين عاماً ، ومراجعة كتاب (تجديد الفكر الإسلامي : محمد عبده و مدرسته) للدكتور عمارة يتبين إلى حد أمكن استغلال تراث الفكر الإسلامي لخدمة الماركسية والمذاهب القائمة على التفسير المادى للتاريخ وهي محاولة خطيرة ترمى إلى استغلال النصوص القدمة ومن ذلك ترجمتهم لبعض الشخصيات الإسلامية على النحو الذى قام به عبد الرحمن الشرقاوى وما كتبه أحد عباس صالح عن اليمن واليسار في تاريخ الإسلام وما كتبه أحمد عبد المعطى حجازى عن السيرة وهذه ظاهرة في حاجة إلى دراسة لأنها تمتد وتمتد حتى تتصل بكل التراث الإسلامي في محاولة لتقديم مفهوم جديد مختلف عن المفهوم الأصيل (وهم يرون أن طه حسين ، وهىكل ، العقاد) قد فتحوا لهم الطريق إلى التفسير المادى للتاريخ الإسلامي .

وقد عنى الماركسيون في الفترة الماضية بـ رجلين : الطهطاوى الذى اعتبروه مدخلاً إلى الفكر الغربى ، و (الكواكبى) الذى اعتبروه مدخلاً إلى القومية . وفي السنوات الأخيرة استخدم الماركسيون آراء الشيخ محمد عبده استخداماً واسعاً في سبيل الحيلولة دون الفهم السلفى الأصيل ، حيث كان الشيخ محمد عبده يحاول عن طريق التأويل محاولات يرمى بها إلى الدفاع عن الإسلام من اتهام الغربيين له بالجمود .

٢ - ومن أخطاء الدكتور محمد عمارة في ضوء مفهوم الإسلام تفسيره للحروب الصليبية ومقاومة الماليك للتتار وغيرها على أنها معارك عربية قومية بينما هي معارك إسلامية حقيقة كان يديرها المرابطون والماهدون المسلمين ورجال الطرق الصوفية . ومن العجيب أن يقال : إن حروب التتار ، والحروب الصليبية هي حروب عربية قومية ، وهي مرتبطة أساساً بـ ز壅 الإسلام وأثره في السيطرة على مناطق كانت في حوزة الدولة الرومانية في الشام ومصر والمغرب ، وقد امتدت هذه المعارك منذ ظهور الإسلام

بين المسلمين على حدود الشام والدولة البيزنطية ، ثم اتسعت إلى حروب صليبية في الشام وحروب الفرنجة في المغرب بمحاولات استرداد الأندلس ، كل هذا دار في إطار الصراع الذي أثاره الغرب في دعوته إلى القول : بأن كل ما كان في يد المسيحية يجب أن يعود إليه ، فكيف يمكن القبول بدعوى محمد عماره وحاشيته في إنكار هذا الفهم الحقيقي ، وحضره في كلمةعروبة مع أن كلمة العروبة لم تكن موجودة في ذلك الفترة ، والمعروف أن كلمة العروبة لم تظهر حقيقة إلا بعد سقوط الدولة العثمانية عام ١٩١٨ .

٣ - كذلك فإن هذه الحملة الضاربة على الدولة العثمانية (الدولة الإسلامية التي حمت العالم الإسلامي أكثر من أربعة قرون من عودة الحروب الصليبية الأوروبية) تواجه دائماً بالكراهية والانتقاض من عماره والماركسين جميعاً ، لأنها الدولة الإسلامية التي غزت أوربا والتي يحمل لها الأوروبيون مثل حقد العلانيين تماماً ، فإذا كان هناك مدخل حقيقي للدور يناسب إلى الدولة العثمانية في صراع مع العرب أو حماولتهم تبرير العناصر أو تعليق زعمائهم على المشانق فإن الإنصاف يقتضينا أن ننسب هذا الدور إلى القائمين به وهم الاتحاديون أصدقاء الدولة والذين شكلتهم المحافل الماسونية وأصحاب الدعوة القومية المفرغة من الإسلام ، والداعية إلى الطورانية ، وهم الذين حكموا منذ عزل السلطان عبد الحميد عام (١٩٠٨ - ١٩١٨) وهم الذين سلموا طرابلس الغرب لإيطاليا ، وسلموا فلسطين للصهيونية ، وأدخلوا الدولة العثمانية الحرب العظمى في صف الألمان ، هؤلاء أولياء الصهيونية وعملاء العلانية والذين غرسوا مفاهيمهم في أحزاب عربية كثيرة ، وحمل لواء الدعوة القومية على مفاهيمهم شيخ دعاتها ساطع الحصري ومن ورائه زكي الأرسوزي ، وميشيل عفلق ، وجورج حبش وغيرهم .

ولابد أن تتلاقى مفاهيم محمد عماره مع هؤلاء الذين ينسبون إلى الماركسية وال القومية المفرغة .

و حين تقرأ كتابات محمد عماره عن الوهابية والسنوسية والمهديه ، تجد الهدف واضحاً وهو ضرب الوحدة الإسلامية القائمة باستثارة شبهات وهدم

قيمه ، وذلك من إدخاله عبارة جبهة العروبة ، وما يسميه عروة الدولة والفكر والحضاراة حيث لم يكن هناك ما يسمى بهذا الاسم .

وتأويل التاريخ الإسلامي من تفسيرات القوميين والإقليميين والماركسيين فكل منهم يحاول أن يفرض على هذا التاريخ مفاهيمه وتفسيراته ، وفي أبان الدعوة القومية بروز كتاب كثيرون بلوكون عبارات القومية العربية ويوزعونها على الدول الأممية والعباسية وغيرها بغير حساب .

ونحاول محمد عمارة أن يصور السنوسية والوهابية والمهدية وكأنها معاشرة للدولة العثمانية واعتبرة إليها دولة استعمارية ، ولم يكن الأمر كذلك في الحقيقة .

إن خطأ عمارة أنه يفسر التاريخ بأهواء القوميات والماركسيات المعاصرة التي ت يريد أن ترتد إلى الوراء لتجعل لها جذوراً غير حقيقة ، وهي تعتمد في ذلك على خيوط واهية منها ذلك الخيط الذي تردى فيه الكواكب وهو الخلافة العربية ، وما يسمى بالسلط العثماني في حكم ما يسمى بالأمة العربية ، حيث لم يكن هناك مفهوم يسمى الاستعمار في هذه المرحلة أو في هذه المعركة ، وكلمة الاستعمار كلمة مستحدثة ارتبطت بالاستعمار الغربي وحده ، أما العلاقة بين الدولة العثمانية والعرب (سواء المصريين أو السوريين أو الجزائريين أو التونسيين) ، فقد كانت علاقة الأخوة الإسلامية وعلاقة استعانته الجزء بالكل في سبيل مواجهة الخطر الغربي المتحفز الذي كان يستعد بعد انتهاء الحروب الصليبية إلى جولة أخرى لو لا هذه الوحدة التي طالبت بها مصر وتونس وغيرها الدولة العثمانية بصفتها دولة إسلامية تجمعها وإليها كلمة « لا إله إلا الله » .

وكل التفسيرات التي تحاول أن تصور الأمر على غير هذا فهي تفسيرات ضالة ، ولقد حضرنا الملتقى الإسلامي في الجزائر عام ١٩٧٢ ونوقشت هذه القضايا مناقشة واسعة . إن هذا الاتجاه الذي يحاول أن يصور الوهابية والسنوسية والمهدية في صورة معاشرة سياسية للدولة العثمانية واعتبرة إليها دولة استعمارية هو اتجاه مرواغ غير صحيح وليس هناك أى سند له أو أى

دليل ، فإن المسلمين في هذه المرحلة لم يعرفوا هذا (الاتجاه العروبي) المفروض من بعد على تفسير التاريخ في مراحل سابقة لوجوده مثلاً ، ولعل هذا انسياق وراء التيار البعثي والماركسي الذي يحاول أن يفسر التاريخ الإسلامي تفسيراً يخرج به من مفهوم (الجامعة الإسلامية) والوحدة الإسلامية التي يكررها البعث ودعاة القوميات من ساطع الحصرى إلى محمد عماره . وهي محاولة لانتقاط كلامات من هنا وهناك لإقامة مفهوم وهى ، ولست أدرى لماذا هذه الكراهة العنيفة للدولة العثمانية – وخاصة من مدعى اليسار الإسلامي وكان الأولى بهم أن يكونوا منصفين ، إلا أن تكون مؤامرة لمؤازرة مفهوم الصهيونية العالمية والشيوعية العالمية التي هدفت هذا الصرح لإقامة دولتها في فلسطين ومن شأن هذا أن يكشف أن هناك ارتباط خفي بين المسؤولية وبين هذه الدعوات التي يحملها السكارهون للدولة العثمانية من أحمد بهاء وعماره وغيرهم .

٤ – كذلك فهناك الرج ب الكلمة العقلانية في كل ما يتصل بالإسلام ، فما كان الإسلام عقلانية حالصة ولا كان هو (المعزلة) ، وما كان كل خارج عن الإسلام من الثوار على النحو الذي أورده في كتابه (رجال ثوار) حيث ضم دعوة الباطنية إلى إعلام الإسلام ، وهو في كل كتاباته يصف الأفغاني بأنه كان عقلانياً قومياً ، وما كانت تلك العبارات أو المسميات مما تصور موقف هذا الرجل أو موقف محمد عبده أو رفاعة الطهطاوى . كذلك فإن أحداً منهم لم يكن علانياً بالمعنى الأولي الذي هو في الترجمة الحقيقة (لا دينياً) .

والعلمانية نبت أوربي خاص وضرورة وجدت أبان الخلاف بين الكنيسة ورجال العلم وفي ظل قسوة الكنيسة وطغيان الكهنوت ، وهذا أمر مختلف تماماً في الإسلام . فالإسلام لم يعرف الكنيسة ولا الحكومة الشيفراتية ، وكان نصيراً لحق الجماعة وللحريه وقد أفسح المجال أمام العقل الإنساني ، وكان من أبرز منجزاته (المنهج العلمي التجربى الإسلامي) الذي نقلته أوروبا وبنت عليه حضارتها .

٥ – ومن أخطائه حملته على السلف الصالح وإعلاء شأن الفلسفه ، والمتصوفة الخارجين على مفهوم الإسلام . والمتكلمين ، وخاصة الحلاج ،

وابن عربي . والقراططة ، والباطنية فإن هؤلاء لم يكونوا دعاة إسلاميين حقيقين أو مناضلين كما يسميهم ، فضلاً عن أنهم ناقضوا أصل الأصول في الإسلام وقد ثبت أنهم كانوا يهدون إلى هدم الإسلام بتدمير الدولة الإسلامية . لذلك فلا يمكن أن يوصفوا بأنهم فرسان الدفاع عن إنسانية الإنسان ، وليس معنى أن بعض الفقهاء ارتبطوا بالحكام أن يوضع هؤلاء الحاقدون على الإسلام بالمقابل في صف الثوريين المصلحين ، ه لقد رفض الإسلام مفهوم الفلسفه الذين يقولون : بقدم المسادة والعالم وأزليتهم رفضاً تاماً.

ومن أخطائه الفصل بين العلوم الشرعية والعلقانية والتقييز بينهما وخاصة بين التصوف والشريعة فهذا مفهوم خاطئ ، أو بين الفلسفة والشريعة ، ولا يمكن القول بالنظر في كل منهم منهاجه ومعاييره ، فليست هناك منهج أو معيار لكل علم ولكن هناك منهج واحد تتحكم إليه العلوم كلها هو منهج الشريعة الحاكمة على كل العلوم من جهة واحدة هو سلامة صلتها بالعقيدة . ومعنى ما يقول عمارة : شديد الخطورة ، فهو يدعو إلى تقبل التصوف الفلسفي وهو خارج تماماً عن مفهوم الإسلام وكذلك قبول الاعتزال وفيه انحراف كثیر .

ومن أسوأ ما قال محمد عمارة قوله : (إن الدولة) التي بناها وأقامها الرسول صلى الله عليه وسلم في المدينة على شرع الله وسننه عليه الصلاة والسلام لم يكن لها علاقة بالدين .

ولا أدرى كيف بلغت به الجرأة على الحق هذا المبلغ وهو يعلم أن الدولة الإسلامية التي أقامها رسول الله صلى الله عليه وسلم قامت على أساس أحكام الله : « وأن تحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتونك عن بعض ما أنزل الله إليك . . . » .

٦ - ويجري الدكتور محمد عمارة مع ذلك التيار الخطير الذي يحاول احتواء الفكر الإسلامي والذى يديره أعداء الإسلام ، على هذا الأسلوب الحديث ، وهو إثارة التعصب القومي والمذهبي وإشعال نار الطائفية فيتناحر المسلمون ويتنازعون فيما بينهم فيفشلوا وتذهب ريحهم . هذا الأسلوب

الحبيث تستعمله اليوم بعض المخاور الحاقدة على الإسلام ببث الشائعات الكاذبة المغرضة وإثارة الأحقاد المندروسة ونكا الجروح القديمة المتدملة من أجل إثارة الفتنة والبلبلة بين المسلمين لتشتيت شملهم وتبديد جمعهم ، ومن ذلك ما نجده من تأليف الكتب وإذاعتها عن طريق دور النشر الكبرى عن المذاهب والفرق الإسلامية بعد أن انطوت صفحاتها وانتهى أمرها ، ولم يعد لها وجود حقيقي في المجتمع الإسلامي ، وهو عمل من أعمال الغزو الثقافي الذي يرمي إلى إحياء هذه الخلافات وتنزيق جبهة المسلمين والخليولة دون التقاء المسلمين على وحدة الفكر الحقيقية المنبعثة من مفاهيم أهل السنة والجماعة ، وبذلك فإن محمد عمارة – وهو في أحد أعماله العديدة ينشر تاريخ الفرق الإسلامية مما بعد خطوة في هذا الطريق ، وقد بدأ هذا العمل بؤدي دوره الخطير المسموم منذ بدأه أحمد أمين وكان قد عقد مؤتمر في تيمور منذ سنوات أوصى بإعادة إثارة الخلافات والفرق عن طريق مؤلفات تجدد هذه القضية .

ولقد تكشفت أبحاث الدكتور محمد عمارة عن أخطاء تاريخية عديدة راجعه فيها ذوى الشأن ، تبين منها غلبة أهواء المذهب على حقائق التاريخ .

* * *

(٤)

محمد أحمد خلف الله

تناولنا أعمال الدكتور خلف الله في فصل سابق ، ولكن كان علينا أن نعرض له في هذا الباب لأنه شغل نفسه في السنوات الأخيرة بمسائل الشريعة الإسلامية وتصدى للفتوى فيها ، وهذه ظاهرة جديدة نعجب لها من أسماء لم يكن لها اتصال بها من قبل شأنه في ذلك شأن حسين أحمد أمين الذي نفت سموه وما زال ينفثها على هذا النحو الذي يشغل خلف الله ، وعمارة ، وحسن حتى من يسمون أنفسهم اليسار الإسلامي والذين هم أشبه بمن يفسد ماء البحيرة الهادئة بإلقاء الأحجار والأوساخ . و تاريخ الدكتور خلف الله لمظلم منذ بدأ حياته الثقافية بكتابه (الفن القصصي في القرآن) وما تضمنه من تجنب وافتراء على كتاب الله وما ثبت في أذهان القراء والباحثين من أنه رجل غير موضع الثقة في بحوث الإسلام ، بعد أن وصف الرسول صلى الله عليه وسلم بأنه قصاص يعتمد أسلوب الفتاوى في الإضافة والمحذف وهو بهذا ينكر عصمة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وقد أخذ جماعة من اليساريين في الفترة الأخيرة مهاجمة الشريعة الإسلامية عن طريق وجود بعض المدخلات التي يسلكون منها .

و حين تقرأ مقالاته عن التشريع الإسلامي – كما يقول عودة الله القيسي – تحس أنه يحاول أن يقنع القارئ بأن عليه أن يتقبل التشريع الغربي تشريعاً لنا بحيث نأخذ منه كل قانون لا نجد ما يقوم مقامه في التشريع الإسلامي ، ويحاول أن يخدع في هذا فتعتمد على نص عند الفقهاء فيقول : (كل قضية تجده وليس فيها حكم إسلامي فإن لنا أن نأخذ لها من التشريع الغربي لأنه إذا كان شرع من قبلنا شرع لنا فشرع معاصرينا شرع لنا كذلك) ويحاول أن يصور التشريع الغربي المعاصر في مستوى شرع من قبلنا ، وهذه

خدعة بلغاء ، فليس المقصود بالنص هو هذا . إن التشريعات السابقة يقصد بها تشريعات الديانات السماوية التي بقيت على ما أنزلت عليه من عند الله دون تحريف ، أما التشريع الغربي فهو تشريع بشري وليس شرع الله ، ففكرة الحلال والحرام غير واردة فيه ، وإنما وارد منه فكرة المصلحة التي هي غالباً مصلحة الطبقة الحاكمة وقليلاً هي مصلحة الشعب ، على أن البشر قاصرون في النظر بعيد عن إدراك المصلحة إدراكاً دقيقاً من تلقاء أنفسهم ، أى دون أن يهتدوا بشرع منزل من الله تعالى .

إذن هناك فرق جوهري بين شرع من كان قبلنا وشرع المعاصرين لنا يجعلنا نأخذ من السابق ما لم يحرف ولم يخالف ما ورد في الكتاب والسنة ويمنعنا من الأخذ من الشرع معاصرينا لقصوره وقيامه على الإلحاد .

(٢)

يصور الدكتور خلف الله التشريعات النبوية بأنها اجتهد بشر يخطيء ويصيب ، ولا يقتصر في خطأه على السنة ، بل يمتد إلى القرآن نفسه فيأخذ من السنة بيانها للقرآن (نوع واحد) هو السنة المبينة للعقيدة والعبادات وحدهما دون السنة المبينة للأحكام والمشيئة لها ، يقول الأستاذ حسين ناجي محي الدين : هكذا نراه أهدر من القرآن والسنة ما ورد فيهما من أحكام بدعوى أنها غير ملائمة للعصر واعتماداً على أن الأصوليين (علماء الفقه) قالوا : إن المصلحة تتغير بتغير الزمان وترد عليه فيقول : إن الأصوليون حين قالوا ذلك لم يقصدوا الأحكام الواردة بصربيح القرآن ولا الأحكام التي وردت وبينها الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولا الأحكام التي أنشأها الرسول صلى الله عليه وسلم إنشاء ، وإنما قصدوا بعباراتهم الأحكام التي لم يرد منها نص من قرآن أو سنة ، وهي التي قال فيها المحدثون بالقياس أو الاستحسان أو الإجماع ، أى الأحكام التي وصل إليها هؤلاء بفكرة هم البشري .

(٣)

ومن أخطائه دعوه بتعطيل آية النيء والغنية على أساس أن الزمن تغير وقد سمي بيان الرسول صلى الله عليه وسلم للقرآن اجتهد بشري وليس يلزم

أن يكون ديناً وله جرأة على الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ، وله مغالطاته وتناقضاته فيقول : (إن تفسير رسول الله صلى الله عليه وسلم للقرآن قول بشر ومعنى قول بشر : أنه غير ملزم أى يؤخذ منه أو يترك فلا يعقل أن يكون قول بشر له صفة الإلزام) .

ولا يعني هذا الكلام أكثر من أن صاحبه لا يعرف معنى النبوة ، ولم يحط إحاطة صحيحة بمهمة الرسول صلى الله عليه وسلم ومسئوليته . ولو أن قلبه كان يحمل ذرة من يقين لما استطاع أن يتكلم بهذه الجرأة .

(٤)

أما مقولته : بأن الدين وضع إلهي والدولة وضع بشرى فتلك مقوله ظاهرة البطلان تستمد مفهومها من مفاهيم اللاهوت الغربي ونظرية فصل الدين عن الدولة التي قام بها الغربيون من أجل الخلاص من الدولة الشيوراطية ومن مظالم الكنيسة ، أما في الإسلام فإن الأمر مختلف ولو كان لخلف الله أقل إسلام لمفهوم الإسلام كدين ونظام مجتمع ، لما عرض لهذه العبارات التي تصوره بصورة من يتحدث عما يعلم ، أو من يعلم ولكنه يراوغ في سبيل التشكيك وإثارة الشبهات .

لقد وضع الإسلام القواعد لقيام حكومة إنسانية ، على أساس العدالة الإلهية والحق والرحمة والإخاء البشري ، فماذا في هذا ؟ وما هو وجه التعارض إلا أن يكون قد فهم الدين فهماً لا هو تيار ، فكلمة الدين هذه التي يستعملها ليست هي الإسلام ولكنها هي أي دين آخر .

(٥)

ومن ذلك محاوراته المضطربة حول هو ما هو ملزم وغير ملزم ، والنص والإجهاد فيما ليس فيه نص ، وقد رد عليه المستشار سالم البهساوى فقال : إننا نطالب أن يكون الحكم بما أنزل الله ، فهل يعارض هو في ذلك ؟ إن الحكم بما أنزل الله إنما يستمد مقوياته من أمرين :
الأول : أن يكون بما في كتاب بما هو قطعى الدلالة بما يستطيع الإنسان أن يصل إليه بنفسه .

الثاني : أن يكون ما في كتاب الله محتاجاً إلى البيان ، ويكون رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قام بهذا البيان ، فماذا في هذا من بعد عن الصواب أو بعد عن السنة التي جعلناها أساساً لبيان ما أنزل الله .

(٦)

إن هذه الجرأة على الله تبارك وتعالى وعلى رسوله صلى الله عليه وسلم كيف يمكن أن تصدر من رجل يريد أن يقدم اجتياحاً في تطبيق الإسلام : إن أول شرط لذلك هو التقدير الكامل للقرآن وميزاته ومبلغه ، من حسن الأدب والذوق .

وكيف يمكن أن يقول خلف الله : أن في القرآن أحكاماً معطلة و يجب بقاؤها معطلة مسيرة لظروف الزمان والتغيرات الطارئة على المجتمعات . إن ما جاء من الله سبحانه لا يمكن ليشر أن يقول : إنه ليس صحيحاً وتلك هي إيجاده المولى تبارك وتعالى بالماضي والحاضر والمستقبل بكل ما فيه من أبعاد . أما خلف الله فإنه يريد أن يفرض مفاهيمه على سنوات لن تتجاوز العشر أو العشرين من عمره ، وهي لا تساوي شيئاً من عمر الإسلام ; وهو يظن أن الأوضاع القائمة في البشرية كلها اليوم ستسير على هذا التحوّل بينما يتقدّم علماء الغرب بأن البشرية مقبلة على تقبل كامل التشريع الله ، وأن هذه الحضارة الفاسدة التي يحاول أن يبررها خلف الله ويخضع لها نصوص القرآن والسنة سوف تنهار وتنهي ويهوي هو معها .

إن هذه النظرة الضيقة هي نظرة غير المسلم المؤمن ، وأن هذا العالم المحدود ليس علم الدعوة إلى الله أو الحق .

وماذا يمكن أن يصل إليه خلف الله حين يزعم أن بعض النصوص القرآنية غير قادرة على تحقيق الصالح العام للمجتمع الإسلامي ، أو قوله : إن بعض أحكام القرآن الواردة في النصوص القطعية أصبحت غير صالحة للتطبيق وغير عادلة بسبب تغير الأزمان والأحوال ، وكيف يمكن أن يوصف من يفرق بين الدين وبين الأحكام ، أو يخرج التشريع ويخرج الأحكام من

مفهومه الدين، سواء أكانت هذه الأحكام واردة في القرآن أو في السنة أو بإجماع المسلمين أو باجتهد المحتددين من الفقهاء والعلماء . إن خلف الله يضمر في نفسه معانٍ لا يستطيع أن يبُووح بها هي نفس المعانٍ الذي ردها على عبد الرزاق في كتابه ، وأمين الحولي في مجالسه ، وكيف يمكن أن يكون مقبولاً من رجل مسلم أن يقول : إن النص القرآني إن لم يكن قادرًا على تحقيق المصلحة تركناه وجلأنا إلى الفكر البشري ، وهل برى أن الفكر البشري يستطيع أن يحقق المصلحة العامة للبشر من دون القرآن ، أن صانع البشرية هو الذي يعرف الصالح العام لها وما يوجهها إليه هو الصالح العام ؛ أما القوانين الوضعية فإنما تحقق أهواه النفوس وتسلم البشرية إلى الفساد والانحلال وإلى تبرير أوضاع المجتمعات البشرية الفاسدة التي تعيش اليوم على الربا والزنا والانحلال الخلقي .

(٧)

لا يوصف النص القرآني بأنه غير قادر على تحقيق الصالح العام ، وإنما يوصف القائل بذلك بأنه غير قادر على الفهم وعجز عنه أو يوصف بأنه غير عالم وغير فاقه ، كما يوصف بأنه أساء الأدب في حق آيات القرآن ، كما يوصف بالتناقض بين تقريرأن ما يصدره القرآن لا يتغير بتغير الأزمان وأنه صالح لكل زمان ومكان ، وأنه يجب الالتزام بما جاء بالقرآن وبين الزعم بأن بالقرآن نصوصاً غير قادرة على تحقيق الصالح العام .

يقول المستشار حسن ناجي محيي الدين :

هل يريد الدكتور خلف الله أن يلقن الناس أن بالقرآن آيات قادرة وآيات غير قادرة بمعنى آيات صالحة وآيات غير صالحة للتعامل معها وبها ، وإذا كان الأمر كذلك كان من حقنا وحق كل سامع له أن يدفعه بالتناقض الفاحش . وكان من حق المسلم أن يصف تناقضاته بأنه يحمل ريبة وشهادات ، فلي sis في كلام الله ما هو صالح وما هو غير صالح ، وليس في كلام الله ما هو قادر وما هو غير قادر ، بل كلام الله تبارك وتعالى كله في ميزان الصحة صحيح ، وفي ميدان القدرة قادر ، لا فرق بين أى وأى ، فالكل من عند الله وما كان

من عند الله فهو الكمال المطلق والحكمة المطلقة ، فإن الله (جل شأنه) لا يكون قادرًا مرة وغير قادر مرة أخرى ، لقد خان التغيير الدكتور خلف الله إن كان الأمر هو ذلك فإنه بشر ولم يوث جوامع الكلم . وأن كلنا يرى أنه يدير الحديث ويستعمل الكلمات بلباقة ومهارة ، وإن زلة اللسان أو شطط العلم ما يبغى أن يبلغ مبلغ التجدد على آيات القرآن ، وقد يقبل ذلك من مستشرق حاقد لكن لا نقبله من منتب للإسلام يسره أن يقال في حمه : إنه مفكك إسلامي فإن للمسلم عزة على ربه وأدبًا في الحديث معه أو الحديث عنه .

* * *

إن خلف الله يثير محاولة باطلة حين يدعى أن هناك فرقاً بين الدين وبين الشريعة وأن مصدر الدين هو الله ، وأن مصدر التشريع هو القرآن والسنة ، والحقيقة التي لا شك فيها هو أن الشريعة جزء من الدين وأنها جمياً من الله تبارك وتعالى ، وأنها نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم في القرآن الكريم وكل محاولة لإثارة الشبهات حول ذلك هي من باطل الدين لم يصل علمهم إلى حقائق الأشياء : (مالهم به من علم إن يتبعون إلا الظن وما هبوا الأنفس) .

* * *

(٥)

محمد سعيد العشماوي

في مرحلة من أدق مراحل الحياة السياسية والاجتماعية المصرية ظهر جماعة من الدعاة إلى وحدة الأديان ، بهدف صهر الإسلام في بوتقة الأديان ، وكان لهذه الموجة سابقة بذاتها دعوة الحوار الدين استهدفتوا الحصول من علماء المسلمين على شهادات خادعة بأن لا خلاف بين المسيحية والإسلام إلا في مسائل شكلية ، أما هذه الداعوى التي قام بها الماكرون وجندوا لها بعض المسلمين المخدوعين ، فقد حاولت أن تسوى بين الأديان تسوية تارikhية بحسب ييلو لغير الإسلام الأولية والسبق وله التبعية والاقتباس من سبقه من أديان . والحقيقة هي غير ذلك تماماً ، ذلك لأن مصدر الدين المزيل واحد من الله رب العالمين ولكن بعض الأديان جرفت بعمل روؤسها فيبعدت عن الطريق الصحيح الذي يسلم كل منها إلى الآخر وصولاً إلى الدين الخاتم ، ومن هنا فإن صفة التشابه بين الأديان صحيحة لأنها ناتج عن وحدة المصدر الأول ، ولكن الأديان غيرت وثبت الإسلام على المفهوم الرباني الأصيل ، ومن العجيب أن يغيب مثل هذا المفهوم عن رجال لم قدر من الثقافة العصرية ، ولكن مع الأسف قصرت مفاهيمهم الإسلامية عن إدراك هذه الحقيقة ومن هنا جاء ذلك الخلط الشديد الذي وقع فيه المستشار محمد سعيد العشماوي في كتاباته عن نظام الحكم في الإسلام ، ولم يكن العشماوي إلا حلقة من سلسلة متصلة بالحلقات ضد الإسلام ، فقد كتب الطيب الذي قال : إنه لا يمكن تطبيق شريعة الله إلا إذا بعث الله نبياً ، وحيث أن النبوة قد ختمت برسول الله صلى الله عليه وسلم فلن تطبق الشريعة ، أما العشماوي فخلصة رأيه أن نظام الحكم الإسلامي السديد يقوم على ثلث مبادئ :

الأول : واقع المجتمع لا كتاب الله .

الثاني : إرادة الأفراد لا إرادة الله .

الثالث : الظروف المعاصرة وليس فيها حكم الله .

إذن ليس لله دخل في هذا كله ، لا كتاب الله له دخل ولا سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم لها دخل وسمى هذا كله (وازداد شططاً) أنه نظام الحكم السليم .

إن دعوى أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لم يبعثوا حكاماً هي دعوى باطلة وآيات القرآن ترى لتسجل ارتباط النبوة والحكم في كل عصر : « وَادْوَدْ وَسَلِيْمَانَ إِذْ حَكَمَانِ فِي الْحَرْثِ » .

« يَا دَاوِدْ إِنَا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ » .

« إِنَّا أَنْزَلْنَا الشُّورَى فِيهَا هُدًى وَنُورٌ » .

ومن خطأه قوله : إنه بمجرد أن انتهت النبوة فقد انتهت حكومة الله بوفاة محمد صلى الله عليه وسلم ، أما مجيء أبو بكر رضي الله عنه بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأبو بكر ليس خليفة عن الرسول صلى الله عليه وسلم في تنفيذ أحكام الشريعة ، والرسول صلى الله عليه وسلم لم يعين أحداً بعده والقرآن لم يبين المنهج الذي يحكم به أبو بكر رضي الله عنه ولم ينجل المستشار أن ينقل ما كتبه على عبد الرزاق ، وطه حسين من قبل وما رد به عشرات علماء المسلمين على ذلك من أن الحكومة الإسلامية بعد الرسول صلى الله عليه وسلم حكومة إنسانية وليس ثيوقراطية ، تقوم على شريعة الله ، وأن صمت الرسول صلى الله عليه وسلم عن تسمية خليفة له هو أعلى درجات الشورى وإعطاء الأمة حقها في اختبار حاكمها تحت لواء الإسلام وفي ضوء القرآن .

نعم : الحكم في الإسلام ليس حكماً دينياً على نحو ما عرف في الغرب ولكنه حكم مدنى .

وأنت حين تقرأ تلك الكلمات الموصوقة تحس بأمرٍ :

أولاً : تحس بأنها مقوله عن مصدر يريد أن تكتبها أسماء إسلامية جغرافية .

ثانياً : تحس بأن صاحبها يجهل أقل قدر مما يجب أن يعرفه المتخصصون

ثانياً : أن تكون مهمة الرسول السابق إذا جاء رسول جديد برسالة من عند الله قد انتهت ، أو توقفت وبدأ عهد رسالة جديدة وعلى الجميع أن يؤمنوا بها ويتبعوا الرسول الجديد مع استمرار إيمانهم بالرسول السابق ، وسيجدون أن الأصول واحدة ولكن منهج العبادة ورسومها والأحكام قد تغير بعضها ، فعلىهم أن يعملا بالأحكام الجديدة متبعين الرسول الجديد في ذلك فإن لم يؤمنوا بالرسول الجديد ولا بما جاء به حين ظهوره فانهم حينئذ يكونون قد فرقوا بين الرسول وآمنوا بالبعض ورفضوا الإيمان بالبعض الآخر وحينئذ لا يطلق عليهم أنهم مسلمون لأن الإنسان لا يطلق عليه كلمة مسلم إلا إذا آمن بالرسل جميعاً ، آمن بالسلسلة كلها ، فإذا رفض الإيمان بأحد منهم فإنه يكون قد قطع السلسلة ولا يطلق في هذه الحالة عليه أنه مسلم ولا أن دينه الإسلام . وبهذه النظرة نظر سيدنا عيسى عليه السلام والمؤمنون به إلى من لم يؤمن به ويتبعه من اليهود وسماميم كفار ، فقد استمرت رسالة سيدنا موسى عليه السلام واستمر العمل بها حتى جاء سيدنا عيسى عليه السلام فبدأت رسالة جديدة يجب على الجميع أن يؤمنوا بها ويتبعها ، فن اتبعها وآمن بها وبالسابقين من الرسل عد مسلماً ومن رفضها كان كافراً ، فقد جاء على لسان سيدنا عيسى عليه السلام في القرآن مخاطباً بني إسرائيل : « ومصدقاً لما بين يدي من التوراة ولأحل لكم بعض الذي حرم عليكم ... ».

وكان كفر اليهود بسبب رفضهم الإيمان بعيسى عليه السلام مع إيمانهم
جhosni عليه السلام؛ ورسني الذين استجاروا به عيسى عليه السلام وأمنوا به

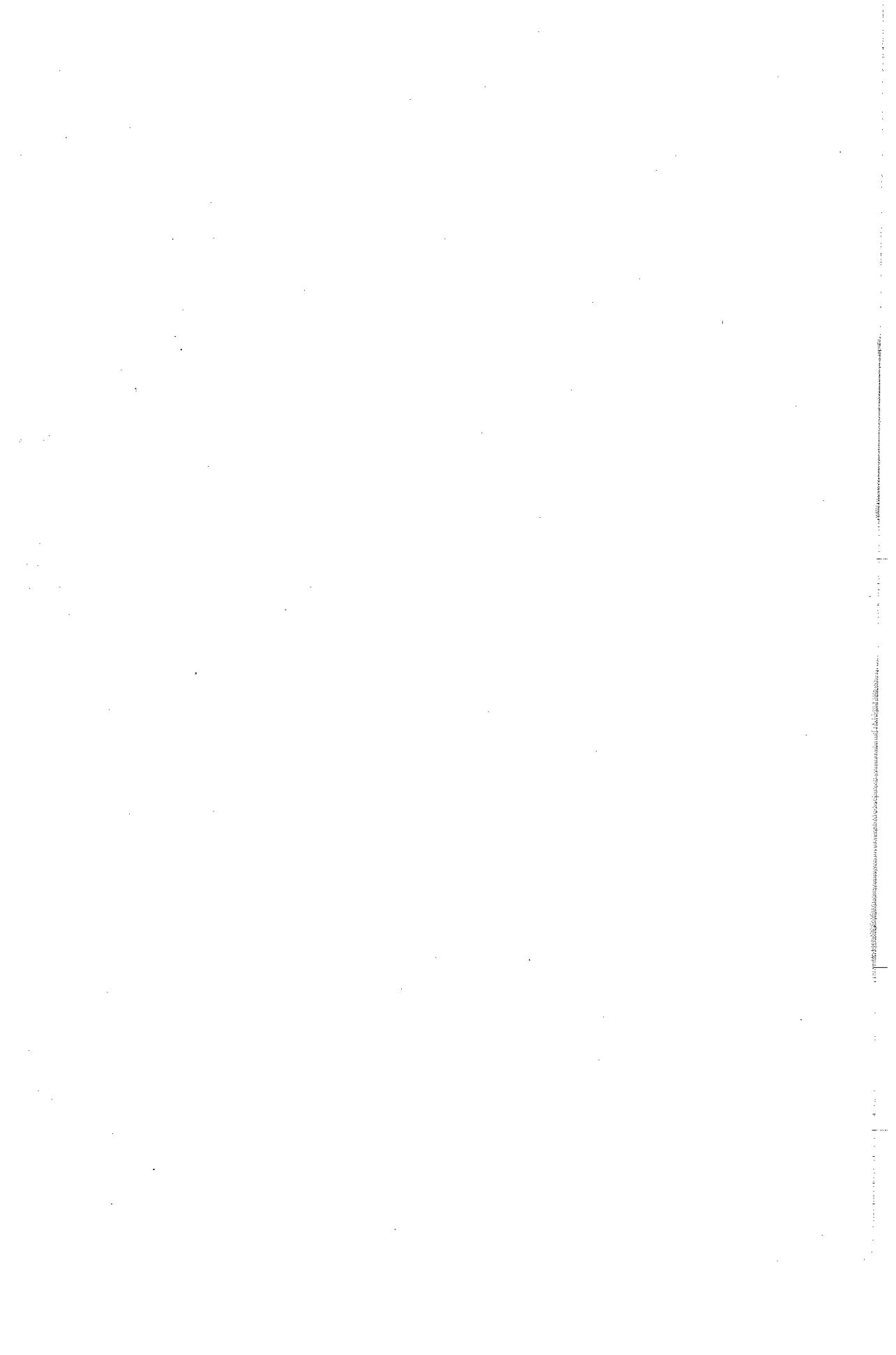
مسلمين ، وكل من أسقط رسولا من رسل الله ولم يؤمن به ولو آمن بباقي الرسل جميعاً لا يسمى مسلماً لأنه قطع سلسلة الأخوة من الرسل وأسقط حلقة منها . ويقول ابن كثير في تفسيره : « ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه » . إخباراً من الله تعالى بأنه لا دين عنده يقبله من أحد سوى الإسلام وهو اتباع الرسل فيما بعثهم الله في كل حين حتى ختموا بمحمد صل الله عليه وسلم ، فمن لقي الله بعد بعثة محمد صل الله عليه وسلم بدين على غير شريعته فليس بMuslim .

ويقول الدكتور عبد المنعم النمر : لقد استند (المستشار العشماوى) إلى آيات عامة يفتدها ويتحققها ، وهناك آيات أخرى كثيرة لم يشر إليها طبعاً ولم يضعها في حسابه إذ لو كان قد أطلع عليها لما كلف نفسه هذا المقال الطويل ، أو على الأقل كان قد استطاع أن يقطع بالقول الحاسم في هذا الصدد وهو أن جميع الموجودين حين رسالة محمد صل الله عليه وسلم وبعده إلى يوم القيمة مكلفوون وملزمون بالإيمان به متى بلغتهم دعوته وأنه غير مقبول منهم عند الله أن يفرقوا بين أحد من رسله ويؤمنوا ببعض ويكفروا ببعض .

ورد على قوله : (إن الله ترك لأهل الكتاب الحرية في أن يؤمنوا « بمحمد » صل الله عليه وسلم أو لا يؤمنوا فقال : إنه رى أن أهل الكتاب لم توجه إليهم الدعوة وذلك قوله : غير أن الله ترك لأهل الكتاب - الجزية . . . إلخ) .

ومفاد هذا أن القرآن لم يوجه الدعوة لأهل الكتاب ، ومن هنا لم يكن الإيمان بمحمد واجب عليهم ، وهذا كلام خطير ، وأن الإيمان بالله يعني الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله ، فلا يتأتى الإيمان بالله دون الإيمان برسول الله الذي يتعين الإيمان به حيث يبعث .

* * *



الفصل الثامن

إعادة النظر في كتابات التفريغ

تنوعت تيارات التفريغ وتوزعت ولم تترك مجالاً من مجالات الفكر أو الفلسفة أو الأدب إلا وقدمت فيه سعومها وهذه طائفة من هذه التحداثيات نكشف عنها ونعرّبها حتى لا ينخدع بها بعض من يقرأها.



أولاً : دعاوى المهاجرين : فيليب حتى ، وMicahel نعيمة :

بدأت بدور التغريب في كتابات المارون اللبنانيين الذين وفدو إلى مصر وأنشأوا الصحافة التي كانت في حماية التفود الاستعماري في المؤسسات الثلاث الكبرى : (الأهرام - المقطم - الملال) وقد عرضنا لهذا في الباب الأول ، ثم كان للمهاجرين دورهم : جبران ، فيليب حتى ، Micahel نعيمة ، جبران ومن أهم هؤلاء فيليب حتى المتوفى عام 1978 ، فقد كتب تاريخ سوريا ولبنان من وجهة نظر العرقية المارونية الفينيقية ، فقد نشأ في أحضان الجامعة الأمريكية في بيروت ، ثم أرسل إلى جامعة كولومبيا ، ثم عمل في جامعة بريستون أستاذًا لتاريخ العرب والمعروف أن الولايات المتحدة أولت اهتمامها بشئون المنطقة منذ وقت بعيد ومن ثم اهتمت جامعاتها بدراسة اللغة العربية ، وأدابها ، وتاريخ المنطقة وأوضاعها (فيليب حتى ، سوريان عطية ، مجید خدورى) وكانت جامعة بريستون أول جامعة أمريكية تعرف بأهمية الدراسات العربية الإسلامية وتتوفر فيليب حتى على ريادة هذا الميدان الذي حظى بأهم مؤلفاته :

- * تاريخ العرب المطول والختصر .
- * تاريخ سوريا بما فيها لبنان وفلسطين .
- * صانعوا التاريخ العربي .
- * لبنان في التاريخ .
- * الإسلام أسلوب حياة .
- * الإسلام والغرب .
- * أصول الدروز والديانة الدرزية .

وقد ترجم كتاب (تاريخ العرب المطول) إلى أغلب لغات العالم (طبعة

خاصة لنجيши الأمريكي وهو يحول كل أمجاد الإسلام إلى العرب : العرب ، العلاقات بين الشرق والغرب ، المؤثرات الغربية .

ومن أخطائه أنه يربط الفتح الإسلامي بالواقع الاقتصادي وعادات العرب قبل الإسلام ، وهو يمضى في نفس طريق المستشرقين فيقول :

ليست الإرثة الدينية والتعصب ماحداً بالعرب إلى تدوين الدول وفتح الأقصى وإنما هي الحاجة المادية التي دفعت معاشر البدو وأكثر جيوش الفتح منهم إلى وراء تخوم البايدية الفقراء إلى مواطن الخصب في بلدان الشمال وهذا المفهوم دحشه مفكرو الإسلام وكشفوا زيفه .

ويذهب في عرض الإسلام فهاماً خطأً في كتابه (صانعوا التاريخ العربي) وغيره ، فيرى أن بعض النصارى من أهل أوروبا وأهل الشرق تكون عندهم في العصور الوسطى رأى يستند إلى أن ما بين الإسلام واليهودية والنصرانية من تشابه مؤداً أن الإسلام بدعة نصرانية أكثر منه ديناً جديداً ، وأن الإسلام من جميع الأديان الأخرى أقرب دين إلى المسيحية ، وليس هناك شك في خطأ هذا الرأي وفساده ، وهو يعتبر الكنتي وابن سينا وابن رشد فلاسفة على مفهوم الغرب ، ويحضر ما يقال : من أن ابن خلدون قد أثر في الفكر الغربي ، وأنه حين اكتشفه الغرب كان الذي يمكن أن يؤثر في الفكر العربي قد ولد بحكم أن العلوم الاجتماعية التي عالجها كانت قد انتظمت في الغرب ، وذلك برغم سيقه للعلماء الأوربيين في فلسفة التاريخ وتنظيم العلوم . وهذا الكلام غريب والمنصفون من الباحثين الغربيين أمثال تويني وغيره يعترفون بفضل ابن خلدون ، بل ويعتبرونه مؤسس علم الاجتماع ، وفي كتابه (صانعوا التاريخ العربي) وقع المؤلف في أحابيل الإقليمية السورية بدرجة عامة ولبنانية بوجه خاص ، فهو يذهب إلى أن بلاد الشام قد حافظت على طابعها المتميز الذي أثرت فيه طبيعتها الجبلية وقربها من البحر واتجاهها إلى الغرب وطابع سكانها وهو بذلك يبرر قيام هذا الكيان الاستعماري ، وقد نبه الباحثون إلى خطورة هذا التفسير الإقليمي للتاريخ ملتفين النظر إلى التداخل التاريخي بشتى أقطار الأمة العربية وأن سوريا ، مصر ، العراق لم يكن لها تاريخ قائم بنفسه إلا في فترات قصيرة

بسبب من تطورها ولا تستطيع أى وحدة بشرية في الشرق أن تدعى البقاء أو الانفراد بإنجازات تحضها وحدها .

و ترد مسؤولية هذه الاتجاهات الاستعمارية الغربية في تعميق هذه التيارات الانعزالية بقصد تفتت المنطقة العربية إلى قطع فسيفساء إقليمية من شأنها أن تبعد احتمالات الوحدة التي تشكل خطراً على مصالح كل من يقيدون من انسجام الوطن العربي .

ولقد كان فيليب حتى من دعاة الإقليميات وفصل العروبة عن الجامعة الإسلامية كما يدعو إلى فصل الدين عن السياسة، جرياً وراء هدف الفيئيقية اللبنانية الكاره للروابط العربية والإسلامية .

ومن أخطائه أنه يدعى أن الدين قادوا الهبة العربية الحديثة هم اللبنانيين الذين قدموا إلى مصر فانشأوا بها الصحف وتلك قضية قد عرف فيها وجه الحق ، وإن أغلب هؤلاء كانوا أولياء النفوذ الغربي وكانت كارهين للعروبة والإسلام والدولة العثمانية .

و هو يشيد بما أسماه نشوء الهبة القومية العربية لأنها نشأت في أحضان المارونية ومعاهد الإرساليات التبشيرية لمزريق الوحدة الجامعة التي كانت تمثلها دولة الخلافة .

(٢)

أما ميخائيل نعيمة فقد كانت كتاباته قائمة على تطعيم الأفكار الماسونية إلى القصص والأدب العربي .

ولقد كان مريضاً أن يتغلغل في عقائد سجينة في القدم ليظهر أن الماسونية وثيقة الوشائج بما اهتمى إليه قدماء المصريين والكلدانين والهنود والفرس والبرتغاليين واليونان التي كانوا يغلفونها بشيء من الرموز حرصاً عليها من الفساد بين أيدي الجاهير ، ومن ذلك اهتمامه في مذكرة (سبعون) بما أسماه كتاب (الأدب والعقيدة) morals and dogma الذي جمعه ووضعه ماسوني كبير وهو بحث مستقبض للعقيدة الماسونية ؛

وفيه شرح واف للرموز الكثيرة التي ترافق كل درجة من درجاتها من أمثل الحنساء الندية ، والحبة والسمكة والثور الذي يحمل على قرنيه الشمس والثور الحنبح ، وأبو الهول والأهرام وال مثلثات والمربعات والمكعبات والدوائر والأعداد المقدسة (٣/٧/٩) هذه التي تحولت (أديانها وعاداتها إلى طقوس متحجرة ومراسم لا روح فيها وهو يتحدث عن عالمية الباطنية والمحوسية القديمة ، فتحدث عن الأهرام ومعابد الأقصر ، والذين ألقوا المهرات والراميات والزندافستا والالياذة والذين خلقوا الأساطير والفنون والفلسفات اليونانية والذين حلووا إلى الناس التوراة والإنجيل . . إلخ) .

ومن هنا تستطيع أن تحكم على كل كتابات (ميخائيل نعيمة) وجيله والسموم التي قذفواها إلى الفكر الإسلامي : التشكيل واللا أدرية وإنكار الأديان ، والسخرية بالمقادسات والمقاهيم الإباحية التي أذاعها جبران ونعيمة وغيرهما .

أما (جبران خليل جبران) فقد كان صوتاً من أصوات الكراهة للإسلام والعرب والدين والأخلاق جميعاً ، وقد صنعت له القرى الأجنبية كل صنيع للنشر وتعليق شباب المسلمين به ، واليوم وقد مر على موته أكثر من خمسين عاماً فإنهم ما زالوا ينفحون فيه ، ومع الأسف فقد تجاوز الأدب العربي هذا اللون التغريبي الذي كان موضع إعجاب الشباب في الثلاثينات أما الآن فقد تكشف الكثير حول زيف الأدب المهاجرى الشمالي .

لقد كانوا خادمين لأهداف تغريب الشباب المسلم العربي ، ويشير حادث طه الرواى إلى أن جبران عاش حياته كلها ولم يتحدث بكلمة واحدة عن فلسطين أو التنديد بوعد بلفور عام ١٩١٧ وبالاستعمار البريطاني يوم قامت الثورة العربية الكبرى عام ١٩٢٠ ضد هذا الاستعمار . ويتسائل : لماذا التنديد بالاستعمار الفرنسي الغاشم يوم انقض الفرنسيون على دمشق عام ١٩٢٠ وتجنب التنديد بالاستعمار أثناء الثورة السورية الكبرى عام ١٩٢٥ ، وإذا قيل : إن جبران كان بعيداً عن السياسة فهو قول مردود ، لأن جبران كان يمارس نشاطاً سياسياً ضد العهد العثماني ، وكان من ألد أعداء العثمانيين ، لقد أراد جبران أن يكتب للإنسانية في عهد طاغور وبرنا ليشو وويلز ورسل

فلم تكن الإنسانية في حاجة إلى قلمه في ذلك العهد ، بل كان وطنه العربي في أمس الحاجة إلى قلمه السيال .

ثانياً : سعوم موزعة على أفلام كثيرة :

عندما تطالع صفحات الأدب العربي وكتابات ذلك الجيل الذي يسمونه الرائد تجد سعوماً موزعه ، تجد الدكتور أحمد أبو شادى مؤسس جماعة أبواب لو يقول : سعينا لتأسيس هيئة ثقافية ودية قوية التفود باسم الاتحاد الإنجليزى المصرى The avglo Egyption union لتوطيد الثقة وحسن التفاهم بين الشعبين ، فإن هذه المهمة تساوى في قيمتها العالمية جيشاً بأسره وليس من سارعوا إلى نقد عملنا هذا وكتابتنا في الصحف الإنجليزية والمصرية إلا وأحمد ، حينما يتصورون أنها دعاية متأثر بالثقافة الإنجليزية يرمي في أحضان الإنجليز . (مجلة أدبى عام ١٩٣٦)

في إثبات للصداع السياسي بين مصر المختلة وبريطانيا المستعمرة لمصر تجد هذه الدعوى وتجد صاحبها يقود فريقاً من الأدباء عن طريق الشعر وينشئ عدداً من الجملات .

٢ - واقرأ هذا النص أيضاً الذي نشرته كتب المطالعة للمدارس الثانوية عن قاسم أمين :

إن قاسم أمين لم يتقيد في قضائه بثراء الفقهاء أو أحکام المحاكم مما يعتبره أكثر القضاة حجة لا محيد عنها ، بل لم يتقيد بنص القانون إذا لم يصادق هذا النص مكان الاقتناع منه ، وهذا مما جعله ميالاً للرأفة في قضائه نافرًا أشد التفوذ من حكم الإعدام ، فقد كان يرى أن العفو هو الوسيلة الوحيدة التي ربما ينفع لإصلاح المذنب ، وأن معاقبة الشر بالشر إضافة شر إلى شر ، وأن التسامح والعفو عن كل شيء وعن كل شخص هي أحسن ما يعالج بهسوء ، ويفيد في إصلاح فاعله ، وأن الخطية هي الشيء المعتاد الذي لا محل لاستغراه والحال الطبيعية الالزمة لعزيمة الإنسان » .

هذا الكلام ما معناه ؟ معناه إنكار الشريعة الإسلامية والجرى وراء مفاهيم المسؤولية والصهيونية من أن المجرم لا ذنب له ، لأن أعضائه ليست

من صنعه أو أن المجتمع هو الذي دفعه إلى الخطأ وهو معارض لفهم الفصاخص الإسلامية حيث يقول الله تبارك وتعالى : « ولكم في الفصاخص حياة . . . » .

٣ - وحين تمضي في طريق التغريب تجد طه حسين ، ساطع الحصري في العراق في وقت واحد ، والعمل واحد ، والغاية واحدة ، يقول السيد حب الدين الخطيب : دعوة ساطع الحصري موبوءة بالجرائم الادينية المنتشرة في تركيا ، واستفحلا خطرها أيام الاتحاد والترقي ، ثم تحولت إلى الكمالية . إن ساطع الحصري هو (قلب) العصر العراقي مؤسس معارفه في العشرين سنة الأخيرة ، جرّد ثقافة العراق العربية من روح الإسلام ، وطه حسين يدعو إلى التباعد عن العروبة إلى أوربا وساطع الحصري يرى العروبة بديلًا عن الإسلام (الفتح سنة ١٣٥٨ هـ - ١٩٤١ م) .

٤ - ونجد الطريق ملغمًا على طول الطريق :

سلامة موسى يلقي محاضرة في جمعية الشبان المسيحية بدعوى وجوب مساواة المرأة للرجل في الإرث ^{أينما} كان مصدره ، بناء على أن الإسلام ظلمها بتفضيل الرجل عليها ، وقد تمكن من نشر هذه الدعاية في مجلة الرابطة الشرقية عام ١٩٢٨ وأخلفت ظنه جمعية الاتحاد النسوي المصري ، إذ حاولت إغواها بإغرائها بالطالبة بهذه المساواة ، فكتبت هدى شعراوي ، يومئذ ردًا عليه صرحت فيه بأنه ليس من موضوع هذه النهاية النسائية الخروج على الشريعة .

ثم جاء محمود عزى فأعاد هذه الدعاية في مناظرة له في كلية الحقوق بالجامعة المصرية واستند فيها إلى شهادات عاطلة ، ودعواى باطلة يتبعن فسادها بالبرهان ، وأنكر الأمير عمر طروson على الحكومة السماح للملائحة بمثل هذا الجهر في الطعن على الإسلام والدعوة إلى ترك نصوصه القطعية في مدارسها الرسمية .

٥ - ونتنقل إلى نص آخر ، الأستاذ محمد عبد الله عنان يكتب في نوفمبر عام ١٩٥٨ بأنه قابل البابا ثلاث مرات ، البابا بيوس الثاني عشر ، عرفه قبل أن يرقى عرش البابوية (كان اسمه أدجيتو باتشيللي) ويوم أن كان وزيراً

للدولة في عهد سلفة البابا بيوس الحادي عشر وعرفه وهو يتشح بخلل البابوية في أعظم مناسبة لحالس على عرش القديس بطرس وهو السنة المقدسة .

وأشار إلى معاهدة لتران (لاترانو) عام ١٩٣٠ التي انشئت بمقتضاها مدينة الفاتيكان و استردت البابوية نفوذها الديني وسلطتها الزمنية على الدولة البابوية الجديدة (أعني مدينة الفاتيكان) .

والمعروف أن معاهده لتران هي التي رسمت الخطة الواسعة الخطيرة التي عرفها المسلمون والبلاد العربية لحركة التبشير التي انتشرت في مصر وسوريا والعراق عام ١٩٣٢ وما بعده وكان لها دوراً كبيراً في تنصير كثير من المسلمين .

وقد عرف الدكتور محمود عزى والأستاذ محمد عبد الله عنان بالدعائية للكيان اليهودي الذي كان ما يزال يتكون في فلسطين في هذه الفترة .

ثالثاً : تأييد الصهيونية :

ولقد كتب محمد عبد الله عنان في وقت باكر يؤيد الزحف الصهيوني على فلسطين حيث دعا إلى قبولهم ، ومال مع الصهيونية بكثير من الإشادة بذلك لهم وذكر جهودهم وثمرات جهودهم في فلسطين ، وما وراءهم من قوة يهودية وغير يهودية في الخارج ، حتى كاد يلقي في فهم القارئ أن الصهيونية في طريق الفوز والنجاح نهائياً دون أن يتوجه إلى أهل فلسطين العرب بانصافهم في ما لهم من حق طبيعي في بلادهم ، بل من حق كامل في دفع الصهيونية دفعاً مشروعاً (وقد رد عليه باحث عربي مفصلاً) . قال الأستاذ عنان : إن الأساطير اليهودية تقول : إن (البراق) هو البقية الباقي من هيكل سليمان ، وترى فيه التقاليد اليهودية الدينية أثراً من أجل آثار إسرائيل ، وكان مأموراً منه ألا يمر على الأساطير دون أن يضع إلى جانبها الحقيقة ، هذه الحقيقة تختص بعلماء الآثار ومهرة المعماريين ، أكثر مما تختص بالأساطير ، فعلماء الآثار ليس منهم من يقول : بأن أي قسم من الجدار الغربي للحرم القدس الشريف يرجع في بنائه إلى زمن سليمان ، بل المتفق عليه قطعاً أن هذا الجدار بني في زمن لاحق ومن الذين يذهبون إلى القطع بأن هذا الجدار ليس من بقية

الميكل المستر جار شنج مدير دائرة الآثار في حكومة فلسطين سابقاً ، والمستر اشى الذي اشتغل في حكومة فلسطين أربع سنوات وهو من أكبر المعماريين الثقات ، فرغم اليهود أن الجدار يعد بقية من الميكل ساقط أساساً لأن علم الآثار والمعمارية ينفيان ذلك نفياً باتاً .

٢ - أن محل مواجهة الأستاذ عنان أنه في كلامه عن الحركة الصهيونية لم يضع في مقابلها الحركة العربية والثورة العربية في الحرب العامة وقطع الإنجليز العهد تلو العهد للعرب ، أنهم مستقلون بعد الحرب في ديارهم .

وقد كان العرب تسيل دماءهم في أباطح الحجاز إلى مشارف الشام إلى سفاح جبال طوروس قبل أن جاء وعد بلفور ، فكيف وقف الأستاذ حيال الحركة اليهودية معجباً وهى ترمى إلى سلب بلاد من أهلها بمساعدة الدولة التي تأجرت بدماء أهل البلاد العربية .

٣ - ويقول عنان : إن بعض الغلاة مازالوا يفكرون بعقلية العصور الوسطى وينحاولون الدعوة إلى نظريات ومشاريع خيالية مثل فكرة الجامعة العربية والجامعة الإسلامية .

والجواب : على هذا أن الجامعة الإسلامية براها أربابها على الوجه الذي لا براها به الأستاذ عنان ولم في معناها في هذا العصر ما يقنع الأستاذ إذا أراد ذلك .

٤ - مهاجمة عنان في القومية الإقليمية بقوله : قومية سورية وقومية عراقية ، ذلك أنه إذا أريد حصر معنى القومية بكل إقليم على حدة كان ذلك كذباً على مفهوم القومية التي تحدد وحدة المصلحة للأمة الرابط بعضها ببعض في بلاد معينة تربط اللغة والدين والثقافة ، وفوق كل ذلك - الجنس والعرق .

وكتب باحث تحت عنوان : هل عبد الله عنان يهودي صهيوني ؟
قالت : قرأت مقاله عن الصهيونية فلم يعتريني شك في أنه ليس يهودي فقط ، بل من غلاة الصهيونية . كنت أظنه مؤرخاً صادقاً يشرح وجهة نظر العرب في ناحية ، ووجهة الصهيونية في ناحية أخرى ثم يقضي على ذلك بالحقوق التاريخية والمكتسبة للعرب ، ولكنني وجدته خص نفسه بشرح

نظريّة اليهود وأطّرُحُ أمرَ العَربِ وزادَ الطينَ اتساخًا بِدفَاعِهِ المُسْتَرِ مَرَّةً ، وَالْمُنْكَشَفَ مَرَّةً أُخْرَى عَنِ الْقَضِيَّةِ اليهوديَّةِ ، وَاعْتَقَدَ أَنَّهُ إِمَّا مُعْتَقَنَ مِذْهَبِ الصَّهِيُونِيَّةِ يَعْطُفُ عَلَيْهَا وَيَدْفَعُ عَنْهَا ، وَإِمَّا ذُو هُوَى فِي خَدْمَةِ مَصَالِحِ اليهودِ فَرَاحَ يَهُوَسُ تَحْرِفًا عَلَى قَوْمِيهِمْ وَيُؤْسِفَنِي أَنْ أَخْطُطَ هَذَا لَأَنِّي لَسْتُ أَفْهَمُ سَرَّ هَذَا الدِّفَاعِ وَيَنْسَى أَوْ يَتَنَاسَى . إِنَّ فَكْرَةَ الْوَطْنِ الْقَوْمِيِّ اليهوديِّ اشْتَرَتْ بِأَمْوَالِ اليهودِ فِي الْحَرْبِ الْعَظِيمِ ، وَاسْتَغْلَالَ ضَعْفِ الْعَربِ ، فَأَرَادَ الصَّهِيُونِيُّونَ أَنْ يَغْتَصِبُوا أَرْضَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِدُونِ مَسْوَغَةٍ مِّنِ الْقَوْانِينِ الْوَضْعِيَّةِ وَالْحَقْرَقِ الْدُّولِيَّةِ .

وَبِيَمَا فَلَسْطِينُ بَحْرٌ مِّنَ الدَّمَاءِ وَالْيَهُودُ يَتَحْرُشُونَ بِأَهْلِ الْبَلَادِ الْعَزَلِ مِنَ السَّلَاحِ وَالْعَالَمِ الإِسْلَامِيِّ يَصْبِحُ مِنْ هُولِ الْمَأْسَةِ ، إِذَاً بِهَذَا الْكَاتِبِ وَزَمْرَتِهِ يَقُولُونَ مَا لَا يَعْلَمُونَ ، وَأَشَارُ إِلَى نَقْلِ النَّصْوَصِ مِنْ نَاحِيَةِ اليهودِ وَجَهْدِهِمْ وَقَالَ: أَلَيْسَ هَذَا التَّصْوِيرُ الزَّائِفُ يَوْمَ الْقَارِئِ أَنَّ الْعَربَ هُمُ الْبَادِئُونَ بِالْعَدُوَانِ وَأَنَّ اليهودَ أَحْصَابُ حَقٍّ ، وَأَنَّ تَعْرِفَ بِإِعْنَانِ اليهودِ مَتَى تَعْرِفُ كَيْفَ جَمَعَ اليهودَ مِنْ شَذَّاذِ الْآفَاقِ وَأَنْصَارِ الْبَلَاشْفَةِ ، وَقِيلَ لَهُمْ: تَعَالَوْا فِي الْبَحْرِ الْمَيْتِ مَاءً مِّنْ عَسْلِ مَصْنَفٍ ، فَلَمْ يَجِدُوا وَسِيلَةً إِلَّا أَنْ يَكُونُوا مَغْتَالِينَ وَدُعَاءَ فَتَنَةِ يهوديَّةِ أَوْ بَلْشَفِيَّةِ فِي هَذِهِ الْبَلَادِ الإِسْلَامِيَّةِ الْأَمَّةِ ، هَلْ الأَسْتَاذُ عَنَانُ يَعْمِي أَوْ يَتعَمَّى عَنْ أَصْلِ الصَّهِيُونِيَّةِ وَطَعْنَاهَا؟ (نَشَرَتْ هَذِهِ الْكَلِمَاتُ فِي جَرِيدَةِ السِّيَاسَةِ الْأَسْوَعِيَّةِ عَامَ ١٩٣٣) .

رابعاً: العلمانية :

وَفِي هَذَا الْحِجَالِ نَجِدُ كَثِيرًا مِّنِ الإِشَارَاتِ :

١ - نَجِدُ إِسْمَاعِيلَ مَظَهُرًا يَحْاولُ أَنْ يَقْدِمَ نَظَرِيَّةً دَارُونَ عَلَى تَحْوِيَّةِ آخرٍ مُخْتَلِفٍ بَعْدَ أَنْ عَجَزَتْ طَرِيقَةُ (شَبَيلِ شَمِيلِ) ، فَقَالَ: إِنَّهُ يَحْاولُ أَنْ يَقْدِمَ هَذَا الْمِذْهَبُ الْمَادِيُّ مُحَاوِلًا أَنْ يَصْرُفَ عَنِ الدُّعَوَةِ مَعَارِضَةِ الدِّينِ وَبَعِيدًا عَنِ الْمَغَالَةِ (بِخَتَرِ) الَّذِي تَرَجَّمَ عَنْهُ شَمِيلَ وَعَنْفَ شَمِيلَ نَفْسَهُ ، فَكَتَبَ (مَلَقِيَ السَّبِيلِ) فِي مِذْهَبِ النَّشَوَةِ وَالْأَرْتِقَاءِ وَأَثْرِهِ فِي الْانْقِلَابِ الْفَكْرِيِّ الْحَدِيثِ) يَقُولُ: رَأَيْنَاهُ مُخَالِفًا لِلْدَّكْتُورِ شَبَيلِ شَمِيلِ فِي اتِّخَادِهِ مِذْهَبِ النَّشَوَةِ ذَرِيَّةً لِلْإِثْبَاتِ الْمِذْهَبِيِّ الْمَادِيِّ . وَقَدْ حَمَلَ إِسْمَاعِيلَ مَظَهُرًا عَلَى هَذِهِ الطَّرِيقَةِ وَعَدَ

أصحابها متعصبين لفکرهم وأورذ من الإله ما يريد به أن يثبت أن مذهب النشوء برىء مما يصمونه به وهو أنه يؤدى إلى تقرير المذهب المادى .

٢ - ويواصل دعاة العلانية سموهم فنجد الدكتور محمد مندور يقول :

إن الثقافة العربية مزيج من عنصر عربى وعنصر فارسي وعنصر يونانى يقول : في القرآن وفي الإسلام ما لا يخصى من مبادئ التوراة وقصص التوراة وأصول التوراة الشرقية ، وفي الحضارة العباسية كثير من وسائل الحياة الفارسية بيذخها وظاهرها المادى وتيارتها الأخلاقية والفكيرية في بعض الأحيان ، أما اليونان فظن أن تأثيرهم في الفلسفة الإسلامية والمنطق الإسلامي وعلم الكلام واللغة والنحو والبلاغة أوضح من أن يذكر .

هذا الذى قاله الدكتور مندور كذب وتحليل ، من أوله إلى آخره ، وهو ما يعلمونه لهم في أوربا حيث يقعوا في أيدي المستشرقين الصهيونيين المتعصبين في فترة الثلاثينيات حينما كان يوضع ذلك الخطط المسموم للغزو التلمودى للفكر الإسلامي بالإضافة إلى الغزو العربي المسيحي .

والحقيقة أن الفكر الإسلامي لم يتكون من عناصر عربية أو فارسية أو يونانية ولكنه تكون من عنصر واحد هو القرآن الكريم كلام رب العالمين المنزل على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، فهو وحده مصدر الفكر الإسلامي الحقيقى ، وأن كل ما دخل إلى الفكر الإسلامي من مترجمات اليونان أو غيرها فإن الفكر الإسلامي بأساليبه وذاته الخاصة كان قادرًا على رد ما اخالط فيه بالوثنية وأساغ ما وجده صالحًا وحوله إلى كيانه حين صنع منهجه الأصيل : المسيح العلمي التجربى الذى لم يعرفه الفرس ولا الروم ولا اليونان ، ولا العبرانيين .

خامسًا : الماركسية :

١ - ثم تأتي موجة الماركسية وتحاول أن تطغى على الفكر الإسلامي فنجد الماديين الذين يحاولون أن يصوروها منهج الحياة الاجتماعية في العالم الإسلامي كله تصورًا مادياً ، ينكرون المعنويات وينكرون العزائم والإيمان ، فتذهب قواد زكريا إلى القول : بأن ما حدث من نصر في رمضان لم يكن

إلا مادياً صرفاً وأن هذه القيم المعنوية النفسية ، وصيحة الله أكبر لا قيمة لها ولا تقدير في نظرهم ، والهدف من هذا هو فصل المسلمين في الحاضر عن قيمهم وتاريخهم وعقيدتهم مما يسمونه القديم أو التراث ، وبرون أن النظرة المستقبلية لا يمكن أن تكون إلا ماركسية وكذبوا فإن المسلمين لهم منهجم الأصيل وقيمهم الربانية القرآنية التي بناوا عليها حياتهم في الماضي وسيبنيون عليها حياتهم في الحاضر والمستقبل ، وهم يعرفون الفرق بين الميراث الذي هو الإسلام وبين التراث الذي هو التاريخ ، ويؤمنون بأن التاريخ ليس عبئاً وأنهم ليسوا متقادين له أو خاضعين ، وأن تطلعهم الحقيقى موجه نحو النهج الإسلامي الأصيل مع أساليب العصر وعلومه .

ويحاول الماركسيون أن يقدموا تلك الصور الغربية عن بروميثوس ، ونيتشة وهكذا تكلم زرادشت وغيرها في محاولة لإقصاء الشباب المسلم عن التعرف على أصلاته فكرة وظناً بأن هذا الذي يقدمونه سيحول شباب الإسلام إلى الغرب أو إلى الماركسية .

٢ - وبعد نكسة عام ١٩٦٧ ظهر كتاب عصريون غربيون يلبسون لباس الماركسية والمادية أمثال صادق جلال العظم في كتابه (نقد الفكر الديني)

وهو حين يتناول الدين في هذه المرحلة بالذات يعمل كما يقول دكتور كامل سعفان في إطار سياسى مرسوم يقصد به التشكيك والبلبلة الفكرية وصولاً إلى تمزيق الوحدات الاجتماعية وإلى الشعور بالاغتراب وإلى الجفاف الروحي وإلى الفكر المادى ونحن نعرف هجوم الشيوعيين على الدين باعتباره القوة الوحيدة التي تقف في وجههم ، وتعرف حملتهم عليه ووصفه بكل الصفات الغاضبة الكريهة ، وظنهم أن النكسة هي فرضتهم لتصون البلاد العربية علاقتها مع الإسلام وتسلمه للماركسية ، مع أن العكس هو الذي حدث ، وأن العرب وال المسلمين تعلموا أن هذه التجربة التي قادها بعض الزعماء قد فشلت ، كما فشلت التجربة الليبرالية من قبل ، وأن الطريق الوحيد أمام المسلمين ليس سوى طريق الله الحق : الإسلام .

ومهما قالوا : من أن الإسلام يرعى القوى الرجعية والمتخلفة ،

أو المحافظة فإن هذا كله لم يعد يهز شعرة واحدة في النفوس التي آمنت به وخلعت كل ما كان يمر بها من إحساس بأن أي منهج آخر يستطيع أن يتحقق لل المسلمين مجتمعاً كريماً ، ومهما قالوا : بأن الآخرة رؤيا خيالية ، ومهما أنكروا البعث والحساب والثواب والعقاب فإن هذه الصيحة أصبحت غريبة الآن في مجتمعات المسلمين ولم تجد غير السخرية من قابلها .

وأن كل ما يحاولون لصقه بالإسلام هو من التحديات التي واجهت المسيحية في الغرب أبان النهضة والأمر هنا مختلف تماماً ، فالإسلام هو صانع الحضارة ومنشئ المنهج العلمي التجربى وليس بينه وبين العلم أو الحضارة أى صراع يمكن أن يصور بأنه صراع الكلادة أو الحكومة الشيقراطية .

٣ - ولا يكف الدكتور حسن صعب عن دعوه الموجة ، فهو واحد من دعاة التغريب يحاول ويزاره آخرون الدعوة إلى صهر العقل العربي (الإسلامى الانتهاء) في العقل الغربى ، وكتابه تحديث العقل العربي يدعو إلى تغريب الفكر الإسلامي ونقله من أصوله الأصيلة إلى مسيحية مفخمة .

وأن ما يحاوله حسن صعب لن يؤدي إلى شيء ، شأنه في ذلك شأن محاولة زكي تجيب محمود . إن هذه العقول المادية لن تستطيع أن تفهم الوحدة الجامحة في الإسلام بين الماداة والروح والعقل والقلب ، والعلم والدين .

سادساً : سعوم المنهج الغربى :

وحيثما تلفت تجد دعوة التغريب :

(عبد العزيز القوصى) في محاولة هدم اللغة العربية وبيانها بواسطة طريقة (شرشر) المستوفية ، ودعوته إلى إذاعة مذهب ديوى المفرغ من الأخلاق والدين وفرضه على المدرسة العربية ، سواء في مصر أم في أى بلد عربي ذهب إليه .

وهذا الدكتور أحمد زكي قبل أن يرأس تحرير مجلة العربي في هجومه

العاصف علىعروبة ودعوته إلى الإقليمية وتشكike في وحدة العرب واللغة العربية ، تهديماً حتى لا ترتبط الأمة بالإسلام ولا ترقى ليتحدث عن الوحدة الإسلامية .

لقد صال في ذلك وجال في مقال طويل بجريدة المصري في ١٣/٥/١٩٥٠ تحت عنوان : ما العرب وما الفراعنة ؟ إنما نحن قوم مصريون ، ونجد الدكتور عبد الملك عودة في كتابه الكتلة الإسلامية الصادرة عام ١٩٥٥ ينقد بشدة إمام جامعة إسلامية على أساس مناقشة الفلسفة لدعوة الكتلة الإسلامية وإبراز أن الطريق هو : (القومية - العلانية - الديمقراطية) .

وذلك هي محاولات وراء محاولات ترمي إلى هدم الوحدة الإسلامية الجامعة ، وقد احتط لهم على عبد الرزاق ، طه حسين الطريق فخاضوا فيه.

سابعاً : الشعوبية :

وترى شعوبية القضىمى ، و خالد محمد خالد ، و محمود الشرقاوى (الدين والضمير) في كتابات مرتبطة أخطرها دعوة الشرقاوى إلى ما أسماه الضمير بدلاً من الدين حيث يرمى إلى نشر السموم التالية :

- ترك الصلاة والتکاليف الأخرى اكتفاء بالضمير .
- تأييد قول ابن الرشيد : إن الدين للعوام لا للخواص .
- قول ابن رشد : ما يوجد وراء الدين خرافه .
- قول الفلاسفة : إن الأنبياء جهله ومضلون و . . .
- قول المعرى :

فلا تحسب مقال الرسل حقاً ولكن قول زور سطروه
وكان الناس في عيش رغيد فجاءوا بالحال فكتبوه
- الأفضل أن يكون الإنسان خيراً فاضلاً أصيل جوهر النفس ولو لم يلتزم ما أمرت به العقيدة .

ولا ريب أن هذا كله من كلام الباطنية وفلسفه المحسوس وأن محمود

الشرقاوى كان مكلفاً بهذه الدعوة من كتب عنهم كتبًا كاملة من بعد ، فقد كان يسر في ركاب سلامة موسى ، وكانوا يهدفون أن يذيعوا هذه السفوف عن طريق قلم إسلامي فلم يجدوا غيره من الصالحين المسلمين .

وعلى طريقه مرضى خالد محمد خالد في كتاباته (فليحرثوا في البحر) .

وكان عبد الله القصبي هو قائد هذه المدرسة في كتبه المتعددة وفي مقدمتها كتابه (هذه هي الأغلال) (١) وغيرها من الكتب التي تمحو بالأفكار العاصفة .

وفي مجال الأدب نجد المخربين أمثال نزار قباني ، ومحمود درويش ودعوة عريضة إلى إفساد الشعر العربي يحمل لوائها يوسف الحال داعيًّا في صراحه إلى إخراج الشعر العربي عن إطاره وأسلوبه ومنهجه وذلك حين يكتبه من وجهة نظر مسيحية مباشرة وهذا ما لم يفعله أى شاعر عربي في الماضي . وأبرز نموذج لشعره هذا : قصيدة العشاء الأخير .

أصدر مجلة (شعر) في يناير عام ١٩٥٧ وتخرج من الجامعة الأمريكية في بيروت أما نزار قباني فشاعر هدام لا يحوي من الأفكار إلا ما هو ساقط وضار ، فهو إما تراه يتحدث عن المرأة والخدع ويردد أفكاراً تشجع على الرذيلة والانحطاط الخلقي ، وإما يروج لأفكار هدامه تشيع اليأس والقنوط في نفوس الأمة (عبد الله بن إدريس) .

وهو يحمل مشاعر الجماهير في شعر غير مفني لإقناع الجماهير وإدخال هذا النوع عليهم من خلال مفاهيم يعجبون بها مع أن أمانته للتغريب أقوى من عرضه للوطنيات في محاولة خادعة ماكرة .

ولقد حاول بعد نكسة عام ١٩٦٧ أن يصور نفسه بصورة البطل ، وهل يستطيع نزار قباني وهو صريح الشهوات أن يكون شاعراً وطنياً يوحي به الأمة بعد حوادث عام ١٩٦٧ ، وأنفي له ذلك وهو من مصادر المزيمة الحقيقة ، فقد كان شعره من علامات الانهيار والتدمر ، وكيف يمكن أن يوصف

(١) ناقشنا كتاب هذه الأغلال ، وكتاب الدين والصيير وكشفنا زيفهما في كتابنا (الإسلام والثقافة العربية) .

نزار بأنه من الشعراء الغاضبين ، كما يحاول أن يصوره داعية من دعاية الانحلال والماركسية ، وكيف يمكن أن يكون نزار قباني من عوامل المهزيمة ثم يجئ ليهاجم المهزومين ، ويصور نفسه بطلا وهو من عناصر المهزيمة ، أنه ينهر الفرصة للظهور في كل المناسبات فإذا كانت الحياة منطلقة على طبيعتها كشف عن ذيول الإباحيات ، وإن كانت الحروب وقف في صف الأبطال الكاذبين .

إن شعر نزار قباني السياسي لا يمكن أن ينفصل عن شعره الإباحي وهو وعاء لترويجه ، ولن يستطيع مثل هذا المفهوم أن يكون إباحياً ووطنياً في وقت واحد (وإنما هي حيلة دعاية الشعوبية من أمثال القصاصين والشعراء) وهل يقبل عقل أن يقارن رجاء النقاش بين نزار قباني وبين شكسبيرو أو المتنبي فأين من أين ، أو مقاييسه بالمعرى وغيره فيها إسراف كبير من جانب النقاش لقباني وكلاهما من رواد الحركة المسرحية في مصر في العصر الماضي .

أما محمد درويش فهو حامل العلم الشيوعي في المؤتمر الشيوعي في رومانيا ، وكتاباته الشعرية مضبطة ضالة ، لا تفصح عن وطنية ولا عن رجولة ، وهو خدام للتفكير التغريبي تحت أى لواء .

أما مصطفى حسين فإنه ليس مفسداً في الكاريكاتير فقط ولكن في دعوته إلى العامية الرديئة المليئة بعبارات الصلف والسخافة ، فهذه حرب للغة العربية على نطاق يومنا واسع في جريدة توزع مئات الألوف ويقرأها الشبان والفتيات ويقلدون عباراتها .

إن مشكلة العامية ليست هي فقط في كتابة الحالات المهزولة وإنما هي في اختلاف ألوان جديدة من العبارات التي لا تطابق أسلوب العربية الفصحى .

ثامناً : التبعية :

ومن الظواهر العجيبة أن يخضع بعض الأزهريين إلى الفكر العلماني إرضاء للعلمانيين في الصحافة ورغبة في الحصول على المراكز الدينية الزائلة ، فيقول محمد فهمي عبد اللطيف : (ثم جاءت الأديان) بعد أن تحدث عن مصر القديمة ، فهل جاءت الأديان بعد أن صنع علماء مصر القديمة العلم

أم أن الدين هو الذى وجههم إلى فهم العالم في تحركها وثباتها ؟ الحقيقة أن أول ما يتعلم من درس في الأزهر أن الدين جاء مع أبينا آدم ، ثم مع نوح ومضى مع كل العصور حتى ختم برسالة محمد صلى الله عليه وسلم ، وأن الدين يقولون : (ثم جاءت الأديان) إنما هم العصريون الخدوعون بمفاهيم التلمود والصهيونية الذين يدعون أن اليهودية هي أول أديان التوحيد .

ويتحدث فهمي عبد اللطيف عما يسميه (أسبوع الآلام) ليرضى موسى صبرى رئيس تحرير الأخبار وعباراته توحى بأنه يؤمن بصلب السيد المسيح وبذلك يكون قد خرج على حقيقة أساسية من حقائق الإسلام فإن السيد المسيح لم يصلب وكل ما يقال عن أسبوع الآلام لا يقره الإسلام .

يقول : بخلو لي دائمًا أن أعيش أسبوع الآلام مع إخواننا الأقباط وفي أسبوع الآلام ترسم خطوات المسيح والآلام التي عانها في سبيل عقيدته ورسالته .

وفي العهد القديم كان كل المصريين المسيحيين منهم والمسلمين يعيشون أسبوع الآلام على صعيد واحد يستشعرون في الألم الإنساني الذي يشعرهم بالحياة وإنما نفوسهم بحب الإنسانية والعطف عليها ، خيس العهد الذي عاللون فيه إماء من ماء . . . إنخ ، فهل هذا كلام يقوله مسلم متخرج من الأزهر ؟ الحقيقة أن فهمي عبد اللطيف قد حاول إرضاء العلمانيين الذين يعملون معهم تكفل كثيرة على حساب عقيدته .

والنماذج كثيرة من هذا النوع ، وكلها توحى بهذا الانحراف نحو مفاهيم وافية ، تنشر في الصحف بين أيدي الشباب المسلم الذي يظن أنها حقائق ، وكان علينا أن نكشف عنها حتى نعرف الخطط التي يرسمها أعداء الإسلام .

أبور الجندي

هذا وبالله التوفيق .

في متابعة هذه الدراسات :

- (+) الصحافة والأقلام المسومة .
- (+) الشورية في الأدب العربي المعاصر .
- (+) شخصيات اختلف فيها الرأي .

فهرس الكتاب

الصفحة	الموضوع
	الباب الأول
٥	مقدمة
٢٣	قضايا مثارة في صورة الإسلام
٢٥	الفصل الأول : الشريعة الإسلامية (فتحي غاتم - روزاليوسف)
٣٣	الفصل الثاني : عقيدة و منهاج وحياة (محمد خلف الله - فؤاد زكريا - حسن حنفي)
٣٩	الفصل الثالث : مفهوم الإسلام للفن وقضاياها
٤٧	الفصل الرابع : المؤامرة على الخلافة والدولة العثمانية - عبد الحميد الكاتب : أخبار اليوم
٥٥	الفصل الخامس : كتاب الإسلام وأصول الحكم
٥٥	ليس من تأليف على عبد الرزاق بل من تأليف مرجلبوت
٦٣	الفصل السادس : الذاتية الإسلامية و معركة الحافظة عليها
٦٩	الفصل السابع : مصر عربية إسلامية - محاولة للقضاء على الانباء العربية
٧٣	الفصل الثامن : استعلاء موجة الجنس في الأفلام والمسرحيات والمسلسلات
٨٠	الفصل التاسع : حقيقة القمم الشوامخ والعمالقة
٨٥	الفصل العاشر : خلفاء طه حسين و غلام المستشرقين زكي تجيب محمود - توفيق الحكيم - حسين فوزي
٩٣	الفصل الحادى عشر : سوط مذهب الوجودية

الموضوع

الصفحة

الفصل الثاني عشر : المؤامرة على الفصحي لغة القرآن - لويس عوض ٩٩

الباب الثاني

١٠٧	كتاب العصر
١٠٩	الفصل الأول : جيل الرواد
١١٠	رفاعة الطهطاوى
١١٣	لطفي السيد
١٢١	على عبد الرزاق
١٢٦	أمين الحولي
١٣١	حسين فوزى
١٣٦	عباس محمود العقاد
١٣٩	محمد حسين هيكل
١٤٩	طه حسين
١٥٦	الفصل الثاني : كتاب لبنان المارون
١٥٨	فارس نمر
١٥٩	فرح أنطون
١٥٩	سليم سركيس
١٦١	يعقوب صنوع
١٦٢	شبل شمبل
١٦٤	أديب إسحق
١٦٥	لويس صابوتجي
١٦٦	جبران خليل جبران (أدب المهجـر)
١٦٩	جرجي زيدان (روايات الإسلام)
	الفصل الثالث : الفن والمسرح : نجيب الريحانى - زكى طليمات -
١٨١	يوسف وهبى

الصفحة	الموضوع
الفصل الرابع : دعابة التغريب	
١٨٥	ساطع الحصري (القوميات)
١٨٥	سلامة موسى (التغريب)
١٨٧	توفيق الحكيم (التغريب)
١٩١	توفيق الحكيم - محاولة جديدة على طريق تغريب الإسلام ...
١٩٧	لوبس عوض (التغريب)
٢٠٢	
الفصل الخامس : (نجوم الصحافة)	
٢٠٩	مصطفى أمين
٢١٠	إحسان عبد القدوس (القصة)
٢١٨	أمينة السعيد (الصحافة النسوية)
٢٢٤	حسين مؤنس (التغريب)
٢٢٩	صلاح جاهين (العامية)
٢٣٢	يوسف إدريس (التغريب)
٢٣٤	
٢٣٧	أنيس منصور
الفصل السادس : دعابة الشعوبية	
٢٤١	مناهج التعليم : اتساع ديوى (إسماعيل القباني - عبد العزيز
٢٤٣	القصوى)
٢٤٦	الدكتور محمد أحمد خلف الله (الشعوبية)
٢٤٩	عبد الرحمن بدوى (الفلسفة الوجودية)
٢٥١	غالي شكري (التراث)
٢٥٨	مرزكى نجيب محمود (التغريب)
٢٦٣	عبد الرحمن الشرقاوى (التفسير المادى للتاريخ)
٢٦٨	عمر عبد العزيز أمين

الصفحة	الموضوع
٢٧٠	صلاح عبد الصبور (الشعر الحديث بلا شهادة ميلاد)
٢٧٥	الفصل السابع : عصبة العلانية أعداء الشريعة الإسلامية - خلفاء علي عبد الرزق
٢٧٧	خالد محمد خالد
٢٨٧	أحمد بهاء الدين
٢٩٤	محمد عمارة
٣٠٢	محمد أحمد خلف الله
٣٠٨	محمد سعيد عشماوى
٣١٣	الفصل الثامن : (إعادة النظر في كتابات التغريب)

* * *

رقم الإيداع بدار الكتب ١٩٨٥ / ٢١٥٨
الرقم الدولي ١٠٨-٥ - ١٤٢ - ٩٧٧

دار النصر للطباعة الإسلامية
٢٣ شارع شبرا مصر